بسم الله الرحمن الرحيم



بهج الصباغة

في شرح نهج البلاغة

العلّامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سرّه

المجلّد الثامن



دار امير كبير للنشر
تهران: ۱۳۷۶



بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد الثامن)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

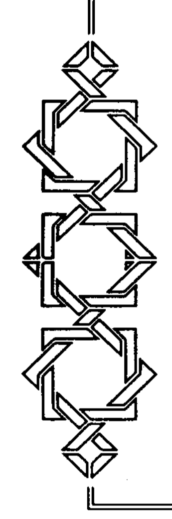
شابك ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب ٤١٩١-١١٣٦٥

الفصل الثالث والعشرون

في عتاباته عليه السلام لعمّاله وغيرهم

وفيه حالات الاشعث وزياد وأبي موسى
وأحوال ابن عباس والمنذر





١
الكتاب (٥)

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس وهو عامل أذْرَبيجان:

وَإِنّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرعىً لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إلّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ ٱللهِ عَزّ وجَلّ، وَأَنْتَ مِنَ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ. وَٱلسَّلَامُ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) وابن قتيبة في (خلفائه) وابن عبد ربه في (عقده) مع زيادة قبله، ففي الأوّل محمّد بن عبيدالله عن الجرجاني قال لما بويع عليّ عليه السلام وكتب إلى العمال كتب إلى الأشعث مع زياد بن مرحب الهمداني - والأشعث على آذربيجان عامل لعثمان - وكان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث قبل ذلك «أما بعد لولا هنات فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً ان اتقيت الله، ثم انه كان من بيعة

الناس اياي ما قد بلغك، وكان طلحة والزبير ممن بايعاني، ثم نقضا بيعتي على غير حدث، وسارا إلى البصرة، فسرت إليهما، فالتقينا، فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه، فأبوا، فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية، وان عملك ليس لك بطعمة ـ الخ[1].

ومثله الثاني والثالث مع اختلاف يسير، وزاد الاخير بعد «وأحسنت في البقيا»: «وأمرت أن لا يذفف على جريح، ولا يتبع منهزم، ولا يسلب قتيل، ومن ألقى سلاحه واغلق بابه فهو آمن[2].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس) في (الاستيعاب): الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور بن غفير بن عدي بن مرة بن ادد بن زيد الكندي ـ وكندة ولد ثور بن عفير[3].

ومثله في (ذيل الطبري)، لكن زاد بين الحارثين معاوية، كما أنه استقطا مرتعاً قبل ثور، وقال (ثور بن مرتع بن كندة واسمه ثور)[4] ومثل الذيل هشام الكلبي ـ على نقل الاسد ـ لكن قال: «ثور بن مرتع ـ واسمه عمرو ـ بن معاوية بن ثور ـ وهو كندة بن عفير»، ونسب إلى الاستيعاب مثله لكن الّذي وجدت ما عرفت[5].

وكيف كان ففي (الأغاني): تنازع عمرو بن معديكرب والأشعث بن

---

(١) وقعة صفين: ٢٠.

(٢) الامامة والسياسة ١: ٩١.

(٣) الاستيعاب ١: ١٠٩.

(٤) منتخب ذيل المذيل: ٤٤.

(٥) اسد الغابة ١: ٩٧ و٩٨.

قيس في شيء، فقال عمرو للأشعث: نحن قتلنا أباك ونكنا أُمك.

(وهو عامل آذربيجان) هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن في (ابن ميثم): «وهو عامله على آذربيجان»[1].

وكيف كان ففي (فتوح البلاذري): قال ابن الكلبي: ولّى عليّ بن أبي طالب عليه السلام آذربيجان سعيد بن سارية الخزاعي، ثم الأشعث بن قيس الكندي

وفيه عن مشايخ من أهل آذربيجان قالوا: قدم الوليد بن عقبة ـ أي في زمن عثمان ـ آذربيجان ومعه الأشعث بن قيس، فلما انصرف الوليد ولاه آذربيجان، فانتقضت فكتب إليه يستمده، فأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة، فتتبع الأشعث حاناً حاناً، ففتحها على مثل صلح حذيفة وعتبة بن فرقد ـ الخ[2].

ثم ان (بلدان الحموي): نقل عن ابن المقفع في معنى «أذربيجان» أقوالا ـ إلى أن قال ـ وقال «آذر» اسم النار بالبهلوية و «بايكان» معناه الحافظ والخازن، فكأن معنى «آذربيجان» بيت النار أو خازن النار، وهذا أشبه بالحق، لان بيوت النار في هذه الناحية كانت كثيرة[3].

قلت: ويؤيده ما رواه البلاذري: ان المغيرة لما قدم الكوفة من قبل عمر كان معه كتاباً من عمر إلى حذيفة ـ وكان بنهاوند ـ بولاية آذربيجان، فأنفذ الكتاب إليه، فسار حذيفة حتى أتى أردبيل ـ وهي مدينة آذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها ـ فصالحه المرزبان عن جميع أهل آذربيجان على ثمانمائة ألف درهم ـ وزن ثمانية ـ على

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٥٠، مثل المصرية.

(٢) فتوح البلدان: ٣٢٣ و٣٢٤.

(٣) معجم البلدان ١: ١٢٨.

أن لا يقتلوا ولا يهدم بيت نار ـ الخ[١].

قوله عليه السلام «وان عملك ليس لك بطعمة» كان عثمان عود الأشعث كون عمله طعمة له.

ففي (تاريخ الطبري) ـ بعد ذكر شراء مصقلة سبي بني ناجية من عامله عليه السلام، وعتقه لهم بدون أخذ شيء منهم، وعجزه عن أداء ثمنهم ـ فقال مصقلة لذهل بن الحارث: والله ان أمير المؤمنين يسألني هذا المال والا أقدر عليه، أما والله لو أن ابن هند هو طالبني بها أوابن عفان لتركها لي. ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج آذربيجان مائة ألف في كل سنة ـ الخ[٢].

كما أنه جعل أكثر البلاد طعمة لأقاربه، فقال سعيد بن العاص لما كان والياً على الكوفة من قبل عثمان في بعض الايام ـ وكتب به إلى عثمان ـ انما هذا السواد فطير لقريش. فقال له الأشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك.

«ولكنه في عنقك أمانة» يجب عليك ردها إلى أهلها «وأنت مسترعي لمن فوقك» الّذي ولاك وجعلك راعياً في بلد «ليس» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن في (ابن ميثم) (وليس)[٣] «لك أن تفتات» افتعال من الفوت، أي: تسبق إلى شيء بدون مراجعة من فوقك «في رعية ولا تخاطر» أي: تقدم على عمل عظيم له خطر وقيمة «الا بوثيقة» واطمينان بالنجاح.

«وفي يديك مال من مال الله عزّ وجلّ» ممّا جباه من الخراج «وأنت من خزّانه»

---

(١) فتوح البلدان: ٣٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٠٠، سنة ٣٨.

(٣) لم توجد الواو في شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٥٠.

هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1] (من خزاني).

«حتى تسلمه إلي» فأضعه موضعه «ولعليّ لا أكون شر ولاتك» ولّاه عمر وعثمان قبل «لك» وزاد في رواية نصر «ان استقمت»[2].

في (صفين نصر): لما كتب عليه السلام إلى الأشعث قال لاصحابه: ان كتابه قد أوحشني وهو آخذني بمال آذربيجان، وأنا لاحق بمعاوية، فقالوا له: الموت خير لك من ذلك، أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام، فسار حتى قدم عليه عليه السلام -إلى أن قال - ومما قيل على لسانه:

أنا الرسول رسول الوصي	علِيّ المهذب من هاشم
رسول الوصيّ وصي النبيّ	وخير البرية من قائم
وزير النبيّ وذو صهره	وخير البرية في العالم
له الفضل والسبق بالصالحات	لهدي النبيّ به ياتم
أجبنا عليّاً بفضل له	وطاعة نصح له دائم
فقيه حليم له صولة	كليث عرين بها سائم[3]

٢
الخطبة (١٩)

ومن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك. فخَفَض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللهِ وَلَعْنَةُ ٱللَّاعِنِينَ! حَائِكٌ ٱبْنُ

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٥٠، مثل المصرية.

(٢) وقعة صفين: ٢١.

(٣) وقعة صفين: ٢٤.

حَائِكٍ! مُنَافِقٌ ٱبْنُ كَافِرٍ! وَٱللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ ٱلْكُفْرُ مَرَّةً وَٱلْاسْلَامُ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ! وَإِنَّ ٱمْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَـمْقُتَهُ ٱلْأَقْـرَبُ، وَلَا يَأْمَـنَهُ ٱلْأَبْعَدُ.

قول المصنّف: (ومن كلام له عليه السلام قاله) هكذا في (المصرية) وكذا (ابن أبي الحديد) ولكن في نسخة ابن ميثم (خاطب به)[1].

(للأشعث) وفي (ابن ميثم) (الأشعث)[2]. قال ابن أبي الحديد: اسمه كان معد يكرب وكان أبداً أشعث الرأس، فغلب عليه الأشعث حتى نسي اسمه[3].

(ابن قيس) قال ابن أبي الحديد: ويقال له الاشج لانه شجّ في بعض حروبهم[4] (وهو على منبر الكوفة يخطب) الناس (فمضى في بعض كلامه شيء) هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن في (ابن ميثم) (فمضى في كلامه شيء)[5].

(اعترضه الأشعث وقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال ما يدريك) وفي ابن أبي الحديد وابن ميثم[6] (وما يدريك).

«**ما عليّ مما لي**» قال ابن أبي الحديد: كان اعتراض الأشعث أنه عليه السلام لما خطب بعد انقضاء أمر الخوارج وذكر امر الحكمين قام رجل وقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد. فصفق عليه السلام بإحدى يديه على الأُخرى وقال: هذا جزاء من ترك العقدة، وكان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم إذ

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩١ وشرح ابن ميثم ١: ٣٢٢، مثل المصرية.

(٢) ان كان الفعل «خاطب به» يجب ان يكون المفعول بلا حرف جر ولكن الفعل في نسختنا «قاله» كما في المصرية والمفعول «للاشعث» راجع شرح ابن ميثم ١: ٣٢٢.

(٣ و ٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٢.

(٥ و ٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩١ وشرح ابن ميثم ١: ٣٢٢، مثل المصرية.

تركتم الرأي والحزم، وأصررتم على اجابة القوم إلى التحكيم، فظن الأشعث أنه أراد هذا جزاي حيث تركت الرأي والحزم وحكمت، فقال له عليه السلام هذه عليك لا لك. وتبعه ابن ميثم و الخوئي(١).

قلت: لو كان راجع مستند العنوان لما قال ما قال، ففي (الأغاني) في أُمية ابن الاسكر عن ابن عمار والجوهري عن ابن شبة عن محمّد بن أبي رجاء عن إبراهيم بن سعد، قال عبدالله بن عدي بن الخيار: شهدت الحكمين ثم أتيت الكوفة وكانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة، فدخلت عليه، فلما رآني قال: مرحباً بك يا ابن ام قتال أزائراً جئتنا ام لحاجة. فقلت: كلاهما جئت لحاجة، وأحببت أن أجدد بك عهداً، وسألته عن حديث فحدثني على ألا أحدث به، فبينا أنا يوماً بالمسجد في الكوفه إذا هو عليه السلام متنكب قرناً له، فجعل يقول الصلاة جامعة وجلس على المنبر، فاجتمع الناس وجاء الأشعث فجلس، فقام عليه السلام وقال بعد الثناء: انكم تزعمون أن عندي من النبيّ صلى الله عليه وآله ما ليس عند الناس، ألا وانه ليس عندي الا ما في قرني هذا، ثم نكب كنانته، فأخرج منها صحيفة فيها «المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين».

فقال له الأشعث: هذه والله عليك لا لك دعها تترحل، فخفض عليه السلام إليه بصره وقال: ما يدريك ما عليّ مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر، والله لقد أسرك الاسلام مرة والكفر مرة، فلا فداك من واحد منهما حسبك ولا مالك. ثم رفع إلى بصره فقال: يا عبدالله:

أصبحت قناً لراعي الضان يلعبُ بي ⁂ ما ذا يريبكَ منّي راعيَ الضان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٦، وشرح ابن ميثم ١: ٣٢٣، وشرح الخوئي ١: ٣٧٢.

فقلت: بأبي أنت وأُمي قد كنت والله أحب أن اسمع هذا منك. قال: هو والله ذلك. قال:

فـما قـيل لي بـعدها مـن مـقالةٍ ولا علقت مني جديد ولا درسـا

وقال ابن أبي الحديد نفسه في شرح قوله عليه السلام «أما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم» روى أبوبكر الهذلي عن الزهري عن عبيدالله بن عدي بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف قال: قـام الأشـعث إلى عـليّ فـقال: ان النـاس يزعمون ان النبيّ صلى الله عليه وآله عهد إليك عهداً لم يعهده إلى غيرك. فقال: انه عهد إليّ ما في قرابة سيفي لم يعهد إليّ غير ذلك. فقال الأشعث: هذه ان قلتها فهي عليك لالك، دعها ترحل عنك. فقال عليه السلام له: وما علمك بما عليّ مما لي، مـنافق ابـن كافر حائك ابن حائك، اني لاجد منك بنة الغزل». ثم التفت إلى عبيدالله بن عدي فقال: انك لتسمع خلافاً وترى عجباً، ثم انشد:

أصبحت هزأ لراعي الضأن اتبعه ما ذا يريبك مِنّي راعي الضـان[1]

ثم ان الخبر مجمل، لكن الظاهر ان مراد الأشعث بقوله «هذه عليك لالك» انه عليه السلام لما قال عن النبيّ صلى الله عليه وآله «من آوى محدثاً» كان ممن آوى محدثاً وهو قتلة عثمان، فغضب عليه السلام بأنهم لم يكـونوا مـحدثين، كـيف وأحـدهم عـمار الميزان بين الحق والباطل وقال: قتلناه لانه أراد أن يغير ديننا[2]، فولى مـثل الوليد صلى سكران بالناس الصبح أربعاً ونزل القرآن بفسقه[3]، وولي ابـن عامر الّذي اباح النبيّ صلى الله عليه وآله دمه، ومنهم عمرو بن الحمق العابد الزاهد، ومنهم محمّد ابن أبيبكر العارف المجتهد، وانما عثمان أحدث أحداثاً اسـتحق بـها

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٥.

(٢) وقعة صفين: ٣٣٩.

(٣) النظر إلى الآيتين الحجرات: ٦ والسجدة: ١٨.

القتل، وهذا من أوضح الواضحات عند جمهور المسلمين في زمان الصحابة والتابعين.

هذا، واعتراضات الأشعث عليه عليه السلام كانت كثيرة ولم تنحصر بما في الخبر، ومنها ما رواه ابن بابويه: انه جاء رجل إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، فأقر بالسرقة، فقال له: اتقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم سورة البقرة. قال: قد وهبت يدك لسورة البقرة. فقال الأشعث له: أتعطل حداً من حدود الله؟ فقال له: وما يدريك ما هذا إذا قامت البينة فليس للامام أن يعفو وإذا أقر الرجل على نفسه فذاك إلى الامام ان شاء عفا وان شاء قطع[1].

ومنها ما رواه أبوالفرج في (مقاتله) عن موسى بن أبي النعمان أن الأشعث جاء إلى عليّ عليه السلام يستأذن عليه، فرده قنبر فأدمى أنفه، فخرج عليه السلام وهو يقول: مالي ولك يا أشعث، أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لا قشعرت شعيراتك قيل: يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب الا أدخلهم ذلا. قيل: كم يلي وكم يمكث؟ قال: عشرين ان بلغها[2].

وانما قال عليه السلام له «لو بعبد ثقيف تمرست» لأن الأشعث لم يدرك الحجاج، فقالوا مات بعده عليه السلام بأربعين يوماً، وانما تمرس ابن ابنه محمّد ابن عبدالرحمن بالحجاج، فاقشعرت شعيراته وفوقه، وقصته في خروجه معروفة.

ومنها ما رواه أبوالفرج في (مقاتله) أيضاً ان الأشعث دخل عليه عليه السلام فأغلظ له، فعرض له الأشعث بأن يفتك به، فقال له: أبالموت تهددني فوالله

---

(١) اخرجه الصدوق في الفقيه ٤: ٤٤ ح ٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٠.

ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ[١].

وروي ان ابن ملجم أتى إلى الأشعث في الليلة الّتي أراد أن يفتك بالإمام عليه السلام والأشعث في بعض نواحي المسجد، فسمع حجر بن عدي الأشعث يقول لابن ملجم: النجا النجا فقد فضحك الصبح. فقال له حجر: قتلته يا أعور وخرج مبادراً إليه عليه السلام وسبقه ابن ملجم وضربه[٢].

وروى المبرد: أن ابن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث، وان حجراً سمعه يقول لابن ملجم: فضحك الصبح، فلما قالوا قتل عليه السلام قال للاشعث: قتلته يا أعور.

وقال: ويروى أن الّذي سمع ذلك من الأشعث عفيف بن قيس أخوه وانه قال لاخيه: عن امرك كان هذا يا أعور[٣].

قلت: ولا تنافي بين الخبرين، وانه سمع ذلك من الأشعث حجر وأخوه وكل منهما قال له: كنت دخيلاً في دمه عليه السلام.

ومنها ما رواه المبرد في (كامله) والعياشي في (تفسيره) وأبو عبيد القاسم بن سلام في غريبه ـ واللفظ للاول ـ قال: أتى الأشعث يتخطى رقاب الناس وعليّ عليه السلام على المنبر، فقال له: غلبتنا عليك هذه الحمراء على قربك، فركض علي عليه السلام المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدي: مالنا ولهذا ـ يعني الأشعث ـ ليقولن أمير المؤمنين في العرب قولاً لا يزال يذكر. فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمير، ويهجر قوم للذكر فيأمرني أن أطردهم، ما كنت أطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً

(١ و ٢) مقاتل الطالبيين: ٢٠.

(٣) كامل المبرد ٧: ١٨٣.

كما ضربتموهم عليه بدءاً.

قال المبرد: الضياطرة جمع ضيطر وضيطار، وهو الأحمر الفاحش. وقال أبو عبيد «الحمراء» العجم والموالي لأن الغالب على ألوانهم البياض والحمرة، كما أن الغالب على العرب السمرة، و «الضياطرة» الضخام الذين لا نفع عندهم ولا غناء[1].

ومنها ما رواه (خلفاء ابن قتيبة) انّه عليه السلام خطب بعد قتل الخوارج وحض الناس على حرب معاوية، فتخاذلوا فجعل يؤنّبهم ويشكو من تخاذلهم، فقام الأشعث فقال: فهلا فعلت كما فعل عثمان. فقال عليه السلام له: ويلك وكما فعل عثمان رأيتني فعلت، عائذاً بالله من شر ما تقول، والله ان الذي فعل عثمان لمخزاة على من لا دين له ولا حجّة معه، فكيف وأنا علىٰ بيّنة من ربي والحق معي، والله ان امرءاً يمكّن عدوّه من نفسه فينهش عظمه ويسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه، أنت يا ابن قيس فكن ذلك، فأما أنا فوالله دون أن أُعطي ذلك ضرباً بالمشرفي يطير له فراش الرأس وتطيح منه الأكف والمعاصم وتجذّ به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء[2].

ومنها ما رواه الصدوق في (توحيده) أنّه عليه السلام خطب بعد بيعة الناس له وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب النبي، هذا ما زقني النبي زقاً فسلوني فان عندي علم الأولين والآخرين ـ الى أن قال ـ فقام إليه الأشعث وقال: كيف تؤخذ الجزية من المجوس ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث اليهم نبي؟ فقال عليه السلام: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث اليهم

---

(١) رواه المبرد في الكامل ٤: ٩٦، والعياشي في تفسيره ١: ٣٦٠ ح ٢٦٠، وأبو عبيد في غريب الحديث ٣: ٤٨٤، والثقفي في الغارات ٢: ٤٩٨.

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٥١.

رسولاً حتى كان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته الى فراشه ـ الخبر[١].

«عليك لعنة الله» وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله لعنه وسرت اللعنة في أعقابه، فروى (الكافي): ان الباقر عليه السلام قال لسدير: بلغني عن نساء أهل الكوفة جمال وحسن تبعل، فابتغ لي امرأة ذات جمال في موضع. فقال: قد أصبتها جعلت فداك، فلانة بنت فلان بن محمد بن الأشعث. فقال عليه السلام: ان النبي صلى الله عليه وآله لعن أقواماً، فجرت اللعنة في أعقابهم الى يوم القيامة، وأنا أكره أن يصيب جسدي جسد أحد من أهل النار[٢].

وروى الكشي: ان رجلين من ولد الأشعث استأذنا على الصادق عليه السلام، فلم يأذن لهما، فقيل له: ان لهما ميلاً ومودة. فقال عليه السلام: ان النبي صلى الله عليه وآله لعن أقواماً، فجرى اللعن فيهم وفي أعقابهم الى يوم القيامة[٣].

حتى ان مسجده كان ملعوناً، ففي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام: ان بالكوفة مساجد ملعونة ومساجد مباركة ـ الى أن قال ـ وأما المساجد الملعونة فمسجد ثقيف ومسجد الأشعث ـ الخبر.

وعنه عليه السلام: جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين عليه السلام: مسجد الأشعث، ومسجد جرير ـ الخبر.

وعن الصادق عليه السلام: ان أمير المؤمنين نهى عن الصلاة بالكوفة في خمسة مساجد: مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد سماك، ومسجد شبث، ومسجد التيم[٤].

«ولعنة اللاعنين» قال ابن أبي الحديد: قال الطبري في (تاريخه): كان

(١) توحيد الصدوق: ٣٠٤ ح١.

(٢) الكافي ٥: ٥٦٩ ح٥٦.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٤١٢ ح٧٧٧.

(٤) الكافي ٣: ٤٨٩ و ٤٩٠ ح١ ـ ٣.

المسلمون يلعنون الأشعث، ويلعنه الكافرون أيضاً وسبايا قومه[١].

«حائك ابن حائك» في السير ـ كما قال ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ ان الأشعث خطب إليه عليه السلام ابنته فزبره وقال: يا ابن الحائك أغرك ابن أبي قحافة[٢].

وفي (الأغاني): كان المغيرة والأشعث وجرير يوماً متوافقين بالكناسة، فطلع عليهم اعرابي، فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه. قالوا: لا تفعل، فان للاعراب جواباً يؤثر. قال: لابد. قالوا: فأنت أعلم. فقال له: يا اعرابي هل تعرف المغيرة؟ قال: نعم أعرفه أعور زانياً، فوجم ثم تجلد فقال: هل تعرف الأشعث قال: نعم ذاك رجل لا يعدي قومه لأنّه حائك ابن حائك.

قال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام للأشعث «حائك ابن حائك» لأن أهل اليمن يعيرون بالحياكة، وليس هذا ممّا يخص الأشعث. ومن كلام خالد بن صفوان: ما أقول في قوم ليس فيهم إلّا حائك برد، أو دابغ جلد، أو سائس قرد، ملكتهم امرأة، وأغرقتهم فأرة، ودل عليهم هدهد[٣].

قلت: ان سلم ذلك فيه فلا يسلم في أبيه، بل فيه أيضاً، ففي (النهاية): قال الأشعث لعلي عليه السلام: ما أحسبنك عرفتني. فقال: بلى واني لأجد بنة الغزل منك ـ أي: ريح الغزل ـ رماه بالحياكة.

قيل كان أبو الأشعث يولع بالنساجة، وفي حديث علي عليه السلام أيضاً قال للأشعث «ان أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين» الشمال جمع شملة أي: الكساء، وقوله عليه السلام «الشمال بيمينه» من أحسن الألفاظ

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٤٨، سنة ١١، وشرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٧.

وألطفها بلاغة وفصاحة ـ الخ[١].

واستشهاده بكلام خالد في غير محله، لأنّه أراد الحائك حقيقة، لأنّه قسّم عملهم الى ثلاثة أشياء: الحياكة والدباغة وساسة القرد.

ومما يؤيد إرادة الحائكية حقيقة في الأشعث وأبيه انّه عليه السلام لم يكن كباقي الناس لا يبالون في أقوالهم عن تجاوز الحقيقة، وانه عليه السلام طعن في أبي موسى الأشعري بكونه ابن حائك دون ان يجعله حائكاً، مع كون أبي موسى أيضاً من أهل اليمن، فأي استبعاد أن يكون الأشعث قبل هجرته كأبيه حائكاً.

وكلامه عليه السلام في أبي موسى ما رواه (المروج): انّه عليه السلام لما بلغه يوم الجمل ان أبا موسى يثبط الناس عنه كتب إليه «اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموماً مدحوراً، فما هذا بأوّل يومنا منك، وان لك فينا لهنات وهنيات»[٢].

هذا، وأخذ بديع الزمان الهمذاني لفظه عليه السلام «حائك ابن حائك» في اظهاره توليه عليه السلام فقال ـ كما في (تذكرة السبط) ـ مخاطباً له:

يا دار منتجع الرسالة	بيت مختلف الملائك
يا ابن الفواطم والعواتك	والترائك والارائك
انا حائك ـ ان لم أكن	مولى ولائك ـ وان حائك[٣]

هذا، وأراد خالد القسري تصحيح نسبه في اليمن بكونه حائك ابن حائك، مع ان المشهور كون جدّه عبداً لأهل هجر، فروى أبو الفرج عن أبي عبيدة: ان الفرزدق أتى خالد بن عبدالله القسري يستحمله في ديات حملها، فقال له خالد: ايه يا فرزدق كأني بك قد قلت: «آتى الحائك ابن الحائك، فأخدعه

(١) النهاية ١: ١٥٧ مادة (بنّ)، و٢: ٥٠٢ مادة (شمل).

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٩.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٤.

عن ماله ان اعطاني، أو أذمه ان منعني» فأنا حائك ابن حائك ولست أعطيك شيئاً، فاذممني كيف شئت، فهجاه الفرزدق.

وصنعة الحياكة صنعة مذمومة، قال الجاحظ في رسالته الى الفتح بن خاقان: ان أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة في كلّ بلد ومن كلّ جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة، فعلمنا بذلك ان ذلك خلقة في هذه الصناعات، وبنية في هذه التجارات، حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك.

ونقل الخوئي عن السيد الجزائري عن البهائي حديثاً في ذم الحاكة لم ننقله لأنّه ركيك لا يبعد اختلاقه[١].

وفي (المعجم): قال أبو هلال العسكري:

اذا كان مالي من يلتقط العجم   وحالي فيكم حال من حاك أو حجم

فأين انتفاعي بالاصالة والحجى   وما ربحت كفي من العلم والحكم

وفي (عيون القتيبي): قال كعب لا تستشيروا الحاكة، فان الله سلبهم عقولهم، ونزع البركة من كسبهم.

وفي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾[٢] ونقله الخوئي أيضاً ـ ان النخلة كانت نخلة يابسة، فاستقبل مريم الحاكة على بغال شهب ـ وكانت الحياكة أنبل صناعة ذاك اليوم ـ فقالت لهم: أين النخلة اليابسة، فاستهزأوا بها وزجروها، فقالت لهم: جعل الله كسبكم نزراً، وجعلكم في الناس عاراً، ثم استقبلها قوم من التجار، فدلوها على النخلة اليابسة، فقالت

---

(١) شرح الخوئي ١: ٣٧٣.

(٢) مريم: ٢٥.

لهم: جعل الله البركة في كسبكم، وأحوج الناس اليكم[١].

وذكروا ان رجلاً قال للأعمش: ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ فقال: لا بأس بها على غير الوضوء. قال: فما تقول في شهادته؟ فقال: تقبل مع شهادة عدلين.

هذا، وروى (الكافي) في باب كذبه أنّه ذكر لأبي عبدالله عليه السلام أن الحائك ملعون، فقال: انما ذاك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله[٢].

«منافق ابن كافر» في (المناقب): روى عن الحسن عليه السلام ان الأشعث بنى في داره مأذنة، فكان اذا سمع الأذان من جامع الكوفة يصيح من على مأذنته: يا رجل انّك لكاذب ساحر ـ يعني أمير المؤمنين[٣].

وروى يحيى بن عيسى الرملي وقد نقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام «أما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم» عن الأعمش ان جريراً و الأشعث خرجا الى الجبان بالكوفة، فمر بهما ضب يعدو ـ وهما في ذم علي ـ فناداياه يا أبا حسل هلم يدك نبايعك بالخلافة، فبلغ علياً قولهما فقال: أما انهما يحشران يوم القيامة وأمامهما ضب[٤].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) وغيره: قال أبو بكر في احتضاره: والله ما آسي إلّا على ثلاث فعلتهن ليتني كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن ـ الى أن قال ـ ليتني كنت حين أتيت بالأشعث أسيراً قتلته ولم استحيه، فاني سمعت منه وأراه لا يرى غياً ولا شراً إلّا أعان عليه، وكان

---

(١) تفسير القمي ٢: ٤٩، وشرح الخوئي ١: ٣٧٣.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٠ ح١٠.

(٣) مناقب السروي ٢: ٢٦٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٥.

أبو بكر عفا عنه وزوّجه بنته[١].

وفي تاريخ الطبري ـ في قصة التحكيم ـ قال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد فانا قد رضينا بأبي موسىٰ. قال علي: انكم عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، اني لا أرى أن أُولي أبا موسىٰ. فقال الأشعث ونفران: لا نرضى إلّا به، فانه كان يحذّرنا ما وقعنا فيه. قال علي: ليس أبو موسى لي بثقة قد فارقني وخذل الناس عني، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك. قالوا: ما نبالي كنت أنت أم ابن عباس، لا نريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء. فقال علي: فاني أجعل الأشتر. فقال الأشعث. وهل نحن إلّا في حكم الأشتر. قال علي: وما حكمه؟ قال الأشعث: ان يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وأراد، قال: فهل أبيتم إلّا أبا موسىٰ. قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم ـ الى أن قال ـ لما كتبت الصحيفة قال الاشتر: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي ان خط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة، أولست على بينة من ربي وضلال عدوّي، أولستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الخور. فقال له الأشعث: انك ما رأيت ظفراً ولا خوراً هلم الينا، فانه لا رغبة بك عنّا. فقال له الاشتر: بلى والله لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا، وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله تعالى بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خيراً منهم ولا أحرم دماً. فنظر الى الأشعث وكأنما قصع على أنفه الحمم[٢].

ويكفي في نفاقه شركته في دم أمير المؤمنين عليه السلام كما مر من

---

(١) رواه ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١: ١٨، والطبري في تاريخه ٢: ٦١٩ سنة ١٣، والجوهري في السقيفة: ٣٩ وغيرهم.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٦ و ٣٩، سنة ٣٧.

مساعدته ابن ملجم ـ كما ان ابنته جعدة كانت قاتلة الحسن عليه السلام بسم أرسله اليها معاوية، وشرك ابنه محمد بن الاشعث في دم مسلم بن عقيل قاتله فيمن قاتله، وأعطاه الأمان، ولم يدافع عنه حتى قتله ابن زياد، وشرك ابنه الآخر قيس بن الأشعث في دم الحسين عليه السلام، مع انه كان ممن كتب إليه ودعاه، ثم شهد قتله وسلبه، ففي (تاريخ الطبري): نادى الحسين عليه السلام يوم الطف: يا قيس بن الأشعث و يا فلان وفلان ألم تكتبوا إليّ قد أينعت الثمار، واخضرت الجناب، وطمت الجمام، وانما تقدم على جند لك مجند فأقبل؟ قالوا: لم نفعل. قال: بلى والله لقد فعلتم. ثم قال: اذ كرهتموني دعوني انصرف الى مأمني من الأرض. فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك، فانهم لن يروك إلّا ما تحب. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل[1].

وفيه: لما قتل الحسين عليه السلام جاءت كندة بثلاثة عشر رأساً ممّن قُتِل مع الحسين الى عبيد الله، وصاحبهم قيس بن الأشعث[2].

وفيه: وأخذ قيس بن الأشعث بعد قتل الحسين عليه السلام قطيفته ـ وكانت من خز ـ وكان قيس يسمى بعد قيس قطيفة[3].

وفي (المقاتل): كانت أُخته جعدة التي سمّت الحسن عليه السلام تسمّى بعد مسمة الأزواج[4].

وفي (تاريخ الطبري) ـ في قصة من قتله مصعب من أصحاب المختار بعد قتله ـ ثم مر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعبد الله بن قراد من

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣، سنة ٦١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٨، سنة ٦١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٦، سنة ٦١.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٨.

أصحاب المختار - وكان أخرج مكتفاً فقال: قدموه اليّ أضرب عنقه. فقال له عبدالله: أنا على دين جدك الذي آمن ثم كفر ان لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ(١).

«والله لقد أسرك الكفر مرة» قال ابن أبي الحديد: ذكر ابن الكلبي في (جمهرة النسب): ان مراداً لما قتلت قيساً الأشج خرج الأشعث طالباً بثأره، فخرجت كندة متساندين على ثلاثة ألوية، على أحدها كبش بن هاني، وعلى الأخرىٰ القشعم، وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً ووقعوا على بني الحارث بن كعب، فقتل كبش والقشعم وأسر الأشعث، ففدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي بعده ولا قبله، فقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

فكان فداؤُه ألفي بعير ... وألفاً من طريفات وتلد(٢)

قلت: وقبله.

وهم قتلوا بذات الجار قيساً ... وأشعث سلسلوا في غير عقد
أتانا ثائراً بأبيه قيس ... فأهلك جيش ذلكم السمغد

وقال عمرو بن معد يكرب أيضاًكما في أمالي القالي:

والأشعث الكندي حين سمالنا ... من حضرموت مجنب الذكران
قاد الجياد على وجاها شزباً ... قب البطون نواحل الأبدان
حتى اذا أسرى وأوس دوننا ... من حضرموت الى قضيب يمان
أضحى وقد كانت عليه بلادنا ... محفوفة كحظيرة البستان
فدعا فسوّمها وأيقن انّه ... لاشك يوم تسايف وطعان
لما رأى الجمع المصبح خيله ... مبثوثة ككواسر العقبان

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٧١، سنة ٦٧.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٩٣.

فزعوا الى الحصن المذاكى عندهم وسط البيوت يردن فـي الأرسـان

الى أن قال:

فأصيب في تسعين من أشرافهم أســـرى مــصفدة الى الأذقــان

«والاسلام أُخرىٰ» قال ابن أبي الحديد: ان النـبي صلى الله عليه وآله لمـا قـدمت كـندة حجاباً قبل الهجرة، عرض نفسه عليهم، كما كان يعرض نفسه عـلى أحـياء العرب، فدفعه بنو وليعة ـ من بني عمرو بن معاوية ـ ولم يقبلوه، فلما هاجر النبي وتمهدت دعوته، وجاءته وفود العرب، جاءه وفد كندة فـيهم الأشـعث وبنو وليعة فأسلموا، فأطعم النبي بني وليعة من صدقات حضرموت ـ وكان قد استعمل زياد بن لبيد البياضي الأنصاري على الصدقات، فدفعها زياد اليهم فأبوا أخذها وقالوا: لا ظهر لنا، فابعث بها الى بلادنا على ظهر من عندك، فأبى زياد، وحدث بينه وبينهم شر كـاد أن يكـون حـرباً، فـرجـع مـنهم قـوم الى النبي صلى الله عليه وآله وكتب زياد الى النبي يشكوهم.

وفي هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله قال لبني وليعة: لتنتهن يا بني وليعة أو لأبعثن عليكم رجلاً عديل نفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم. قال عمر: فما تمنيت الامارة إلّا يومئذ وجـعلت أنـصب له صـدري رجاء أن يقول هو هذا، فأخذ بيد علي عليه السلام وقال: هو هذا. ثم كتب لهم كتاباً الى زياد، فوصلوا إليه بالكتاب، وقد توفي النبي صلى الله عليه وآله، وطار الخبر بموته الى قبائل العرب، فارتدت بنو وليعة وغنت بغاياهم وخضبن أيديهن.

قال الطبري: فأمّر أبو بكر زياداً على حضرموت، وأمره بأخذ البـيعة على أهلها واستيفاء صدقاتهم، فبايعوه إلّا بـني وليـعة، فـلما خـرج ليـقبض الصدقات من بني عمرو بن معاوية أخذ ناقة لغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر ـ وكانت صفية نفيسة اسمها شذرة ـ فمنعه الغـلام عـنها وقـال: خـذ

غيرها، فأبى زياد ذلك ولجّ فاستغاث شيطان بأخيه، فقال لزياد: دعها وخذ غيرها، فأبىٰ ولجّ الغلامان ولج زياد وقال لهما: لا تكونن شذرة عليكما كالبسوس، فهتف الغلامان: يا لعمرو أنضام ونضطهد، ان الذليل من أكل في داره، وهتفا مسروق بن معد يكرب فقال لزياد: اطلقها، فأبى فقال مسروق:

يطلقها شيخ بخديه الشيب ملمعاً فيه كتلميع الثوب

ماض على الريب اذا كان الريب

ثم قام فأطلقها، فاجتمع الى زياد أصحابه، واجتمع بنو وليعة وأظهروا أمرهم، فبيّتهم زياد وهم غارون، فقتل منهم جمعاً كثيراً ونهب وسبى ولحق فلهم بالأشعث، فقال لا أنصركم حتى تملّكوني، فملكوه وتوّجوه كما يتوج الملك من قحطان، فخرج الى زياد في جمع كثيف، وكتب ابو بكر الى المهاجرين ابي امية وهو على صنعاء أن يسير بمن معه الى زياد، فاستخلف وسار، فلقوا الأشعث وهزموه، وقتل مسروق ولجأ الأشعث والباقون الى الحصن المعروف بالنجير، فحاصرهم المسلمون حصاراً شديداً حتى ضعفوا، ونزل الأشعث ليلاً الى المهاجر وزياد، فسألهما الأمان على نفسه حتى يقدما به على أبي بكر، فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن ويسلّم إليهم من فيه، وقيل بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث ـ فآمناه وأمضيا شرطه، ففتح لهم الحصن، فدخلوه واستنزلوا كلّ من فيه، وأخذوا أسلحتهم، وقالوا للأشعث: اعزل العشرة، فعزلهم فتركوهم وقتلوا الباقين ـ وكانوا ثمانمائة ـ وقطعوا أيدي النساء اللاتي شمتن بالنبي، وحملوا الأشعث الى أبي بكر موثقاً في الحديد هو والعشرة، فعفا عنه وعنهم وزوّجه أُخته أُم فروة بنت أبي قحافة ـ وكانت عمياء ـ فولدت للأشعث محمداً واسماعيل وإسحاق، خرج الأشعث يوم البناء عليها الى سوق المدينة، فما مر بذات أربع إلّا عقرها وقال للناس:

هذه وليمة البناء وثمن كلّ عقيرة في مالي ـ الخ [(١)].

وفي (أمثال الكرماني) في عنوان «أو لم من الأشعث»: ارتد الأشعث في جملة أهل الردة، فأتي به أبو بكر أسيراً، فأطلقه وزوّجه اخته رغبة منه في شرفه، فخرج من عند أبي بكر ودخل السوق، فاخترط سيفه ثم لم تلقه ذات أربع إلّا عرقبها من عقير وبقر وفرس، ومضى فدخل داراً من دور الأنصار، فصار الناس حشداً الى أبي بكر وقالوا: هذا الأشعث قد ارتد ثانية، فبعث ابو بكر إليه فأشرف الى السطح وقال: يا أهل المدينة اني غريب ببلدكم وقد أولمت بما عرقبت فليأكل كلّ انسان ما وجد وليغد علي من كان له قبلي حق، فلم يبق دار من دور المدينة إلّا دخلها من ذلك اللحم ولا رؤي أشبه بيوم الأضحى من ذلك اليوم، فضرب أهل المدينة به المثل فقالوا «أولم من الأشعث»، وقال الأصبغ بن حرملة الليثي لأبي بكر في مصاهرته هذه:

أتيت بكندي قد ارتد وانتهى ... الى غاية من نكث ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكث احياء نفسه ... وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا
ولو أنه رام الزيادة مثلها ... لأنكحته عشراً واتبعته عشرا
فقل لأبي بكر لقد شنت بعدها ... قريشاً وأخملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرة واحد ... تزوجه لولا أردت به الفخرا
ولو كنت لما أن أتاك قتلته ... لأحرزتها ذكراً وقدمتها ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلت فريضة ... عليك فلا حمداً حويت ولا أجرا [(٢)]

قلت: وكانت وليمته وليمة جاهلية، وما عقره ما أهلّ به لغير الله، وقد حكم أمير المؤمنين عليه السلام بحرمة مثله في قضية أبي الفرزدق التي كانت في

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٩٣ ـ ٢٩٦، والطبري في تاريخه ٢: ٥٤٢، سنة ١١.

(٢) مجمع الأمثال ١: ٣٧٩.

زمانه، ولم يتكلّم في قضية الأشعث تقية من أبي بكر لأنّه فعل ذلك في وليمة أُخته.

ولما زوّجه أبو بكر للمفاخرة وأولم الأشعث بما فعل للمفاخرة كانت نتيجة تلك المصاهرة المشؤومة تولد قاتلين لابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة.

«فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك» قال ابن أبي الحديد: لا يريد عليه السلام به الفداء الحقيقي، فان الأشعث فدي في الجاهلية بفداء يضرب به المثل، فيقال «أعلى فداء من الأشعث»، وانما يريد عليه السلام ما دفع عنك الأسر مالك ولا حسبك[1].

قلت: انما المثل «أوفى فداة من الأشعث» والأمثال لا تغير، ذكره العسكري في (أمثاله)، والمراد به أسره الأول، وأما الثاني فقد عرفت أن أبا بكر جعل فداءه تزويجه أُخته، وانما في الثاني يضرب المثل بوليمته التي عرفت.

وانما قال عليه السلام (فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك) لأن ذوي الكمال يمنعهم كمالهم من أسرهم أو أخذ الفدية منهم.

ولقد أسر متمم بن نويرة، ففداه جمال أخيه مالك ومقاله، ففي الأغاني: دخل متمم على عمر، فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك. فقال: أما والله اني مع ذلك لأركب الجمل الثفال واعتقل الرمح المثلوب، ولقد أسرتني بنو تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك أخي مالكاً، فجاء ليفديني منهم، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداء.

هذا، وفي (الأغاني): كان أعشى همدان ممّن أغزاه الحجاج بلد الديلم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٢.

ونواحي دستبي، فأسر فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم مدة، ثم ان بنتاً للعلج الذي أسره هويته، فصارت إليه ليلاً، فمكّنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثماني مرات، فقالت له: أهكذا تفعلون بنسائكم؟ قال: هكذا يفعل كلّنا. فقالت له: بهذا العمل نصرتم، أفرأيت ان خلصتك اتصطفيني لنفسك. فقال لها: نعم وعاهدها، فلما كان الليل حلت قيوده، وأخذت به طرقاً تعرفها، حتى خلصته وهربت معه، فقال شاعر من أسرى المسلمين:

فمن كان يفديه من الأسر ماله فهمدان تفديها الفداة ايورها

وفيه أيضاً: أسر عتيبة بن الحارث بن شهاب يوم شعب جبلة، فقيد في القد، فكان يبول على قده حتى عفن، فلما دخل الشهر الحرام هرب، فأفلت منهم بغير فداء.

وفي تعليق السيرافي على كتاب سيبويه: ان ابن الصعق - وصعق جده قيل له الصعق لأنه كان يطعم الناس بتهامة، فهبت ريح، فسفت في جفانه التراب، فشتمها، فرمي بصاعقة فقتلته - كان أسر وبرة بن روماس الكلبي أخا النعمان بن المنذر لأمه، فأرسل إليه النعمان ان يطلقه، فأبى حتى يحكّم، فحكمه، فاحتكم مائة فرس ومائة بعير ومائة شاة ومائة سيف ومائة رمح وألف قوس وألف درع، فأرسل إليه بذلك فخلّى سبيله[1].

«وان امرءاً دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف» أي: الهلك **«لحري»** أي: جدير **«ان يمقته»** أي: يبغضه **«الأقرب ولا يأمنه الأبعد»** بعد عمله مع القريب بما أهلكه، أشار عليه السلام بعمله مع قومه حيث فتح باب حصن النجير لزياد البياضي والمهاجر حتى قتلا من فيه.

وفي (الأغاني): لما انهزم ابن الأشعث واسر أصحابه كان فيهم أعشى

---

(١) راجع ما نقله عنه ابن منظور في لسان العرب ١٠: ١٩٩، مادة (صعق).

همدان، فأتي به الحجاج أنشده قصيدة من أبياتها:

لقد شمت يا ابن الأشعث العام مصرنا

فظلوا وما لاقوا من الطير أسعدا

كما شاءم الله النجير وأهله

بجدك من قد كان أشقى وأنكد

هذا، و(المصرية) اقتصرت على العنوان وفيها سقط، فان (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطية) نقلوا بعد العنوان بياناً للسيد على ما تعرف[١].

قول المصنّف: (يريد عليه السلام انّه أسر في الكفر مرة وفي الاسلام مرة) هكذا في (ابن أبي الحديد والخوئي والخطية)، ولكن (ابن ميثم) خال عن هذا الكلام[٢]. وكيف كان فالمراد ان قوله «أسرك الكفر مرة والاسلام أُخرىٰ» مجاز ونظير قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير   كرّ الغداة ومرّ العشي

(وأما قوله عليه السلام) هكذا في (ابن أبي الحديد والخوئي والخطية)، ولكن في (ابن ميثم) «أراد بقوله عليه السلام»[٣] (دل على قومه السيف فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد) هكذا في (ابن أبي الحديد والخوئي والخطية)، ولكن في (ابن ميثم): «دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد»[٤].

«باليمامة غرّ فيه قومه» هكذا في (ابن أبي الحديد والخوئي والخطية)،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩١، وشرح ابن ميثم ١: ٤٢٢، وشرح الخوئي ١: ٣٧١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩١، وشرح ابن ميثم ١: ٣٢٢، وشرح الخوئي ١: ٣٧١.

(٤) المصدر السابق.

ولكن في (ابن ميثم) (باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد)[١]، من هنا الى آخره اتفق الجمع عليه.

وكيف كان فقال ابن أبي الحديد: لم يعرف في التواريخ ان الأشعث جرى له باليمامة مع خالد هذا ولا شبهه، وأين كندة واليمامة، كندة باليمن واليمامة لبني حنيفة ولا أعلم من أين نقل الرضي هذا[٢].

وقال ابن ميثم : لم أقف على شيء من ذلك في وقايع خالد باليمامة، وحسن الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله، ولعل ذلك في وقعة لم أقف على أصلها، ونقله الخوئي وقرره[٣].

قلت: حسن الظن بالرضي بل علو مقامه يمنع من أن يختلق شيئاً ولا يمنع من أن يحصل له وهم، فكان في باله وقائع خالد باليمامة، فتوهم كونها مع الأشعث، وانما كانت مع مسيلمة الكذاب.

وقوله «ولعل ذلك في وقعة لم أقف على أصلها» في غير محله، فانه نظير أن يقال لك «فلان في الدار الفلانية» ودخلت ولم تره، فلا يبقى لك ريب في عدم كونه فيها. نعم ابن ميثم من حيث انّه لم يكن مضطلعاً بالتاريخ ليس له إذا لم يقف على شيء أن يعترض من قبل نفسه، وعدم علمه لا يبطل علم آخر.

«وكان قومه بعد ذلك يسمّونه عرف النار» والأصل في العرف شعر عنق الديك والفرس.

وفي (الأغاني) في قيس بن عاصم قال علان بن الحسن الشعوبي: بنو

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩١، وشرح ابن ميثم ١: ٣٢٣، وشرح الخوئي ١: ٣٧١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٦.

(٣) شرح ابن ميثم ١: ٣٢٥، وشرح الخوئي ١: ٣٧٥.

منقر قوم غدر، يقال لهم «الكوادن» ويلقبون أيضاً أعراف البغال.

وفي (لطايف الثعالبي): أغرة الناس في الغدر عبد الرحمن بن محمد بن أشعث بن قيس بن معد يكرب، غدر عبد الرحمن بالحجاج لما ولّاه البلاد وخرج عليه وواقعه زهاء ثمانين وقعة، وكانت دائرة السوء في آخرها عليه، وغدر محمد بن أشعث بأهل طبرستان وكان عبيدالله ولّاه إياها، فصالح وعقد لهم، ثم عاد اليهم، فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر وفضحوه.

وغدر الأشعث ببني الحارث بن كعب غزاهم، فأسروه، ففدى نفسه بمائتي بعير وأعطاهم مائة وبقيت عليه مائة، فلم يؤدها حتى جاء الاسلام، فهدم ما كان في الجاهلية، وكان بين قيس بن معد يكرب ومراد عهد الى أجل، فغزاهم في آخر يوم من الأجل وكان ذلك يوم الجمعة وكان يهودياً، فقال: غداً السبت ولا يحل لي القتال، فقاتلهم فقتلوه ومزقوا جيشه.

وغدر معد يكرب بمهره وكان بينه وبينهم عَهد، فغزاهم ناقضاً للعهد، فقتلوه وشقوا بطنه، فملأُوه حصى.

قلت: ذكر فدية الأشعث هنا في بابه الخامس في ذكر الاعرقين من كلّ طبقة هكذا، وقال في بابه الأول في الأوائل: أول من مشى بين يديه الرجال وهو راكب الأشعث، وأسر مرة، فافتدي بثلاثة آلاف ناقة، وهو أوّل من فادى بهذه الفدية. والظاهر أصحية الثاني لما مر من النقل عن (جمهرة ابن الكلبي).

«وهو اسم للغادر عندهم» أي: عند قومه الذين كانوا أهل اليمن، ففي تاريخ الطبري بعث بالأشعث الى أبي بكر مع السبي، فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه عرف النار ـ كلام يمان يسمون به الغادر[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٤٨، سنة ١١.

وكما أن «عرف النار» اسم للغادر عند أهل اليمن، كذلك «كيسان» اسمه عند بني سعد بن تميم، فعن ابي عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمّون الغدر في الجاهلية «كيسان»، فقالوا فيهم:

إذا كنت في سعد وخالك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعد

اذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم الى الغدر أولى من شبابهم المرد

وكما أن قوم الأشعث كانوا يسمّونه عرف النار على ما مر يسمّيه عليه السلام عنق النار كما في الخبر، ففي (المناقب) في باب اخباره عليه السلام بالغيب: روي ان الحسن بن علي عليه السلام قال: كان أبي يسمي الأشعث «عنق النار»، فسئل عن ذلك فقال: ان الأشعث اذا حضرته الوفاة دخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء، فتحرقه فلا يدفن إلّا وهو فحمة سوداء، فلما توفي نظر سائر من حضر الى النار وقد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى أحرقته وهو يصيح بالويل والثبور[1].

هذا، وروى (أمالي الصدوق وخصاله) في باب الأربعة عن جابر قال: خطبنا علي عليه السلام ثم قال: ان قدام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: أنس بن مالك، والبراء بن عازب، والأشعث بن قيس الكندي، وخالد ابن يزيد البجلي. ثم أقبل على أنس فقال: ان كنت سمعت من النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ثم لم تشهد لي فلا أماتك الله حتى يبتليك ببرص لا تغطيه العمامة، وأما أنت يا أشعث فان كنت سمعت ذلك ولم تشهد لي فلا أماتك الله حتى يذهب بكريمتيك، وأما أنت يا خالد بن يزيد فان كنت سمعت ولم تشهد لي فلا أماتك الله إلّا ميتة الجاهلية، وأما أنت يا ابن عازب فان كنت سمعت ولم تشهد لي فلا أماتك الله إلّا حيث هاجرت. قال جابر: والله لقد رأيت

(١) مناقب السروي ٢: ٢٦٣.

أنساً وقد ابتلي ببرص يغطيه بالعمامة فما تستره، ولقد رأيت الأشعث ذهبت كريمتاه وهو يقول «الحمد لله الذي جعل دعاء علي بالعمى في الدنيا، ولم يدع عليّ بالعذاب في الآخرة»، وأما خالد فانه مات، فأراد أهله أن يدفنوه، فسمعت بذلك كندة، فجاءت بالخيل والابل، فعقرتها على باب منزله، فمات ميتة جاهلية، وأما البراء فولّاه معاوية اليمن، فمات بها ومنها هاجر».

وقلنا في كتابنا في الأحاديث المحرّفة وكتابنا في الرجال ان ابن بابويه وان نقله في كتابين إلّا انّه حرّف منه أو من أحد الرواة قبله في الثلاثة الأخيرة، فان المدعو عليه بالعمى البراء بن عازب كما رواه العامة والخاصة، وقد نسبه الى الأشعث، وانما الأشعث كان أعور الى موته، فقد عرفت من أخبار مساعدته لابن ملجم خطاب حجر وأخيه عفيف له بالأعور، ولم يبق بعده عليه السلام على الأصح إلّا أربعين يوماً[1].

ثم اذا كان شريكاً في دمه عليه السلام ولم يبال بذلك وكان نفاقه متحققاً كيف يحمد الله على عدم دعائه عليه السلام عليه بعذاب الآخرة، وانما رجع البراء بعد عماه إليه عليه السلام وقال بإمامته وحمد الله تعالى بذلك، وانما دعا عليه السلام على الأشعث بموت الجاهلية لعدم ايمانه، والدليل عليه قوله فيه «فسمعت بذلك كندة، فجاءت بالخيل والابل، فعقرتها على باب منزله»، فكندة انما كانت قوم الأشعث، وحينئذ فكما كانت وليمته بعقر خيل وابل من عمل الجاهلية، كذلك كان موته، وأي مناسبة لكندة بخالد البجلي.

وقلنا ثمة ان خالد البجلي في الخبر محرف «جرير البجلي» لعدم وجود خالد بجلي في الصحابة، وان عن (أنساب البلاذري) رواية الخبر عن «جرير

---

(١) الاخبار الدخيلة ١: ٢٠.

البجلي»[١]، ويشهد له ان في صدر الخبر عد البراء ثانياً والأشعث ثالثاً والبجلي رابعاً، فما ذكر ثانياً وثالثاً ورابعاً لابد أن يكون لهم كذلك فينطبق مع ما قلنا.

ويشهد لموته ميتة جاهلية ما في لطائف معارف الثعالبي: الأشعث أوّل من دفن في داره ولم ينقل الى موسم الموتى، وذلك أنّه لما مات لم يقدر على اخراجه ودفنه من كثرة الزحام، ولم يقدر الحسن بن علي أن يدخل عليه، فدخل من بعض دور جيرانه ورأى الرجل ينزل عن دابته فيعقرها، والآخر يجيء براحلته فينحرها، فخاف الحسن أن يعقر الناس على قبره، فأمر بدفنه في داره.

قلت: فقد عقروا على ميته قبل دفنه، وان صح ما نقل فأراد عليه السلام ان لا يزيدوا بعد على عملهم الشنيع اذا كان قبره خارجاً.

٣
الكتاب (٧٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ جواباً في أمر الحكمين ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي:

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلًا مُعجِباً، اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُم، فَانّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً. وَلَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ الْمَآبِ، وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي،

---

(١) جاء الخبر في أنساب الأشراف ٢: ١٥٦، وفيه أنس بن مالك والبراء بن عازب وجرير بن عبدالله لا رابع لهم وجاء في مناقب السروي ٢: ٢٧٩، نقلاً عن البلاذري وغيره أنس والبراء والأشعث وخالد بن يزيد.

وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ. فَدَعْ مَا لَا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ، وَالسَّلَامُ.

قول المصنّف: (الى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين) هكذا في (المصرية)، والصواب: «أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١]، والمكان الذي اتعدوا فيه للحكومة هو دومة الجندل، وهو المنصف بين العراق والشام، كما قال الدينوري في (أخباره).

(ذكره) هكذا في (المصرية)، والصواب: (وذكر هذا الكتاب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] (سعيد بن يحيى الأموي) هو سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان ابن سعيد بن العاص بن أُمية.

(في كتاب المغازي) ويروى عن أبيه كتاب مغازي محمد بن إسحاق، ويروى عنه مسلم والبخاري والبغوي، مات سنة (٢٤٩) كما يظهر من (تاريخ بغداد)، فيه وفي أبيه.

قوله عليه السلام «فان الناس» الظاهر ان المصنف أسقط صدر الكتاب «قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى» أكثر الناس في أكثر الأزمنة هكذا، قال تعالى: ﴿ولقد ضلَّ قبلهم أكثر الأولين﴾[٣]، ﴿ولو انّهم أقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربِّهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٥ مثل المصرية.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٥ مثل المصرية.

(٣) الصافات: ٧١.

أرجلهم منهم أُمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾[١]، ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾[٢]، ﴿أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون* أم يقولون به جنّة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾[٣].

«**واني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً اجتمع به**» أي: بذاك المنزل «**أقوام أعجبتهم أنفسهم**» فلا يقبلون نصح غيرهم ورأيه، والمراد الحال التي انتهى عليه السلام اليها مع أصحابه في أمر الحكومة من الأشعث والخوارج.

«**فأنا أداوي منهم قرحاً**» قال الجوهري: قيل لامرئ القيس «ذو القرح» لأن ملك الروم بعث إليه قميصاً مسموماً، فتقرح منه جسده فمات.

«**أخاف أن يكون**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أن يعود) كما في (ابن ميثم والخطية) ونسخة من ابن أبي الحديد[٤].

«**علقاً**» أي: دماً غليظاً، أجبروه عليه السلام أولاً على التحكيم، ثم على جعل أبي موسى حكماً، فقبل منهم لاستصلاحهم، فكفروا وخرجوا عليه وكفّروه.

«**وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على أمة**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «**على جماعة أُمة**» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«**محمد صلى الله عليه وآله وألفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب**» أي: المرجع، ولاهتمامه عليه السلام على بقاء الأمة على الملة رضي يوم السقيفة بترك حقه لئلا يرتد الناس رأساً ويضمحل الاسلام كلية، وكيف لا يكون مهتماً

---

(١) المائدة : ٦٦.

(٢) آل عمران: ١١٠، والتوبة: ٨.

(٣) المؤمنون: ٦٩ و ٧٠.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٥ مثل المصرية.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٤، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٦ «على الفة جماعة».

كذلك وهو كنفس النبي صلى الله عليه وآله بصريح القرآن[١] واستقرار الاسلام كان بمجاهداته ومساعيه بشهادة العيان.

«**وسأفي بالذي وأيت**» أي: وعدت «**على نفسي**» من قبول حكم الحكمين إذا حكما بحكم القرآن «**وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه**» من الحكم بحكم الكتاب أو السنة القطعية، ففي (الأخبار الطوال): كان في كتاب عقد التحكيم «أخذ على عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ان يتخذا القرآن اماماً، ولا يعدوا به الى غيره بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجداه في الكتاب رداه الى سنّة الرسول الجامعة، لا يتعمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهة».

«**فان الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة**» فخدعه عمرو بن العاص وقال له: ما كنت أتقدمك في الحكم وأنت أفضل مني. فقال أبو موسى: حذرني ابن عباس غدر عمرو فاطمأننت إليه.

«**اني لأعبد**» بفتح العين أي: الباء أي: آنف، قال الفرزدق.

وأعبد أن أهجو كليباً بدارم[٢]

«**أن يقول**» قال ابن أبي الحديد: وروى «ان قال»[٣] «**قائل بباطل**» فيّ «**وان أفسد**» قال ابن أبي الحديد: وروى «ويفسد»[٤] «**امرأً قد أصلحه الله، فدع**» أي: اترك «**ما لا تعرف**» فانّه واجب على كلّ عاقل «**فان شرار الناس طائرون**» أي: مستعجلون «**اليك بأقاويل السوء**».

قال ابن أبي الحديد: قد أحسن من قال:

---

(١) تُنظر الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) أورده لسان العرب ٣: ٢٧٥، مادة (عبد).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٥.

(٤) المصدر السابق.

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا
شراً اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

ومن قال:

ان يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً وان ذكرت بخير عندهم دَفنوا[١]

٤
الكتاب (٢٠)

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أَبِيه وهو خليفةُ عاملهِ عبدالله بن عباس على ٱلبَصْرة، وعبدالله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعَلَى كُوَر الأهواز وفارس وكِرْمَان:

وَإِنّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ المُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ ٱلْوَفْرِ. ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ والسَّلاَمُ.

أقول: رواه اليعقوبي في (تاريخه) فقال: كتب علي عليه السلام الى زياد وكان عامله على فارس: أما بعد، فان رسولي أخبرني بعجب. زعم انك قلت له فيما بينك وبينه: ان الاكراد هاجت بك، فكسرت عليك كثيراً من الخراج، وقلت له: لا تُعلِم بذلك أمير المؤمنين. يا زياد واقسم بالله انّك لكاذب، ولئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر، الا ان تكون لما كسرت من الخراج محتملاً. ونقل عن تاريخ ابن واضح ايضاً[٢].

قول المصنّف: (وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة) قد

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٦.

(٢) رواه اليعقوبي في تاريخه ٢: ٢٠٤، وابن واضح صاحب تاريخ هو اليعقوبي نفسه واشتبه الامر على الشارح حيث فرّق بينه.

عرفت من رواية اليعقوبي أن الكتاب إليه لما كان على فارس.

(وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان) هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن ميثم) (وعبد الله عامل له يومئذ) الخ مثلها وفي (ابن أبي الحديد) (وعبدالله يومئذ خليفة أمير المؤمنين عليها وعلى كُوَر الأهواز وفارس وكرمان وغيرها)[١] وفي (الخطية) (وعبد الله يومئذ عامل أمير المؤمنين عليها) الخ.

وكيف كان، فكور بالضم فالفتح جمع كورة أي: المدينة، والمراد بالأهواز الخوزستان كلا بقرينة اضافة «كور» اليها لا خصوص بلد سوق الأهواز، قال صاحب العين: الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز، ولا يفرد الواحد منها بهوز، وكور الأهواز: سوق الأهواز، ورامهرمز، وايذج، وعسكر مكرم، وتستر، وجنديسابور، وسوس، وسرق، ونهرتيري، ومناذر، وكان خراجها ثلاثين ألف ألف درهم، وكانت الفرس يقسط عليها خمسين ألف ألف درهم [٢].

وأما «فارس» ففي (البلدان): أقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان أسير جان، ومن جهة ساحل الهند سيراف، ومن جهة السند مكران، وكورها المشهورة خمس، فأوسعها كورة اصطخر، ثم اردشير خره، ثم كورة دار ابجرد، ثم كورة سابور، ثم قباد خره[٣].

وأما «كرمان» ففي (المعجم): ناحية كبيرة شرقيها مكران، وغربيها فارس، وشمالها مفازة خراسان، وجنوبها بحر فارس، قال البشاري: كرمان

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٣٨، مثل المصرية بزيادة «وغيرها» ولفظ شرح ابن ميثم ٤: ٣٩٩ «وعبد الله خليفة أمير المؤمنين على البصرة والأهواز وفارس وكرمان».

(٢) نقله عنه الحموي في معجم البلدان ١: ٢٨٥ .

(٣) معجم البلدان ٤: ٢٢٦.

أقليم يشاكل فارس في أوصاف، والبصرة في أسباب، وخراسان في أنواع، لأنّه قد تأخم البحر، واجتمع فيه البرد والحر، والجوز والنخل، وكثرت فيه التمور والأرطاب، والأشجار والثمار، ومن مدنه المشهورة جيرفت، وموقان، وخبيص، وبم، والسيرجان، ونرماسير، وبردسير، وبها يكون التوتيا، ويحمل الى جميع البلاد[1].

وكان زياد قبل كاتب أبي موسى أيام عمر، قال الجهشياري: استكتب ابو موسى زياداً، فكتب إليه عمر يستقدمه، فاستخلف زياداً على عمله، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فلما قدم عليه سأله عمن استخلف فأعلمه، فقال استخلفت غلاماً حدثاً. فقال: انّه ضابط لما ولي. فكتب إليه عمر يأمره بالقدوم عليه والاستخلاف على العمل، فاستخلف زياد عمران بن حصين. فقال عمر: لئن كان أبو موسى استخلف حدثاً لقد استخلف الحدث كهلاً. ثم دعا بزياد فقال له: ينبغي أن تكتب الى خليفتك بما يجب أن يعمل به. فكتب إليه كتاباً ودفعه الى عمر، فنظر فيه ثم قال: أعد، فكتب غيره، فقال له: أعد، فكتب الثالث، فقال عمر: لقد بلغ ما أردت في الأول، ولكني ظننت أنّه قد روّى فيه، ثم بلغ في الثاني ما أردت، فكرهت أن أعلمه ذلك، وأردت أن أضع منه لئلا يدخله العُجب.

وفيه: كان عمر يملي على كاتب بين يديه، فكتب الكاتب غير ما قال عمر، فقال له زياد: قد كتب غير ما قلت، فنظر في الكتاب، فكان كما قال زياد، فقال له عمر: اني علمت هذا. فقال: رأيت رجع فيك وخطه، فرأيت ما أحارت كفّه غير ما رجعت به شفتك.

وفيه: قال عمر لزياد: هل أنت حامل كتابي الى أبي موسى في عزلك عن كتابته؟ قال: نعم ان لم يكن ذلك عن سخط. قال: ليس عن سخط، ولكني أكره

---

(١) معجم البلدان ٤: ٤٥٤.

أن أحمل فضل عقلك على الرعية.

قوله عليه السلام **«واني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين»** قال الجوهري: الفيء الخراج والغنيمة **«شيئاً صغيراً أو كبيراً»** ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[1] **«لأشدن عليك»** قال الجوهري: شدّ عليه أي: حمل عليه **«شدة»** أي: حملة **«تدعك»** أي: تتركك **«قليل الوفر»** قال ابن دريد: الوفر الغنى، قال حاتم الطائي:

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر

«ثقيل الظهر» يأخذه بما خان **«ضئيل الأمر»** أي: صغيره ونحيفه وخفيه.

هذا، ونظير كتابه عليه السلام الى زياد في معنى الخيانة في الفيء كتابه الى النعمان بن عجلان، فروى اليعقوبي ان النعمان ذهب بمال البحرين، فكتب عليه السلام إليه «أما بعد فانه من استهان بالامانة، ورغب في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه، أخل بنفسه في الدنيا، وما يشفى عليه بعد أمرّ وأبقى وأشقى وأطول، فخف الله، انك من عشيرة ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، وراجع ان كان حقاً ما بلغني عنك، ولا تقلبنّ رأيي فيك، واستنظف خراجك، ثم اكتب اليّ ليأتيك رأيي وأمري انشاء الله. فلما جاءه كتابه عليه السلام وعلم انّه قد علم حمل المال، ولحق بمعاوية[2].

٥
الكتاب (٢١)

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً:

فَدَعِ ٱلْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً وَٱذْكُرْ فِي ٱلْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ ٱلْمَالِ بِقَدْرِ

---

(١) آل عمران: ١٦١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠١.

ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ. أَتَرْجُوا أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعَهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا المَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ. وَالسَّلاَمُ.

أقول: رواه اليعقوبي فقال: وجّه علي رجلاً الى بعض عمّاله مستحثاً، فاستخف به فكتب إليه: أما بعد، فانك شتمت رسولي وزجرته وبلغني انك تبخر، وتكثر من الأدهان وألوان الطعام، وتتكلم على المنبر بكلام الصديقين، وتفعل اذا نزلت أفعال المحلّين، فان يكن ذلك كذلك فنفسك أضررت، وأدبي تعرضت، ويحك ان الله تعالى يقول: العظمة والكبرياء ردائي، فمن نازعنيهما سخطت عليه، بل ما عليك أن تدهن رفيهاً، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، وما حملك أن تشهد الناس عليك بخلاف ما تقول على المنبر حيث يكثر عليك الشاهد، ويعظم مقت الله لك، بل كيف ترجو وأنت متهوع في النعيم، جمعته من الأرملة واليتيم، ان يوجب الله لك أجر الصالحين، بل ما عليك ثكلتك أُمك لو صمت لله أياماً، وتصدقت بطائفة من طعامك، فانها سيرة الأنبياء وأدب الصالحين، أصلح نفسك، وتب من ذنبك، وادِّ حقَّ الله عليك، والسلام[1].

ورواه ابن أبي الحديد في موضع آخر، فقال: أخرج علي عليه السلام سعداً مولاه الى زياد يحثّه على حمل مال البصرة الى الكوفة، وكان بين سعد وزياد ملاحاة، وعاد سعد فشكاه الى علي عليه السلام، فكتب الى زياد: أما بعد فان سعداً ذكر انّك شتمته ظلماً، وهددته وجبهته تجبراً وتكبراً، فما دعاك الى التكبر وقد قال النبي «الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه»، وقد أخبرني انك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في يوم واحد وتدهن كلّ يوم، فما عليك لو صمت

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٢.

لله أياماً، وتصدّقت ببعض ما عندك محتسباً، وأكلت طعامك مراراً قفاراً، فان ذلك شعار الصالحين، أفتطمع ـ وأنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم ـ أن يحسب لك أجر المتصدقين، وأخبرني انك تتكلم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخاطئين، فان كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت، فتب الى ربك يصلح لك عملك، واقتصد في أمرك، وقدم الى ربك الفضل ليوم حاجتك، وادهن غباً فاني سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ادهنوا غباً ولا تدهنوا رقماً.

فكتب زياد إليه عليه السلام ان سعداً قدم عليَّ فأساء القول والعمل، فانتهرته وزجرته، وكان أهلاً لأكثر من ذلك، وأما ما ذكرت من الاسراف واتخاذ الألوان من الطعام والنعم، فان كان صادقاً فأثابه الله ثواب الصالحين، وان كان كاذباً فوقّاه الله أشد عقوبة الكاذبين، واما قوله اني أصف العدل وأُخالفه الى غيره، فاني اذن من الأخسرين أعمالاً، فخذ يا أمير المؤمنين بمقالة قلتها في مقام قمته «الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل»، فان أتاك بشاهدي عدل، والا تبين لك كذبه وظلمه[1].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضاً) هكذا في (المصرية وابن ميثم) أي: زياد، ولكن في ابن أبي الحديد (الى زياد أيضاً)[2].

قوله عليه السلام «فدع الاسراف مقتصداً» ﴿ولا تبذّر تبذيراً* انَّ المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾[3].

«واذكر في اليوم وغداً» ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٣٩، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٠٠.

(٣) الاسراء: ٢٦ و ٢٧.

(٤) الحشر: ١٨.

«وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليـوم حـاجتك» ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾[١] ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾[٢].

«أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين» ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[٣].

عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى الى داود: يا داود كما أن أقرب الناس من الله تعالى المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون[٤].

والمراد ان الله تعالى ليس كالناس، فانهم يعطون أجراً لأحد باسم عمل لم يعمله اما للالتباس عليهم وأما لهوىً.

«وتطمع وأنت متمرغ في النعيم» استعارة من تمرغ الحمير فـي التـراب **«تمنعه الضعيف»** عن تحصيل قوت **«والأرملة»** المرأة التي لا زوج لها **«أن يوجب لك ثواب المتصدقين»** جزافاً.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

«وانما المرء مجزي بما أسلف» ان خيراً فخير وان شراً فشر **«وقادم على ما قدم»** ﴿يوم تجد كلّ نفسٍ ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء﴾[٥].

٦
الحكمة (٤٧٦)

وقال عليه السلام لزيادِ بْنِ أَبيهِ -وقَد استخلفهُ لعبدِ اللهِ بـنِ العـبّاسِ عـلى

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) المزّمّل: ٢٠.

(٣) السجدة: ١٨.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ١٢٣ ح١١.

(٥) آل عمران: ٣٠.

فارِسَ وأعْمالِها في كلامٍ طوِيلٍ كانَ بَيْنَهُما، نَهاهُ فيهِ عنْ تَقْدِيم الخَرَاجِ -:

اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ، واحْذَرِ الْعَسْفَ والْحَيْفَ ، فإنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بالْجَلَاءِ، والحيفَ يَدْعُو إلى السَّيْفِ .

قول المصنّف: (وقال عليه السلام لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها) في تاريخ الطبري لما قتل ابن الحضرمي بالبصرة، واختلف الناس على علي عليه السلام ، طمع أهل فارس وأهل كرمان في كسر الخراج، فغلب أهل كلّ ناحية على ما يليهم، وأخرجوا عمّالهم.

وعن الشعبي قال: لما انتفض أهل الجبال، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي عليه السلام على فارس، قال ابن عباس له عليه السلام: اكفيك فارس، فقدم البصرة ووجه زياداً الى فارس في جمع كثير، فوطأ بهم أهل فارس، فأدوا الخراج، ضرب بعضهم ببعض، فقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس، وفعل مثل ذلك بكرمان، وكانوا يقولون ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى من سيرة هذا العربي في اللين، والمداراة، والعلم بما يأتي[1].

(في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج) هكذا في (المصرية)، والصواب: (عن تقديم الخراج) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2]. ومن المضحك ان محشي (المصرية) فسّر التقدم بالزيادة، فزاد غلطاً على غلط.

نهاه عليه السلام عن تقديم الخراج لأن عمال عثمان كانوا يفعلون ذلك، قال ابن أبي الحديد: كانت عادة أهل فارس في أيام عثمان ان يطلب الوالي منهم خراج

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٥، سنة ٣٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤٥، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٦ مثل المصرية.

أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستسلاف، أو لأنهم كانوا يظنون أن أوّل السنة القمرية هو مبدأ وجوب الخراج كأجرة العقار، فكان ذلك يجحف بالناس ويدعو الى عسفهم وحيفهم[1].

قوله عليه السلام «**استعمل العدل**» العدل عدلان: عدل في الشريعة، وعدل في السياسة، ومقصوده عليه السلام الأول، إلّا ان زياداً كان من أهل الثاني.

وعن المدائني: قدم زياد أيام معاوية البصرة، والفسق فيها فاش جداً، وأموال الناس منتهبة، والسياسة ضعيفة، فصعد المنبر ثم قال: فان الجاهلية الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموقد على أهله النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأُمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى منها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد من الثواب الكثير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد الذي لا يزول. أتكونون من طرفت عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات. لا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا به، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، والضعيفة المسلوبة في النهار، هذا والعدد غير قليل. ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار، وكلّ امرئٍ منكم يذب عن سفيهه، صنيع لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معاداً، ما أنتم بالحلماء، وقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بهم ما يرون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة الاسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب، حرم علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماً وإحراقاً. اني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلّا بما صلح به أوله. لين في غير ضعف، وشدّة في غير عنف، وأنا أُقسم بالله لآخذنّ الولي بالولي، والظاعن بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم في نفسه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤٥.

بالسقيم، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم. ان كذبة المنبر تلفى مشهورة، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، من نقب عليه منكم فأنا ضامن لما ذهب منه، فإياكم ودلج الليل، فاني لا أوتي بمدلج إلّا سفكت دمه. وقد أجلتكم بقدر ما يأتي الخبر الكوفة، ويرجع اليكم. إياكم ودعوى الجاهلية، فاني لا أجد أحداً دعا بها إلّا قطعت لسانه، وقد أحدثتم احداثاً، وقد أحدثنا لكلّ ذنب عقوبة، فمن غرّق بيوت قوم غرّقناه، ومن حرّق على قوم حرّقناه، ومن نقب على أحد بيتاً نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنّاه فيه حيّاً. كفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفّ عنكم يدي ولساني، ولا يظهرن من أحد خلاف ما عليه عامتكم فاضرب عنقه، وقد كانت بيني وبين أقوام أحن فقد جعلت ذلك وراء أُذني، وتحت قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزد احساناً، ومن كان مسيئاً فلينزع عن اساءته، اني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلال من بغضي لم اكشف عنه قناعاً، ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أنظره. رب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سييأس، انا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، بسلطان الله الذي أعطانا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصرت عن شيء فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجباً عن طالب حاجة منكم، ولا حابساً عطاء، ولا مجمراً بعثاً، وأدعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون، ومتى يصلحوا تصلحوا، فلا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتدّ غيظكم، ويطول حزنكم، وأيم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كلّ امرئٍ منكم أن يكون من صرعاي.

فقام عبد الله بن الاهتم فقال: أشهد أيها الأمير، لقد أوتيتَ الحكمةَ وفصلَ

الخطاب. فقال: كذبت ذاك نبي الله داود.

فقام الأحنف فقال: انما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وأنا لا نثني حتى نبتلى، ولا نحمد حتى نعطى، فقال زياد: صدقت.

فقام أبو بلال مرداس يهمس ويقول: أنبأنا الله بغير ما قلت ﴿وابراهيم الذي وفى* ألا تزر وازرة وزر أُخرىٰ﴾[١] فسمعها زياد فقال: يا أبا بلال، إنّا لا نبلغ ما نريد بأصحابك حتى نخوض اليهم الباطل خوضاً[٢].

وعن الشعبي: لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون، فقال: ما هذا؟ قالوا: ان البلد مفتونة، وان المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفُسّاق فيقال لها: نادي ثلاثة أصوات، فان أجابك أحد وإلّا فلا لوم علينا فيما نصنع. فغضب وقال: ففيم أنا وفيم قدمت؟ فلما أصبح أمر فنودي في الناس، فاجتمعوا، فقال: أيّها الناس، اني قد نبّئت بما أنتم فيه وسمعت ذرواً منه، وقد أنذرتكم وأجلتكم شهراً مسير الرجل الى الشام، ومسيره الى خراسان، ومسيره الى الحجاز، فمن وجدناه بعد شهر خارجاً من منزله بعد العشاء الآخرة فدمه هدر.

فانصرف الناس يقولون: هذا القول كقول من تقدمه من الامراء، فلما كمل الشهر دعا صاحب شرطته عبد الله بن حصين اليربوعي ـ وكانت رجال الشرطة معه أربعة آلاف ـ فقال له: هيئ خيلك ورجلك، فإذا صليت العشاء الآخرة وقرأ القارئ مقدار سبع آياتٍ من القرآن، فسر ولا تلقين أحداً، عبيد الله بن زياد فمن دونه إلّا جئتني برأسه، وان راجعتني في أحد ضربت عنقك. فصبح على باب القصر تلك الليلة سبعمائة رأس، ثم خرج الليلة الثانية فجاء

---

(١) النجم: ٣٧ و ٣٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٠.

بخمسين رأسا، ثم خرج الليلة الثالثة فجاء برأس واحد، ثم لم يجيء بعدها بشيء. وكان الناس اذا صلوا العشاء الآخرة احضروا الى منازلهم شداً حثيثاً، وقد يترك بعضهم نعاله[1].

«واحذر العسف» قال الجوهري: العسف الأخذ على غير الطريق «والحيف» أي: الجور والظلم «فان العسف يعود بالجلاء» أي: العسف بالناس يوجب جلاءهم عن وطنهم.

وفي (تاريخ الطبري) : كان خروج الحسن بن زيد الحسني في سنة (٢٥٠) وكان سببه ان المستعين أقطع محمد بن عبدالله بن طاهر ـ لوقوع قتل يحيى بن عمر العلوي على يده ـ من صوا في السلطان بطبرستان، وفيها قطيعة كان بحذائها أرض لأهل تلك الناحية فيها مرافقهم محتطبهم، ومراعي مواشيهم، ومسرح سارحتهم، صحراء ذات غياض وأشجار وكلاء، وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبدالله أخوه، وكان المستولي على سليمان محمد بن أوس البلخي الذي فرّق ولده وهم أحداث سفهاء في مدن طبرستان، ووتر الديلم بدخوله أقرب بلادهم وسبيه وقتله منهم على غفلة.

وبعث محمد بن عبدالله بن طاهر، جابر بن هارون النصراني أخا كاتبه لحيازة الصوافي، فحازها وحاز معها ما اتصل بها مما يرتفق به أهل تلك الناحية ـ ورام حيازة كلار وسالوس ثغري طبرستان من قبل الديلم ـ وكان محمد وجعفر ابنا رستم مذكورين قديماً بضبط تلك الناحية ممن رامها من الديلم، وباطعام الناس بها، فأنكرا فعل جابر واستنهضا من في ناحيتهما، فهرب جابر ولحق بسليمان، فراسلا الديلم، فأجابوهما وتعاقدوا هم وأهل كلار وسالوس على التعاون، فأرسلا الى الحسن بن زيد بالري وأشخصاه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٤.

الى طبرستان، فوافاهم وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار على بيعته، وقتال سليمان وأخذه.

الى أن قال: فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الري الى حد همدان[1].

وفي وزراء الجهشياري: صرف الرشيد الفضل بن يحيى عن خراسان وقلد علي بن عيسى بن ماهان، لأنّه تعهد التكثير على الفضل، فقتل علي بن عيسى وجوه أهل خراسان وملوكها، وجمع أموالاً جليلة، فحمل الى الرشيد ألف بدرة معمولة من ألوان الحرير وفيها عشرة آلاف ألف درهم، فلما وصلت إليه سر بها وأحضر يحيى بن خالد فقاله: يا أبة أين كان الفضل عن هذا؟ فقال: ان خراسان سبيلها أن يحمل اليها الأموال ولا تحمل منها، والفضل أصلح نيات رؤسائها واستجلب طاعتهم، وعلي بن عيسى قتل صناديد أهل خراسان وطراختنها وحمل أموالهم، ولو قصدت لدرب من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه أضعاف هذه وستنفق مكان كلّ درهم منها عشرة، فثقل هذا القول منه على الرشيد، فلما نتقض أمر خراسان وخرج رافع بن الليث، احتاج الى النهوض اليها بنفسه حتى صار الى طوس يتذكر هذا الحديث ويقول: صدقني والله يحيى ونصح لي فلم أقبل منه، والله لقد أنفقت مائة ألف ألف وما بلغت شيئاً.

وفيه: حمل الحجاج الى عبد الملك هدية ومالاً عظيماً وهو بحمص، فأبرز سريره وجمع الناس وكان فيمن حضر خالد بن عبدالله بن أسيد وأخوه أُمية، فلما نظر الى الهدية والمال قال: هذه والله الأمانة والحزم والنصيحة ـ ثم أشار الى خالد ـ وقال: اني استعملت هذا على البصرة، فاستعمل كلّ فاسق،

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٢٩ ـ ٤٣٣، سنة ٢٥٠.

فجبى عشرة واختان تسعة ورفع الى هذا درهماً، فدفع الى هذا من الدرهم سدساً، واستعملت هذا ـ يعني أخاه ـ على خراسان وسجستان، فبعث الي بمفتاح من ذهب زعم انّه مفتاح مدينة وفيل وبرذونين حطيمين، واستعملت الحجاج، ففعل كذا، فاذا استعملتكم ضيعتم، واذا عزلتكم قلتم قطع أرحامنا.

فأراح خالد اراحة الفرس ثم قال: استعملتني على البصرة وأهلها رجلان: مطيح مناصح، ومخالف مشايح، فأما المطيع فاني جزيته بطاعته فازداد رغبة، وأما المخالف فاني داويت عداوته، واستللت ضغينته، وحشوت صدره وداً، وعلمت اني متى أصلح الرجال أجب الأموال، واستعملت الحجاج، فجبى لك المال، وكنز العداوة في قلوب الرجال، فكأنك بالعداوة التي كنزها قد ثارت وأنفقت الأموال، ولا مال ولا رجال، فسكت عبد الملك، فلما هيج الجماجم جلس عبد الملك على باب ذي الاكارع ومعه خاله يندب الناس الى الفريضة ويتأمل خالداً ويذكر قوله ويضحك.

«والحيف» أي: الجور «يدعو الى السيف» قالوا: تراهن قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الذبياني على خطر عشرين بعيراً، وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة، والمجرى من ذات الاصاد، فأجرى قيس داحساً والغبراء اسما فرسيه ـ وأجرى حذيفة الخطار والحنفاء ـ اسما فرسيه فوضعت بنو فزارة ـ رهط حذيفة ـ كميناً على الطريق، فردوا الغبراء ولطموها ـ وكانت سابقة ـ فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة.

وفي (فتوح البلاذري) ـ بعد ذكر أخذ سعيد بن عثمان من السغد رهناً من أبناء عظمائهم في فتح سمرقند ـ مضى سعيد بالرهن حتى ورد بهم المدينة، فدفع ثيابهم ومناطقهم الى موإليه، وألبسهم جباب الصوف، وألزمهم

السقي والسواني والعمل، فدخلوا عليه مجلسه، ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم[١].

وفي (تاريخ الطبري) ـ بعد ذكر فتح ابن أبي سرح في سنة (٢٧) افريقية ـ مازال أهل أفريقية من أسمع أهل البلدان الى زمان هشام، فدبّ اليهم أهل العراق، فقالوا لهم جناية عمالكم . من أمر خلفائكم، فخرج ميسرة منهم في بضعة عشر انساناً على هشام وقالوا للأبرش أبلغ هشاماً أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب غنيمة نفلهم دوننا، وقال هم أحقّ به، فقلنا هو أخلص لجهادنا لا نأخذ منه شيئاً ان كان لنا فهم منه في حل، وان لم يكن لنا لم نرده، واذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وأخّر جنده، فقلنا تقدّموا، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض للخليفة، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا ما أيسر هذا للخليفة، ثم انهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا، فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي الخليفة ذلك أم لا، فطال عليهم الجواب ونفدت نفقاتهم، فكتبوا أسماءهم في رقاع، ثم رجعوا الى افريقية، فخرجوا على عامل هشام، فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ هشاماً الخبر وسأل عن النفر، فرفعت إليه اسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ماصنعوا[٢].

وفيه أيضاً: وقتل في سنة (١٠٢) يزيد بن أبي مسلم بأفريقية، وسببه انّه كان فيما ذكر عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج في أهل الأمصار الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فأسلم بالعراق ممن ردّهم الى قراهم ورساتيقهم، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما

(١) فتوح البلدان: ٤٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٣١٣ سنة ٢٧.

كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فلما عزم على ذلك تأمروا في أمره، فأجمع رأيهم على قتله، فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ـ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ـ وكتبوا الى يزيد ابن عبد الملك : انا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى الله والمسلمون، فقتلناه وأعدنا عاملك السابق، فأقره يزيد[1].

وفي الأغاني : كان عمليق الطسمي أمر ألا تزوج بكر من جديس الى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاء وذلاً حتى زوجت الشموس أخت الأسود الذي دفع الى جبل طي، فقتله طي وسكنوا الجبل بعده، فلما دخلت عليه وافترعها خرجت الى قومها في دمائها شاقة درعها من قبل وهي تقول:

لا أحد أذلّ من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس

فقال أخوها الأسود ـ وكان سيداً مطاعاً ـ لقومه: يا معشر جديس، ان هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم، وقال لهم: اني اصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم جميعاً، فإذا جاؤوا يرفلون في الحلل ثرنا الى سيوفنا وهم غارون فأهمدناهم بها. قالوا: افعل، فصنع طعاماً كثيراً وخرج به الى ظهر بلدهم ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدّى عنده هو وأهل بيته، فأجابهم وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلي والحلل، حتى اذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم الى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشد الأسود على عمليق فقتله وكلّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم، فلما فرغوا من الاشراف شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحداً. وقال الأسود في ذلك:

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٥٨، سنة ١٠٢.

ذوقي ببغيك يا طسم مجللة فقد أتيت لعمري أعجب العجب

وفيه ـ في مقتل خالد بن جعفر بن كلاب ـ أغار خالد على رهط الحارث بن ظالم اليربوعي في وادٍ يقال له حراض، فقتل الرجال والحارث يومئذ غلام وبقيت النساء ـ وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم ـ فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث، فيشد عصاب الناقة، ثم يحلبنها ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن ـ وأردف ذلك قتل خالد بن زهير بن جذيمة، قال: فمضى الحارث الى خالد وهو نائم، فضربه بالسيف حتى قتله.

وفي (المعجم): قال أبو سعيد الآبي في (تاريخه): كان قابوس بن وشمكير أسرف في القتل، وتجاوز الحد في سفك الدماء ولم يكن يعرف حداً في التأديب وإقامة السياسة غير ضرب الأعناق واماتة الأنفس، وكان يأتي ذلك في الأقرب فالأقرب، والأخص فالأخص من الجند والحاشية حتى أفنى جميعهم، وأتى على جلّهم، وأذلّ الخيل وأصناف العسكر للرعية، وجرأهم عليهم، ولم يتظلم أحد من أهل البلد من واحد من أكابر أهل عسكره إلّا قتله، وأتى على نفسه من غير أن يتفحص عن الشكوى أصحيحة أم باطلة، فتبرم به عسكره وحاشيته وخافوا سطوته، فمشى بعضهم الى بعض، وتمالؤوا عليه وتحالفوا، وخفي الأمر، لأنه كان خرج الى حصن بناه سمّاه شمر آباد وعزم القوم أن يتسلقوا عليه ويغتالوه وقد واطأهم على الأمر جميع من كان معه في الحصن، فتعذر عليهم الصعود إليه وعلموا انّه لو أصبح وعرف الخبر لم ينج منهم أحد، فنعوه الى الناس وذكروا انّه قد قضى نحبه، فانتهبت اصطبلاته وسيقت دوابه وبغاله ولم يقدر هو على مفارقة الموضع لاعواز الظهور التي تحمل وتنقل عليها خزائنه، وكان عنده وزيره أبو العباس الغانمي، فاتهمه بممالأة القوم، فأوقع به وقتله، فاستدعوا منوجهر ابنه

وكتبوا إليه متى تأخر قدموا غيره، فبادر اليهم فقلدوه الأمر، وبلغ ذلك قابوس، فجمع أمراء الرستاق وفارق المكان، وصحبه طائفة من العرب وغيرهم من الجند، وخرج الى بسطام مع خزائنه وأسبابه، وتبعه ابنه منوجهر مع العسكر، فحصره وامتنع هو عليه، ثم أمكن من نفسه عند الضرورة، فقبض عليه وحمل الى بعض القلاع، وتقرر أمر ابنه ولقب بفلك المعالي. وكان أبوه يلقب شمس المعالي، ثم ورد الخبر بموته في جمادى الآخرة سنة (٤٠٣). وذكر انه اعتيل، وحمل تابوته الى جرجان، ودفن في مشهد عظيم كان بناه لنفسه وأنفق عليه الأموال العظيمة، وبالغ في تحصيله وتحصينه[١].

٧
الكتاب (٤٤)

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبي سُفْيَانَ في زَمَنِ عُمَرَ بْن الخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيث النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ. لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلاَ يُستَحِقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَة، وَلَمْ تَزَلْ في نَفْسه حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ.

قالَ الرَّضِيُّ: قَوْله عليه السلام «الوَاغلُ» هو الذي يَهجُمُ على الشَّرْبِ ليشربَ

---

(١) قال الشارح في الهامش: وهو المعروف في عصرنا بـ«گنبد قابوس».

معهمْ وليس منهمْ فَلا يزَالُ مُدَفَّعا مُحاجَزاً. و«النوْطُ المُذَبذَبُ» هو ما يُنَاطُ برَحْلِ الرَّاكِبِ من قَعْبٍ أوْ قدَح أو ما أشبهَ ذلكَ، فهوَ أبداً يتقلقلُ إذا حثَّ ظهرَهُ واستعجلَ سيرَهُ.

أقول: رواه (الاستيعاب) مع اختلاف يسير[1]. وقال ابن أبي الحديد: قال المدائني: لما كان زمن علي عليه السلام ولّى زياداً فارس أو بعض أعمال فارس، فضبطها ضبطاً صالحاً، وجبى خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية فكتب إليه: أما بعد فانه غرتك قلاع تأوي اليها ليلاً، كما تأوي الطير الى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح: ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنّهم منها أذلّةً وهم صاغرون﴾[2]. وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامته ... اذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس، وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق، يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله، وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمنزلة والاخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم باحسان. أما والله لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني أحمر ضراباً بالسيف.

ثم كتب الى علي عليه السلام وبعث بكتاب معاوية في كتابه، فكتب إليه علي: أما بعد فاني قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً، وانه قد كان من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس، لم تستوجب بها ميراثاً، ولم تستحق بها نسباً، وان معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه

---

(١) الاستيعاب ١: ٥٧٠.

(٢) النمل: ٣٧.

ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثم احذره ثم احذره[١].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام الى زياد بن أبيه وقد بلغه ان معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه) ان معاوية كتب الى زياد لاستلحاقه مرتين، تارة في زمانه عليه السلام كما مر وأُخرى بعده، واستلحقه فصار بلية على شيعته.

قال ابن أبي الحديد: روى ابو جعفر محمد بن حبيب قال: كان علي عليه السلام قد ولّى زياداً قطعة من أعمال فارس واصطنعه لنفسه، فلما قُتل عليّ عليه السلام بقي زياد في عمله، وخاف معاوية جانبه، وعلم صعوبة ناحيته، وأشفق من ممالأته الحسن عليه السلام، فكتب إليه: أما بعد فانك عبد قد كفرت النعمة، واستدعيت النقمة، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر، وان الشجرة لتصرف بعرقها، وتتفرع من أصلها، انك لا أُم لك بل لا أب لك قد هلكت وأهلكت، وظننت انك تخرج من قبضتي، ولا ينالك سلطاني، هيهات ما كل ذي لب يصيب رأيه، ولا كلّ ذي رأي ينصح في مشورته، أمس عبد واليوم أمير خطه، ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية، واذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة واسرع الاجابة، فانك ان تفعل فدمك حقنت ونفسك تداركت، وإلّا اختطفتك بأضعف ريش ونلتك بأهون سعي، وأقسم قسماً مبروراً ألا أوتي بك الا في زمارة تمشي حافياً من أرض فارس الى الشام، حتى أُقيمك في السوق، وأبيعك عبداً، وأردّك الى حيث كنت فيه وخرجت منه.

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضباً شديداً وجمع الناس وصعد المنبر، فحمد الله ثم قال: ان ابن آكلة الأكباد، وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسير النفاق، ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في اطفاء نور الله، كتب الي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٨١.

يرعد ويبرق عن سحابة جفل لا ماء فيها، وعمّا قليل تصيّرها الرياح قزعاً، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة، أفمن اشفاق علي ينذر ويغدر، كلا ولكن ذهب الى غير مذهب، وقعقع لمن روى بين صواعق تهامة كيف أرهبه، وبيني وبينه ابن بنت رسول الله، وابن ابن عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار. والله لو اذن لي فيه أو ندبني إليه لأريته الكواكب نهاراً، ولأسعطته ما الخردل، دونه الكلام اليوم، والجمع غداً، والثورة بعد ذلك.

ثم نزل وكتب الى معاوية: أما بعد فقد وصل إليّ كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج، فيتشبث بالطحلب، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة. انما يكفر النعم ويستدعي النقم من حادّ الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، فأما سبّك لي فلولا علم لي يبهضني عنك، وخوفي أن أُدعى سفيهاً لأثرت لك مخازي لا يغسلها الماء، وأما تعييرك لي بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة، وامّا زعمك انك تخطفني بأضعف ريش، وتتناولني بأهون سعي، فهل رأيت بازياً يفزعه صغير القنابر، أم هل سمعت بذئب أكله الخروف، فامض الآن لطيتك، واجتهد جهدك، فلست أنزل إلّا بحيث تكره، ولا اجتهد إلّا فيما يسوؤك وستعلم أيّنا الخاضع لصاحبه الطالع إليه.

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمّه وبعث الى المغيرة، فخلا به وقال له: اني أُريد مشاورتك في أمر أهمني، فانصحني فيه واشر عليَّ برأي المجتهد وكن لي أكن لك، فقد خصصتك بسري وآثرتك على ولدي. قال المغيرة: فماذاك والله لتجدني في طاعتك أمضى من الماء في الحدور، ومن ذي الرونق في كف البطل الشجاع.

قال: يا مغيرة ان زياداً قد أقام بفارس يكش لنا كشيش الأفاعي، وهو

رجل ثاقب الرأي، ماضي العزيمة، جوال الفكرة، مصيب اذا رمى، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيّاً، وأخشى ممالأته حسناً، فكيف السبيل إليه، وما الحيلة في اصلاح رأيه؟

قال المغيرة: أنا له ان لم أمت، ان زياداً رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر، فلولا طفته المسألة وألنت له الكتاب لكان لك أميل وبك أوثق، فاكتب إليه وانا الرسول، فكتب إليه: من معاوية بن أبي سفيان الى زياد بن أبي سفيان، أما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب، وانك للمرء المضروب به المثل، قاطع الرحم، وواصل العدو، حملك سوء ظنّك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي، وقطعت رحمي، وبتتت نسبي وحرمتي، حتى كأنّك لست أخي، وليس صخر بن حرب أباك وأبي، وشتان ما بيني وبينك، أطلب بدم ابن أبي العاص وأنت تقاتلني، ولكن أدركك عرق الرخاوة من قبل النساء.

فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض أُخرى جناحا

وقد رأيت أن أعطف عليك، ولا اؤاخذك بسوء سعيك، وان أصل رحمك، وابتغي الثواب في امرك، فاعلم أبا المغيرة لو خضت البحر في طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلّا بعداً، فان بني عبد شمس أبغض الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع، وقد أوثق للذبح، فارجع الى أصلك، واتصل بقومك، ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره، فقد أصبحت ضال النسب، ولعمري ما فعل بك ذلك إلّا اللجاج، فدعه عنك، فقد أصبحت على بينة من أمرك، ووضوحٍ من حجتك، فان أحببت جانبي ووثقت بي فامرة بامرة، وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل لا عليَّ ولا لي.

فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس، فلما رآه زياد قربه وأدناه

ولطف به، فدفع إليه الكتاب، فجعل يتأمله ويضحك، فلما فرغ وضعه تحت قدمه ثم قال: حسبك يا مغيرة، فاني اطّلع على ما في ضميرك، وقد قدمت من سفرة بعيدة، فقم وأرح ركابك. قال: أجل. فدع عنك اللجاج، وارجع الى قومك، وصل أخاك، وانظر لنفسك، ولا تقطع رحمك. قال زياد: اني رجل صاحب أناة، ولي في أمري روية، فلا تعجل علي ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك.

ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة، فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس ادفعوا البلاء عنكم ما اندفع عنكم، وارغبوا الى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرت في أُمور الناس منذ قتل عثمان وفكرت فيهم، فوجدتهم كالاضاحي في كلّ عيد يذبحون، ولقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل ويوم صفين ما ينيف على مائة ألف، كلّهم يزعم انّه طالب حق وتابع امام وعلى بصيرة من أمره، فان كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة كلا ليس كذلك، ولكن أشكل الأمر، والتبس على القوم، واني لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ، فكيف لأمرئ بسلامة دينه، وقد نظرت في أمر الناس، فوجدت أحمد العاقبتين العافية، وسأعمل في أموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته، فقد حمدت طاعتكم.

ثم نزل وكتب جواب الكتاب: أما بعد فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرّفك الحق، وردّك الى الصلة، ولست ممن يجهل معروفاً ولا يغفل حسباً، ولو أردت أن أُجيبك بما أوجبته الحجة، واحتمله الجواب لطال الكتاب، وكثر الخطاب، ولكنك ان كان كتابك هذا عن عقد صحيح ونيّة حسنة، وأردت بذلك براً فستزرع في قلبي مودة وقبولاً، وان كنت انما أردت مكيدة ومكراً وفساد نيّة فان النفس تأبى ما فيه العطب، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاماً يعيى به الخطيب المدره، فتركت من حضر لا أهل ورد ولا صدر كالمتحيرين بمهمة ضلّ بهم الدليل، وأنا على أمثال ذلك قدير.

وكتب في أسفل الكتاب:

اذا معشري لم يُنصفوني وجدتني ... ادافعُ عنِّي الضيم ما دمت باقيا
وكم معشر أعيت قناتي عليهم ... فلاموا وألفوني لدى العزم ماضيا
أدافع بالحلم الجهول مكيدةً ... واخفي له تحت العضاه الدواهيا
فان تدنُ منِّي أدن منك وان تبن ... تجدني اذا لم تدن مني نائيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخط يده ما وثق به، فدخل إليه الشام، فقرّبه وأدناه، وأقرّه على ولايته، ثم استعمله على العراق[1].

وفي (مروج المسعودي): قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ان علياً عليه السلام كان ولّى زياداً فارس حين أخرجوا منها سهل بن حنيف، فضرب زياد ببعضهم بعضاً حتى غلب عليها، وما زال ينتقل في كورها حتى أصلح أمر فارس، ثم ولّاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده، ثم أخذ بسر بن أرطأة عبيد الله وعباداً ولديه، وكتب إليه يقسم ليقتلنهما ان لم يدخل في طاعة معاوية، فقدم زياد على معاوية ـ وكان المغيرة قد قال لزياد قبل قدومه ـ إرمِ الغرض الأقصى ودع عنك الفضول، فان هذا الأمر لا يمد إليه أحد يداً إلّا الحسن بن علي وقد بايع معاوية، فخذها لنفسك قبل التوطين.

قال له زياد: فأشر عليّ. قال: أرى ان تنقل أصلك الى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتعير الناس منك أذناً صمّاء. فقال زياد: يا ابن شعبة أغرس عوداً في غير منبته، ولا مدرة فتحييه، ولا عرق فيسقيه.

ثم ان زياداً عزم على قبول الدعوى، وأخذ برأي المغيرة، وأرسلت إليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها، فأتاها، فأذن له وكشفت عن شعرها

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٨٢ ـ ١٨٦ .

بين يديه وقالت: أنت أخي، أخبرني بذلك أبو مريم[١].

«وقد عرفت ان معاوية كتب اليك يستزل» أي: يطلب زلة «لبك» أي: عقلك «ويستفل» من فللت السيف اذا ثلمت حدّه، وكلّ شيء رددت حده أو ثلمته فقد فللته.

«غربك» أي: حدك «فاحذره فانما هو الشيطان يأتي المؤمن» هكذا في (المصرية)، والصواب: «المرء» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله» حكى تعالى عن الشيطان قال لربه تعالىٰ: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائِلهم ولا تجد أكثرَهم شاكرين﴾[٣].

فالشيطان ان لم يقدر أن يحمل أحداً على المخالفة عن طريق المعصية حمله عليها عن طريق العبادة، وكذلك كان معاوية يأتي خصومه عن طريق الوعيد والتهديد، فان لم يؤثر كان يأتيهم عن طريق التملق والتحبب كما فعل بزياد.

وقال ابن أبي الحديد قال شقيق البلخي: ما من صباح إلّا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، أما من بين يدي فيقول: لا تخف فان الله غفور رحيم، فأقرأ ﴿واني لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ﴾[٤]، واما من خلفي فيخوفني

---

(١) مروج الذهب ٣: ٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٧، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٩٥ «المومن».

(٣) الاعراف: ١٦ و ١٧.

(٤) طه: ٨٢.

الضيعة على مخلفي، فأقرأ ﴿وما من دابَّة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾[١]، واما من قبل يميني فيأتيني من جهة الثناء، فأقرأ ﴿والعاقبة للمتقين﴾[٢]، وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات، فأقرأ ﴿وحيلَ بينهم وبين ما يشتهون﴾[٣].

«ليقتحم» الاقتحام ارتكاب الشديد، قال تعالىٰ: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾[٤] وقال الشاعر:

أقول والناقة بي تقحم وأنا منها مكلئز معصم

ويحك ما اسم امها يا علكم[٥]

قالوا: الناقة النادة تسكن اذا سمّيت أُمها، والجمل الناد اذا سمي أبوه.

«غفلته ويستلب» افتعال من السلب أي: يختلس «غرته» ولعمر الله كان خال مؤمني اخواننا كان كما وصفه عليه السلام شيطاناً ثانياً يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ليقتحم غفلته، ويستلب غرته، فقال خطيبهم في (أول تاريخ بغداده): معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النبي، فاذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه.

وكيف كان فقال الجزري في (كامله) مع نصبه: لم يذكر الطبري في استلحاق معاوية لزياد حقيقة الحال، انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه، وأنا أذكر سبب ذلك وكيفيته فان من الأُمور المشهورة الكبيرة في الاسلام ـ وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية، فان النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) هود: ٦.

(٢) الاعراف: ١٢٨ والقصص: ٨٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٨، والآية ٥٤ من سورة سبأ.

(٤) البلد: ١١.

(٥) أورده أساس البلاغة: ٣٥٦، مادة (قحم) ولسان العرب ١٢: ٤٦٤، مادة (قحم).

قضى بالولد للفراش، وللعاهر الحجر ـ وكان ابتداء حاله ان سمية أُم زياد كانت لدهقان زند رود بكسكر، فمرض الدهقان، فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفي، فعالجه فبرأ، فوهبه سمية فولدت عند الحرث أبا بكرة ـ واسمه نفيع ـ فلم يقرُ به ثم ولدت نافعاً، فلم يقرُ به أيضاً، فلما نزل أبو بكرة الى النبي صلى الله عليه وآله حين حصر الطائف قال الحرث لنافع: أنت ولدي، وكان الحرث زوّج سمية من غلام له اسمه عبيد وهو رومي، فولدت له زياداً وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية الى الطائف فنزل على خمّار يقال له أبو مريم السلولي.

الى أن قال: فلما رأى معاوية أن يستميل زياداً باستلحاقه، وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد ـ وكان فيمن حضر أبو مريم ـ فقال له معاوية: بم تشهد؟ قال: أنا أشهد ان أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيّاً، فقلت له: ليس عندي إلّا سمية. فقال: ايتني بها على قذرها ووضرها، فأتيته بها، فخلا معها، ثم خرجت من عنده وان اسكتيها ليقطران منياً، فقال له زياد: مهلاً أبا مريم، انما بعثت شاهداً، ولم تبعث شاتماً، فاستلحقه معاوية[1].

وفي (العقد) : أول دعيّ كان في الاسلام واشتهر زياد بن عبيد دعيّ معاوية، وكانت سمية ولدت زياداً وأبا بكرة ونافعاً، فكان زياد ينسب في قريش، وأبو بكرة في العرب، ونافع في الموالي، فقال فيهم يزيد بن مفرغ:

ان زياداً ونافعاً وابا ... بكرة عندي من أعجب العجب

ان رجالاً ثلاثة خلقوا ... من رحم أُنثىٰ مُخالفي النسب

ذا قَرشي فيما يقول وذا ... مَولى وهذا ابن عمّه عربي

وفي (الاستيعاب): كان أبو بكرة يقول: انا من اخوانكم في الدين وان

(١) كامل ابن الأثير ٣: ٤٤٣، سنة ٤٤.

أبى الناس إلّا ان تسبوني فأنا نفيع بن مسروح[1].

وفي (تاريخ الطبري): آل أبي بكرة ردهم المهدي في سنة (١٦٠) من نسبهم في ثقيف الى نفيع بن مسروح[2]. قلت: يفهم منه انهم انتسبوا الى الحرث بن كلدة الثقفي حتى ردهم.

«وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة» أي: فجأة **«من حديث النفس»** أي: الحكاية عن شخصه.

وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): المنذر بن الزبير هو الذي شهد على قول علي عليه السلام في زياد، قال: سمعت أبا سفيان بن حرب مقدم زياد من تستر من عند أبي موسى حين قدم على عمر وأمره أن يتكلم يخبر الناس بفتح تستر، فقام زياد فتكلم فأبلغ، فعجب الناس من بيانه وقالوا: ان ابن أبي عبيد لخطيب. قال علي عليه السلام: فسمع ذلك أبو سفيان فأقبل عليّ وقال: ليس بابن عبيد وأنا والله أبوه ما أقره في رحم أُمه غيري. قلت: فما يمنعك عنه؟ قال: خوف هذا ـ يعني عمر ـ فكان آل زياد يشكرون ذلك للمنذر، وكان المنذر منقطعاً الى معاوية، وأوصى معاوية أن يحضر غسله وأمر له بمال، فكتب يزيد الى عبيدالله، فدفعه إليه، وأقطعه الدار التي تنسب الى الزبير بكلاء البصرة، وأقطعه منزلاً بالبصرة، ثم بدا ليزيد فكتب الى عبيدالله يأمره بحبس ذلك المال عن المنذر وان لا يدع المنذر يخرج من البصرة، وذلك حين خالفه عبد الله بن الزبير، فخاف ان يلحق بأخيه فيكون ذلك المال عوناً له، فأرسل إليه ابن زياد فأخبره الخبر وقال: قد أجلتك ثلاثاً وخذ من وراء أجلي ماشئت، فانطلق المنذر قبل مكة وسار سيراً شديداً قال الراجز:

---

(١) الاستيعاب ٤ : ٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٦٣، سنة ١٦٠.

تركن بالرمل قياماً حسـراً لو يتكلمن اشتكين المنذرا

فكان مع أخيه حتى قتل في حصار الحصين بن نمير حصار ابن الزبير الأول. «ونزغة من نزغات الشيطان» في (الأساس): نزغه اذا طعنه ونخسه، ومن المجاز «نزغه الشيطان» كأنه ينخسه ليحثه على المعاصي[1].

«لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث» قال الشاعر:

زيادٌ لست أدري من أبوه ولكن الحـمار أبـو زيـاد

العرب تكنّي الحمار بأبي زياد، وقال آخر:

حمارٌ في الكـتابة يـدّعيها كدعوى آل حَرب في زيادِ

وفي (تاريخ الطبري): ذكر علي بن سليمان ان أباه حدثه قال: حضرت المهدي وهو ينظر في المظالم، اذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدي بن سلم بن حرب، فقال له: من أنت؟ قال: ابن عمك. قال: أي: ابن عـمي أنت؟ فانتسب الى زياد، فقال له المهدي: يا ابن سمية الزانية متى كنت ابـن عـمي، وغضب وامر به، فوجئ في عنقه وأُخرج ـالى أن قال: فأمر المهدي بالكتاب الى هارون ـوالي البصرة من قبله ـأن يخرج آل زياد من قريش وديوانـهم والعرب.

الى أن قال: ثم ان آل زياد بعد ذلك رشوا الديوان حتى ردهـم الى مـا كانوا عليه. الى أن قال بعد ذكر نسخة كتاب المهدي في كون استلحاق معاوية لزياد على خلاف كتاب الله وسنة رسوله: فلما وصل الكتاب الى مـحمد بـن سليمان وقّع بانفاذه، ثم كلّم فيهم، فكف عنهم، وقد كان كتب الى عبدالملك بن أيوب النميري بمثل ما كتب به الى محمد، فلم يـنفذه لمـوضعه مـن قـيس،

---

(١) أساس البلاغة : ٤٥٣، مادة (نزغ).

وكراهته ان يخرج أحد من قومه الى غيرهم[١].

وفي العقد: لما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونصر بن الحجاج عند معاوية في عبدالله بن حجاج مولى خالد أمر معاوية حاجبه أن يؤخر مجلسه حتى يحتفل، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خز أخضر وأمر بحجر فأدني منه وألقى عليه طرف المطرف، ثم اذن لهما وقد احتفل المجلس فقال نصر: أخي وابن أبي عهد إلي انّه منه، وقال عبد الرحمن: مولاي وابن عبد أبي وأمته ولد على فراشه. فقال معاوية: خذ هذا الحجر -وكشف عنه- فادفعه الى نصر، وقال: هذا مالك في حكم النبي. فقال نصر: أفلا أجريت هذا الحكم في زياد. قال: ذاك حكم معاوية وهذا حكم النبي صلى الله عليه وآله.

وقال ابن أبي الحديد: قال الحسن البصري: ثلاث كن في معاوية لو لم تكن فيه إلّا واحدة منهن لكانت موبقة: ابتزازه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها، وقتله حجراً ويا ويله من حجر وأصحاب حجر، واستلحاقه زياداً مراغمة لقول النبي صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر[٢].

وقال: روى الشرقي بن القطامي ان سعيد بن أبي سرح -مولى حبيب بن عبد شمس- كان من شيعة علي عليه السلام، فلما قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه، فأتى الحسن عليه السلام مستجيراً به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته، فحبسهم، وأخذ ماله، ونقض داره، فكتب الحسن الى زياد: عمدت الى رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فاذا أتاك كتابي هذا فابن له داره، واردد عليه عياله، وماله وشفعني فيه فقد أجرته.

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٦٣ - ٣٦٦ سنة ١٦٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٩٣.

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان الى الحسن بن فاطمة: أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة، وتأمرني فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته، كتبت الي في فاسق آويته اقامةً منك على سوء الرأي، ورضىً منك بذلك، وأيم الله لا تسبقني به ولو كان بين جلدك ولحمك، وان نلت بعضك غير رفيق بك ولا مرع عليك، وان أحب لحم علي ان آكله للحم الذي أنت منه، فسلمه بجريرته الى من هو أولى به منك، فان عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وان قتلته لم أقتله إلّا لحبه أباك الفاسق.

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السلام تبسم وكتب بذلك الى معاوية وجعل كتاب زياد عطفه ـ وكتب جواب زياد كلمتين لا ثالثة لهما «من الحسن بن فاطمة الى زياد بن سمية، اما بعد فان رسول الله قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر».

فلما قرأ معاوية كتاب زياد الى الحسن عليه السلام ضاقت به الشام، وكتب الى زياد ان الحسن بن علي بعث إلي بكتابك إليه جواباً عن كتاب كتبه اليك في ابن سرح، فأكثرت العجب منك، وعلمت ان لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان والآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما الذي من سمية فما يكون من رأي مثلها، من ذلك كتابك الى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري انك الأولى بالفسق من أبيه، فأما ان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك، فان ذلك لا يضعك لو عقلت، وأما تسلطه عليك بالأمر، فحق لمثل الحسن أن يتسلّط، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك، فحظ دفعته عن نفسك الى من هو أولى به منك، وأما كتابك الى الحسن باسمه واسم امه ولا تنسبه الى أبيه، فان الحسن ويحك من لا يرمي به الرجوان والى أي أُم وكلته

لا أُم لك، أما علمت انها فاطمة بنت رسول الله، فذلك أفخر له لو كنت تعقل، وكتب شعراً من جملته:

أما حسن فابن الذي كان قبله ... اذا سار سار الموت حيث يسير
وهل يلد الرئبال إلّا نظيره ... وذا حسن شبه له ونظير
ولكنه لو يوزن الحلم والحجا ... بأمر لقالوا يذبل وثبير

فإذا ورد عليك كتابي فخل ما في يديك لسعيد، وابن له داره، وأردد عليه ماله ولا تعرض له[١].

وقال: كتبت عائشة الى زياد كتاباً، فلم تدر ما تكتب عنوانه، ان كتبت زياد ابن عبيد أو ابن أبيه أغضبته وان كتبت زياد بن أبي سفيان أثمت، فكتبت من أُم المؤمنين الى ابنها زياد، فلما قرأه ضحك، وقال: لقد لقيت من هذا العنوان نصباً[٢].

قلت: وفي (فتوح البلاذري) ـ في انهار البصرة ومن نسبت إليه ـ قال ابو اليقظان: نسب نهر مرة الى مرة بن ابي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر ـ وكان سرياً ـ سأل عائشة ان تكتب له الى زياد وتبدأ به في عنوان كتابها، فكتبت له وعنونته «الى زياد بن أبي سفيان من عائشة أُم المؤمنين»، فلما رأى زياد أنها قد كاتبته ونسبته الى ابي سفيان سر بذلك وأكرم مرة وألطفه وقال للناس: هذا كتاب أُم المؤمنين إلي في مرة وعرض الكتاب عليهم ليقرأوا عنوانه، ثم اقطعه مائة جريب على نهر الابلة وأمر فحفر لها نهراً فنسب إليه[٣].

«والمتعلق بها كالواغل» قال الجوهري: الواغل في الشراب مثل الوارش

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٩٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٤.

(٣) فتوح البلدان: ٣٥٤.

في الطعام، قال امرؤ القيس:

واليوم فاشرب غير مستحقب ... اثـــماً مـــن الله ولا واغـــل

وقال ابن دريد: الواغل الداخل في القوم وهم يشربون ولم يُدع إليه، كما ان الوارش والراشن الداخل الى القوم وهم يأكلون ولم يدع إليه.

«المدقّع» قال الجوهري: المدفع بالتشديد الفقير والذليل، لأن كلا يدفعه عن نفسه. وقال ابن دريد: الضيف المدفع الذي يتدافعه الحي فيحيله هذا على هذا، ورجل مدقّع اذا دفع عن نسبه.

في (الأغاني): كان الحجاج ينفي آل زياد من آل ابي سفيان ويقول:

آل أبي سفيان سته حمش ... وآل زيــاد رســح خــدل

ومعنى «سته» ضخم الالية ومقابلها «الرسح»، و«الحمش» دقة الساق ومقابله «الخدل»، والمراد أن السفيانيين ذوو أستاه عظيمة، وأسوق دقيقة، والزياديين بالعكس.

وفي (أنساب البلاذري) قال عقيبة الأسدي:

نـــجار فـــهر مـــبين فـــي تـــوسُّمِهم ... لكـــن نـــجار زيـــاد غـــير مـــعروف

لســـتم قـــريشاً ولكـــن أنـــتم نـــبط ... صهبُ اللحى والنَواصي ضهية الليف

فكان ابن زياد يذكر هذا البيت ويقول كذب ابن الفاعلة[1].

«والنوط» قال الجوهري: كل ما علق من شيء فهو نوط، وفي المثل «عاط بغير أنواط» أي: يتناول وليس هناك شيء معلق، وهذا نحو قولهم: «كالحادي وليس له بعير» و «تجشأ لقمان من غير شبع»

(١) انساب الأشراف ٤: ق ٢ ٨٧.

«المذبذب» أي: المتحرك.

لما كتبوا الشهود على حجر كان فيهم «ابن بزيعة»، وهو شداد بن المنذر الذهلي، قال زياد: ألقوا هذا من الشهود، اما لهذا أب ينسب إليه، فقال: ويلي على ابن الزانية، أوليست أمه أعرف من أبيه، والله ما ينسب إلّا الى أُمة سمية.

وأتي زياد بعروة بن أُدية - وهو أول من سل سيفه من الخوارج وكان نجا من النهروان - فسأله عن معاوية، فسبه سبّاً قبيحاً، ثم سأله عن نفسه، فقال: أولك لزنية، وآخرك لدعوة، وأنت بعد عاص لربك، فأمر زياد به فضربت عنقه. ولكن في (أنساب البلاذري): أمر فقطعوا يديه ورجليه ثم امر بصلبه[1].

وفيه : كان عروة هرب فطلبه أشد طلب وجعل فيه جعلاً، فوجد في سرب في دار، فقرأ عبيد الله قصته أنا وجدنا عروة يشرب في دار، فضحك وقال: كذبتم ليته كان يشرب. فقال له بعض من حضر: انما وجد بسرب[2].

في (البلاغات): أتى زياد بامرأة من الخوارج، فلما همّ بقتلها تسترت بثوبها، فقال لها زياد: أتسترين وقد هتك الله سترك، وأهلكك وأهلك قومك. قالت: أي والله أتستر ولكن الله أبدى عورة أُمك على لسانك إذ أقررت بأن أبا سفيان زنى بها.

وأتى عبيد الله بن زياد بامرأة من الخوارج، فقطع رجلاً لها، ثم قطع رجلها الأُخرىٰ وجذبها، فوضعت يدها على فرجها، فقال: لتسترينه. فقالت: لكن سمية أُمك لم تكن تستره.

---

(١) أنساب الأشراف ٤: ق ٢ ٨٨ و ٨٩.

(٢) أنساب الأشراف ٤: ق ٢ ٨٧.

وفي (شعراء ابن قتيبة): لما هجا ابن مفرغ عباد بن زياد أخذه عبيد الله بن زياد، وسقاه الزبد في النبيذ، وحمله على بعير، وقرن به خنزيره، وأمشاه بطنه مشياً شديداً، فكان يسيل ما يخرج منه على الخنزيرة فتصيء، فكلما صاءت قال ابن مفرغ:

ضجَّت سمية لما مسَّها القرن لا تجزعي انَّ شرَّ الشيمة الجزع

فطيف به في أزقة البصرة وجعل الناس يقولون له: اين چيست؟ أي: ما هذا؟

وهو يقول:

ايـن است نـبيد است سميه رو سفيد است

فلما ألح عليه ما يخرج قيل لعبيد الله انه يموت، فأمر به فانزل واغتسل، فلما خرج من الماء قال:

يغسل الماء ما فعلت وقولي راسخ منك في العظام البوالي

وفي (العقد): قال زياد ما هجيت ببيت أشد عليَّ من قول الشاعر:

فكِّـرْ فـفي ذاك ان فكّرتَ معتبر هـل نـلتَ مكـرمةً إلّا بـتأمير

عاشت سمية ما عاشت وما علمت ان ابنها من قريش في الجماهير

وفي (الاستيعاب) في زياد: دخل بنو أُمية على معاوية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم أيام استلحق زياداً، فقال له عبد الرحمن: يا معاوية لو لم تجد إلّا الزنج لاستكثرت بهم علينا - يعني على بني أبي العاص - قلّة وذلّة. فقال معاوية لأخيه مروان: أخرج عنّا هذا الخليع، ألم يبلغني شعره فيّ وفي زياد:

ألا أبلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بما تأتي اليدان

أتغضب ان يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زان

فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

وقال لمروان: لا أرضى عنه حتى يأتي زياداً فيترضى عنه، فأتاه وأنشده:

اليك أبا المغيرة تبت مما ... جرى بالشام من جور اللسان
زياد من أبي سفيان غصن ... تهادى ناضراً بين الجنان
أراك أخاً وعمّاً وابن عمٍّ ... فما أدري بعيني من تراني
وأنت زياد في آل حرب ... أحبُّ إلي من وسطى بناني

فكتب له رضىً، فأخذه وذهب به الى معاوية، فلما قرأه قال: قبح الله زياداً ألم يتنبه له إذ قال:

وأنت زياد في آل حرب[1]

والى قول عبد الرحمن ينظر من قال في ابن أبي دؤاد كما في (تاريخ بغداد):

الى كم تجعل الاعراب طراً ... ذوي الارحام منك بكلِّ واد
تضم على لصوصهم جَناحاً ... لتثبت دعوةً لك في أياد
فأقسم ان رحمك في أيادٍ ... كرحم بني امية من زياد

أي: في كونه كرحم الفيل من ولد الاتان.

وفي (تاريخ الطبري) بعد ذكر أمر عبيد الله بن زياد بقتل مسلم قال مسلم لعبيد الله: أما والله يا ابن زياد لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتني[2].

وفيه في دخول أهل بيت الحسين عليه السلام مجلس يزيد قال ابو مخنف: ثم دعا يزيد بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة فقال: قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل

---

(١) الاستيعاب ١: ٥٧٠ و ٥٧٣ و ٥٧٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٣ سنة ٦٠.

هذا بكم ولا بعث بكم هكذا[١].

وفي (الوفيات): خرج المأمون يوماً من باب البستان ببغداد، فصاح به رجل بصري اني تزوجت بامرأة من آل زياد وان أبا الرازي فرّق بيننا وقال: هي امرأة من قريش. فكتب إليه: بلغني ما كان من الزيادية وخلعك اياها إذ كانت من قريش، فمتى تحاكمت اليك العرب في أنسابها، ومتى وكلتك قريش يا ابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها، فخل بين الرجل وامرأته، فلئن كان زياد من قريش انه لابن سمية بغي عاهرة لا يفتخر بقرابتها، ولا يتطاول بولادتها، ولئن كان ابن عبيد لقد باء بأمر عظيم إذ ادعي الى غير أبيه بحظ تعجله، وملك قهره.

(فلما قرأ زياد الكتاب) هكذا في (المصرية وابن ميثم)، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) (كتابه)[٢].

قول المصنّف: (قوله عليه السلام الواغل) هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن ميثم والخطية): «قوله كالواغل المدفّع الواغل» وفي (ابن أبي الحديد) «الواغل»[٣].

(هو الذي يهجم على الشرب) بالفتح جمع شارب، كصحب جمع صاحب (ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعاً محاجزاً).

وفي (تاريخ الطبري) أقبل مالك وعقيل - وهما اللذان صارا نديمي جذيمة يريدانه من الشام، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ومعهما قينة لهما يقال لها أُم عمرو، فقدمت اليهما طعاماً، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٣ سنة ٦١.

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٥: ٩٦، ولفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٧ مثل المصرية.

(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٩٨.

عريان شاحب قد تلبد شعره، وطالت أظفاره، وساءت حاله - وهو عمرو بن عدي ابن أُخت جذيمة الذي استطارته الجن، فضرب له جذيمة في الآفاق لا يقدر عليه - فجاء حتى جلس ناحية منهما، فمد يده يريد الطعام، فناولته القينة كراعاً، فأكلها، ثم مد يده اليها، فقالت تعطي العبد الكراع فيطمع في الذراع - فذهبت مثلاً - ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها وأوكت زقها، فقال عمرو بن عدي:

صددت الكأس عنّا أُم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أُم عمرو بصاحبك الذي لا تُصبحينا

فسأله مالك وعقيل من أنت؟ فعرّف نفسه، فقالا: ما كنا لنهدي لجذيمة هدية أنفس منه - الخ[1].

(والنوط المذبذب هو ما يناط) أي: يعلق (برحل الراكب من قعب). قال الجوهري: القعب قدح من خشب مقعر - الخ. وفي المثل: «أتاك ريان بقعب من لبن»[2].

(أو قدح) قال الجوهري: واحد الأقداح التي للشرب (أو ما أشبه ذلك) من الأمتعة.

(فهو أبداً يتقلقل اذا حث طهره واستعجل سيره) والمراد حال العدو وشبهه، قال حسان:

وأنت دعيٌّ نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ويقال للدعي العربي من القوارير وابن الزئبق والملصق، قال بشار في عمرو الباهلي:

---

(١) تاريخ الطبري ١: ٤٤٢.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٤٢ والزمخشري في المستقصى ١: ٣٧.

أرفق بعمرو اذا حركت نسبته فــانه عــربي مــن قــواريــر

وقال آخر:

وتنقل مـن والد الى والد فكان أُمك أو أباك الزئبق

وقال أبو فراس:

أيــها المــدعي سـليماً سـفاهاً لست مــنها ولا قــلامة ظــفر

انــما أنت مــلصق مــثل واو ألصقت في الهجاء ظلماً بعمرو

٨
الكتاب (٤٣)

ومن كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني -وهو عامله على أردشير خرّة -:

بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ، أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ، يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ.

أقول: رواه اليعقوبي مع جوابه، ففي (تاريخه): كتب علي عليه السلام الى مصقلة -وبلغه أنه يفرق ويهب أموال اردشير خره وكان عليها -أما بعد، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدقه، انك تقسم فئ المسلمين في قومك، ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء، كما تقسم الجوز، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً، فإن وجدته حقاً لتجدن

بنفسك عليّ هواناً، فلا تكوننّ من الخاسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

فكتب مصقلة إليه عليه السلام: أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين، فليسأل ان كان حقّاً فليعجل عزلي بعد نكالي، وكل مملوك لي حر، وعلي أيام ربيعة ومضر ان كنت رزأت من عملي ديناراً ولا درهماً ولا غيرهما منذ وليته الى أن ورد علي كتاب أمير المؤمنين، ولتعلمن أن العزل أهون علي من التهمة. فلما قرأ كتابه قال: ما أظن أبا الفضل إلّا صادقاً[1].

ونقل عن (تاريخ ابن واضح) روايته ورواه (أنساب اشراف البلاذري) في عنوان القول في ما كتبه عليه السلام الى ولاته[2].

ومر في فصل اخباره عليه السلام بالغيب قوله في مصقلة ـ لما كان اشترى سبي بني ناجية من عامله وأعتقهم ولم يؤد الثمن وهرب الى معاوية ـ قبّح الله مصقلة، فعل فعل السادة، وفر فرار العبيد ـ الخ[3].

قول المصنّف: (الى مصقلة) قال البلاذري: ولّى معاوية مصقلة طبرستان، فأخذوا عليه المضائق، فهلك مع جيشه، فضرب به المثل فقالوا: حتى يرجع مصقلة من طبرستان[4].

(وهو عامله في أردشير خرّه) قال الحموي: أردشير خرّه اسم مركب معناه بهاء اردشير، وهي من أجل كور فارس، ومنها مدينة شيراز[5].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠١.

(٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ٢: ١٦٠، واما تاريخ ابن واضح فهو نفس كتاب تاريخ اليعقوبي.

(٣) مر في العنوان ١٠ في فصل أخباره (ع) بالملاحم وهو الفصل التاسع.

(٤) فتوح البلدان: ٣٣٠.

(٥) معجم البلدان ١: ١٤٦.

وفي (أنساب البلاذري): وكان على أردشير خرّه من قبل ابن عباس[١].

قوله عليه السلام «**بلغني عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت الهك وأغضبت امامك**» ﴿ان الله لا يحبُّ الخائنين﴾[٢] ﴿وان الله لا يهدي كيد الخائنين﴾[٣] ﴿ان الله لا يحب كلّ خوّان كفور﴾[٤] ﴿ان الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً﴾[٥] ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾[٦]، والبلاذري بدل «فقد اسخطت الهك وأغضبت امامك». «فقد أتيت شيئاً اداً»[٧].

«**انك**» ليس في نسخة ابن ميثم[٨] «**تقسم فيء المسلمين**» قال الجوهري: الفيء: الخراج والغنيمة «**الذي حازته**» قال الجوهري: من ضم الى نفسه شيئاً فقد حازه «**رماحهم وخيولهم**» أي: حازوه بهما «**وأُريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك**» هكذا في (المصرية)، ولكن في ثم «اعتماك»، ونسبه ابن أبي الحديد الى رواية[٩]، والمعنى واحد. قال الجوهري: واعتميت الشيء اخترته، وهو قلب الاعتيام.

«**من أعراب قومك**» وفي (أنساب البلاذري) بدله «من أعراب بكر بن وائل»[١٠].

---

(١) انساب الاشراف ٢ : ١٦٠ .

(٢) الانفال: ٥٨ .

(٣) يوسف: ٥٢ .

(٤) الحج : ٣٨ .

(٥) النساء: ١٠٧ .

(٦) النساء: ١٠٥ .

(٧) انساب الأشراف ٢: ١٦٠.

(٨) توجد في نسختنا من شرح ابن ميثم ٥: ٩٤.

(٩) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٩٤ مثل المصرية.

(١٠) انساب الأشراف ٢: ١٦٠.

وفي (المروج) : استبد سعيد بن العاص لما كان والياً على الكوفة من قبل عثمان بالأموال وقال بعض الايام ـ وكتب به الى عثمان ـ انما هذا السواد فطير لقريش، فقال له الاشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك[1].

«فوالذي فلق الحبة» وفي بعض الأدعية «يا فالق الحب والنوى»[2].

«وبرأ» أي: خلق «النسمة» أي: الإنسان، وزاد البلاذري: ﴿وأحاطَ بكلِّ شيء علما﴾[3].

«لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك» هكذا في (المصرية وابن ميثم)، ونقله ابن أبي الحديد: «لك» ونسب «بك» الى رواية[4].

«علي هواناً ولتخفن عندي ميزاناً» وفي (عيون ابن قتيبة): كان زياد اذا ولّى رجلاً قال له: خذ عهدك وسر الى عملك، واعلم انك مصروف الى رأس سنتك، وانك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك: انا ان وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا أمانتك، وان وجدناك خائناً قوياً استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك، فأوجعنا ظهرك وأثقلنا غرمك، وان جمعت علينا الحرمين جمعنا عليك المضرين، وان وجدناك أميناً قوياً رددناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك.

«فلا تستهن» أي: لا تستخف «بحق ربك» فلا حق فوق حقه «ولا تصلح دنياك بمحق» أي: محو «دينك» فتكون كمن محا نفيساً بخسيس «فتكون من الأخسرين أعمالاً» ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٧.

(٢) رواه ابن الأثير في النهاية ٣: ٤٧١، مادة (فلق).

(٣) انساب الأشراف ٢: ١٦٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٧٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٩٤.

تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾[١].

وفي رواية اليعقوبي والبلاذري زيادة ﴿الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انَّهم يحسنون صنعاً﴾[٢] ﴿قل هل نُنبئكم بالأخسرينَ أعمالاً* الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انَّهم يحسنون صنعاً﴾[٣].

«ألا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء» فيه اشارة الى كون عمل عمر في تفضيل الأشراف على خلاف الشريعة (يردون عندي عليه ويصدرون عليه) ولا يمكن تبديله وتغييره.

٩
الكتاب (٤٠)

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ، إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخطتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَني أَنَّكَ جَرَّدْتَ ٱلْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ ٱللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ.

أقول: جعله عقد ابن عبد ربه كتابه عليه السلام الى ابن عباس فيما اشتهر عنه من الخيانة لما كان في البصرة، وجعل ما ننقله بعد في العنوان الآتي كتابه عليه السلام إليه بعد رحلته من البصرة الى مكة. فقال: روى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد ان ابن عباس مر على أبي

---

(١) البقرة: ١٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٢، وانساب الأشراف ٢: ١٦١.

(٣) الكهف: ١٠٣ و ١٠٤.

الأسود فقال له: لو كنت من البهائم كنت جملاً ولو كنت راعياً ما بلغت. فكتب أبو الأسود الى علي عليه السلام: ان الله جعلك والياً ومؤتمناً وراعياً مسئولاً، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للأُمة توفر لهم فيأهم وتكفّ نفسك عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي بشيء في أحكامهم، وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك.

قال: فكتب عليه السلام إليه: أما بعد فمثلك نصح الإمام والأُمة ووالى على الحق وفارق الجور، وقد كتبت لصاحبك بما كتبت إلي فيه ولم أعلمه بكتابك الي، فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأُمة صلاح، فانك بذلك جدير وهو حق واجب لله عليك.

وكتب عليه السلام الى ابن عباس: اما بعد، فقد بلغني عنك أمران كنت فعلته فقد أسخطت الله وأخزيت امانتك وعصيت امامك وخنت المسلمين، بلغني انك خربت الأرض وأكلت ما تحت يدك، فارفع الي حسابك واعلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس.

وفي (أنساب البلاذري): قالوا واستعمل علي عليه السلام عبد الله بن عباس على البصرة، واستعمل أبا الأسود على بيت مالها، فمر ابن عباس بأبي الأسود الخ مثله[1].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عمّاله) قد عرفت من (مستنده) أن المراد به ابن عباس كالعنوان الآتي، الا ان الكلام في صحته، ولعله لذا أجمله المصنف مع انك عرفت في أوّل الكتاب ان ابن ميثم لم ينقله رأساً.

قوله عليه السلام «أما بعد فقد بلغني» بكتابة أبي الأسود، ولم يذكره عليه السلام لئلا

---

(١) انساب الأشراف ٢: ١٦٩.

يوجب تشديد العداوة بينهما.

«عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك»

في (عيون ابن قتيبة): دخل مالك بن دينار على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة، فقال له: اني قرأت في بعض الكتب عن الله تعالىٰ: أيا راعي السوء دفعت اليك غنماً سماناً سحاحاً، فأكلت اللحم، وشربت اللبن، وائتدمت بالسمن، ولبست الصوف، وتركتها عظاماً تتقعقع.

وفيه أيضاً: في كتاب ابرويز الى ابنه: اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فاذا لم يطمع منك في الصغير لم يجترئ عليك في الكبير.

وفيه أيضاً: قال أبرويز لصاحب بيت ماله: اني لا احتملك على خيانة درهم، ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك انما تحقن بذلك دمك، وتعمّر به أمانتك، فانك ان خنت قليلاً خنت كثيراً، واحترس من الخصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي.

«بلغني أنك جردت الأرض» أي: أكلتها كالجراد تأكل نبت الأرض من جردت الجراد الأرض، وبه سمي الجراد.

«فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك» لا يخفى لطف الكلام.

وفي (العيون): ذكر اعرابي رجلاً خائناً فقال: ان الناس يأكلون أماناتهم لقماً، وان فلاناً يحسوها حسواً.

وولّى حارثة بن بدر، فسرق، فكتب إليه أنس الدؤلي:

أحار بن بدر قد وليت ولاية فكن جرذاً فيها تخون وتسرق

وقدم بعض عمّال السلاطين من عمل، فدعا قوماً فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال تعالىٰ: ﴿سمّاعون

للكذب أكّالون للسُّحت﴾[1].

«فارفع الي حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس» وفي (العيون): قدم معاذ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من اليمن على أبي بكر فقال له: ارفع حسابك. فقال: احسابان حساب من الله وحساب منكم، لا ألي لكم عملاً أبداً.

١٠

الكتاب (٤١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ في أَمَانَتي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتي، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِن أهلي أَوْثَقَ مِنْكَ في نَفْسي لِمُواسَاتي وَمُوَازَرَتي وَأَداءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، وَهَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فُتِكَتْ وَشَغَرَتْ، قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ في خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ ـ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثاً مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَسُبْحَانَ اللهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوَمَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ!

---

(١) المائدة: ٤٢.

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذُوي الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ! فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمْ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا.

وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْدًا، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعِ فِيهِ الرَّجْعَةَ، «وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ!».

أقول: هذا الكتاب على فرض صحة نسبته إليه عليه السلام جمع من المصنف بين كتابين منه عليه السلام الى ابن عباس لما لحق بالحجاز على ما يظهر من خبري (عقد ابن ربه) و(رجال الكشي) و(تذكرة سبط ابن الجوزي).

ففي الأول: قال سليمان بن أبي راشد عن عبدالله بن عبيد عن أبي الكنود قال: كنت من أعوان عبدالله بالبصرة، فلما كان من أمره ما كان أتيت علياً عليه السلام فأخبرته، فقال ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾[1] ثم كتب معي إليه: أما بعد فاني كنت أشركتك

(١) الاعراف: ١٧٥.

في أمانتي ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثق عندي منك بمواساتي ومؤازرتي بأداء الامانة، فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرد وأمانة الناس قد خربت وهذه الأُمة قد فتنت، قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوء خذلان وخنته مع من خان، فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة إليه أديت، كأنك لم تكن على بينة من ربك، وانما كنت خدعت أُمة محمد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم، فلما أمكنتك الفرصة في خيانة الأُمة أسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة، فاختطفت ما قدرت عليه من أموالهم وانفلت بها الى الحجاز، كأنك انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأُمك، سبحان الله أو ما تؤمن بالمعاد، أما تخاف الحساب، أما تعلم انك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتشتري الاماء وتنكحهن بأموال اليتامى والأرامل والمجاهدين في سبيل الله التي أفاء الله عليهم، فاتق الله وأد الى القوم أموالهم، فانك ان لم تفعل وأمكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك، فوالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولما تركتهما حتى آخذ الحق منهما. والسلام.

فكتب إليه ابن عباس: فقد بلغني كتابك تعظّم عليَّ أمانة المال الذي أصبت من بيت مال البصرة، ولعمري ان حقي في بيت مال الله أكثر من الذي أخذت.

فكتب إليه علي عليه السلام: أما بعد فان العجب كل العجب منك اذ ترى لنفسك في بيت مال الله أكثر مما لرجل من المسلمين، قد أفلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاءك ما لا يكون ينجيك من الاثم ويحل لك ما حرم الله عليك عمرك انك لأنت البعيد، قد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً تشتري المولدات من المدينة والطائف تختارهن على عينك وتعطي بها مال غيرك،

واني أقسم بالله ربي وربك ربّ العزة ما أحب أن ما أخذت من أموالهم لي حلالاً أدعه ميراثاً لعقبى فما بال اغتباطك به تأكله حراماً، ضح رويداً فكأنك قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي فيه المغتر بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة.

فكتب إليه ابن عباس: والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنه الى معاوية يقاتلك به.

فكفّ عنه علي عليه السلام.

وفي الثاني: ذكر شيخ من أهل اليمامة عن معلى بن هلال عن الشعبي قال: لما احتمل عبدالله بن عباس بيت مال البصرة وذهب به الى الحجاز كتب إليه علي عليه السلام: أما بعد فاني كنت أشركتك في أمانتي، ولم يكن أحد من أهل بيتي في نفسي أوثق منك لمواساتي ومؤازرتي واداء الامانة الي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو عليه قد حرب، وأمانة الناس قد عزت، وهذه الأُمور قد فشت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، وفارقته مع المفارقين، وخذلته أسوأ خذلان الخاذلين، فكأنك لم تكن تريد الله بجهادك، وكأنك لم تكن على بيّنة من ربك، وكأنك انما كنت تكيد أُمة محمد على دنياهم وتنوي غرتهم، فلما أمكنتك الشدة في خيانة أُمة محمد أسرعت الوثبة وعجلت العدوة، فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الازل رمية المعزى الكثير، كأنك لا أباً لك جررت الى أهلك تراثك من أبيك وأُمك، سبحان الله، أو ما تؤمن بالمعاد، أو ما تخاف سوء الحساب، أو ما يكبر عليك أن تشتري الاماء وتنكح النساء بأموال الأرامل والمهاجرين الذين أفاء الله عليهم هذه البلاد؟ أردد الى القوم أموالهم، فوالله لئن لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن الله فيك، فوالله لو أن حسناً وحسيناً فعلا مثل الذي فعلت لما كان لهما عندي في ذلك هوادة ولا

لواحد منهما عندي رخصة، حتى آخذ الحق وازيح الجور عن مظلومها.

فكتب إليه ابن عباس: أتاني كتابك تعظم عليّ اصابة المال الذي أخذته من بيت مال البصرة، ولعمري ان لي في بيت مال الله أكثر مما أخذت.

فكتب إليه علي عليه السلام : أما بعد فالعجب كلّ العجب من تزيين نفسك أن لك في بيت مال الله أكثر مما أخذت، وأكثر مما لرجل من المسلمين. فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادعاؤك مالا يكون ينجيك من الاثم، ويحل لك ما حرم الله عليك ـ عمرك الله ـ انك لأنت العبد المهتدي اذن! فقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً، تشتري مولدات مكة والطائف، تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك، واني لأُقسم بالله ربي وربك ربّ العزة ما يسرني أن ما أخذت من أموالهم لي حلال أدعه لعقبى ميراثاً، فلا غرور أشدّ من اغتباطك تأكله. رويداً رويداً، فكأن قد بلغت المدى وعرضت على ربك في المحل الذي يتمنىٰ (فيه المجرم) الرجعة والمضيع التوبة، كذلك وما ذلك ولات حين مناص.

فكتب إليه ابن عباس: فقد أكثرت علي، فوالله لئن ألقى الله بجميع ما في الأرض من ذهبها وعقيانها أحب اليَّ من أن ألقى الله بدم رجل مسلم(١).

وفي الثالث: ولما مضى ابن عباس الى مكة كتب عليه السلام إليه: اما بعد فاني أشركتك في أمانتي، ولم يكن أحد من أهل بيتي أوثق في نفسي منك لمؤازرتي وأداء الامانة الي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد حرب، والعدو قد كلب، وأمانة الناس قد خربت، والأُمة قد افتتنت، قلبت لابن عمك ظهر المجن بمفارقته مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من مال الأُمة اختطاف الذئب فاردة المعزى، أما توقن بالمعاد ولا تخاف ربّ

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٦٠ ح ١١٠.

العباد، أما يكبر عليك انك تأكل الحرام وتنكح الحرام وتشتري الاماء بأموال الأرامل والايتام، أردد الى المسلمين أموالهم، ووالله لئن لم تفعل لاعذرن الله فيك، فان الحسن والحسين لو فعلا ما فعلت لما كان لهما عندي هوادة.

فكتب إليه ابن عباس: حقي في بيت المال أكثر مما أخذت منه.

فكتب إليه علي عليه السلام العجب العجب من تزيين نفسك لك أنك أخذت أقلّ مما لك، وهل أنت إلّا رجل من المسلمين، وقد علمت بسوابق أهل بدر وما كانوا يأخذون غير ما فرض لهم، وكفى بك أنك اتخذت مكة وطناً وضربت بها عطناً، تشتري من مولدات الطائف ومكة والمدينة ما تقع عليه عينك وتميل إليه نفسك، تعطي فيهن مال غيرك، واني أقسم بالله ما احب أن ما أخذت من أموالهم حلالاً أدعه بعدي ميراثاً، فكانّ قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك غداً بالمحل الأعلىٰ الذي يتمنىٰ فيه المضيّع التوبة والخلاص ولات حين مناص.

فكتب إليه ابن عباس: لأن ألقى الله بكل ما على ظهر الأرض وبطنها أحب اليّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم.

فكتب إليه علي عليه السلام: ان الدماء التي أشرت اليها قد خضتها الى ساقيك، وبذلت في اراقتها جهدك، ووضعت باباحتها حظّك، وتقشعت عنها فتياك، واذ لم تستحي فافعل ما شئت[1].

ونقله القتيبي في عيونه مرفوعاً في باب خيانات العمال، فقال: ووجدت في كتاب لعلي عليه السلام الى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ: اني اشركتك في أمانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب، قلبت لابن عمك ظهر المجن

(١) تذكرة الخواص: ١٥١ و ١٥٢.

بفراقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من أموال الأُمة اختطاف الذئب الازل دامية المعزى.

قال: وفي الكتاب: وضح رويداً فكأن قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادي المغتر بالحسرة ويتمنى المضيع التوبة والظالم الرجعة.

وفي (أنساب البلاذري): قالوا لما قدم ابن عباس مكة ابتاع من جبيرة مولى بني كعب من خزاعة ثلاث مولدات: حورا وفوزوشادن بثلاثة آلاف دينار، فكتب إليه علي بن أبي طالب: أما بعد فاني كنت اشركتك ـ الخ[1] ـ.

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله) قال ابن أبي الحديد اختلفوا في المكتوب إليه: فقال الأكثر انه ابن عباس، ورووا في ذلك روايات واستدلوا بألفاظ من الكتاب، كقوله: «اشركتك في أمانتي، وجعلتك بطانتي وشعاري، وانه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك» وقوله: «رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب» وهذه كلمة لا تقال إلّا لمثله، فأما غيره من افناء الناس فان عليّاً كان يقول له: «لا أباً لك» وقوله: «أيها المعدود عندنا من أُولي الألباب» وقوله: «لو أن الحسن والحسين» فهذا يدل على ان المكتوب إليه قريب ان يجري مجراهما.

وقد روى أرباب هذا القول ان ابن عباس كتب إليه جواب هذا الكتاب: فقد أتاني كتابك تعظّم عليّ ما أصبت ـ الى أن قال ـ كتب عليه السلام فقد أفلحت أن كان تمنيك الباطل وادعاك ما لا يكون ينجيك من المأثم، ويحل لك المحرم، انك لأنت المهتدي السعيد اذن ـ الى أن قال ـ وأخرج الى المسلمين من أموالهم، فعما قليل تفارق من ألفت، وتترك ما جمعت، وتغيب في صدع من الأرض غير

---

(١) انساب الأشراف ٢: ١٧٤.

موسّد ولا ممهد، قد فارقت الأحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، غنياً عمّا خلقت، فقيراً الى ما قدمت.

وقال الآخرون: هذا لم يكن، ولا فارق عبدالله علياً عليه السلام ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة الى أن قتل علي، قالوا: ويدل على ذلك ما رواه ابو الفرج الاصبهاني من كتابه الذي كتبه الى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام وقد ذكرناه قبل، قالوا وكيف يكون ذلك ولم يختدعه معاوية ولم يجره الى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عماله عليه السلام واستمالهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا عليّاً، فما بال معاوية وقد علم النَبْوة التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس ولا اجتذبه الى نفسه، وكلّ من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام فيما كان يلقاه من قوارع الكلام وشديده، وما كان يثني به عليه عليه السلام، ويذكر خصائله وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال بالضد.

قال: وقد أشكل عليَّ أمر هذا الكتاب، فان أنا كذبت النقل وقلت هذا كلام موضوع عليه عليه السلام خالفت الرواة، فانهم قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في أكثر كتب السير، وان صرفته الى عبدالله صدني عنه ما أعلم من ملازمته لطاعته عليه السلام في حياته، وان صرفته الى غيره لم أعلم الى من أصرفه، فانا في هذا الموضع من المتوقفين[1].

قلت: المصنّف أيضاً كأنه توقف حيث قال هنا: وفي كتاب قبله قد ذكرناه في العنوان السابق «ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله» ولم يقل «الى ابن عباس»، مع انّه رأى ان من نقل الكتابين عيّنهما في عبدالله.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٩ ـ ١٧٢ .

كما أن ظاهر ابي زيد التوقف، ففي (تاريخ الطبري): قال ابو زيد: زعم أبو عبيدة ان ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قتل علي عليه السلام، فشخص الى الحسن، فشهد الصلح بينه وبين معاوية. قال أبو زيد: ذكرت ذلك لأبي الحسن فأنكره، وزعم ان علياً قُتِل وابن عباس بمكة، وان الذي شهد الصلح عبيدالله[1]، فتراه اقتصر على نقل قول ابي عبيدة وأبي الحسن، ولم يفت بشيء وجعل قول كلّ منهما زعماً.

وكيف كان فيقال في جواب ابن أبي الحديد انّه قاعدة عقلية اذا تعارض العقل والنقل يقدم العقل، فإذا كان معلوماً ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، واستمالة معاوية مع انتهازه الفرصة في مثل ذلك، نقطع بأن النقل باطل، وقد ابطل النقل بما قلنا عمرو بن عبيد أيضاً.

ففي (غرر المرتضى) قال أبو عبيدة: دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي العباسي، فقال له سليمان: أخبرني عن قول علي في ابن عباس:

يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة

فقال له عمرو: كيف يقول علي هذا وابن عباس لم يفارق علياً عليه السلام حتى قتل وشهد صلح الحسن، وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه السلام الى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة كل خميس ويرشه، وقالوا انّه كان يقيل فيه، فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة، وهذا باطل[2].

ومن أين اتفق النقل عليه، فقد عرفت في سابقه ان الأصل فيه رواية أبي مخنف عن جمع، مع انّه روى أيضاً كونه بالبصرة لما قتل عليه السلام، ولحوقه بالحسن بالكوفة، ففي المقاتل: لما خطب الحسن عليه السلام في صبيحة وفاة أبيه

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٩ سنة ٤٠.

(٢) أمالي الشريف المرتضى وهو كتاب الغرر ٢: ١٢٣ المجلس ١٢ .

قال أبو مخنف عن رجاله: قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس الى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه الينا وأحقه بالخلافة فبايعوه، ثم نزل عن المنبر، ودس معاوية رجلاً من حمير الى الكوفة ورجلاً من بني القين الى البصرة يكتبان إليه بالأخبار.

الى أن قال: وكتب عبدالله بن العباس من البصرة الى معاوية: أما بعد فانك ودسك أخا بني قين الى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت من يمانيتك لكما قال أُمية بن اشكر:

لعمرك اني والخزاعي طارقا كنعجة غار حفرها تتحفر
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تنحر
شمت بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أعسر

فأجابه معاوية: اما بعد فان الحسن بن علي قد كتب الي بنحو ما كتبت ـ الخ[1].

وأما رواية الكشي للكتاب بسند آخر عرفته فنسخة كتابه مصحفة مختلطة سنداً ومتناً بحيث لا يوجب الاعتماد على ما تفرد به كما برهنا عليه في الرجال كخبر آخر رواه، فقال روى علي بن يزداد الصائغ الجرجاني عن عبد العزيز بن محمد بن عبد الأعلى الجزري عن خلف المخزومي البغدادي عن سفيان بن سعيد عن الزهري عن الحرث: استعمل علي عليه السلام على البصرة عبدالله بن العباس، فحمل كلّ ما في بيت مال البصرة ولحق بمكة وترك علياً، وكان مبلغه ألفي ألف درهم، فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى وقال: هذا ابن عم النبي في علمه وقدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن من كان

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٣ و ٣٤.

دونه، اللّهم اني قد مللتهم واقبضني اليك غير عاجز ولا ملول[١] ـ مضافاً الى مجهولية رواته.

وأما ما في نسخنا من مقاتل ابي الفرج في ترك عبيد الله بن العباس عسكر الحسن عليه السلام ولحوقه بمعاوية، خطبهم قيس بن سعد بن عبادة فقال: ان هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير ـ الى أن قال ـ وأن أخاه ولّاه علي عليه السلام على البصرة، فسرق مال الله ومال المسلمين، فاشترى به الجواري وزعم ان ذلك له حلال الخ[٢]. فالظاهر كونه من تصرف المحشين أخذاً من تلك الأخبار المتقدمة، فخلط بالمتن، بدليل ان ابن أبي الحديد نقل عند عنوان النهج «ومن وصيته للحسن» جميع كلام ابي الفرج وليس فيه أثر من ذلك، بل اقتصر على أن قيساً خطبهم، فثبتهم وذكر عبيدالله، فنال منه ثم أمرهم بالصبر[٣] ـ ولم يذكر ذلك في تاريخ آخر.

مع ان اليعقوبي روى ان ابن عباس تصرف مقداراً من بيت المال، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام برده فرده، وهذا لفظه: وكتب أبو الأسود ـ وكان خليفة ابن عباس بالبصرة ـ الى علي عليه السلام يعلمه أن عبدالله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يأمره بردها، فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردنها، فلما ردها أورد أكثرها كتب عليه السلام إليه: أما بعد، فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت[٤].

ومثله نقل سبط ابن الجوزي عن السدي وأبي اراكة، فروى مسنداً عن

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٦٠ ح١٠٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد١٦: ٤٢، وقد لخّص كلام ابي الفرج.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٥.

المأمون عن آبائه عن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله كانتفاعي بكلام كتب أمير المؤمنين به الي، كتب: سلام عليك، أما بعد فان المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته ـ الى أن قال ـ وقد روى السدي هذا عن أشياخه وقال عقيبة: كأن الشيطان قد نزغ بين ابن عباس وبين علي عليه السلام مدة ثم عاد الى موالاته ـ وسببه ان أمير المؤمنين ولى ابن عباس البصرة ـ الى أن قال بعد ذكر الكتب المذكورة ـ ثم ندم ابن عباس واعتذر الى علي عليه السلام وقبل عذره، وقيل انه عاد الى الكوفة[1].

ورواه أعثم الكوفي في (تاريخه) بطريق آخر، فقال: ما معناه ان علياً عليه السلام ولى ابن عباس لما كان من قبله على البصرة الموسم، فطلب ابن عباس زياداً وأبا الأسود وقال لهما: استخلفكما على البصرة حتى أرجع ـ وجعل أبا الأسود على الصلاة بالناس وزياداً على الخراج، فوقع بينهما بعد خروج ابن عباس تنافر، فهجا أبو الأسود زياداً، فلما رجع ابن عباس شكاه زياد وقرأ عليه أهاجيه فيه، فغضب ابن عباس وسب أبا الأسود، فاحتال أبو الأسود، فكتب إليه عليه السلام ان ابن عمك خان في بيت المال، فكتب عليه السلام الى ابن عباس: بلغني عنك أمور الله أعلم بها وهي غير منتظرة منك، فاكتب الي بمقدار بيت المال. فأجابه ان ذلك باطل، واني أعلم من كتب اليك ولا أتصدى بعد ذلك لعمل ـ واعتزل في بيته ـ فكتب عليه السلام إليه: لا تكن واجداً مما كتبت اليك، فان ذلك كان من اعتمادي عليك، وتبين لي ان ما كتبوا إلي فيك باطل، فارجع الى عملك. فلما وصل الكتاب الى ابن عباس سر واشتغل بعمله[2].

وقد عرفت انكار عمرو بن عبيد لذلك بكونه خلاف الدراية وبطلان خبر

---

(١) تذكرة الخواص: ١٥٠.

(٢)

رووا انّه عليه السلام قال: «يفتينا في القملة والنملة، وطار بأموالنا في ليلة»، ثم كيف يقول عليه السلام: «يفتينا»، فهل كان ابن عباس يفتيه عليه السلام، وكيف يقول: «وطار بأموالنا»، فان تلك الأموال كانت من بيت المال لا ماله.

وقد أنكره ابو عبيدة، ففي (تاريخ الطبري) قال أبو عبيدة: ان ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قتل علي عليه السلام، فشخص الى الحسن عليه السلام، فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع الى البصرة وثقله بها، فحمله ومالا من بيت المال قليلاً وقال هي أرزاقي[1].

وبالجملة النقل فيه مختلف ومتعارض، وخبر الخصم خلاف العقل والدراية، فأي عبرة بمثله من الرواية حتى يقول ابن أبي الحديد ان كذبت النقل وقلت هذا كلام موضوع خالفت الرواة، وكم من روايات لهم مخالفة للدرايات.

ومنها: كون زيد بن حارثة أميراً على جعفر الطيار[2]، فكيف تصح مع كونها على خلاف العقل، فأين جلال جعفر وأين زيد، مع انه يكذبها أشعار حسان وغيره.

ومنها: ان أمير المؤمنين عليه السلام خطب بنت أبي جهل، وان النبي صلى الله عليه وآله غضب لذلك[3]، فانها مخالفة لما علم بالتواتر من عدم مخالفة أمير المؤمنين للنبي طرفة عين، فيعلم بقضية العقول أن جميعها مجعول.

والوجه في جعل خبر تأمير زيد دفع الطعن عن تأمير النبي صلى الله عليه وآله ابنه اسامة على ابي بكر وعمر، وفي جعل خبر خطبة بنت أبي جهل دفع الطعن عن فاروقهم في اغضابه النبي غير مرة يوم صلاته صلى الله عليه وآله على ابن أُبي، ويوم

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٩، سنة ٤٠.

(٢) رواه الواقدي في المغازي ٢: ٧٥٦، وابن سعد في الطبقات ٢: ق١ ٩٢، وابن هشام في السيرة ٤: ٧، والطبري في تاريخه ٢: ٣١٩ سنة ٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢: ١٨٩ و ٣٠٣ و ٣: ٢٦٥ و مسلم في صحيحه ٤: ١٩٠٢ ـ ١٩٠٤ ح٩٣ ـ ٩٦.

الحديبية، ويوم وصيته صلى الله عليه وآله ونسبته الى الهجر، فوضعوا ذلك دفعاً للطعن عن فاروقهم ولم يبالوا بورود الطعن على النبي على فرض صحته، فإذا كان النبي سخط من ذلك يكون الطعن عليه حيث انّه لم يرض بما في شريعته وبما أنزله تعالى عليه في كتابه في قوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[1]. كما ان الوجه في جعل خبر ابن عباس دفع الطعن عن عمر في عدم توليته لأقارب النبي صلى الله عليه وآله في الظاهر لئلا يأخذوا الخمس من الغنائم، وفي الباطن لئلا يوجب ذلك انتقال الأمر اليهم، ففي العقد الفريد: قال أبو بكر بن أبي شيبة: كان ابن عباس من أحب الناس الى عمر وكان يقدمه على الأكابر من الصحابة ولم يستعمله قط، فقال له يوماً: كدت أستعملك ولكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل، فلما صار الأمر الىٰ علي عليه السلام استعمله على البصرة، فاستحل الفيء على تأويل قوله تعالىٰ: ﴿واعلموا انّما غنمتم من شيء فَأَنَّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ﴾[2] استحله من قرابته من الرسول.

وفي (المروج): ان عمر أرسل الى ابن عباس وقال له: ان عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير، وهم قليل وقد رجوت ان تكون منهم، وفي نفسي منك شيء لم أره منك وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال: وما تريد من ذلك؟ قال: أريده فان كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وان كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فاني قلما رأيت أو ظننت شيئاً إلّا عاينته. فقال: يا ابن عباس ان يأتي عليّ الذي هو آت وأنت في عملك فتقول هلم

(١) النساء: ٣.

(٢) الانفال: ٤١.

الينا ولا هلم اليكم دون غيركم.

الى أن قال: قال له عمر فأشر عليَّ. قال: أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك[١].

ثم الظاهر ان الجعل كان بعد وفاة ابن عباس زمان المروانيين، ولم يجترئوا على جعل مثله فيحياته بدليل انّه لم ينقل طعن أحد فيه بذلك، مع كون معاوية وخواصه بصدد الطعن عليه وعلى باقي بني هاشم بما استطاعوا، بل نرى ان ابن عباس طعن في عمّال معاوية بالخيانة، وانه وباقي عمّال أمير المؤمنين عليه السلام من أمثاله كانوا في غاية رعاية الأمانة.

فروى ابن عبد ربه الذي روى خبر خيانته في كتاب أجوبة (عقده) انّه اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم ابن عباس ـ وكان جريئاً على معاوية حقاراً له ـ فبلغه عنه بعض ما غمّه، فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس كانا صفيين دون الناس، فحفظت الميت في الحي والحي في الميت، استعملك عليّ يا ابن عباس على البصرة، واستعمل أخاك عبيد الله على اليمن، واستعمل أخاك قثماً على المدينة، فلما كان من الأمر ما كان هنأتكم ما في أيديكم، ولم أكشفكم عمّا وعت غرائركم، وقلت: آخذ اليوم واعطي غداً مثله، وقلت: ان بدأ اللؤم يضر بعاقبة الكرم ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم، ولا يزال يبلغني عنكم ما لا تبرك له الابل، وذنوبكم الينا أكثر من ذنوبنا اليكم، خذلتم عثمان بالمدينة وقتلتم أنصاره يوم الجمل وحاربتموني بصفين، ولعمري لبنو تيم وعدي أعظم ذنوباً منّا اليكم إذ صرفوا عنكم هذا الأمر وسنوا فيكم هذه السنة، فحتى متى أغضي الجفون على القذى وأسحب الذيول على الأذى وأقول لعل وعسى.

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٢١.

فتكلم ابن عباس الى ان قال: ولكن من هنأ أباك بأخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي باخاء ابيك، نصر ابي أباك في الجاهلية وحقن دمه في الاسلام.

وأما استعمال علي عليه السلام إيانا فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لنفسك، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وبسر بن ارطأة على اليمن فخان، وحبيب بن مرة على الحجاز فرد، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب، ولو طلبت ما عندنا لوقينا أعراضنا، وليس الذي يبلغك عنّا بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وضع أصغر ذنوبكم على مائة حسنه لمحقها، ولو وضع أدنى عذرنا على مائة سيئة اليكم لحسنها، وأما خذلاننا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه، وأما حربنا إيّاك بصفين فعلى ترك الحق وادعائك الباطل، واما اغراؤك ايانا بتيم وعدي فلو أردناها ما غلبونا عليها، وسكت، فقال في ذلك ابن أبي لهب:

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
مازال يهبطه طوراً ويصعده حتى استقاد وما بالحقّ من باس
لم يتركن خطة مما يذلله الا كواه بها في فروة الراس[1]

وأما ما قاله ابن أبي الحديد في ترجمة ابن الزبير - خطب ابن الزبير فقال: ان هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم ان متعة النساء حلال من الله ورسوله، يفتي في القملة والنملة، وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس، وترك المسلمين يرتضخون النوى - الى أن قال في جواب ابن عباس له - أما حملي المال فانه كان مالاً جبيناه وأعطينا كلّ ذي حق حقّه وبقيت بقية دون حقنا في كتاب الله فأخذنا بحقنا، وأما المتعة فاسأل أُمك اسماء عن بردي

(١)

عوسجة. فمع ارساله خبر دخيل، فان اسماء لم تكن زوجة الزبير متعة بل دواماً، وانما كان ابن الزبير طعن في ابن عباس بمتعة الحج لكون عمر نهى عنها، فرد عليه ابن عباس بما قال من ان أباه وأُمه حجّا تمتعاً وتمتع أبوه من أُمه بعد العُمرة[1].

والمسعودي روى الخبر بدون ذكر من بيت المال، كما انّه قال: قال ابن الزبير «يفتون في المتعة» ثم حملها على متعة الحج لكون نكاح أسماء دواماً، ورد على من حمله على متعة النساء. وبالجملة خبر خطبة ابن الزبير لم يكن فيه اسم من بيت المال كمتعة النساء[2].

وكيف كان فالعنوان كلامه عليه السلام كان أم لا نشرحه لكونه من النهج.

«أما بعد فاني كنت أشركتك في أمانتي» قال ابن أبي الحديد: سمّى عليه السلام الخلافة كما سمّى الله تعالى التكليف أمانة في قوله ﴿إنّا عرضْنا الأمانة﴾ [3].

قلت: بل كما سمّى الله تعالى الخلافة أيضاً أمانة في قوله ذاك، فسر عترته عليهم السلام «انا عرضنا الأمانة» بالخلافة، وقوله ﴿وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾ [4] بالمتصدين لها بغير حق[5].

«وجعلتك شعاري» الشعار ما ولي الجسد من الثياب **«وبطانتي»** أي: وليجتي.

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ٢٠: ١٢٩ .

(٢) مروج الذهب ٣: ٨١ .

(٣) شرح ابن ابي الحديد ١٦: ١٦٨ . والآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

(٤) الاحزاب: ٧٢ .

(٥) رواه الصفار في البصائر: ٩٦ ح٣، وابن طاووس في سعد السعود: ١٢٢، عن الباقر(ع) والكليني في الكافي ١: ٤١٣ ح٢، والصفار في البصائر: ٩٦ ح٢، والصدوق في معاني الأخبار : ١١٠ ح٢، ومحمد بن العباس في تفسيره عنه تأويل الآيات ٢: ٤٧٠ ح٤٠ عن الصادق (ع) والصدوق في المعاني : ١١٠ ح٣، والعيون ١: ٢٣٨ ح٦٦ عن الرضا (ع).

«ولم يكن رجل من أهلي» هكذا في (المصرية)، والصواب: «ولم يكن في أهل رجل» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي» والوزر الملجأ، والأصل فيه الجبل، قال الشاعر:

وأخوان اتخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادي

«واداء الأمانة الي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب» من «كلب الشتاء» اشتد بردة، وقال الشاعر:

لما رأت أبلى قلّت حلوبتها وكل عام عليها عام تجتنب

«والعدو قد حرب» من حرب الرجل: اشتد غضبه، وقال ثابت قطنة:

وصار كلّ صديق كنت آمله الباً علي ورثّ الحبل من جاري

«وأمانة الناس قد خزيت» أي: ذلت وهانت **«وهذه الأمة قد فتكت»** أي: تجرأت علي «وشغرت» أي: يدعيها كلّ أحد، من «بلدة شاغرة برجلها» اذا لم تمتنع من غارة أحد، وقد عرفت ان (العقد) رواه «وهذه الأمة قد فتنت».

وفي الخبر المستفيض ان النبي صلى الله عليه وآله قال له: «ان الأمة ستغدر بك بعدي»[٢].

«قلبت لابن عمك ظهر المجن» أي: الترس، وقلب ظهر المجن كناية عن الحرب مع من تحارب عنه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٧ و ٨٨.

(٢) أخرجه جمع منهم الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٠ و ١٤٢، والبخاري في تاريخه ١: ق٢ ١٧٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١١: ٢١٦.

وفي (كامل المبرد) : كتب الحجاج الى المهلب في حرب الخوارج: انك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو، واني وليتك وأرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي، وعباد بن الحصين الحبطي، واخترتك وأنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا، والا أشرعت اليك صدر الرمح.

فكتب إليه المهلب: ورد عليّ كتابك تزعم اني اقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو، وزعمت انك وليتني، وأنت ترى مكان عبدالله وعباد، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما، واخترتني وأنا رجل من الأزد، ولعمري ان شراً من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن، وزعمت اني ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت إليّ صدر الرمح، فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن[1].

«ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين» قال البحتري:

حاربتني الأيام حتى لقد أصبح حربي من كنت أعتد سلمي

أيضاً:

وكنت أرى عاصماً عاصماً من الخطب أرهب أعضاله

وفي (العقد) : لما أراد عبدالله المسير من البصرة دعا أخواله بني هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه، فجاء الضحاك بن عبدالله الهلالي، فأجاره ومعه رجل منهم يقال له رزين بن عبدالله ـ وكان شجاعاً بئيساً ـ فقالت بنو هلال: لا غنى بنا عن هوازن، وقالت هوازن: لا غنىً بنا عن بني سليم، ثم أتتهم قيس، فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان في بيت مال البصرة وكان فيما

(١) كامل المبرد ٨: ٧٦.

زعموا ستة آلاف ألف، فجعله في الغرائر، فحدثني الأزرق اليشكري قال: سمعت أشياخنا من أهل البصرة قالوا: لما وضع المال في الغرائر ثم مضى به تبعته الأخماس كلّها بالطف على أربع فراسخ من البصرة فواقعوه، فقالت لهم قيس: والله لا تصلوا الينا وعين منا تطرف. فقال ضمرة وكان رئيس الأزد: والله ان قيساً لاخواننا في الاسلام، وجيراننا في الدار، وأعواننا على العدو، ان الذي يذهبون به لورد عليكم لكان نصيبكم منه الأقل، وهم خير لكم من المال. قالوا: فما ترى؟ قال: انصرفوا عنهم. فقال بكر بن وائل وعبد القيس: نعم الرأي رأي ضمرة واعتزلوهم، فقالت بنو تميم: والله لا نفارقهم ونقاتلهم عليه، فقال الأحنف: أنتم والله أحق ألا تقاتلوهم، وقد ترك قتالهم من هو أبعد رحماً منكم، قالوا: والله لنقاتلنهم. فقال: والله لا نشايعكم على قتالهم وانصرف عنهم ـ الى أن قال ـ حتى قدموا الحجاز، فنزل مكة فجعل راجز لابن عباس يسوق له في الطريق ويقول:

صبحت من كاظمة القصر الخرب مع ابن عباس بن عبد المطلب

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول:

آوي الى أهلك يا رباب آوي فقد حان لك الاياب

ويقول:

وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أمثلك يرفث في هذا الموضع. قال: انما الرفث ما يقال عند النساء ـ الخ.

«فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت» كتب ابراهيم الصولي الى ابن الزيات:

وكنت أخي باخاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عوانا

وكــنت أذم اليك الزمـــان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكــنت أعــدك لـلـنائبات فها أنا أطلب مـنك الأمـانا

«وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك، وكأنك انما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم، وتنوي غرتهم عن فيئهم، فلما امكنتك الشدة» بالفتح أي: الحملة «في خيانة الأمة أسرعت الكرة» قال ابن أبي الحديد: لا يجوز أن يقال الكرة إلّا بعد فرة، فكأنه لما كان مقلعاً في ابتداء الحال عن التعرض لأموالهم كان كالفار عنها، فلذلك قال: «اسرعت الكرة»(١).

قلت: على ما قاله «فلان كرار غير فرار» ليس بصحيح، وانـما مـا قـال معنى «كر بعد ما فر» لا معنى مطلق الكر، قال في القاموس: كرّ عليه عطف، والكرة الحملة كالكرّى كبشرىٰ ـ الخ(٢). وقال امرؤ القيس في وصف فرسه:

مكــــر مــفرّ مــقبل مــدبر مــعاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

أي: يصلح للكر والفر «وعاجلت الوثبة واختطفت» أي: استلبت «ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم» قال ابن السكيت: الأرامل المســاكـين مـن رجال ونساء «وأيتامهم اختطاف الذئب» ولاختطافه كثيراً سمي خاطفاً «الأزل» أي: الخــفيف الوركـين، وفـي المـثل «هـو أسـمع مـن الذئب الأزل»(٣)، قـال الجوهري: والسمع الأزل الذئب الارسح يـتولد بـين الذئب والضـبع، وهـذه الصفة لازمة له كما يقال «الضبع العرجاء».

«دامية» اختلف في الدم هل أصله دمو بالتحريك كما قال بـعضهم، أو دمي بالسكون كما قال سيبويه لجمعه على دماء، فيكون مثل ظـبي وظـباء،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٩ .

(٢) القاموس المحيط ٢: ١٢٥ و ١٢٦، مادة (كرّ).

(٣) أورده لسان العرب ١١: ٣٠٨، مادة (زلل).

ودلو ودلاء، أو دمى بالتحريك كما قال المبرد لكون تثنيته دميان[١].

«المعزى» أي: المعز، قال سيبويه: معزى مذكر ملحق بدرهم، وقال الفراء: مؤنثة ويشهد له وصفه[٢] «الكسيرة فحملته الى الحجاز» أي: مكة «رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه».

دخل اعرابي على هشام فقال له: عظني. فقال له: كفى بالقرآن واعظاً، ثم أخذ في قراءة سورة المطففين الى قوله تعالىٰ: ﴿يوم يقوم الناس لربِّ العالمين﴾[٣]. ثم قال له: هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان، فما ظنك بمن أخذه كلّه.

«كأنك لا أباً لغيرك حدرت» أي: أنزلت «الى» هذا في (المصرية) ونسخة ابن أبي الحديد، وفي (ابن ميثم والخطية) «على»[٤] «اهلك تراثاً» هكذا في (المصرية)، والصواب: «تراثك» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥] «من أبيك وأمك» في حليته «فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد» ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾[٦] (أو ما تخاف نقاش الحساب) أي: استقصاءه وبه فسر قوله تعالىٰ: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾[٧].

«أيّها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب» الذين لا يلتفتون الى القشريات،

---

(١) رواه عنهما ابن منظور في لسان العرب ١٤: ٢٦٨، مادة (دمى).

(٢) رواه عنهما ابن منظور في لسان العرب ٥: ٤١٠ و ٤١١، مادة (معز).

(٣) المطففين : ٦ .

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٨ «الى».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٨.

(٦) آل عمران: ٣٠.

(٧) الرعد: ٢١ .

قال الشاعر:

حسبتك لب الجود بذلاً وهمة فأدخلت فيما كنت أحسبه وهنا
وكنت كما قدرت لب سماحة ولكن كلب الجوز اذ فارق الدهنا

وقال آخر:

بالله يا ناقض العهود من بعدك من أهل ودنا نثق

«كيف تسيغ» قال الجوهري: يقال ساغ الشراب يسوغ أي: سهل مدخله في الحلق، وسغته أسوغه وأسيغه يتعدى ولا يتعدى ـ الخ، وتبعه (القاموس)[1].

وقال ابن دريد: ساغ لي الشراب يسوغ اذا سهل لك شربه، وأسغته اذا شربته، ومثله الأساس[2]، والصواب: ما قال الأخيران. وعليه فتسيغ بضم التاء، قال تعالىٰ: ﴿ولا يكاد يُسيغه﴾[3] ومقتضى كلام الأولين جواز الفتح.

«شراباً وطعاماً وأنت تعلم انك تأكل حراماً وتشرب حراماً» كمن يسيغ شراباً وطعاماً وهو يعلم انّه يأكل ويشرب مسموماً.

«وتبتاع الاماء» في خبر (العقد) المتقدم: فلما نزل مكة اشترى من عطاء ابن جبير مولى بني كعب ثلاث مولدات حجازيات، يقال لهن شادن وحوراء وفتون بثلاثة آلاف دينار.

«وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد» روى (الاستبصار) أن الصفار كتب الى أبي محمد عليه السلام: رجل اشترى ضيعة أو خادماً بمال أخذه من قطع

---

(١) صحاح اللغة، والقاموس المحيط ٣: ١٠٨، مادة (سوغ).

(٢) جمهرة اللغة، وأساس البلاغة: ٢٢٤ مادة (سوغ).

(٣) ابراهيم: ١٧.

الطريق أو من سرقة، هل يحل له ما يدخل عليه من ثمرة هذه الضيعة، أو يحل له أن يطأ هذا الفرج الذي اشتراه من سرقة أو قطع الطريق؟ فوقّع: لا خير في شيء أصله حرام، ولا يحل له استعماله[1].

«فاتق الله وأردد الى هؤلاء القوم أموالهم، فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلّا دخل النار» قال شباب التستري بالفارسية وأجاد:

قضا زقهر خدا چونكه گشت آبستن

بيك شكم دو پسر زاد ذو الفقار وسقر

هذا، وفي (الطبري) في غزوة أُحد: قال طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين: يا معشر أصحاب محمد، انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار، ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي الى الجنة، أو يعجلني بسيفه الى النار. فقام إليه علي عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أُفارقك حتى أُعجلك بسيفي الى النار، أو تعجلني بسيفك الى الجنة، فضربه، فقطع رجله، فسقط، فانكشفت عورته، فقال: انشدك الله والرحم يا بن عم، فتركه فكبّر النبي صلى الله عليه وآله ـ الخ[2].

«والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة» أي: صلح وميل **«ولا ظفرا مني بإرادة»**.

هذا نظير ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو سرقت فاطمة لقطعتها يدها.

ففي (المناقب) عن صحيح الدارقطني: أمر النبي صلى الله عليه وآله بقطع لص فقال: قدمته في الاسلام وتأمره بالقطع. فقال: لو كانت ابنتي فاطمة، فسمعت

---

(١) الاستبصار ٣: ٦٧ ح ٢، والتهذيب ٧: ١٣٨ ح ٨٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ١٩٤، سنة ٣.

فحزنت، فنزل جبرئيل بقوله تعالىٰ: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[١]، فحزن النبي فنزل: ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾[٢]، فتعجب النبي صلى الله عليه وآله من ذلك فنزل جبرئيل وقال: لو كانت فاطمة حزنت من قولك فهذه الآيات لموافقتها[٣].

«حتى آخذ الحق منهما وأزيل» هكذا في (المصرية)، والصواب: «وازيح» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤] وان كانا بمعنىٰ.

«الباطل عن مظلمتهما، وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي» فيكون حسابه علَيَّ والتمتع به لغيري.

«فضحّ رويداً» قال الجوهري: ضح رويداً أي: لا تعجل، قال زيد الخيل:

ولو أن نصراً أصلحت ذات بينها لضحَّت رويداً عن مطالبها عمرو

ونصر وعمر ابنا قعين بطنان من بني أسد.

وفي (النهاية) ان العرب كانوا يسيرون في ظعنهم، فاذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلاء وعشب قال قائلهم: ألا ضحوا رويداً، أي: ارفقوا بالابل حتى يتضحى، أي: تنال من هذا المرعى ـ الخ[٥].

وفي (أمثال العسكري): ضح رويداً، أي: ارفق بالأمر، وضحّ من الضحى، وهو ارتفاع النهار، وأصل المثل في رعي الابل ضحى، والضحى للابل بمنزلة الغداء للإنسان.

---

(١) الزمر: ٨١.

(٢) الأنبياء : ٢٢ .

(٣) مناقب السروي ٣: ٣٢٤ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٩.

(٥) النهاية ٣: ٧٦، مادة (ضحا).

وفي (أمثال الميداني): ضح رويداً، ضح أمر من التضحية، أي: لا تعجل في ذبحها، ثم استعير في النهي عن العجلة في الأمر، ويقال: ضح رويداً لم ترع، أي: لم تفزع، ويقال: ضح رويداً يدرك الهيجاء حمل، يعني حمل بن بدر، قال زيد الخيل:

فلو أن نصراً أصلحت ذات بينها   لضحت رويداً عن مطالبها عمرو
ولكن نصراً ارتعت وتخاذلت   وكانت قديماً من خلائقها الغفر[1]

«فكأنك قد بلغت المدى» أي: نهاية أجلك وانقضاء أيامك **«ودفنت تحت الثرى»** أي: التراب **«وعرضت عليك أعمالك»** ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً* اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[2].

«بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة» ﴿ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾[3] **«ويتمنى المضيّع فيه»** أخذت المصرية «فيه» عن ابن أبي الحديد، وليست في (ابن ميثم)[4] **«الرجعة»** ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾[5].

«ولات حين مناص» والأصل فيه قوله تعالى: ﴿كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾[6].

---

(١) مجمع الأمثال ١: ٤١٩.

(٢) الاسراء: ١٣ و ١٤.

(٣) الزمر: ٥٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٩.

(٥) الزمر: ٥٨.

(٦) ص: ٣.

١١
الكتاب (٧١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبديّ وقد خان في بعض ما ولّاه من أعماله:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً. تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنَفَّذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ، فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، إِنْ شَاءَ اللهُ.

قال الرضي: وَالْمُنْذِرُ هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّهُ لَنَظَّارٌ فِي عِطْفَيْهِ، مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ، تَفَّالٌ فِي شِرَاكَيْهِ.

أقول: رواه اليعقوبي مع زيادات واختلاف، فقال: وكتب علي عليه السلام الى المنذر بن الجارود وهو على اصطخر: أما بعد، فان صلاح أبيك غرني منك، فإذا أنت لا تدع انقياداً لهواك أزري ذلك بك. بلغني انك تدع عملك كثيراً، وتخرج لاهياً متنزهاً، تطلب الصيد، وتلعب بالكلاب، أقسم لئن كان حقاً لنثيبنك فعلك، وجاهل أهلك خير منك، فأقبل إلي حين تنظر في كتابي. فأقبل، فعزله وأغرمه ثلاثين ألفاً، ثم تركها لصعصعة بعد أن أحلفه عليها فحلف، وذلك ان علياً دخل على صعصعة يعوده وقال له: انك ما علمت حسن المعونة خفيف المؤنة. فقال صعصعة: وأنت والله يا أمير المؤمنين بذات الله عليم، وان الله في صدرك عظيم. فقال له علي: لا تجعلها أُبهة على قومك ان عادك امامك. قال: لا ولكنه منّ

من الله علي ان عادني أهل البيت وابن عم رسول ربّ العالمين. فقال له صعصعة: هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك أخاها المنذر، فأخرجه وأنا أضمن ما عليه من أعطيات ربيعة. فقال عليه السلام له: ولم تضمنها وزعم لنا انّه لم يأخذها، فليحلف ونخرجه. فقال له صعصعة: أراه والله سيحلف. فقال عليه السلام: وأنا والله أظن ذلك، أما انّه نظّار في عطنيه، مختال في برديه، تفال في شراكيه، فليحلف بعد أو ليدع. فحلف، فخلى سبيله. ونقل عن تاريخ ابن واضح أيضاً[1].

قول المصنّف: (ومن كتاب له عليه السلام الى المنذر بن الجارود العبدي) أي: المنسوب الى عبد القيس، قال ابن أبي الحديد: قال أبو عبيدة في تاجه: لعبد القيس ست خصال فاق بها العرب: منها أسود العرب بيتاً، وأشرفهم رهطاً الجارود هو وولده. ومنها أشجع العرب حكيم بن جبلة، قطعت رجله يوم الجمل، فأخذها بيده وزحف على قاتله، فضربه بها حتى قتله وهو يقول:

يا نفس لا تراعي ان قطعت كراعي

ان معي ذراعي

فلا يعرف في العرب أحد صنع صنيعه، ومنها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرني، ومنها أجود العرب عبدالله بن سوار بن همام، غزا السند في أربعة آلاف، ففتحها وأطعم الجيش كلّه ذاهباً وقافلاً، فبلغه ان رجلاً من الجيش مرض، فاشتهى خبيصاً، فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف انسان، فأطعمهم حتى فضل، وتقدم اليهم ألا يوقد أحد منهم ناراً لطعام في عسكره مع ناره. ومنها أخطب العرب مصقلة بن رقية به يضرب المثل، فيقال أخطب من مصقلة، ومنها أهدى العرب في الجاهلية، وأبعدهم نفراً وأثراً في

(١) رواه اليعقوبي في تاريخه ٢ : ٢٠٣، وتاريخ ابن واضح هو نفس كتاب تاريخ اليعقوبي.

الأرض في عدوه، وهو دعيميس الرمل كان يعرف بالنجوم هداية، وكان أهدى من القطا، يدفن بيض النعام في الرمل مملوأ ماءً ثم يعود إليه فيستخرجه[١].

قلت: لِمَ لم يذكر في أخطبهم صعصعة فلم يكن أحد أخطب منه. وكيف كان فكما كان مصقلة خطيباً كان أبناه كرز ورقبة أيضاً خطيبين كما في معارف ابن قتيبة، قال: وكان لكرز خطبة يقال لها العجوز.

«وقد خان في بعض ما ولاّه من أعماله» هكذا في (المصرية)، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم): «وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة»، وزاد الأول «في بعض ما ولاّه من أعماله»[٢]. وكيف كان فقد عرفت من رواية اليعقوبي أنّه عليه السلام استعمله على اصطخر.

قوله عليه السلام «أما بعد فان صلاح أبيك» قال أبو عمر في استيعابه قال ابن إسحاق: قدم الجارود بن عمرو في سنة عشر على النبي صلى الله عليه وآله وفد عبد القيس وكان نصرانياً، فأسلم وحسن اسلامه[٣].

قال ابن أبي الحديد: قال أبو عبيدة قال عمر: لولا اني سمعت النبي يقول: ان هذا الأمر لا يكون إلّا في قريش لما عدلت بالخلافة عن الجارود ـ الخبر[٤].

قلت: قول عمر في الجارود مما قال عليه السلام فيه: «فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلوّن واعتراض»[٥]، فتارة يقول فيه هكذا وأُخرى يعمل معه شططاً، فرووا ايضاً ان عمر كان قاعداً والدرة معه والناس حوله إذ أقبل

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ٥٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٧ مثل المصرية.

(٣) الاستيعاب ١: ٢٤٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٦.

(٥) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ١: ٣٣، ضمن الخطبة الشقشقية.

الجارود، فقال رجل: هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فقال: مالي ولك؟ قال: ويلك سمعتها؟ قال: وسمعتها فمه؟ قال: خشيت أن تخالط القوم ويقال هذا أمير، فأحببت أن اطأطئ منك[١].

واختلف في اسمه واسم أبيه، والجوهري قال: بشر بن عمرو، واختلفوا في وجه تلقيبه بالجارود، ففي الاستيعاب: قيل له الجارود لأنه أغار في الجاهلية على بكر بن وائل، فأصابهم فجردهم، وقد ذكر ذلك الفضل العبدي في شعره فقال:

ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرّد الجارود بكر بن وائل[٢]

وفي (الصحاح): سمّي الجارود لأنّه فر بابله الى أخواله بني شيبان وبابله داء، ففشا ذلك الداء في ابل أخواله فأهلكها، وفيه قال: «كما جرد الجارود بكر بن وائل» ولا يبعد صحة الثاني، وشيبان أخوال الجارود أيضاً من بكر بن وائل، فالشعر لا ينافيه.

ثم ان الأول قال الشعر للفضل العبدي[٣]، وقال ابن دريد: الشعر للمفضل النكري، إلّا انّه لا تنافي بين النكري والعبدي، لأن نكرة من عبد القيس، والفضل والمفضل أحدهما تصحيف الآخر.

وكيف كان فقال ابن دريد: قتل بفارس بعقبة الطين شهيداً، وفي الاسد: وقيل ان عثمان بن أبي العاص بعث الجارود في بعث الى ساحل فارس، فقتل بموضع يعرف بعقبة الجارود[٤].

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٧٣.

(٢) الاستيعاب ١: ٢٤٨.

(٣) الاستيعاب ١: ٢٤٨، ولفظه أيضاً «المفضل».

(٤) اسد الغابة ١: ٢٦١.

«ما» هكذا في (المصرية)، وهي زائدة لخلو غيرها عنها[١]، ولأنه لا معنى لها «غرّني منك وظننت أنك تتبع هديه» أي: سيرته، وفي الخبر: «واهدوا هدي عمار»[٢]. «وتسلك سبيله».

«فإذا أنت فيما رقي» أي: رفع «إلي عنك لا تدع لهواك انقياداً» وهو شر خصلة قال تعالىٰ: ﴿افرأيت من اتخذ الهه هواه﴾[٣] «ولا تبقى لآخرتك عتاداً» أي: عدة «تعمر دنياك بخراب آخرتك» فتكون من الذين قال تعالىٰ فيهم: ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾[٤].

«وتصل عشيرتك بقطيعة دينك» كما كان عثمان، قال تعالىٰ: ﴿قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾[٥].

«ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لحمل» هكذا في (المصرية)، والصواب: «لجمل» كما في غيرها[٦] «أهلك» قال عليه السلام: «جمل أهلك» لأنّه أهون جمل يستعمله كلّ أحد، وقال ابن أبي الحديد: يضرب المثل بالجمل في الهوان، قال الشاعر:

لقد عظم البعير بغير لب ولم يستغن بالعظم البعير
يصرّفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٤، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٢٧.

(٢) رواه ابن الأثير في النهاية ٥: ٢٥٣، مادة (هدا).

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) البقرة: ٨٦.

(٥) التوبة: ٢٤.

(٦) شرح ابن ابي الحديد ١٨: ٥٤، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٢٧.

وتضربه الوليدة بالهراوي فلا غير لديه ولا نكير[1]

وهو كما ترى، لأن كلامه عليه السلام في مقام والشعر في مقام، فان الشاعر انما أراد أن يقول ان الطول والعرض في الجسم ليس بمغن اذا لم يكن قريناً بلب كالبعير الطويل العريض، فهو مثل للانسان ذي الجسم بلا عقل.

وكيف كان فمثل جمل الأهل في الهوان بغير الاستقاء، ومن أمثالهم «أذل من بعير سانية»[2] و أيضاً «سير السواني سفر لا ينقطع»[3]. قال الجوهري: السانية الناضحة، وهي الناقة التي يستقى عليها.

«وشسع نعلك خير منك» ونظير كلامه عليه السلام في الجمع بين الجمل والنعل في الهوان قول الطرماح:

قبيلته أذلُّ من السواني وأعرف للهوان من الخصاف

ـ الخصاف النعل، وفي التشبيه بالنعل فقط قول البعيث:

وكل كليبي صفيحة وجهه أذل على مس الهوان من النعل

وكما يضرب المثل في الهوان بجمل الأهل وشسع النعل، كذلك يضرب بحمار الأهل والوتد، قال الشاعر:

ان الهوان حمار الأهل يعرفه والحر ينكره والحرة الأجد

ولا يقيم بدار الذل يعرفها إلّا الأذلان غير الأهل والوتد

هذا على الخسف معكوس برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد

ويضرب المثل بشسع النعل أيضاً للمرأة في سهولة انفصالها بالطلاق، فرووا انّه عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله في عائشة لما رميت: «ان هي إلّا شسع نعلك»[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٨.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٢٨٢، والزمخشري في المستقصي ١: ١٣٢.

(٣) أورده المداني في مجمع الأمثال ١: ٣٤٢.

(٤) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٩: ١٩٤.

«ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر» فان سداد الثغور وانفاذ الأُمور انما يكونا بالرجال اللائقين، قال العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

«أو يعلى له قدر» فان اعلاء القدر انما يكون لرجال متسلطين على هواهم لا مقهورين له.

«أو يشرك في أمانة أو يؤمن على خيانة» هكذا في (المصرية)، ونقله ابن أبي الحديد «على جباية» من جباية الخراج، وقال: نقله الراوندي «على خيانة» ولم يرو الرواية الصحيحة التي ذكرناها[1]. قلت: وابن ميثم[2] أيضاً مثل الراوندي ونسخته بخط المصنف، وعليه «على» بمعنى مع كقوله تعالىٰ ﴿ويطعمون الطعام على حُبِّه﴾[3].

«فأقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا ان شاء الله» ان شاء الله قيد «يصل» لا «أقبل».

قول المصنّف: (قال الرضي) هكذا في (المصرية) وليس الكلام من المصنف بل من ابن أبي الحديد، لخلو (ابن ميثم والخطية) عنه[4] (والمنذر) هكذا في (المصرية)، والصواب: «والمنذر بن الجارود» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[5] (هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين) الحق مع المصنف من كون القائل في المنذر ما يأتي هو عليه السلام في المنذر، وتوهم الجاحظ أن القائل في المنذر صعصعة، فقال في بيانه: وصف صعصعة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٤ و ٥٨، وشرح الراوندي ٢: ٢٤٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٢٧ و ٢٢٨.

(٣) الانسان: ٨.

(٤) يوجد الكلام في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٤، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٢٧.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٢٧ مثل المصرية.

المنذر عند علي كرم الله وجهه، فقال: «أما والله انّه مع ذلك لنظّار في عطفيه، تفال في شراكيه، تعجبه حمرة برديه»[١].

(انّه لنظّار في عطفيه) قال الجوهري: عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركيه.

وكونه نظاراً في عطفيه كناية عن كبره كقوله تعالىٰ ﴿ثانِيَ عِطْفِه﴾[٢].

ونظيره في الكناية عن الكبر قولهم «فلان يضرب أصدريه وأزدريه». قال المبرد في كامله: لا يتكلم منه بواحد. وقولهم «فلان ينفض مذوريه» أي: ناحيتيه، قال: والكل وصف الخيلاء[٣].

(مختال في برديه) قد عرفت أن الجاحظ بدله بقوله «تعجبه حمرة برديه»، الا ان اليعقوبي نقله كالمتن[٤]. قال الجوهري: الخال والخُيلاء، والخِيلاء الكبر، تقول منه اختال، وقال العجاج: «والخال ثوب من ثياب الجهال».

وفي (الكافي): أوصى النبي ﷺ رجلاً من تميم، فقال له: إيّاك واسبال الازار والقميص، فان ذلك من المخيلة، والله لا يحب المخيلة[٥].

(تفّال) في الصحاح: التفل شبيه بالبزق وهو أقل منه، أوله البزق، ثم التفل،ثم النفث، ثم النفح. (في شراكيه) أي: شراكي نعله.

ثم ان (المصرية وابن أبي الحديد) اقتصرا في كلام المصنف على ما

---

(١) البيان والتبيين ١: ١٢٢ و ٣: ١١٢.

(٢) الحج : ٩.

(٣) كامل المبرد ٢: ٤٣.

(٤) البيان والتبيين ١: ١٢٢ و ٣: ١١٢، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٤.

(٥) الكافي ٦: ٤٥٦ ح٥.

مر، وزاد ابن ميثم (يعني انه ينفض التراب من شراكيه اذا اصابهما الغبار)[١].

هذا، وفي الخبر: ما لبس النعل السوداء أحد إلّا اختال فيها[٢].

والمنذر بن الجارود هذا هو الذي أتى بكتاب الحسين عليه السلام إليه لما كتب إليه فيمن كتب إليه من أشراف البصرة يدعوهم الى نصرته - الى ابن زياد مع رسوله عليه السلام فقتله ابن زياد.

ففي (تاريخ الطبري): كتب الحسين عليه السلام مع مولىً لهم يقال له سليمان، كتب بنسخة الى رؤوس الأخماس بالبصرة مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة الى أشرافها «أما بعد فان الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلّغ ما ارسل به، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه، وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم انّا أحقّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه - الى أن قال - وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، فان السنّة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت، وان تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد» فكل من قرأ الكتاب من أشراف الناس كتمه غير المنذر بن الجارود، فانّه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيدالله، فجاءه بالرسول من العشية التي يريد في صبيحتها أن يسبق الى الكوفة واقرأه كتابه، فقدم الرسول،

---

(١) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٤، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٢٧.

(٢) اخرجه الكليني في الكافي ٦: ٤٦٥ ح ١.

فضرب عنقه، وكفاه بذلك خزياً[١].

هذا، وفي الأغاني: كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع وفيها المنذر بن الجارود، فقال المنذر للفرزدق من الذي يقول:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار

فقال له الفرزدق: الذي يقول:

لشارب قهوة وخدين زير وعبديّ لنسوته يخار

وجدنا الخيل في أبناء بكر وأفضل خيلهم خشب وقار

فخجل المنذر حتى ما قدر على الكلام.

وذكر عتابه عليه السلام لكميل في فصل آداب الحرب[٢].

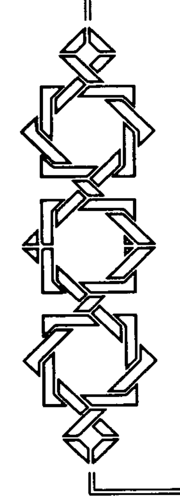
---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٥ سنة ٦٠.

(٢) ذكر في العنوان ١٣ من الفصل الثامن والأربعين.

الفصل الرابع والعشرون

في حلفه عليه السلام
وتعليمه إحلاف الظالم وتقيّته





١
الحكمة (٢٧٧)

وقالَ عليه السلام : لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا منْهُ فِي غُبَّرِ لَيْلَةٍ دَهْماءَ تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ، مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا.

«لا والذي» الذي يظهر من استعمالات لغة العرب في مثل كلامه عليه السلام من كون الجواب منفياً لزوم زيادة لا في أول القسم إيذاناً بكون الجواب منفياً؛ قال تعالى: ﴿فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شَجَر بينهم﴾[١] وقالوا: قسم العرب «لا بذي تسلم ما كان كذا وكذا». قال ابن السكيت: وتأويله: لا والله الذي يُسلّمك ما كان كذا وكذا[٢]. وقال الجوهري: قولهم «لا والذي أخرج النار من الوثيمة» أي: من الصخرة[٣]. وفي تنبيه البكري على أوهام القالي تقول

(١) النساء: ٦٥.

(٢) عن لسان العرب ٦٢: ٢٦١، مادة (سلم).

(٣) صحاح الجوهري ٥: ٢٠٤٨.

العرب «لا والذي أخرج قابية من قوب» صوابه «قوباً من قابية» أي: فرخاً من بيضة[١]، وقال الشاعر:

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدَّعي القوم أني أفر

وقال ابن نهشل:

فلا وأبيك لا أنساك حتى تجاوب هامتي في القبر هاما

وقال أعرابي أُغير على إبله؛ كما في (العيون)[٢]:

لا والذي أنا عبد في عبادته لولا شماتة أعداء ذوي إحَنِ

ما سرّني أنّ إبلي في مباركها وأنّ شيئاً قضاه الله لم يكنِ

ولدعبل في بخيل:

صَدِّقْ أَلِيَّتَهُ إن قال مجتهداً لا والرغيف فذاك البرّ من قسمه[٣]

وقال جبان:

لا والذي منع الأبصار رؤيته ما يشتهي الموت عندي من له إرب

وقال أُميّة بن حرثان:

فلا وأبيك ما باليت وحدي

وقال عوف التيمي:

فلا وأبيك لا تُكفىٰ سهيلا[٤]

وقال عبدالله بن يزيد عامل ابن الزبير على الكوفة في سليمان بن صرد وأصحابه لما طلبوا بدم الحسين عليه السلام: لا والذي هو ربهم لا يقتلهم

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه: ٤١ و ٤٢.

(٢) عيون الأخبار ٣: ١١٤.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٣٦، وفيه «... إذ قال مجتهداً ...» و ٣: ٢٤٦، وفيه «إنْ ...» وانظر ديوان أبي تمام، باب الهجاء، قافية الميم.

(٤) معجم الشعراء للمرزباني: ١٢٤.

عدوّهم حتى تشتدّ شوكتهم[١].

وقال المختار لما دعا الناس إلى بيعته: فلا والذي جعل السماء سقفاً محفوظاً والأرض فجاجاً سبلاً ما بايعتم بعد بيعة عليّ عليه السلام وآل عليّ بيعة أهدى منها[٢].

وفي خبر نفي عمر لنصر بن الحجّاج ولأبي ذؤيب ابن عمّ نصر ـ لافتتان النساء بجمالهما ـ قال عمر لنصر: لا والله لا تساكنني بأرض أنا بها، ولأبي ذؤيب: لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أبداً[٣].

وفي خبر أبي طلحة الأنصاري الذي وكلّه عمر باجراء دستوره في ستة الشورى إلى ثلاثة أيام فإن لم يقبلوه يضرب أعناقهم: لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر بها عمر[٤].

وكان عمرو بن العاص وصف البحر لعمر فقال له: راكب البحر كدود على عود، فلما استأذنوه لغزو البحر قال: لا والذي بعث محمداً لا أحمل فيه مسلماً أبداً[٥].

وفي (أذكياء ابن الجوزي) عن أعرابي قال: أسرت طي شاباً، فقدم أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا عليهما في الفداء ولم يرضوا بما أعطى أبوه، فقال: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طي لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرف مع أخيه وقال له: لقد ألقيت إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجوَنَّ، فما لبث أن جاء وطرد قطعة من أبلهم ـ كان قال له الزم الفرقدين

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٩٣، احداث سنة ٦٥ هـ، طبعة دار سويدان، بيروت .

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٢، احداث سنة ٦٦ هـ، طبعة دار سويدان، بيروت .

(٣) عيون الأخبار ٤: ٢٤ .

(٤) العقد الفريد ٥: ٣٠ .

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، احداث سنة ٢٨ هـ .

على جبل طي، فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه[١].

كما أن المفهوم من استعمالاتها في مثل قوله تعالى: ﴿تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾[٢] حذف «لا» من الجواب المنفي المستقبل، كقول أمرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي[٣]

وقول الهذلي:

تالله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخرٍّ به الظيان والآس[٤]

وقول رجل نزل على أمرأة من بني ثعلبة بن يربوع:

فإني امرؤ أعطيت ربِّي أليَّة أُرى زانياً ما لاح لي وضح الفجر

وقول ليلى الأخيلية في رثاء توبة:

فتا لله تبني بيتَها أمُّ عاصمٍ على مثله إحدى الليالي الغوابر[٥]

أيضاً:

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكاً وأحفِلُ مَن نالت صروفُ المقادر[٦]

وقول عتّاب بن ورقاء الشيباني للمأمون:

آليت أشرب راحاً ما حجّ لله ركب[٧]

وبالجملة: في كلام العرب خصوصيات لم ينبّه على كثير منها أئمة

---

(١) الأذكياء لابن الجوزي: ١٠١، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) يوسف: ٨٥.

(٣) ديوان أمرئ القيس: ١٤١.

(٤) لسان العرب ٤: ٤٢٩ ط. دار صادر ـ بيروت.

(٥) الأغاني ١١: ٢٣٠، وفيه «على مثله أُخرى الليالي الغوابر»، وقال المصحح في هامشه: (في الاصول: «احدى الليالي» والتصويب من منتهى الطلب).

وهذا البيت من القصيدة الرائية المعروفة لليلي الأَخْيَلِيَّة في رُماء توبة وكان عاشقاً لها.

(٦) الأغاني ١١: ٢٣١.

(٧) راجع معجم الأُدباء ١٢: ٨١، وفي هامشه «التقدير: لا أشرب».

الأدب كما هاهنا، ومنها استعمال السمع بمعنى الإسماع إذا جاء مع الداع، كقول عمروابن معديكرب:

أَمِنْ ريحانَة الداعِي السَمِيعُ[١]

وفي (النهج) «دعا إليها أسمع داع»[٢].

ومنها عدم مجيء فاعل «ما راعني» إلّا جملة بعد «إلّا»، ونبّه عليه المغني، كقوله:

وما راعني إلّا يسير بشرطة وعهدي به قيناً يفشّ بكير[٣]

«أمسينا منه في غبّر» أي: بقايا.

«ليلة دهماء» أي: مظلمة سوداء.

«تكشّر» من كشر البعير عن نابه، أي: كشف عنها، و «كشّر الرجل» بدت منه الأسنان.

«عن يوم أغر» أي: أبيض.

«ما كان كذا وكذا».

قال ابن أبي الحديد بعد العنوان: هذا الكلام إمّا أن يكون قاله عليه السلام على جهة التفؤُّل، أو أن يكون إخباراً بغيب، والأوّل أوجه[٤].

قلت: ليس بتفؤُّل، ولا إخباراً بالغيب، بل يميناً على نفي وقوع شيء معهود فيما مضى، وإنما كان محتملاً للإخبار عن غيب لو كان بلفظ: «ما يكون كذا وكذا».

---

(١) لسان العرب، طبع دار إحياء التراث العربي بتحقيق وتنسيق علي شيري ٦: ٣٦٥، مادة (سمع)؛ وفيه:

امن ريحانة الداعي السميع يورّقني وأصحابي هُجُوع؟

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٢٢، من الخطبة ١١٤.

(٣) مغني اللبيب: ٥٥٩، وشواهد المغني ٢: ٨٤٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٦٨.

وكيف كان؛ فأخذ حلفه عليه السلام إسماعيل بن عبدالله، فحلف لرجل في آخر يوم من شعبان، فقال: «لا والذي أنا في غبّر يوم عظيم منه وتلقاء ليلة تفتر عن أيام عظام ما كان ما بلغك هكذا».

هذا، وفي الخبر: إنّ يمين النبيّ صلى الله عليه وآله كان «لا ومقلّب القلوب»[(١)]، وقالوا: كان حكيم بن حزام إذا اجتهد في يمينه قال: «لا والذي نجّاني يوم بدر»[(٢)].

وفي (تاريخ اليعقوبي): كان شيث وقومه إذا أراد أحدهم أن يحلف قال: «لا ودم هابيل»[(٣)].

هذا، ومن حلف الأخطل وجرير ما في (العقد): إنّ جريراً وفد على عبدالملك وعنده الأخطل، فقال عبدالملك للأخطل: أتعرفه؟ قال: لا. قال: هذا جرير. فقال الأخطل له: والذي عرّفني أعيار أُمك ما عرفتك. فقال له جرير: والذي أعمى بصيرتك وأدام خزيتك لقد عرفتك بسيماك سيما أهل النار[(٤)]. والظاهر كون قول الأخطل «أعيار أُمّك» إشارة إلى اشتهار جرير بابن المراغة.

٢
الحكمة (٢٥٣)

وكان عليه السلام يقول:

أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّه بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ ٱللهِ وَقُوَّتِه، فَإِنَّهُ إِذَا

---

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٤٧، ١٤٨، ٢٧٦، والترمذي ٤: ١١٣ ح ١٥٤٠، والنسائي ٧: ٢، وابن ماجه ١: ٦٧٦ ح ٢٠٩٢، والدارمي ٢: ١٨٧، ومالك: ٤٨٨، ومسند زيد: ٢١٩، وأحمد ٢: ٢٥ ـ ٢٦، ٦٧، ٦٨، ١٢٧).

(٢) في أسد الغابة ٢: ٤١، والإصابة ١: ٣٤٩: «والذي مجاني ...».

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٨.

(٤) في العقد الفريد ٦: ١٤٨، ... قال الأخطل: والذي أعمى رأيك يا جرير ما عرفتك! قال له جرير: والذي أعمى بصيرتك ....

حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ العقُوبَة وَإِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ لأنّه قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى.

أقول: في (مروج المسعودي): قال الفضل بن الربيع: صار إليّ عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، فقال: إنّ موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ قد أرادني على البيعة له، فجمع الرشيد بينهما، فقال الزبيري لموسى: سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا. فالتفت إليه فقال: ومن أنتم؟ فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه، ثم قال موسى للرشيد: هذا الذي يشنّع علي بالخروج خرج والله مع أخي محمد بن عبدالله بن الحسن على جدك المنصور، وهو القائل من أبيات:

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن

في شعر طويل، وليس سعايته حباً لك، ولا مراعاة لدولتك، ولكن بغضاً لنا جميعاً أهل البيت، ولو وجد من ينتصر به علينا جميعاً لكان معه، وقد قال باطلاً، وأنا مستحلفه، فإن حلف إني قلت ذلك فدمي لك حلال. فقال الرشيد: إحلف له يا عبدالله. فلما أراده موسى على اليمين تلكّأ وامتنع، فقال له الفضل: لِمَ تمتنع وقد زعمت آنفاً أنّه قال لك ما ذكرته؟ قال: أحلف. قال له موسى: قل «تقلّدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي إن لم يكن ما حكيته عنه حقاً»، فحلف له. فقال موسى: الله أكبر حدّثني أبي عن جدّي عن جدّه عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلّا عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث؛ ما كذبت ولا كذّبت وها أنا في قبضتك، فإن مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبدالله بن مصعب حادث فدمي لك حلال. فقال الرشيد للفضل: خذ بيد موسى فليكن عندك حتى أنظر في أمره.

قال الفضل: فوالله ما صلّيت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ

من دار عبدالله بن مصعب، فأمرت من يتعرّف خبره، فعرفت أنه قد أصابه الجذام وأنّه قد تورّم واَسودّ، فصرت إليه، فوالله ما كدت أعرفه، لأنّه قد صار كالزقّ العظيم، ثم اَسودّ حتى صار كالفحم، فصرت إلى الرشيد، فعرّفته خبره، فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته، فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره، والفراغ منه وتولّيت الصلاة عليه، فلمّا دلّوه في حفرته لم يستقرّ فيها حتى انخسفت به، وخرجت منه رائحة مفرطة النتن، فرأيت أحمال شوك تمر في الطريق، فقلت: عليّ بألواح ساج، فطُرحت على موضع قبره، ثم طُرح التراب عليها، وانصرفت إلى الرشيد، فعرّفته الخبر، فأكثر التعجّب، وأمرني بتخلية موسى، وأن أعطيه ألف دينار، وأَحضره وقال له: لِمَ عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس؟ قال: لأنّا روينا عن جدنا عليّ عليه السلام أنّه قال: من حلف بيمين مجّد الله تعالى فيها اَستحى الله من تعجيل عقوبته، وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوّته إلّا عجّل الله له العقوبة قبل ثلاث. قال المسعودي: وقيل إنّ صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبدالله أخو موسى[1].

وروى أبو الفرج وابن بابويه كون صاحب القصة يحيى، فروى الأول في (مقاتله) ـ ونقله ابن أبي الحديد أيضاً ـ أنّ يحيى بن عبدالله بن الحسن لمّا أمّنه الرشيد بعد خروجه بالديلم وصار إليه بالغ في إكرامه، فسعى به بعد مدّة عبدالله بن مصعب الزبيري إلى الرشيد ـ وكان يبغضه ـ وقال له: إنّه عاد يدعو إلى نفسه سراً، وحسّن له نقض أمانه، فأحضره وجمع بينه وبين عبدالله بن مصعب ليناظره فيما رفعه إليه، فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد، وادّعى عليه الحركة في الخروج، فقال يحيى للرشيد: **أتصدّق** هذا عليّ وهو

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

ابن عبدالله ابن الزبير الذي أدخل أباك عبدالله وولده الشعب، وأضرم عليهم النار حتى خلّصه أبو عبدالله الجدلي صاحب عليّ عليه السلام منه عنوة، وهو الذي ترك الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله أربعين جمعة في خطبته، فلما التاث عليه الناس قال: إنّ له أُهيل سوء إذا صلّيت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واشربوا لذكره، فأكره أن أسرّهم أو أقرّ أعينهم، وهو الذي كان يشتم أباك ويلصق به العيوب وحسى ودكّ كبده، ولقد ذبحت بقرة يوماً لأبيك فوجد كبدها سوداء قد نَقِبَت فقال عليّ ابنه: أما ترى كبد هذه يا أبه. فقال: هكذا يا بنيَّ ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلمّا حضرته الوفاة قال لعليٍّ: يا بنيَّ إذا متّ فألحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، ولاتُقِم في بلد لابن الزبير فيه إمرة، فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبدالله بن الزبير، ووالله إن عداوة هذا لنا جميعاً سواء، ولكنّه قَوِي عليّ بك، وضعف عنك، فتقرّب بي إليك ليظفر منك بِي بما يريد إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوّغه على ذلك فِيَّ، فإن معاوية بن أبي سفيان ـ وهو أبعد نسباً منك إلينا ـ ذكر يوماً الحسن بن عليّ عليه السلام ، فسبّه، فساعده عبدالله بن الزبير، فانتهره معاوية، فقال له ابن الزبير: إنّما ساعدتك. فقال معاوية: إنّ الحسن لحمي آكله ولا أوكله، ومع هذا فهو الخارج مع أخي محمد على أبيك المنصور، والقائل لأخي في قصيدة طويلة يحرّض فيها أخي ويمدحه؛ منها:

لا عزّ ركنا نزار عند سطوتها ... إن أسلمتك ولا ركنا ذوي يمن

ألست أكرمهم عوداً إذا انتسبوا ... يوماً وأطهرهم ثوباً من الدرن

وأعظم الناس عند الناس منزلة ... وأبعد الناس من عيب ومِنْ وهنٍ

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا ... إن الخلافة فيكم يا بني حسن

إلى أن قال:

وتـنقضي دولة أحكـام قـادتها فينا كأحكام قوم عـابدي وثـن
فطالما قد بَرَوا بالجور أعـظمنا بري الصناع قداح النبع بالسفن

فتغيّر وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، وتغيّظ عـلى ابـن مـصعب، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلّا هو، وبأيمان البيعة أنّ هذا الشعر ليس له، وأنه لسديف، فقال يحيى: والله ما قاله غـيره ومـا حـلفت كـاذباً ولا صادقاً قبل هذا، وإن الله عزّ وجلّ إذا مجَّده العبد في يمينه فقال «والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم» استحى أن يعاقبه، فدعني أُحلِّفه بيمينٍ ما حلف بـها أحد قط كاذباً إلّا عوجل.

قال: فحلّفه، قال: قل: «برئت من حول الله وقـوته، واعـتصمت بـحولي وقوتي، وتقلّدت الحول والقوة من دون الله، استكباراً على الله واستعلاءً عليه واستغناءً عنه إن كنت قلت هذا الشعر»، فامتنع، فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع: ماله لا يحلف إن كان صادقاً؟ فهذا طيلساني عليَّ وهذه ثـيابي لو حلفني بهذه اليمين أنّها لي لحلفت، فوكز الفضل عبدالله برجله ـ وكان له فيه هوى ـ وقال له: إحلف ويحك، فجعل يحلف ووجهه متغيّر وهو يُرعَد، فضرب يحيى بين كتفيه وقال له: يا ابن مصعب قطعت عمرك لن تفلح بعدها أبداً. فما برح عن موضعه حتى عرض له أعراض الجذام؛ استدارت عينه وتفقّأ وجهه، وقام إلى بيته، فتشقّق لحمه، وانتثر شعره، ومات بعد ثلاثة أيام، فلمّا جُعل في القبر انخسف به حتى خرجت منه غبرة شديدة، وجعل الفضل يقول: التراب التراب فيطرح، وهو يهوي حتى سقف بخشب وطمّ عليه، فكان الرشيد بـعد ذلك يقول للفضل: ما أسرع ما أُديل ليحيى من ابن مصعب[1].

وروى (عيون ابن بابويه) عن عليّ بن محمد النـوفلي قـال: اسـتحلف

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣١٥ ـ ٣١٨، شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٩١ ـ ٩٤.

الزبير بن بكّار رجلٌ من الطالبيين على شيء بين القبر والمنبر، فحلف فبرص، فأنا رأيته وبساقيه وقدميه برص كثير، وكان أبوه بكّار قد ظلم الرضا عليه السلام في شيء، فدعا عليه السلام عليه، فسقط في وقت دعائه عليه من قصر، فاندقّت عنقه.

وأما عبدالله بن مصعب فإنه مزّق عهد يحيى بن عبدالله بين يدي الرشيد وقال له: أُقتله، فإنّه لا أمان له. فقال يحيى للرشيد: خرج مع أخي بالأمس ـ وأنشده أشعاراً له فأنكرها ـ فحلّفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة، فحمّ من وقته ومات بعد ثلاث، وانخسف قبره مرّات[1].

وكيف كان؛ ففعل ذلك قبله الصادق عليه السلام، أحلف من سعى به إلى المنصور بيمين البراءة، فعجّل الله له النقمة، ففي (فصول ابن الصباغ المالكي) عن الفضل بن الربيع قال: حجّ المنصور سنة (١٤٧) وقدم المدينة، فقال لأبي: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به سعياً، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل ربيع عنه، فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ له، فأرسل، فلمّا حضر قال له: إنّه أرسل إليك بما لا دافع له غير الله، وإنّي أتخوّفه عليك. فقال: لا حول ولا قوة إلّا بالله، فلمّا أُدخل عليه قال له: يا عدوّ الله! اتّخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم؛ تلحد في سلطاني وتبتغي لي الغوائل! إنّ فلاناً أخبرني عنك بما قلت. فقال: أحضره، فأحضره وقال له: أحقٌّ ما حكيت لي عن جعفر؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فاستحلفه، فبدر الرجل وقال: والله الذي لا إله إلّا هو ـ وأخذ يعدّد صفاته تعالى ـ فقال عليه السلام: ليحلف بما أستحلفه ويترك يمينه هذا. فقال له المنصور: أحلفه بما تختار. فقال عليه السلام له: قل: «برئت من حول الله وقوته، والتجأت إلى حولي وقوّتي لقد فعل جعفر كذا وكذا». فامتنع الرجل، فنظر إليه المنصور نظر منكر، فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض،

---

(١) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٢٦ ح ١.

وقضى ميتاً مكانه في المجلس. فقال المنصور: جُرّوا برجله وأخرجوه لعنه الله، ثم قال: لا عليك يا أبا عبدالله أنت البريء الساحة -إلى أن قال- فقال الربيع له عليه السلام: منعت الساعي بك أن يحلف يمينه، وأحلفته أنت تلك اليمين. فقال: إن في يمينه بتوحيد الله وتمجيده يؤخر العقوبة عنه، وأحببت تعجيلها عليه، فأحلفته بما سمعت، فأخذه الله لوقته[1].

وروى (الكافي) عن صفوان الجمّال قال: حملت أبا عبدالله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة والمنصور فيها، فلمّا أشرف على الهاشمية مدينة المنصور نزل من الراحلة، وركب بغلة شهباء، ولبس ثياباً بيضاً، فلمّا دخل على المنصور قال له: تشبّهت بالأنبياء؟! فقال عليه السلام: وأنّى تبعدني من أبناء الأنبياء؟ فقال المنصور: لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها، ويسبي ذريتها. فقال عليه السلام: ولم؟ فقال: رفع إلي أنّ مولاك المعلّى بن خنيس يدعو إليك، ويجمع لك الأموال. فقال عليه السلام: والله ما كان كذا. فقال المنصور: لست أرضى إلّا بالطلاق والعتاق، والهدي والمشي. فقال عليه السلام أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف. من لم يرض بالله فليس من الله في شيء. فقال له المنصور: أفتتفقّه عليّ. فقال: وأنّى تبعدني من الفقه وأنا ابن النبيّ؟ فقال: فإنّي أجمع بينك وبين من سعى بك. قال: فافعل. فجاء الرجل وقال له عليه السلام: والله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت. فقال عليه السلام: ويلك تمجّد الله، فيستحي من تعذيبك، ولكن قل: «برئت من حول الله وقوّته، وألجأت إلى حولي وقوّتي»، فحلف بها الرجل، فلم يستتمّها حتى وقع ميتاً، فقال له المنصور: لا أصدّق عليك بعده[2].

---

(١) الفصول المهمة: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) الكافي ٦: ٤٤٥، ٣.

هذا، وفي (الطبري): حجّ الوليد بن عبدالملك، وحجّ محمد بن يوسف من اليمن، وحمل هدايا للوليد، وفقالت أُمّ البنين للوليد: إجعل لي هدايا محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فأرسلت رسلها إليه فيها، فأبى وقال: حتى ينظر إليها الوليد، فيرى رأيه ـ وكانت هدايا كثيرة ـ فقالت للوليد: إنّك أمرت بها أن تُصرف إليّ ولا حاجة لي بها. قال: ولِمَ؟ قالت: بلغني أنّه غصبها الناس، وكلّفهم عملها وظلمهم، فحملها إلى الوليد، فقال له: بلغني أنك أصبتها غصباً. قال: معاذ الله، فأمر، فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يميناً أنه ما غصب شيئاً منها، ولا ظلم أحداً فيها، ولا أصابها إلّا من طيّب. فحلف، فقبلها الوليد ودفعها إلى أُم البنين، فمات محمد بن يوسف باليمن، أصابه داء تقطّع منه[1].

وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): إتّهَمَ بنو عبد منافٍ خداشَ العامري بقتل عمرو بن علقمة بن عبدالمطّلب بن عبد مناف ـ وكان أجيراً لخداش ـ خرج معه إلى الشام، ففقد خداش حبلاً، فضرب عمراً بعصا، فمرض منها، فكتب إلى أبي طالب بخبره، فمات منها، فتحاكموا فيه إلى الوليد بن المغيرة، فقضى أن يحلف خمسون رجلاً من بني عامر بن لؤي عند البيت «ما قتله خداش»، فحلفوا إلّا حويطب بن عبد العُزّى، فإن أُمّه افتدت يمينه، فيقال: إنّه ما حال عليهم الحول حتى ماتوا كلهم إلا حويطباً، وانقرض أولاد خداش[2].

وفي (وزراء الجهشياري): ـ في تحالف الأمين والمأمون في الكعبة ألّا يتناكثا ـ إن جعفر البرمكي طالب الأمين أن يقول: خذلني الله إن خذلت

---

(١) تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، طبع بيروت) ٦: ٤٩٨.

(٢) نسب قريش: ٤٢٤، ونقل المصنّف لا يخلو من تصرف. لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (١٥٦ ـ ٢٣٦ هق). (بتحقيق إليفي بروفنسال ـ طبعة دار المعارف للطباعة والنشر).

المأمون ففعل، ولما خرج الأمين من البيت قال للفضل بن الربيع: أجد في نفسي أن أمري لا يتمّ. فقال له: ولِمَ ذاك ـ أعزّ الله الأمير ـ قال: لأنّي كنت أحلف وأنا أنوي الغدر. فقال له: سبحان الله أفي هذا الموضع؟ فقال له: هو ما قلت لك(١).

هذا، وفي بعض كتب الأدب: إن أعرابيّين اختصما إلى بعض الولاة في دَين لأحدهما، فجعل المدّعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق، فقال المدّعي: دعني من هذه الايمان، واحلف بما أقول لك. قل: «لا يترك الله لي خفاً يتبع خفاً، ولا ظلفاً يتبع ظلفاً، وحتّني من أهلي ومالي حتّ الورق من الشجر؛ إن كان لك قبلي هذا الحق»، فلم يحلف، وأعطاه حقه. والخفُّ: كناية عن الإبل، والظِّلف: كناية عن البقر والشاة.

وفي (يتيمة الثعالبي): قال أبو إسحاق الصابي: طلب منّي رسول سيف الدولة، ـ وكان قدم إلى الحضرة ـ شيئاً من شعري، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فدافعته أياماً، ثم ألحّ علي وقت خروجه، فأعطيته هذه الأبيات:

إن كنت خنتك في الأمانة ساعة ... فذممت سيف الدولة المحمودا

وزعمت أن له شريكاً في العلى ... وجحدته في فضله التوحيدا

قسماً لو أني حالف بغموسها ... لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة أخرج إليّ كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي وفيه ثلاثمئة دينار(٢).

وفي (الأغاني): قال محمد بن سلام: أنشدني ابن قنبر لنفسه:

---

(١) انظر الوزراء والكتاب (أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري) بتصحيح وتحقيق عبدالله اسماعيل الصاوي، ط القاهرة: ١٧٥.

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي ١: ٢٣.

صـرَمْتني ثـم لاكـلّمتني أبـداً إن كنتُ خنتك في حالٍ من الحال
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرت خطرة منه على بالي

فقلت لَهُ وأنا أضحك: يا هذا! لقد بالغتَ في اليمين. فقال: هي عندي كذاك وإن لم تكن عندك كما هي عندي[1].

وفي (الطبري): غنّي علوية بدمشق المأمون:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي أتاكِ به الواشون عنّي كما قالوا
ولكـنّهم لمّـا رأوكِ سـريعة إليّ تواصـوا بالنميمة واحتالوا

فقال له: لمن هذا الشعر؟ فقال: لقاضي دمشق. فقال: يا أبا إسحاق اعزله، فما كنت أُولّي رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام. ثم قال: يا علوية لا تقل: «برئت من الإسلام» قل:

حرمت مناي منكِ إن كان ذا الذي أتاكِ به الواشون عنّي كما قالوا[2]

وقالوا: كان بعض أهل البصرة يتشيّع ويوافقه على مذهبه رجل، فأودعه مالاً، فجحده، فاضطرّ إلى أن قال لمحمد بن سليمان وسأله أن يحضره ويحلفه بحق عليّ عليه السلام، ففعل ذلك. فقال الرجل: أعزّ الله الأمير، هذا الرجل صديقي، وهو أعزّ عليّ، وأجلّ من أن أحلف بالبراءة من مختلف في ولايته وإيمانه، ولكنّي أحلف له بالبراءة من المتفق على إيمانهما وولايتهما أبي بكر وعمر. فضحك محمد بن سليمان، والتزم المال، وخلّى عن الرجل.

وفي (الأذكياء) عن غلام ابن المزوّق البغدادي: زوّجني مولاي جارية أحببتها حباً شديداً، وأبغضتني بغضاً شديداً، وكنت أحتمل تنافرها إلى أن أضجرتني. فقلت لها يوماً: أنت طالق ثلاثاً إن خاطبتني بشيء إلّا خاطبتك

(١) الأغاني لأبي الفرج ١٤: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٦٥٦ (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط بيروت)، بتصرف.

بمثله، فقد أفسدك احتمالي لك. فقالت في الحال: «أنت طالق ثلاثاً بتاتاً» فأبلست ولم أدرِ ما أُجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت، فتصير بذلك طالقاً مني، فأُرشدت إلى أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرى، فقال: أقم معها بعد أن تقول لها «أنت طالق ثلاثاً إن أنا طلّقتك» فتكون وفيت بيمينك ولم تطلقها ولا تعاود الأيمان[1].

قلت: وهذا على مذهب العامة.

وفي (أخبار حكماء القفطي): لما تقرّر الصلح بين عضد الدولة وابن عمه بختيار عزّ الدولة، تقدّم بختيار إلى أبي إسحاق الصابي بإنشاء نسخة يمين فأنشأها واستوفى فيها الشروط حق الاستيفاء، فلم يجد عضد الدولة مجالاً في نكثها، وألزمته الضرورة الحلف بها، فلما عاد إلى العراق وملكها حبس الصابي مده طويلة[2].

هذا، وكما علّم أمير المؤمنين عليه السلام الناس إحلاف الظالم كذلك علمهم إحلاف الأخرس، قال الصادق: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن حلف الأخرس فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بيّنت للأُمة جميع ما تحتاج إليه. ثم قال: إيتوني بمصحف. فأُتي به فقال للأخرس: ما هذا، فرفع رأسه إلى السماء ـ أشار إلى انهِ كتاب الله تعالى ـ ثم قال: إيتوني بوليه فأتي بأخ له فأقعده إلى جنبه ثم قال: يا قنبر عليَّ بداوة وصحيفة فأتاه بهما ثم قال لأخي الأخرس قل لأخيك بينك وبينه إنه علي، فتقدم إليه بذلك، ثم كتب عليه السلام «والله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الطالب الغالب الضار النافع المهلك المدرك الذي يعلم السرّ والعلانية إنّ فلان بن فلان المدَّعي ليس

(١) الأذكياء لابن الجوزي: ١١٢، نقله المصنّف بتصرف..

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٥٤، (جمال الدين أبوالحسن علي بن القاضي يوسف القِفطي) المتوفى سنة (٦٤٦).

له قِبَلَ فلان بن فلان ـ يعني الأخرس ـ حقٌّ ولا طلبة بوجه من الوجوه، ولا بسبب من الأسباب، ثم غسله وأمر الأخرس أن يشربه، فامتنع. فألزمه الدين[١].

وكذا إحلاف أهل الكتاب، فروى (الكافي): أنّه عليه السلام استحلف يهودياً بالتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام[٢]، لكن في طريقه السكوني العامي.

وفي (الصحيح) عن الصادق عليه السلام: لا يحلف اليهودي ولا النصراني ولا المجوسي بغير الله، إن الله تعالى يقول: ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾[٣].

ويمكن حمل ذاك الخبر على جواز إحلاف الكتابي بكتابه إذا كان ارتداعه به أكثر من ارتداعه بالحلف به تعالى.

«**احلفوا الظالم**» إلى «**عوجل العقوبة**» هكذا في (المصرية)[٤] وليست كلمة «العقوبة» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«**وإذا حلف**» إلى «**لم يعاجل لأنّه قد وحّد الله تعالى**» هكذا في (المصرية)[٦] والصواب: «سبحانه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٧].

٢
الخطبة (٢٧٢)

وقال عليه السلام: **لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتْ قَدَماايَ مِنْ هَذِهِ المَدَاحِضِ؛ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ.**

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٦٥ ـ ٦٦، ح ٢، والتهذيب ٦: ٣١٩، ح٨٦.

(٢) الكافي ٧: ٤٥١، ٣.

(٣) الكافي ٧: ٤٥١، ٤. والآية ٤٨ من سورة المائدة.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٢٠٩، الحكمة ٢٥٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٩١، هكذا ـ ابن ميثم، الطبعة الحجرية ٣: ٤٩٦.

(٦) نهج البلاغة ٣: ٢٠٩، الحكمة ٢٥٣.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٩١، هكذا ـ ابن ميثم ٣: ٤٩٦، السطر الخامس هكذا.

هكذا في (المصرية)[١] و(ابن أبي الحديد)[٢] ولكن في (ابن ميثم)[٣] «في هذه المداحض» وهو أصح.

وكيف كان فقال ابن أبي الحديد: لسنا نشكّ أنه عليه السلام كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة، نحو قطعه السارق من رؤوس الأصابع، وبيعه أُمهات الأولاد، وغير ذلك، وإنّما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدّمه اشتغاله بحرب البُغاة والخوارج، وإلى ذلك يشير بالمداحض الّتي كان يؤمّل استواء قدميه منها، ولهذا قال لقضاته: «أُقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة»[٤].

قلت: تمثيله بقطع السارق من رؤوس الأصابع وبيع أُمهات الأولاد في غير محله، فإنّ مذهبه عليه السلام ومذهب عترته إبقاء الابهام وقطع باقي الأصابع في السارق، وأما أُمهات الأولاد فعدم جواز بيعهن إلّا إذا مات مواليهن وكان ثمنهن ديناً ولم يخلّفوا شيئاً سواهن.

وقوله «كان يمنعه من التغيير اشتغاله بحرب البغاة» في الجملة صحيح، وقد قالت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب لمعاوية كما في (بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي) فيما قالت له: «ودعانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى أخذ حقّنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الأُمور مواضعها»[٥]، إلّا أنّ الأصل والحقيقة كون أصحابه عليه السلام غير عارفين به، فلو لم تكن البغاة لم يتمكن عليه السلام أيضاً من تغيير ما أراد؛ فروى (روضة الكافي) عن سليم بن قيس

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٢١٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦١، هكذا.

(٣) ابن ميثم ٣: ٤٩٩، وفيه «من هذه المداحض».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦١، هكذا.

(٥) بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر البغدادي: ٢٩، طبعة النجف الأشرف سنة ١٣٦١ هـ

الهلالي أنه عليه السلام خطب فقال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة، فإذا غيّر منها شيء قيل قد غُيِّرت السنّة وقد أتى الناس منكراً» ثم أقبل عليه السلام بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته ـإليهم وقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها النبي متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده مغيّرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد النبي لتفرّق عنّي جندي حتى أبقى وحدي، أو مع قليل من شيعتي الّذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله وسنّة رسوله.

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه النبي، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة، ورددت صاع النبي كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها النبي لأقوام لم تُمض لهم ولم تنفّذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قُضي بها، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم في الفروج والاحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قُسّم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطاء، وأعطيت كما كان النبي يعطي بالسوية، ولم أجعلها دولة بين الأغنياء، وألقيت المساحة، وسوّيت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله وفرضه، ورددت مسجد النبي إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح من الأبواب وفتحت ما سدَّ منه، وحرّمت المسح على الخفّين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل مع النبي ممّن كان أخرجه، وأدخلت من أُخرج بعد النبي، وحملت الناس على حكم القرآن في الطلاق، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت

الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأُمم إلى كتاب الله وسنّة نبيه؛ إذن لتفرّقوا عنّي. والله لقد أمرت الناس ألّا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعاً.

إلى أن قال: وما لقي أهل بيت نبيٍّ من أُمّته ما لقينا بعد نبينا صلى الله عليه وآله، والله المستعان على من ظلمنا[١].

وروى الجوهري في (سقيفته) ـ وقد نقله ابن أبي الحديد[٢] في موضع آخر ـ عن محمد بن إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي قلت: أرأيت علياً عليه السلام حين ولي أمر الناس كيف صنع في سهم ذوي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي‌بكر وعمر. قلت: وكيف ولِمَ وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلّا عن رأيه. فقلت: فما منعه؟ قال: كان يكره أن يُدَّعىٰ عليه مخالفة أبي‌بكر وعمر[٣].

وروى أيضاً في (زيادات سقيفته) ـ وقد نقله ابن أبي الحديد[٤] في موضع آخر ـ عن سهل الساعدي قال: مشيت وراء عليّ عليه السلام حيث انصرف من عند عمر في الشورى، والعباس يمشي في جانبه، فسمعته يقول للعباس: ذهبت منا والله ـ أي: الخلافة ـ فقال له العباس: كيف علمت؟ قال: ألا تسمعه ـ أي: عمر ـ يقول كونوا في الجانب الذي فيه عبدالرحمن وسعد وابن عمر؟

(١) الكافي ٨: ٥٨ ـ ٦٢ ح ٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣١، وفيه: «أرأيت علياً عليه السلام حين ولي العراق وما ولي من أمر الناس...».

(٣) السقيفة للجوهري: ١١٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥٠ ـ ٥١، نقله مع فرق يسير.

وعبدالرحمن نظير عثمان وهو صهره فإذا اجتمع هؤلاء فلو أن الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عني شيئاً، دع إنّي لست أرجو أحدهما ومع ذلك فقد أحب عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنده فضلا علينا، لا، لعمر الله ما جعل الله ذلك لهم علينا كما لم يجعل لأولادهم على أولادنا، أما والله لئن لم يمت عمر لأذكِّرنَّه ما أتى إلينا قديماً ولأُعلمنه سوء رأيه فينا وما أتى إلينا حديثاً، ولئن مات ـ وليموتنَّ ـ ليجمعنَّ هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنّا، ولئن فعلوها ـ وليفعلنَّ ـ ليرونّي حيث يكرهون، والله ما بي رغبة في السلطان ولا حب الدنيا، ولكن لإظهار العدل والقيامَ بالكتاب والسنة. ثم التفت فرآني وراءه فعرفت انه قد ساءه ذلك، فقلت: لا تُرَعْ أبا حسن! لا والله لا يسمع أحد ما سمعت منك ما اصطحبنا، فوالله ما سمعه مني أحد حتى قبض عليه السلام[1].

وروى (شورى عوانة) عن الشعبي قال: خرج المقداد من غد بيعة عثمان فلقي عبدالرحمن بن عوف فأخذ بيده وقال له: إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت إنّما أردت الدنيا فأكثر الله مالك. فقال عبدالرحمن: إسمع رحمك الله اسمع. قال: لا أسمع والله، وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على عليّ عليه السلام فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك. قال علي: فبمن أقاتل رحمك الله، وأقبل عمّار ينادي:

يا ناعي الإسلام قم فانعه   قد مات عُرف وبدا نُكْرُ

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحد لأكونَنَّ له ثانياً. فقال عليّ عليه السلام: «يا أبا اليقظان! والله لا أجد عليهم أعواناً، ولا أحب أن أعرِّضكم لما لا تطيقون»، وبقي عليٌّ في داره وعنده نفر من أهل بيته وليس

---

(١) السقيفة : ٨٢.

يدخل إليه أحد مخافة عثمان[١].

والمأمون مع ٱستقرار سلطنته الوسيعة أراد إعلان حلّيّة المتعة ونشر لعن معاوية فما قدر، فكيف كان عليه السلام يقدر مع تلك السلطنة المتزلزلة المحدودة حتى قال عليه السلام «إن هي إلّا الكوفة أقبضها وأبسطها»[٢].

وقال الكراجكي في (كتاب تعجبه): ومن العجب أنهم قالوا إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان تركوا كثيراً من الأحكام وأظهروا البدع في الاسلام فلِمَ لم يغيّر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام لما انتهى الأمر إليه بعد عثمان؟ أو لا يرون أنه عليه السلام نهاهم عن الجماعة في صلاة نوافل شهر رمضان فتفرقوا عنه وصاحوا واعمراه نهيتنا عن سنة عمر بن الخطاب، فإذا كانت هذه حاله معهم في النهي عن أمر يعلمون أنّ عمر ابتدعه، ويتحقّقون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهىٰ عنه وأنكره، ويجعلون البدعة من عمر سنة، فكيف لو غيّر عليه السلام أكثر من هذا، بل لو غيّر بدعهم كلها وجاهر بمخالفتهم في الأُمور التي استحدثوها؟ فكيف ينكر تقيّته منهم وهذه حاله معهم؟ ألم يسمعوا قوله عليه السلام «أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق كل كتاب ويقول: يا ربّ! قضى عليٌّ فينا بقضائك، وقوله: «أما والله لو ثبتت قدماي لغيّرت أُموراً كثيرة»[٣].

وروى محمد بن يعقوب في (كافيه) عن معمر بن يحيى قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عمّا يروي الناس عن عليّ عليه السلام في أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها ولا ينهى عنها إلّا أنه ينهى عنها نفسه وولده، فقلت: وكيف يكون ذلك؟ قال:

---

(١) السقيفة : ٨٧.

(٢) نهج البلاغة ١: ٦٠ من الخطبة ٢٥ وفيه «ماهي ...» .

(٣) التعجب: ٢٤.

قد أحلّتها آية وحرّمتها آية أُخرى. قلت: فهل يصير إلّا أن يكون إحداهما قد نسخت الأُخرى أو هما محكمتان جميعاً ينبغي أن يعمل بهما؟ فقال: قد بين لكم إذ نهى نفسه وولده عنها. قلت: ما منعه أن يبيّن ذلك للناس؟ فقال: خشي ألّا يطاع، ولو أن علياً ثبتت له قدماه أقام كتاب الله والحق كله[1].

وروي عن منصور بن حازم قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأتاه رجل فسأله عن رجل تزوج امرأة فماتت قبل أن يدخل بها؛ أيتزوج بأُمها؟ فقال: قد فعله رجل منّا فلم يرَ به بأساً. فقلت له: جعلت فداك ما تفخر الشيعة إلّا بقضاء عليّ عليه السلام في هذه الشمخية التي أفتاها ابن مسعود أنه لا بأس بذلك، ثم أتى علياً فقال له: من أين أخذتها؟ قال: من قوله تعالى: ﴿وربائبكم اللّاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾[2]، فقال علي: إنّ هذه مستثناة وآية ﴿وأُمهات نسائكم﴾[3] مرسلة. إلى أن قال: فقلت لأبي جعفر: ما تقول أنت فيها؟ فقال: تخبرني أن علياً قضى بها وتسألني ما تقول فيها[4]؟

وروي عن سيف بن عميرة قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدرة وقال: نحرت صلاة الأوّابين نحرك الله قال: فأتركها؟ فقال: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى﴾[5]. قال أبو عبدالله عليه السلام وكفى بإنكار عليّ عليه السلام نهياً[6].

وروى (الفقيه) عن ابن عباس قال: كتب إليّ عليّ عليه السلام في ستة إخوة

---

(١) الكافي ٥: ٥٥٦، ٨.

(٢) و (٣) النساء: ٢٣.

(٤) الكافي ٥: ٤٢٢، ٤.

(٥) العلق: ٩ و ١٠.

(٦) الكافي ٣: ٤٥٢، ٨.

وجَدٍّ أنِ اجعله كأحدهم وامح كتابي. قال: فجعله عليّ عليه السلام سابعاً، وقوله «وامح كتابي» كره أن يشنع عليه بالخلاف على من تقدمه[1].

وروى (غارات الثقفي) في آخر عنوانه الثاني «في غنيٍّ وباهلة» مسنداً عن الحارث بن حصيرة عن أصحابه عن عليّ عليه السلام قال: «أُدعوا لي غنيّاً وباهلة وحيّاً آخر قد سمّاهم فليأخذوا أُعطياتهم، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة مالهم في الإسلام نصيب، وإني لشاهدٌ لهم في منزلي عند الحوض وعند المقام المحمود أنهم أعدائي في الدنيا والاخرة، ولئن ثبتت قدماي لأُردَّنَّ قبيلة إلى قبيلة ولأبهرجنَّ ستين قبيلة ما لهم في الإسلام من نصيب» ثم قال: وعن يوسف بن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه عنه مثله[2].

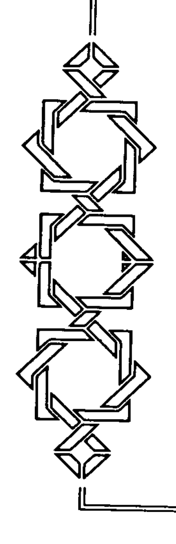
---

(١) الفقيه ٤: ٢٠٨ ح ٢٩.

(٢) الغارات ١: ٢٠ ـ ٢٢.

الفصل الخامس والعشرون

في شكايته عليه السلام من أهل عصره





١
الخطبة (٣١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُود وَزَمَنٍ كَنودٍ، يُعَدُّ فيهِ ٱلْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَيَزْدَادُ ٱلظَّالِمُ فِيه عُتُوّاً لاَنَنْتَفعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا. فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَايَمْنَعُهُ ٱلْفَسَادَ إِلّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِه، وَمِنْهُمْ ٱلْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَٱلْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ وَٱلْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، قَدْ أَشْرَط نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُه، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُه، وَلَبِئْسَ ٱلْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى ٱلدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا عِنْدَ ٱللهِ عِوَضاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلآخِرَةِ، وَلَايَطْلُبُ ٱلآخِرَةَ بِعَمَلِ ٱلدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ، وَٱتَّخَذَ سِتْرَ ٱللهِ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ

طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدىً، وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ ٱلتَّقِيَّةُ وَشَمِلَتْهُمُ ٱلذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، وقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا، فَلْتَكُنِ ٱلدنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ القَرَظِ، وَقُرَاظَةِ ٱلْجَلَمِ، وَٱتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال المصنّف: هذه الخُطْبَةُ رُبَّمَا نسبها من لا عِلْمَ له إلى معاوية وَهِيَ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الَّذِي لَايُشكُّ فِيه، وأين الذَّهبُ من الرَّغام، والعذْبُ منَ الأُجَاجُ، وَقد دَلَّ على ذلك الدَّليلُ الخِرّيت، ونقدهُ النَّاقِدُ البَصِيرُ عَمْرُو بن بحرٍ الجاحِظ، فإنهُ ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين، وذكرَ من نَسَبَهَا إلى مُعَاوية ثمَّ قَال: هي بكلام عليّ أشبهُ، وَبمذهبه فِي تصنيف النَّاسِ وبالإخبَارِ عَمَّا هُمْ عليهِ من القَهْر وَالإذْلالِ، ومن التـقيَّةِ والخـوْفِ أَلْيَقُ. قَالَ: ومتى وجدنا معاويَةَ فى حال من الأحوال يسلُكُ في كلامه مسلك الزُّهَّاد ومذاهبَ العُبَّاد.

«أصبحنا في دهر عنود» عند عن الطريق: عدل. لابن لنكك البصري:

نحن والله في زمانٍ غَشُوم لو رأيناه في المنام فَزِعْنا

يُصبِحُ الناسُ فيه من سوء حالٍ حَقٌّ مَن مات منهم ان يُهَنَّا[١]

«وزمن كنود» رجل كنود: كافر النعمة، وأرض كنود: لا تُنبت شيئاً. لابن لنكك البصري:

يا زماناً ألبس الأحرار ذُلّاً ومهانة لست عندي بزمان إنّما أنت زمانه[٢]

قال البحتري:

وخلّفني الزمان على أناس وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حَسُنَّ فهن بيض وأخلاق سمجن فهن سود
وأخلاقُ البغال فكلُّ يوم يعنّ لبعضهم خلق جديد
وأكثر ما لسائلهم لديهم إذا ما جاء قولهم تعود
ووعدٌ ليس يعرف من عبوس انقباضهم أوعدٌ أم وعيد
أُناس لو تأمّلهم لبيد بكى الخلف الذي يشكو لبيد[٣]

«يعد فيها المحسن مسيئاً» ﴿الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلّا جهدهم فيسخرون منهم﴾[٤].

«ويزداد الظالم فيه عتوّاً» ﴿ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً﴾[٥].

«لا ننتفع بما علمنا» في (الكافي) عنه عليه السلام: العالم العامل بغيره كالجاهل

---

(١) أُنظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٩: ٧.

(٢) أُنظر معجم الأدباء ١٩: ٩، والشعر هكذا:

يا زماناً ألبس الأحْـ ـرارَ ذُلّاً ومهانَهْ
لستَ عندي بزمانٍ إنّما أنت زَمانَهْ(*)

(*) الزمانة: العاهة وتعطيل القوى. (هامش المعجم).

(٣) ديوان البحتري ٢: ١٢ ـ ١٣ طبعة دار صعب، بيروت.

(٤) التوبة: ٧٩.

(٥) الاسراء: ٦٠.

الذي لا يستفيق من جهله، بل قد رأيت أن الحجة عليه أعظم[١].

«ولا نسأل عمّا جهلنا» أيضاً: وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وضمنه، وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أُمرتم بطلبه[٢].

«ولا نتخوف قارعة حتى تحلّ بنا» القارعة: الشديدة من الشدائد، ولذا سميت بها القيامة. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: شيّبتني قوارع القرآن[٣].

«فالناس على أربعة أصناف» المراد الناس المذمومون.

«منهم من لا يمنعه الفسادَ إلّا مهانة نفسه» هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب: «منهم من لا يمنعه الفسادَ في الأرض إلّا مهانة نفسه» كما في (ابن أبي الحديد) وغيره[٥]. ومهانة نفسه: حقارتها. و «الفساد» منصوب بنزع الخافض.

قالوا: لما أرادوا البيعة لمروان بعد يزيد قام روح بن زنباع فقال: تذكرون عبدالله بن عمر وصحبته ولكنه رجل ضعيف مهين وليس مثله بصاحب الأُمة[٦].

«وكلالة حدّه» من كلّ السيف: إذا لم يقطع.

«ونضيض وفره» من نضّ الماء: سال قليلاً قليلاً، وسقاء أوفر: لم ينقص من أديمه شيء، وهذا الصنف هم الأكثرون من الناس، وفي طبعهم الفساد في

---

(١) الكافي ١: ٤٥، ح ٦.

(٢) الكافي للكليني ١: ٣٠ح ٤، بتقطيع.

(٣) نقله بهذا اللفظ الزمخشري في الأساس: ٣٦٣ مادة (قرع)، لكن المشهور غير هذا اللفظ.

(٤) نهج البلاغة ١: ٧٣، من الخطبة ٣٢، وفيه «منهم من لا يمنعهم ...».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٦ وابن ميثم الطبع الحجري ٢: ١٤٥، وفيه «منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض».

(٦) تاريخ الطبري ٥: ٥٣٦، احداث سنة ٦٤ هـ، طبعة دار سويدان، بيروت.

الأرض، إلّا أنَّ مهانة نفسه وقلة ماله تمنعانه ممّا في باطنه، فإن صار يوماً ذا مكنة ورياسة يظهر مكنونه ويعلم خبثه، كالحجّاج في أول أمره لما كان معلماً بالطائف وآخره لما لحق بعبد الملك.

«**ومنهم المصلت لسيفه**» أي: المجرِّد له من غمده. خرج عبدالله بن علي على المنصور في أهل خراسان، فخشي ألّا يناصحوه فأمر صاحب شرطته فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، وقتل مصعب بن الزبير من المستسلمين من عسكر المختار سبعة آلاف صبراً، فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة؟! عش ما استطعت. فقال مصعب: إنهم كانوا كفرة سحرة ـ سموهم كفرة سحرة لمّا طالبوا بدم ابن بنت نبيّهم صلى الله عليه وآله ـ فقال له ابن عمر: والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً[1].

«**والمعلن بشرّه**» في الخبر: شر الناس من أكرمه الناس اتّقاء شره[2].

«**والمجلب عليهم بخيله ورجله**» والاجلاب كذلك كناية عن صرف غاية جهده، والخيل: الفرسان والرَّجِلْ: الرجالة، قال تعالى في الشيطان ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلِك﴾[3].

«**قد اشرط نفسه**» أي: أعدها وجعل لها علامة يعرفونه بها.

«**وأوبق دينه**» أي: أهلكه.

«**لحطام ينتهزه**» أي: يغتنمه، والحطام: ما تكسّر من اليبس.

«**أو مقنب يقوده**» في (الصحاح) المقنب: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ١١٢ ـ ١١٣، احداث سنة ٦٧ هـ، طبعة دار سويدان، بيروت.

(٢) الكافي ٢: ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ح٢ و ٤، بتصرف.

(٣) الاسراء: ٦٤.

(٤) الصحاح ١: ٢٠٦.

روى (أُسد الغابة) عن ابن حاطب أنه ذكر ابن الزبير فقال: طالما حرص على الامارة. أُتي النبيّ صلى الله عليه وآله بلص فأمر بقتله، فقيل له: إنه سرق. فقال: إقطعوه. ثم أُتي به بعد إلى أبي‌بكر وقد سرق ـ وقد قطعت قوائمه ـ فقال: ما أجد لك شيئاً إلّا ما قضى فيك النبي يوم أمر بقتلك، فانه كان أعلم بك، ثم أمر بقتله أغيلمة من أبناء المهاجرين أنا فيهم. فقال ابن الزبير: أمّروني عليكم فأمّرناه علينا ثم انطلقنا به فقتلناه[١].

«**أو منبر يفرعه**» أي: يصعده، للفرزدق في فقيمي صار أميراً:

بكى المنبر الشرقي إذ قام فوقه   خطيبٌ فُقَيمِيٌّ قصير الدوارج[٢]

وفي (ديوان البحتري) في مدح المعتز وهجو المستعين:

بكى المنبر الشرقي إذ خار فوقه   على الناس ثور قد تدلّت غباغبه[٣]

وفي (المروج): لما ولّي سعيد بن العاص الكوفة بعد الوليد بن عقبة الذي صلّى الصبح أربعاً في سكره؛ أبى أن يصعد المنبر حتى يغسل، وقال: إنّ الوليد كان رجساً نجساً[٤].

«**ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً، وممّا عند الله عوضاً**» ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله﴾[٥]، ﴿أُولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون﴾[٦].

«**ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا**» في

---

(١) أُسد الغابة ١: ٣٢٢.

(٢) لسان العرب ٢: ٢٦٧، طبعة ايران، نشر أدب الحوزة، مادة (درج).

(٣) ديوان البحتري ١: ٩٠، طبعة دار صعب، بيروت.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٣٦.

(٥) البقرة: ٩٠.

(٦) البقرة: ٨٦.

(الكافي) عن الصادق عليه السلام : من أراد الله بالقليل من عمله أظهره الله له أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله تعالى إلّا أن يقلله في عين من سمعه[١].

وفي (المروج): أظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال: انما بطني شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا، وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب، وكثرت أذيته لبني هاشم مع شحّه بالدنيا على سائر الناس، فقال أبو حرة:

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد
أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين
فيا راكباً إما عرضت فبلغن
كبير بني العوام إن قيل من تعني
تخبّر من لاقيت أنك عائذ
وتكثر قتلاً بين زمزم والركن
تخبّرنا أن سوف تكفيك قبضة
وبطنك شبر أو أقلُّ من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئاً قضمته
كما قضمت نار الغضا حطب السدر[٢]

«قد طامن من شخصه» أي: سكن منه «وقارب من خطوه» في (الصحاح) الخُطوة بالضم ما بين القدمين[٣].

---

(١) الكافي ٢: ٢٩٦، ح ١٣.

(٢) مروج الذهب ٣: ٧٥ والبيت الأخير لفيروز الديلمي لا لأبي مرة.

(٣) الصحاح للجوهري ٦: ٢٣٢٨.

«وشمّر من ثوبه» أي: رفع منه. في خبر (الكافي): رأى سفيان الثوري الصادق عليه السلام في المسجد الحرام وعليه ثياب حسان، فقال له ما لبس النبي وعلي مثل هذا اللباس. فقال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله في زمان قتر مقتر، وكان يأخذ لقتره وإقتاره، وإن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها، فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا ﴿قل من حَرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[1]، ونحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أني يا ثوري ما ترى عليَّ من ثوب إنما ألبسه للناس، ثم اجتذب يد سفيان فجرَّها إليه ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً ـ وقال: ألبسه لنفسي وما رأيته للناس ـ ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب ليّن وقال: لبست هذا الأعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسرّها[2].

وفي (البيان): ان الحسن عليه السلام قال: إن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم، وكبرهم في صدورهم، حتى لصاحب المدرعة أشد فرحاً بمدرعته من صاحب المطرف بمطرفه[3]. ولبعضهم:

يرى الناس الهيئة كالمسيح بن مريم ... وفي ثوبه المسيّح او هو اغدر
أغرَّكُمُ منه تقلُّص ثوبه ... وذلك حَبٌّ تحته الفخُّ فاحذروا[4]

«وزخرف من نفسه للأمانة» أي: زين وموّه.

وفي خبر (الكافي): بينا يطوف الصادق عليه السلام إذ جذب عبّاد بن كثير البصري ثوبه وقال له: تلبس مثل هذا اللباس مع المكان الذي أنت فيه من عليٍّ عليه السلام فقال: كان علي في زمان يستقيم له ما لبس فيه، ولو لبست مثل ذلك

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) الكافي ٦: ٤٤٢، ح ٨.

(٣) البيان والتبيين ٣: ١٥١، وفيه «... حتى لصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحا من ...».

(٤) أي: الشيطان.

اللباس لقال الناس: هذا مراء مثل عباد[١].

«واتخذ ستر الله ذريعه إلى المعصية» ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً﴾[٢].

وقال عليه السلام: لا تبدين عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة، ولا يأمن البيات من عمل السيئات[٣].

«ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه» أي: حقارتها «وانقطاع سببه» أي: وسيلته ووصلته «فقصر به الحال على حاله» أي: لم يقدر على طلب امارة لضؤولته.

«فتحلّى باسم القناعة» أي: جعل اسم القناعة حلية له.

«وتزين بلباس أهل الزهادة» أي: جعل لباس أهل الزهادة زينة له.

وأنت بالليل لا حريم له وبالنهار على سمت ابن سيرين[٤]

«وليس من ذلك في مراح ولا مغدى» كناية عن أنه ليس من الزهد والقناعة في شيء، كما أن قولهم «ما ترك فلان من أبيه مغدىً ولا مراحاً»[٥] كناية عن كمال شباهته به، والمراد بالصنف الأخير الذي ذكره عليه السلام: الصوفية الضالّة المضلّة كعمرو بن عبيد والثوري.

«وبقي رجال» غير الأصناف المذمومين، وهم الذين لا أثر لسوء الزمان فيهم لكونهم عارفين بالله تعالى وبجلاله، وبفناء هذه الدنيا، وأنهم

---

(١) الكافي ٦: ٤٤٣، ح ٩.

(٢) النساء: ١٠٨.

(٣) أخرجه الكافي ٢: ٢٦٩، ح ٥.

(٤) ربيع الابرار ١: ٨١٢، والبيت لموسى العجلي.

(٥) اُنظر لسان العرب (دار احياء التراث العربي، بتحقيق وتنسيق علي شيري) ٥: ٣٦٣، مادة (روح).

لدار أُخرى وهم شيعته عليه السلام.

«غـضّ أبـصارهم ذكـر المرجـع» ﴿وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾[١].

«وأراق دموعهم خوف المحشر» أي: صبّها.

روى الكشي؛ أن أبا ذر بكى من خشية الله حتى اشتكى عينيه فخافوا عليهما فقيل له: لو دعوت الله في عينيك. فقال: إني عنهما لمشغول وما عناني أكثر. فقيل له: وما شغلك عنهما؟ قال: العظيمتان: الجنّة والنار[٢].

«فهم بين شريد ناد» الشريد: الطريد، وناد من «ندَّ» إذا انفرد وذهب على وجهه.

روى الطبري عن إسحاق الهمداني قال: إجتمع نفر بالكوفة يطعنون على عثمان ـ من أشراف أهل العراق ـ مالك الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل ابن زياد الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم، فكتب إليه أن سيِّرهم إلى الشام وألزمهم الدروب[٣].

وروى خبراً آخر عن الواقدي وزاد فيهم صعصعة بن صوحان، وفي خبره؛ أن معاوية كتب إلى عثمان بعد تسيير سعيد لهم إلى الشام: إني لست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم فارددهم إلى مصرهم. فكتب عثمان إلى معاوية بردّهم إلى سعيد بالكوفة، فكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إليه أن سيّرهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد

---

(١) المؤمنون: ٦٠.

(٢) الكشي: ٢٨ ح ٥٤.

(٣) تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، طبع بيروت) ٤: ٣٢٦، نقله المصنف بتصرف.

بحمص، وكتب عثمان إلى الأشتر وأصحابه: إني سيّرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فانصرفوا إليها فانكم لستم تألون الاسلام وأهله شراً. فلما قرأ الأشتر الكتاب قال: اللهم أسوأنا نظراً للرعية وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل له النقمة[١].

وروى الواقدي عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم أُدخل على عثمان فقال له عثمان: أنت الذي فعلت وفعلت. فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشّني. قال عثمان: كذبت. ولكنك تريد الفتنة، قد أنغلت الشام علينا ـ إلى أن قال ـ قال عثمان: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب؛ أضربه أو أحبسه أو أقتله. فإنه قد فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام؟ فتكلم عليّ عليه السلام ـ وكان حاضراً ـ فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون ﴿وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾[٢] فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه علي بمثله...[٣].

وروى الجوهري في (سقيفته) عن ابن عباس قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس: الا يُكلِّمَ أحد أبا ذر ولا يشيّعه، وأمر مروان أن يخرج به، فخرج به وتحاماه الناس إلّا علياً عليه السلام ـ إلى أن قال ـ فقال أبو ذر له عليه السلام: إنّي ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره عثمان أن أجاور أخاه وابن خاله ـ يعني الوليد بن عقبة وابن عامر ـ بالمصرين ـ يعني الكوفة والبصرة ـ فأُفسد الناس عليهما فسيّرني إلى بلد

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٢) غافر: ٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٥٦، و ٨: ٢٥٩. (طبعة القاهرة بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم).

ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، ووالله ما أريد إلّا الله صاحباً ولا أخشى مع الله وحشة[1].

«وخائف مقموع» أي: مذلل؛ روى الواقدي أن ابن مسعود لما قدم المدينة دخلها ليلة جمعة، فقال عثمان: أيّها الناس! قد طرقكم الليلة دويبة -إلى أن قال- وصاحت عائشة: يا عثمان! أتقول هذا لصاحب النبيّ صلى الله عليه وآله؟ فقال لها: اُسكتي. ثم قال لابن زمعة: أخرجه إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان[2].

«وساكت مكعوم» من كعمت البعير؛ إذا جعلت في فمه شيئاً تشدّه به؛ في (تاريخ اليعقوبي) عن بعضهم قال: دخلت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فرأيت رجلا جاثياً على ركبتيه يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول: واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيتهم وفيهم أوّل المؤمنين بالله وابن عم رسول الله، أعلم الناس بالله وأفقههم في دين الله وأعظمهم عناءً في الاسلام وأبصرهم بالطريق، وأهداهم للصراط المستقيم، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي وما أرادوا اصلاحاً للأمة ولا صواباً في المذهب، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبُعداً وسحقاً للقوم الظالمين. فدنوت منه فقلت: من أنت يرحمك الله؟ ومن هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو، وهذا الرجل علي بن أبي طالب. فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأُعينك عليه؟ فقال: يا ابن أخي إنّ هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان. فخرجت فلقيت

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري: ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) أورده ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ٣: ٤٣ و ٤٤، ونقله المصنف بتصرف.

أبا ذر فذكرت له ذلك فقال: صدق أخي المقداد...[١].

«وداع مخلص» أي: للفرَج من شرِّ الجبابرة، فكان الناس أيّام عثمان واستيلاء بني أُميّة عليهم ينتظرون بالغير انتظار المجدب المطر ويدعون الله تعالى بإخلاص خاص للخلاص.

«وثكلان موجع» كان عثمان سجن ضابئاً أبا عمير بن ضابئ حتى مات في سجنه، ولما أرادوا دفن عثمان أقبل عمير ـ وعثمان موضوع على باب ـ فنزا عليه وكسر ضلعاً منه وقال له: سجنت أبي حتى مات[٢].

«قد أخملتهم التقية» كان عبدالله بن شداد الليثي يقول: وددتُ ان أُترك فأحدِّث بفضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأن عنقي ضربت بالسيف[٣].

«وشملتهم الذلة» فكان عثمان وبنو أُميّة اتخذوا عباد الله خولاً كما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله[٤]، ويبيعهم زياد أيام امارته.

«فهم في بحر أجاج» أي: ملح مرّ.

«أفواههم ضامزة» في (الصحاح) ضمز: إذا سكت ولم يتكلم، وكذلك البعير إذا أمسك جرَّته في فيه ولم يجترَّ[٥].

«وقلوبهم قرحة» في نقض (عثمانية الاسكافي): أن بني أُميّة كانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر عليّ وولده عليهم السلام، ويطفئوا نورهم ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملوا على سبّهم ولعنهم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٣.

(٢) اُنظر تاريخ الطبري ٤: ٤١٤، في وقائع سنة ٣٥ هـ.ق.

(٣) سير اعلام النبلاء ٣: ٤٨٨ ـ ٤٨٩، طبعة بيروت، مؤسسة الرسالة.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٤٧٩، وأبو ليلى في مسنده، عنه المطالب العالية ٤: ٣٣٢ ح ٤٥٣١، ومصعب الزبيري في نسب قريش: ١٠٩، وغيرهم.

(٥) الصحاح ٣: ٨٨٢، بدون كلمة «إذا».

على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتيل وأسير، وشريد وهارب، ومستخف ذليل، وخائف مترقب، حتى أن الفقيه والمحدّث والقاص والمتكلم ليتقدم إليه ويتوعد بغاية الإيعاد وأشد العقوبة ان لا يذكروا شيئاً من فضائلهم ولا يرخصوا لأحدٍ أن يطيف بهم، وحتى بلغ من تقية المحدّث أنه إذا ذكر حديثاً عن عليّ عليه السلام كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش. وفعل رجل من قريش ولا يذكر علياً ولا يتفوه باسمه، ثم رأينا جميع المتخلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها ـ من خارجي مارق، وناصبي حنق، ونابت مستبهم، وناشئ معاند، ومنافق مكذب وعثماني حسود ـ يعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نظر في الكلام وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه، وتأوّل مشهور فضائله، فمرة يتأوّلها بما لا يحتمل، ومرّة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض. قال: ولا يزداد مع ذلك إلّا قوة ورفعة ووضوحاً واستنارة... وذلك من آيات الله تعالى فيه عليه السلام وفي أهل بيته[1].

«وقد وعظوا حتى ملّوا» مثل امامهم. وفي (الطبري) عن كثير بن عبدالله الشعبي قال: لما زحفنا إلى قتل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار. إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وأنتم أُمّة ـ إلى أن قال ـ فناداه رجل: إن أبا عبدالله يقول: أقبل. فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢١٩.

في الدعاء؛ لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ[١].

«وقهروا حتى ذلوا» فكان زياد من قبل معاوية، والحجّاج من قبل عبدالملك يقتلان الشيعة تحت كل حجر ومدر، ويسملان أعينهم، ويقطعان أيديهم وأرجلهم، ويخرّبان دورهم، ويكبلانهم بالأصفاد، ويدفنانهم أحياءً.

«وقتلوا حتى قلوا» قتلوا جمعاً منهم في الجمل، وجمعاً منهم في صفين، وقتلوا من قدروا منهم بأي وسيلة، فقتلوا محمد بن أبي‌بكر في مصر إحراقاً وقتلوا الأشتر في قلزم بالسم دسيسة.

في (الكشي) ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلّا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أُم الطويل...[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ان الحسين عليه السلام كتب إلى معاوية: ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده؟ أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقته العبادة واصفرت لونه، فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو أعطيته العصم نزلت من شعف الجبال؟ أو لست المدعي زياداً في الاسلام فزعمت أنه ابن أبي سفيان وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله يا معاوية! لكأنّك لست من هذه الأمة وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه زياد: انه على دين علي، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٢) الكشي: ١٢٣ ح ١٩٤.

أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة منا عليكم...»[1].

وروى المفيد أنه عليه السلام أخبر جويرية بن مسهر بقطع زياد يده ورجله، ثم صلبه على جذع نخل طويل، وأخبر ميثماً بصلب ابن زياد له على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة وأقربهم من المطهرة ـأي: الأرض لقصر جذعه ـ وكونه أول من ألجم في الاسلام، وأخبر رشيد الهجري بقطع زياد يده ورجله ولسانه وصلبه، وأخبر كميلا بقتل الحجاج له بضرب عنقه، وأخبر ميثماً بقتل الحجاج له ذبحاً فوقع الجميع كما أخبر عليه السلام[2].

«فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر» هكذا في (المصرية)[3] و(ابن أبي الحديد)[4] ولكن في (ابن ميثم والخطية) «فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم»[5].

«من حثالة القرظ» الحثالة: الرديء من كل شيء بحيث يسقط، والقرظ: ورق السلم يدبغ به.

«وقراضة الجلم» القراضة: ما سقط بالقرض، أي: القطع، والجلم الذي يجز به.

أمر عليه السلام ـبعد ذكر كون أهل الدنيا وهم أعداؤه كما شرح وأهل الآخرة وهم شيعته كما وصف ـ بكون الدنيا عند طالبي النجاة كتلك الحثالة والقراضة في قلة القيمة وعدم الرغبة، حيث إنّ ذلك دليل على

(١) الإمامة ١: ١٨١.

(٢) الارشاد: ١٧٠ و ١٧٢.

(٣) نهج البلاغة ١: ٧٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥.

(٥) ابن ميثم ٢: ١٤٥، هكذا (الطبع الحجري).

عدم قدرها عند الله تعالى.

وفي الخبر: لو كان للدنيا عند الله تعالى قدر بقدر جناح بعوضة ما أعطى الكافر منها شربة ماء[١]، وقد كانت الدنيا عنده عليه السلام أهون من عراق خنزير في يد مجذوم، ومن عفطة عنز[٢].

«واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم» فكل من كان له لب رأى من وقت صار مميزاً تَلَعُّبَ الدنيا بمن كان جدياً في هواها، وتقلُّبَها بمن كان مطمئناً بها، فيعرف أن عملها معه عملها معهم، حيث إنّ ذلك مقتضى طبعها.

«وارفضوها ذميمة» أي: أتركوها مذمومة، يجوز في العين من «وارفضوها» ـ وهو الفاء ـ الضم والكسر.

في (الكشي): قال أبو ذر: من جزى الله عنه الدنيا خيراً فجزاه الله عني بعد رغيفي شعير أتغدّى بأحدهما وأتعشّى بالأخرى، وبعد شملتي صوف أتّزر بأحدهما، وأرتدي بالآخر شراً[٣].

«فانها رفضت» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: «قد رفضت» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«من كان أشغف بها منكم» يجوز كون «أشغف» بالعين والغين كما في قوله تعالى ﴿...قد شغفها حباً﴾[٦] ويقال شغفه الحب: إذا بلغ شغافه،

(١) أخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك ٤: ٣٠، وابن ماجه في سننه ٢: ١٣٧٧ ح ٤١١٠.

(٢) أشار به إلى ما جاء في نهج البلاغة في الخطبة: ٣، والحكمة: ٢٣٦.

(٣) الكشي: ٢٨ ح ٤٥.

(٤) نهج البلاغة ١: ٧٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥، ابن مثيم ٢: ١٤٥، فيه «فانها قد رفضت».

(٦) يوسف: ٣٠.

والشغاف غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب.

في (الجهشياري): قال المنصور للمهدي ابنه: عزمت عليك ان أوليك الأمر وأرده إليك، فخرج المهدي مستبشراً إلى وزيره أبي عبيد الله فقال له: انما سبرك بما عرض عليك، فلما عرف ذلك المنصور قال له: كيف فهمت أني قلته سبراً له؟ قال: لاني سمعتك تقول: اني لأستيقظ بالليل فأدعو بالكتب فأضعها بين يدي وادعو بالجارية فآمرها أن تمرخ ظهري بالدهن، فتفعل ذلك وأنا مقبل على كتبي وتدبيري، فعلمت أنك لا تدع شيئاً يكون موقعه منك هذا الموقع وتؤثر به غيرك فقال له: أصبت وأحسنت[1].

ولما خرج عليه محمد بن عبدالله الحسني بالمدينة قال: لو خرج علي صاحب القبر ـ يعني النبيّ ﷺ ـ أقتله.

قال الشريف «أقول» هكذا في (المصرية)[2] وكله زائد.

أقول رأساً وقال الشريف: جعله من النهج وانما يصح من الشراح «هذه» هكذا في (المصرية)[3] والصواب: وهذه كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4] «الخطبة نسبها من لا علم له إلى معاوية» ومنهم ابن قتيبة في (عيونه)[5] وابن عبد ربه في (عقده)[6].

«وهي من كلام أمير المؤمنين الذي لا شك فيه» بشهادة متنه.

«واين الذهب من الرغام» بالفتح التراب.

«والعذب» الماء الطيب.

---

(١) الوزراء والكتاب للجهشياري: ٩١ ـ ٩٢.

(٢) و (٣) نهج البلاغة ١: ٧٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥، ابن مثيم ٢: ١٤٥، هكذا.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٣٧ و ٢٣٨.

(٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ١٧٦.

«من الاجاج» الماء الملح المر.

«وقد دل على ذلك الدليل الخريّت» أي: الحاذق.

«ونقده الناقد البصير» من نقدت الدراهم: إذا أخرجت منها الزيف.

«عمرو بن بحر الجاحظ» لقب الرجل بالجاحظ لنتوء مقلة عينيه، قال الحموي في (أُدبائه): صار الجاحظ إلى منزل بعض اخوانه فاستأذن عليه فخرج إليه غلام أعجمي فقال: من أنت؟ قال الجاحظ: فدخل الغلام فقال الجاحد على الباب، وسمعها الجاحظ، فقال صاحب الدار للغلام: أنظر من الرجل، فخرج وسأل عن اسمه. فقال: أنا الحدقي -لأن حدقته كانت ناتئة عن محجر العين ولذلك لقب- فدخل الغلام فقال: «الحلقي»، وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب: ردنا إلى الأول -يريد أن قوله الجاحد مكان الجاحظ أسهل عليه من «الحلقي» مكان «الحدقي»[1].

والمصنّف وإن وصف الجاحظ هنا بما قال لنقده الخطبة إلّا أنّ الرجل كان مخلطاً، فكما صنّف كتاب (العباسية) -وكشف فيه عن حقائق- صنف كتاب (العثمانية) وكتاب (المروانية) وأتى فيهما بما كشف عن خافيه من نصبه وعداوته لله ولرسوله.

قال المسعودي في (مروجه): صنّف الجاحظ كتاباً استقصى الحجاج فيه عند نفسه، وعضده بالأدلّة فيما تصور من عقله، ترجمه بكتاب (العثمانية) يحلّ فيه عند نفسه فضائل عليّ عليه السلام ومناقبه طلباً لإماتة الحق ومضادة أهله ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[2]، ثم لم يرض بهذا حتى أعقب

---

(١) معجم الأُدباء لياقوت الحموي ١٥: ٨٥، نقله عن المرزباني ونقل المصنف لم يخلُ عن التصرف.

(٢) الصف: ٨.

بتصنيف كتاب آخر في امامة المروانية[١]، ونقض كتابه جمع من العامة منهم أبو جعفر الاسكافي -ولله دره- فقد بيّن في نقضه مخازيه وفضحه وذكر مساويه، وأظن ان الرجل -أي: الجاحظ- كان راعياً لسلطان وقته، وأنه صنف (عباسيته) زمان المأمون المنصف الطالب للحقائق، وأراد نشر حلّيّة المتعة ناقماً على عمر في تحريمه ما أحل الله، وصنف (عثمانيته) زمان المتوكل الذي كان ناصبياً ويقرب الأُموية ومن كان هواه هواهم وأراد كرب قبر الحسين، والا كان الرجل زنديقاً لا عقيدة له أصلا ومع نصبه كان وضّاعاً.

قال المسعودي في (التنبيه والإشراف): كان الجاحظ يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم، فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغي إليه، ولا الارادات تُيمم نحوه، ثم يؤلف ما هو أنقص منه رتبة وأقل فائدة، ثم ينحله عبدالله بن المقفع، أو سهل بن هارون، أو غيرهما من المتقدمين، ومن طارت أسماؤهم في المصنفين، فيقبلون على كتبها، ويسارعون إلى نسخها[٢].

قلت: وأظن ان الكتاب المعروف بكتاب (آداب ابن المقفع) أحد مصاديق ما قاله المسعودي في (التنبيه) من كونه للجاحظ ونسبه إلى ابن المقفع، فابن المقفع كان ملحداً ظاهراً وباطناً فأين هو من مثل ذاك الكتاب، والكتاب كتاب من كان وارداً في علم التوحيد وآداب النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة ظاهراً مثل الجاحظ وان كان باطناً مثل ابن المقفع.

فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب (البيان والتبيين) ذكر فيه خطباً لأمير المؤمنين عليه السلام ثم خطبة لابن مسعود، ثم خطبة لعتبة بن

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣٧.

(٢) التنبيه والاشراف: ٦٦.

غزوان ثم ذكر هذه[١].

«وذكر من نسبها إلى معاوية» فقال: خطبة لمعاوية رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليقطري وغيره قالوا: لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: مَنْ بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك. فقال: ويحك ولِمَ؟ قال: لا أدري. قال: فو الله مالهم بعدي إلّا الذي يسوؤهم، وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال: أيها الناس قد أصبحنا في دهر عنود...[٢].

ثم قال وهي بكلام علي أشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وبالاخبار) هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: «وفي الأخبار» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

عمّا هم عليه ـإلى آخر ما تقدم. قال الجاحظ: وفي هذه ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، ومنها ان هذا المذهب في تصنيف الناس وفي الأخبار عنهم وعمّا هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام عليّ عليه السلام وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسالك الزهّاد، ولا يذهب مذاهب العباد وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه[٥].

قلت: ما ذكره شواهد قطعية على كذب دعوى شعيب المذكور، ويفهم من روايته أنه ناصبي وضّاع مثل سيف الذي يكثر الطبري عنه في أسانيده بقوله: كتب إليّ السرّيّ عن شعيب عن سيف. والله يفضح المفتعل بذكر سبب

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٥٨ و ٥٩.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٥٨ و ٥٩.

(٣) نهج البلاغة ١: ٧٦، وفيه «ثم قال هي ...» بدون الواو.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٦، ابن ميثم (الطبع الحجري) ٢: ١٤٥، هكذا.

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٦١، ونقله المصنف بتصرف.

غير مربوط كما عرفت من الجاحظ.

٢
خطبة (١٢٥)

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل:

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ ٱلدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ. فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ فِيهِ ٱلْخَيْرُ إِلَّا إِدْبَاراً، وَالشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالاً، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً، فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ، اَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيَّا بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلًا ٱتَّخَذَ ٱلْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ المَوَاعِظِ وَقْراً، أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ وَأَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤكُمْ، وَأَيْنَ المُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ وَالمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ. أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ ٱلدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَٱلْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ؟ وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ ٱسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ، أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ، هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ ٱللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلا تُنَال مَرضَاته إلّا بطَاعَته، لَعَنَ ٱللهُ ٱلآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالنَّاهِينَ عَنِ المُنْكَرِ ٱلْعَامِلِينَ بِهِ.

قول المصنّف: (ومن خطبته عليه السلام في ذكر المكاييل) هكذا في

(المصرية)[١] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] «ومن خطبة له في ذكر المكاييل والموازين» ثم قال ابن أبي الحديد: ولست أرى في هذه الخطبة ذكراً للمكاييل والموازين، اللهم إلّا أن يكون قوله: «وأين المتورّعون في مكاسبهم»، أو قوله: «ظهر الفساد» ودلالتهما على الموازين والمكاييل بعيدة[٣].

وقال الخوئي: وقد يقال: إنّ ذلك ٱبتناءً على ما هو دأب السيد وعادته في الكتاب من التقطيع والالتقاط، فلعله أسقط ما اشتمل على ذكر المكاييل والموازين، ولا يبعد أن يكون ذكر عنده تطفيف الناس في المكاييل والموازين، فخطب بهذه الخطبة نهياً لهم عن ذلك المنكر[٤].

قلت: وهو أيضاً بعيد كحمل ابن أبي الحديد، لأنه لو كان كما قال لقال: «ومن جملة خطبة كانت في ذكر المكاييل والموازين» ولم يكن يعبّر بما هو ظاهر في الاشتمال عليهما فعلاً.

وأقول: ولا يبعد أن يكون قوله: «المكاييل» محرف «المكايد» لقربهما خطأً ويكون ذكر «الموازين» ان صحت نسخة ابن أبي الحديد وابن ميثم من اضافات المحشين بمناسبة «المكاييل» خلطت بالمتن، واشتمال الخطبة على ذكر كيد الشيطان ومكايد أتباعه من قوله عليه السلام: «وعمت مكيدته»، وقوله: «هل تبصر الا فقيراً يكابد فقراً» إلى آخر ما ذكر، واضح.

قوله عليه السلام **«عباد الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا»** أي: إنكم مع ما تأملون من الخلود في هذه الدنيا وبقاء الأموال.

«أثوياء مؤجلون» أي: مقيمون بآجال معيّنة شاباً وكهلاً وشيخاً؛ فليس

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٥، وفيه: ومن خطبة له عليه السلام ... .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٤٤، ابن ميثم: ١٩٠، وفيه: «ومن كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين».

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٤٦.

(٤) شرح الخوئي ٤: ٤٦.

الأمر كما تأملون من الخلود ﴿يا أيّها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً...﴾[1]، ﴿...انما هذه الحياة الدنيا متاع...﴾[2] وقال: ﴿...فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[3] وقال: ﴿... انما نعدّ لهم عداً﴾[4] أي: أنفاسهم.

«ومدينون مقتضون» أي: مقرضون مطالبون بردّ الديون، فليس الأمر كما تأملون من بقاء الأموال في أيديكم، قال تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾[5] وقال الأفوه الأودي في المعنيين:

إنّما نعمة قوم متعة ... وحياة المرء ثوب مستعار[6]

وقال البحتري:

أصاب الدهر دولة آل وهب ... ونال الليل منها والنهار

أعارهم رداء العزِّ حتى ... تقاضاهم فردُّوا ما استعاروا[7]

وفي (الطبري): لما قتل عبدالملك مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير

---

(١) الحج: ٥.

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) الاعراف: ٣٤.

(٤) مريم: ٨٤.

(٥) الانعام: ٩٤.

(٦) الشعر والشعراء: ١٢٩، طبعة بيروت، دار الكتب العلمية.

(٧) ديوان البحتري ٢: ١٩٩، طبعة بيروت، دار صعب.

فصنع، وأمر به إلى الخَوَرْنَق وأذن إذناً عاماً، فدخل الناس، فأخذوا مجالسهم، فدخل عمرو بن حريث المخزومي، فقال له عبد الملك: إليَّ وعلى سريري، فأجلسه معه، ثم جاءت الموائد، فأكلوا، فقال عبدالملك: ما ألذَّ عيشنا لو أن شيئاً يدوم ولكنّا كما قال الأول:

وكل جديد يا أميم إلى بلىً ... وكل امرئٍ يوماً يصير إلى كان

في (الطبري): فلما فرغ من الطعام طاف عبدالملك في القصر ... ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال:

اعمل على مَهلٍ فإنّك ميتٌ ... واكدح لنفسك أيُّها الانسان

فكأنّ ما قد كان لم يك إذ مضى ... وكأنّ ما هو كائن قد كان[1]

أيضاً: شهد سليمان بن عبدالملك جنازة بدابق قد دفنت في حقل، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول: ما أحسن هذه التربة ما أطيبها، فما أتى عليه جمعة ـ أو كما قال ـ حتى دفن إلى جنب ذلك القبر[2].

أيضاً: لبس سليمان بن عبدالملك ثياباً خضراً من خزٍّ ونظر في المرآة فقال: أنا والله الملك الشاب، فخرج إلى الصلاة فصلّى بالناس الجمعة، فلم يرجع حتى وعك فلما ثقل عهد[3].

«أجل منقوص» فكلّما تنفس نفساً خطا خطوةً إلى قبره.

وعن الحسن: يا ابن آدم إنّما أنت عدد، فإذا مضى يوم فقد قضى بعضك.

«وعمل محفوظ» ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾[4]، ﴿ما يلفظ من قول إلّا

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ١٦٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٥٤٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٥٤٧.

(٤) القمر: ٥٣.

لديه رقيب عتيد﴾[١]، ﴿ويقولون يا ويلتنا ما ل هذا الكتاب لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾[٢].

«فربّ دائب» من الدأب، والدائبان الليل والنهار.

«مضيع» يعني إذا كان الاجل ينقص دائماً والعمل يحفظ كلُّهُ فربَّ ساع جاد يكون مضيعاً لعمره وأيام مهلته، لأنه يجعل سعيه وجده في أمر دنياه الفانية، قال تعالى: ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم إنّكم منّا لا تنصرون * قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾[٣].

«ورب كادح خاسر» الكادح: الساعي الجاد، فإذا كان كدحه لغير عقباه يكون خاسراً ﴿يا أيُّها الإنسان إنّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه * فأمّا من أُوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً * وأمّا من أُوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً * ويصلى سعيراً * إنّه كان في أهله مسروراً * إنّه ظن أن لن يحور * بلى إنّ ربه كان به بصيراً﴾[٤].

قال ابن أبي الحديد: ومثل قوله عليه السلام:

«فربّ دائب مضيع، وربّ كادح خاسر» قول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ومثله:

---

(١) ق: ١٨.

(٢) كهف: ٤٩.

(٣) المؤمنون: ٦٣ ـ ٦٦.

(٤) الانشقاق: ٦ ـ ١٥.

إذا لم يكن عـون مـن الله للـفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد[١]

قلت: لا ربط لهما بقوله عليه السلام هذا مطلقاً، وإنّما هما نظير قوله: تذل الأُمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير[٢].

«وقد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشرُّ إلّا إقبالاً» لأنَّ من تقدم عليه من الثلاثة كانوا أهل دنيا، وربّوا الناس ـ لا سيما الأخير ـ بطريقةٍ لم يتمكن هو عليه السلام من اصلاحهم لعدم بسط يده، وقيام طلحة والزبير وعائشة عليه في البصرة ومعاوية وباقي بني أُميّة في الشام في قباله، فكان الخير يزداد ادباراً والشرّ إقبالاً.

روى محمد بن يعقوب في (روضته) مسنداً عن الأصبغ قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام ابن عمر وولد أبي بكر وسعد بن أبي وقّاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر وقال: أيّها الناس لا يقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا أفره الدواب ولبسوا ألين الثياب فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفار، إذا ما منعتهم ما كانوا فيه يخوضون وصيرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب وحرمنا ـ إلى أن قال ـ يسلط الله عليكم قوماً فينتقم لي منكم، فلا دنيا استمتعتم بها ولا آخرة صرتم إليها، فبعداً وسحقاً لأصحاب السعير[٣].

قلت: سنَّ التفضيل لهم ـ على خلاف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ عمر ثم عثمان وعوّدهم عثمان الترف أيضاً، فلم يرضوا بخلافته عليه السلام وتخلفوا عن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٤٥.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٥.

(٣) روضة الكافي ٣٦٠ ـ ٣٦٢، ونقله بتصرف.

نصرته، فعاقبهم الله بالخلافة السفيانية ثم المروانية.

وفي (الطبري): قام الحسين عليه السلام بذي حسم ـ إلى أن قال ـ «ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يُتناهىٰ عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً». فقام زهير وقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تكلّم. فقال: قد سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلدين الا أن فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها. قال فدعا عليه السلام له خيراً[1].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إن الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي يا صاحب الخير أتم وأبشر، وملك ينادي يا صاحب الشر إنزع وأقصر، وملك ينادي أعط منفقاً خلفاً لا آت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض[2].

هذا، وللخالدي في بغداد:

بغداد صار خيرها شرّا ... صيّرها الله مثل سامرّا

«والشيطان في هلاك الناس إلّا طمعاً» فكان من يوم رجمه طامعاً في اهلاكهم حيث قال لله تعالى: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[3] وقال له أيضاً: ﴿...لأغوينّهم أجمعين * إلّا عبادك منهم المخلَصِين﴾[4] وقد قال تعالى: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٤.

(٢) الكافي ٤: ٤٢، ١.

(٣) الأعراف: ١٦، ١٧.

(٤) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

فاتَّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين﴾[١].

«فهذا أوانٌ قويت عدته» لمساعدة شياطين الإنس له.

«وعمّت مكيدته» للعالم والجاهل والعام والخاص.

«وامكنت فريسته» ولا سيّما بالنساء فإنهنّ فخّه، والنظر سهم مسموم من سهامه.

وفي (تاريخ بغداد): قال أبو الفرج الرستمي البغدادي: سمعت المحترق البصري يقول: رأيت إبليس في النوم فقلت: كيف رأيتنا عزفنا عن الدنيا ولذّاتها وأموالها فليس لك إلينا طريق؟ فقال: كيف رأيت ما استملت فيه قلوبكم باستماع السماع ومن شره الاحداث[٢].

وفي (الحلية) عن وهب بن منبه ان رجلاً من بني إسرائيل صام سبعين أُسبوعاً يفطر في كل سبعة أيام يوماً وهو يسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس، فلما أن طال ذلك عليه ولم يُجَبْ قال: لو أقبلت على خطيئتي وما بيني وبين ربي لكان خيراً لي، فأرسل تعالى إليه ملكاً وقال: أرسلني تعالى إليك وهو يقول: ان كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إليّ ممّا مضى من عبادتك وقد فتح بصرك فانظر، فإذا أحبولة لإبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من بني آدم إلّا وحوله شياطين مثل الذباب، فقال: أي رب من ينجو من هذا؟ قال: الورع اللين[٣].

«اضرب بطرفك حيث شئت من الأرض» الطرف: العين، أي: إستعمل عينك بقدر ما ترى من أطراف الأرض، قال شاعر:

---

(١) سبأ: ٢٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٤٢٩.

(٣) حلية الاولياء ٤: ٣٢، ونقله المصنف بتصرف وتلخيص.

أُقلّب الطرف تصعيداً ومنحدراً فما أقابل إنساني بإنسان

«هل» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: (فهل) كما في الثلاثة[٢].

«تبصر إلّا فقيراً يكابد فقراً» كأبي دلامة وامرأته أم دلامة، دخل الرجل على المهدي وقال له: ماتت امرأته وخلّفت صغاراً، ودخلت المرأة على الخيزران وقالت لها: مات زوجها وخلّف صغاراً، فأخذ كل منهما بهذا الكيد قدراً[٣].

وفي الخبر: من فتح على نفسه باب مسألة؛ فتح الله عليه باب فقر، وانه لو علم الناس ما في السؤال لما سأل أحد أحداً، وإن من سأل وعنده قوت ثلاثة أيام لقي الله يوم القيامة ولا لحم لوجهه[٤]، وان المؤمن والشيعة لا يمكن أن يكونا من أهل السؤال. وقال المعري:

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا تكذبوا ما في البرية جيد

فغنيهم نال الغناء ببخله وفقيرهم بصلاته يتصيَّد[٥]

«أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً» ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾[٦]، و ﴿ان

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٤٤، ابن ميثم (الطبع الحجري): ١٩٠، السطر ٣٣ هكذا.

(٣) الأغاني ١٠: ٢٥٥.

(٤) هذا تأليف ثلاثة أحاديث أخرجها الكليني ٤: ١٩، ح ٢ و ٢٠، ح ٢، وعقاب الأعمال: ٣٢٥، ح ١.

(٥) في لزوم ما لا يلزم ١: ٤٤٥، طبعة سورية ـ دمشق، دار طلاس. ورد البيتان هكذا:

قالوا فلان جيدٌ لصديقه لا يكذبوا ما في البرية جيِّد

فأميرهم نال الإمارة بالخنا وتقيهم بصلاته يتصيّد

(٦) الواقعة: ٨٢.

الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[١]، ﴿فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[٢]، ﴿...لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾[٣].

«أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفراً» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من منع حقاً لله عزّ وجلّ أنفق في باطل مثليه[٤].

وعن الباقر عليه السلام: ان الله تعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم، مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة، معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم[٥].

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿سيُطَوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[٦] ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلّا جعل الله عزّ وجلّ ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار، مطوقاً في عنقه، ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب[٧].

وعنه عليه السلام: ما أدّى أحدٌ الزكاة فنقصت من ماله، ولا منعها أحد فزادت في ماله[٨].

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) النحل: ١١٢.

(٣) إبراهيم: ٧.

(٤) الكافي للكليني ٣: ٥٠٦ ح ٢١.

(٥) الكافي للكليني ٣: ٥٠٦ ح ٢٢.

(٦) آل عمران: ١٨٠.

(٧) الكافي للكليني ٣: ٥٠٢ ح ١.

(٨) الكافي للكليني ٣: ٥٠٤ ح ٦.

وعنه عليه السلام: ملعون ملعون مال لا يزكى[١].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: ما محق الاسلام محق الشح شيء. ثم قال: إنّ لهذا الشح دبيباً كدبيب النمل، وشعباً كشعب الشوك[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا لم يكن لله في عبد حاجة، ابتلاه بالبخل[٣].

وعنه عليه السلام قال لرجل قال: الشحيح أعذر من الظالم: كذبت، إن الظالم قد يتوب ويستغفر ويرد الظلامة على أهلها، والشّحيح إذا شحَّ منع الزكاة والصدقة، وصلة الرحم، وقِرى الضيف، والنفقة في سبيل الله وأبواب البر، وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح[٤].

«أو متمرداً كأنّ بأذُنه عن سمع المواعظ وقراً» أي: ثقلاً، قال تعالى ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا﴾[٥].

وفي (تفسير القمي): قال أبو ذر: بَشِّر المتكبّرين بكَيٍّ في الصدور، وسحب على الظهور.

«أين خياركم وصلحاؤكم» لبعضهم:

ذهب الرجال فما أُحسَّ رجالا وأرى الإقامة بالعراق ضلالا[٦]

«وأحراركم» هكذا في (المصرية)[٧] والصواب: (وأين أحراركم)

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٥٠٥ ح ١٣.

(٢) الكافي للكليني ٤: ٤٥ ح ٥.

(٣) الكافي للكليني ٤: ٤٤، ١ ـ ٢.

(٤) الكافي ٤: ٤٤، ١ و ٢.

(٥) الأنعام: ١١١.

(٦) هذا البيت لابن المولى الشاعر، اُنظر تاريخ بغداد ٦: ٣٣٠.

(٧) نهج البلاغة ٢: ١٦، من الخطبة ١٢٩.

كما في الثلاثة[1].

«وسمحاؤكم» أي: أجوادكم.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام: ان الله عزّ وجلّ جعل للمعروف أهلا من خلقه حبّب إليهم فعاله، ووجّه لطالب المعروف الطلب إليهم، ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبة، ليحييها ويحيي به أهلها، وإن الله عزّ وجلّ جعل للمعروف أعداءً من خلقه بغّض إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم، وحظر عليهم قضاءه، كما حرّم الغيث على الأرض المجدبة، ليهلكها ويهلك أهلها، وما يعفو الله أكثر[2].

وفي (الأغاني): قال الأصمعي: مرَّ أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق ـ وهو يهنا بعيراً له لنفسه ـ فقال له: يا فرزدق! كسد شعرك واطرحتك الملوك فصرت إلى مهنة إبلك فقد أمرت لك بمائة بعير. فقال الفرزدق يمدحه: الأبيات[3].

وقال أبو عبيدة: دخل الفرزدق على بلال بن أبي موسى فأنشده قصيدة. فقال له بلال: هلكت والله أين مثل شعرك في سعيد والعباس بن الوليد؟ ـ وسمّى قوماً آخرين ـ فقال: جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى دُعي له بطشت فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن.

«وأين المتورعون في مكاسبهم» في (الكافي): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ أخوف ما أخاف على أُمتي من بعدي هذه المكاسب الحرام، والشهوة الخفيّة، والربا.

---

(١) في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٤٤ «واحراركم»، وفي شرح ابن ميثم: ١٩٠، «واين احراركم».

(٢) الكافي للكليني ٤: ٢٥، ٢.

(٣) راجعها في الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٢١: ٣٦٢.

وقال الصادق عليه السلام: إذا اكتسب الرجل مالا من غير حِلّه ثم حجّ فلبّى؛ نودي «لا لبيك ولا سعديك»، وإن كان من حله فلبّى؛ نودي «لبيك وسعديك».

وقال عليه السلام: كسب الحرام يبين في الذرية.

وقال عليه السلام في قوله تعالى ﴿وقَدِمْنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾[1] فقال: ان كانت أعمالهم لأشد بياضاً من القباطي، فيقول تعالى لها: كوني هباءً، وذلك انهم إذا شرع لهم الحرام أخذوه[2].

في (الحلية): قالت أُخت بشر الحافي لأحمد بن حنبل: إنّا نغزل بالليل ومعاشنا منه، وربما يمرّ بنا مشاعل بني طاهر ـ ولاة بغداد ـ ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه؟ فقال: لا عدمتكم يا آل بشر، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم[3].

«والمتنزهون في مذاهبهم» في (الكافي) قيل للصادق عليه السلام: فلان وفلان وفلان يسألونك الدعاء. فقال: ومالهم. قيل: حبسهم المنصور. فقال: ومالهم وماله؟ قيل: استعملهم فحبسهم. فقال: ومالهم وله، ألم أنههم؟ ألم أنههم؟ ألم أنههم؟ هم النار. هم النار. هم النار. ثم قال: اللّهم اجدع عنهم سلطانه. قال ابن مهاجر: فانصرفنا عن مكة فسألنا عنهم فإذا هم قد أُخرجوا بعد ذلك الكلام بثلاثة أيام.

وقال الصادق عليه السلام ـ بعد ذكر سؤال زرارة عن الدخول في أعمال الظلمة ـ: متى كانت الشيعة تسأل عن أعمالهم؟ إنما كانت الشيعة تقول: نأكل من طعامهم ونشرب من شرابهم ونستظل بظلهم، متى

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) الكافي للكليني ٥: ١٢٤ ـ ١٢٦ ح ١ و ٣ و ٤ و ١٠.

(٣) حلية الأولياء ٨: ٣٥٣، طبعة بيروت، دار الكتاب العربي.

كانت الشيعة تسأل عن هذا؟[١]

وفي (النجاشي): حكى بعض أصحابنا أنّ صفوان بن يحيى كلفه رجل حمل دينارين إلى أهله بالكوفة، فقال: إن جمالي مكرية وأنا أستأذن الأجراء[٢].

«أليس قد ظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنيّة» الظعن في مقابل الإقامة، قال تعالى ﴿يوم ظعنكم ويوم اقامتكم﴾[٣].

«والعاجلة المنغصة» أي: المكدّرة العيش.

«وهل خلفتم إلّا في حثالة» في (الصحاح) الحثالة: كأنه الرديء من كل شيء[٤]، ولأبي الأسود:

ذهب الرّجالُ المُقتَدىٰ بِفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيتُ في خَلَفٍ يُزَكّي بعضُهم ... بعضاً ليدفع مُعوِرٌ عَن مُعوِرِ[٥]

وللببغاء:

وشاع البخل في الأشياء حتى ... يكاد يشح بالريح الهبوب
فكيف نخص باسم العيب شيئاً ... وأكثر ما نشاهده معيب

ولعبد الحميد الكاتب:

ترحّل ما ليس بالقافل ... وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفي على الخلف النازل ... ولهفي على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا ... بكاء مولّهة ثاكل

---

(١) الكافي للكليني ٥: ١٠٥ ـ ١٠٧، ح ٢ و ٨.

(٢) النجاشي: ١٤٠.

(٣) النحل: ٨٠.

(٤) الصحاح للجوهري ٤: ١٦٦٩.

(٥) أنظر معجم الأدباء ١٢: ٣٨.

تبكي مـن ابـن لهـا قـاطع وتبكي على ابن لها واصل
فـليست تـفتر عـن عـبرة لها في الضمير ومن هائل

وللبيد:

ذهب الذين يعاش فـي أكـنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجـرب
يــتأكّـلون مـغالة وخـيانةً ويعاب قائلهم وان لم يشغب[1]

وقال البحتري:

وخلّفني الزمـان عـلى أُنـاس وجـوهـهم وأيـديهم حـديد
لهم حـلل حَسُـنَّ فـهنَّ بِـيض وأخلاق سـمجن فـهن سـود
وأخـلاق البـغال فكـل يـوم يـعنّ لبـعضـهم خـلق جـديد
وأكـثر مـا لسائلهم لديـهم إذا مـا جـاء قـولهم تـعود
ووعد ليس يعرف من عبوسٍ انـقباضـهم أوعـد أو وعـيد؟
أُنـاس لو تأمَّـلهم لبـيد بكى الخلف الذي يشكو لبيد[2]

ولبعضهم في قتل ابن حازم:

فـقد بـقيت كـلاب نـابحات وما في الأرض بعدك من زئـير

ولبعضهم:

ذهب الذين يعاش فـي أكـنافهم وهم الكـرام السـادة الأشـراف
وبقيت في خلف كأن وجوههم خـبز الشـعير إذا عـلاه جـفاف

أيضاً:

زماني كـله ضـيم وضـير ونـاس كـلهم ديـم ودام
وما فيهم سوى نحر لئـيم شحاح الزند ما فيه ضرام

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٣٤، طبعة بيروت، دار صادر .

(٢) ديوان البحتري ٢: ١٢ ـ ١٣، طبعة بيروت، دار صعب .

وأعـراض لهـاجيها حـلال وأمـوال لراجـيها حـرام

أيضاً:

فسد الزمان فـما تـرى إلّا ذبـاباً أو دبـاباً

هذا يصول وان يـصب لم يألُ عـقرا وانـتهابا

ويحوم ذاك عـلى أذاك فـلا تـزال بـه مـصابا

وفي (البيان): قال أبو ذر: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فصاروا شوكاً لا ورق فيه[١].

في (المستجاد) عن الشافعي قال: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء، فولد لبعضهم ولد. قال: فجئت إليه فقلت: ولد لي مولود وليس معي شيء. فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح عليه بشيء، فجاء إلى قبر رجل كان يعرفه وجلس عنده، وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع، واني دُرت اليوم وطلبت جماعة في شيء لمولود فلم يتفق لي شيء. ثم قام وأخرج ديناراً فكسره نصفين وناولني نصفه، وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح الله لك بشيء، فأخذته وانصرفت وأصلحت ما اتفق لي به، فرأى تلك الليلة ذلك الشخص صاحب القبر في منامه، وهو يقول: قد سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذنٌ في الجواب، ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفرون مكان الكانون ويخرجون قربة فيها خمسمئة دينار فاحملها إلى هذا الرجل، فلما كان من الغد تقدَّم إلى منزل الميت وقصَّ القصة فقالوا له: اجلس، وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه. فقال: هذا مالكم. فقالوا: هو يتسخّى ميتاً ونحن لا نتسخّى أحياء؟! والله لا تمسّكنا منها بشيء، فلما ألحّوا

(١) البيان والتبيين ٢: ٢٢٥، وأيضاً قد أورد الجاحظ نظير هذا الكلام عن أبي الدرداء هكذا: «وقال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه»، البيان والتبيين ٣: ١٢٧ .

عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة، فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه، وحمل النصف الآخر وقال: هذا يكفيني. وتصدق بالباقي على الفقراء[(١)].

«لا تلتقي بذمّهم الشفتان استصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم» للبحتري في ابن الجرجراني:

وأثقل من أهجو علي مغمر | أظل باسفاً في هجوه أهجى[(٢)]

وله أيضاً في طماس:

وإذا عددت على طماس عيبه | لم أُرضِ ألحاظي ولا أنفاسي[(٣)]

في (الأذكياء): قيل لأبي العيناء: هل بقي من يلقى؟ قال: نعم في البئر[(٤)].

قلت: حمل (يلقى) المجهول من اللقاء على الالقاء، ولدعبل:

أمّا الهجاء فدقّ عِرضُكَ دونه | والمدح عنك ـ كما علمت ـ جليل

فاذهب فأنت عتيق عِرضك إنه | عرض عُزِزت به وأنت ذليل[(٥)]

ولآخر:

اللؤم أكرم من وبر ووالده | واللؤم اكرم من وبر وما ولدا

قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا | من لؤم أحسابهم أن يَقتُلوا قودا

أيضاً:

---

(١) المستجاد: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) ديوان البحتري ٢: ٨٤، طبعة بيروت، دار صعب.

(٣) وردت مقطوعة على نفس الورن والقافيه وفي هجاء طماس، ديوان البحتري ٢: ٢٢٤، ولكن لم يرد البيت المذكور فيها.

(٤) الأذكياء لابن الجوزي ١١٢، وليست كلمة (هل) فيه.

(٥) أُنظر كتاب «شعر دعبل بن علي الخزاعي» للدكتور عبدالكريم الاشتر: ٤١٢، وفيه «... فاذهب فانت طليقُ عرضِك...»، نقله عن أدب النديم ٢٥، وتاريخ دمشق ٣، ورقة ٢٩ ظ ....

لو كان يخفى على الرحمن خافية　　من خلقه خفيت عنه بنو اسد

وفي (كنايات الجرجاني): تعرّض رجل لموسى بن عبدالله الحسني وسبَّه، فقال موسى متمثلا:

تمنت ـ وذا كم من سفاهة رأيها　　لا هجوها لما هجتني ـ محارب

معاذ الإله إنَّني بعشيرتي　　ونفسيَ عن ذاك المقام لراغب

هذا، وحيث إنَّ الانسان قد لا يذم الخصم المذموم لرذالته واقعاً، قد يترك ذم الخصم الشريف بادّعاء أنّه رذل، فقالوا: كان مالك بن إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي والورد بن عبدالله السعدي ممّن خرجا مع يزيد بن المهلّب على يزيد بن عبدالملك، وكان الورد خرج مع ابن الأشعث أيضاً. فطلبا الأمان من مسلمة بن عبدالملك أمير جيش أخيه، فاستشفع للورد ابن اخي مسلمة وختنه وأوقفه عنده للعفو، فشتمه مسلمة، فقال: صاحب خلاف وشقاق، ونفاق ونفار في كل فتنة، مرَّةً مع حائك كندة، ومرَّةً مع ملاح الأزد، ما كنت بأهلٍ أن تؤمن. ثم قال له: انطلق. واستشفع ابن رستم الحضرمي لابن الاشتر، فأوقفه بين يديه وقال له: هذا مالك بن إبراهيم بن مالك الأشتر. فقال له مسلمة: إنطلق. فقال له ابن رستم: لِمَ لا تشتمه كما شتمت صاحبه. قال: أجللتكم عن ذلك وكنتم أكرم عليّ من أصحاب الآخر وأحسن طاعة. قال ابن رستم لمسلمة: فإنّه أحبُّ إلينا أن تشتمه، فهو والله أشرف أباً وجدّاً من الورد وأسوأ أثراً في أهل الشام منه. فكان ابن رستم يقول بعد أشهر: ما تركه إلّا حسداً من أن يعرف صاحبنا فأراد ان يرينا أنه قد حقره.

«فإنّا لله وإنّا إليه راجعون» هذا الاسترجاع في غاية الارتفاع هنا، لأنّه دالٌّ بالالتزام على أن صيرورة الناس الأحياء إلى كذا وكذا مصيبة معنوية عظيمة جداً، وينبغي الاسترجاع منها.

«ظهر الفساد فلا منكَر متغير» هكذا في (المصرية)[١]، ولكن في (ابن أبي الحديد) (مغير)[٢]، فهو الصحيح.

وفي (البيان): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ قوماً ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ فقال: هو مكاني، أصنع فيه ما شئت، فإن أخذوا على يديه نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا.

وفي (الطبري): قام الحسين عليه السلام بذي حُسُم فقال: ألا ترون الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهىٰ عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برما»[٣].

وفيه أيضاً خطب الحسين عليه السلام أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فقال: أيها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسوله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول؛ كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمٰن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر، وقد أتتني كتبكم ورسلكم أنّكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإنْ تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ وبن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فِيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٧، من الخطبة ١٢٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٤٤، الخطبة ١٢٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٤.

منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من آغترَّ بكم، فحظَّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه...[١].

وروى بعض المقاتل: أنه عليه السلام كتب بهذا إلى سليمان بن صُردَ وجماعة معه كانوا كتبوا إليه دعوة.

«ولا زاجر مزدجر» ازدجر: يأتي لازماً ومتعدياً، وهنا لازم ففي (الصحاح) الزجر المنع والنهي، يقال زَجَرَه وآزدَجَره فانزجر وازدَجَر[٢].

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا أُمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله.

وقال صلى الله عليه وآله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبّانكم ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، وشرٌّ من ذلك، إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً[٣].

«أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز أوليائه عنده» كاليهود الذين كانوا يقولون: نحن أولياء الله وأحباؤه.

قال يحيى بن معاذ: عملٌ كالسراب، وقلبٌ من التقوى خراب، وذنوبٌ بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات؛ أنت سكران بغير شراب.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣.

(٢) الصحاح للجوهري ٢: ٦٦٨.

(٣) الكافي ٥: ٥٩ ح ١٣ و ١٤.

«هيهات لا يخدع الله عن جنته» ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[١]، ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب﴾[٢].

«ولا تنال مرضاته إلّا بطاعته» ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾[٣].

«لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له» ﴿أتأمرون الناس بالبرِّ وتنسون أنفسكم﴾[٤].

«والناهين عن المنكر العاملين به» ﴿وما أُريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت﴾[٥].

وفي (الحلية) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته، فيقال له: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى، ولكن لا أفعله[٦].

٣
الخطبة (٢٢٨)

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَٱللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ

(١) آل عمران: ١٤٢.

(٢) البقرة: ٢١٤.

(٣) الحجرات: ١٤.

(٤) البقرة: ٤٤.

(٥) هود: ٨٨.

(٦) حلية الأولياء ٤: ١١٢، وفيه: «... بلى ولكن لم أكن أفعله».

مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلإِدهَانِ ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ ، لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ .

«وٱعلموا رحمكم الله» الخطاب فيه لأُصحابه.

«أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل» عن الصادق عليه السلام: ما ناصح الله عبد مسلم في نفسه فأعطى الحق منها وأخذ الحق لها إلّا أُعطِيَ خصلتين: رزقاً من الله تعالى يقنع به، ورضىً عن الله ينجيه.

وعن الباقر عليه السلام: المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، وإذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدّي وإلى ما ليس له بحق[1].

وحكى تعالى عن داود ﴿وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم...﴾[2] وقلة قول الحق بمقدار غلبة سلطان الباطل، فكلما كانت أكثر كان أقل.

وفي (الطبري): بلغ المغيرة ـ وكان أميراً على الكوفة من قبل معاوية ـ أن صعصعة بن صوحان يعيب عثمان ويكثر ذكر عليّ عليه السلام ويفضّله، فدعاه وقال له: اياك أن يبلغني عنك أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك أنّك تظهر شيئاً من فضل عليٍّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل علي شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد بُدّاً منه، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكراً فضيلة فاذكرها

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٢٢٤، ١٢.

(٢) ص: ٢٤.

بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرّاً، وأمّا علانية في المسجد فإنّ هـذا لا يحتمله السلطان لنا ولا يعذرنا فيه. فكان يقول له: نعم أفعل، ثم يبلغه عنه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه...[١].

«واللسان عن الصدق كليل» من كلّ السيف: نبا.

في (الكافي): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً، ولا يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده.

وقال الباقر عليه السلام: الكذب هو خراب الايمان.

وقال عليه السلام: جعل تعالى للشر أقفالاً، ومفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرٌّ من الشراب.

وقال عليه السلام: أول من يكذّب الكذاب الله عزّ وجلّ، ثم الملكان اللّذان معه، ثم هو يعلم أنه كاذب[٢].

«واللازم للحقّ ذليل» لنفرة الناس عن الحق، وهو سبب عدم استحكام أمر سلطنته عليه السلام، لأنه كان ملتزماً الحق في أقواله وأعماله، فتركوه يوم السقيفة لتنمُّره في ذات الله تعالى، كما قالت الصدّيقة عليها السلام[٣]، ولم يبايعوه يوم الشورى لعدم قبوله سنّة صدّيقهم وفاروقهم، وهجروه أيّام قيامه لتسويته بين الأشراف وغيرهم.

«أهله معتكفون على العصيان» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال:

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٨٨ ـ ١٨٩، طبعة بيروت، دار سويدان.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣٣٨ ـ ٣٤٠ ح ٢، ٣، ٤، ٦، ١١.

(٣) رواه الجوهري في السقيفه: ١١٨، وابن بابويه في معاني الأخبار: ٣٥٥، وابن رستم في الدلائل: ٤٠.

إذا أخذ القوم في معصية الله تعالى فإن كانوا رُكباناً كانوا من خيل إبليس، وإن كانوا رجّالة كانوا من رجّالته[١].

«ومصطلحون على الإدهان» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال: ما أقرّ قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يعيّرونه إلّا أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده.

وقال عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سيأتي على أُمّتي زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند الله تعالى، يكون أمرهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق، فلا يستجاب لهم[٢].

الإدهان: المصانعة، قال تعالى ﴿ودّوا لو تدهن فيدهنون﴾[٣].

«فتاهم عارم» أي: شرس سيئ الخلق.

«وشائبهم آثم» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: الرجم في القرآن: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فانهما قضيا الشهوة[٤].

وقال الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

«وعالمهم منافق» في (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت

---

(١) عقاب الأعمال: ٣٠١ ح ٥.

(٢) عقاب الأعمال: ٣١٠ ح ١ و: ٣٠١ ح ٣.

(٣) القلم: ٩.

(٤) الكافي ٧: ١٧٧ ح ٣.

الفتنة وإليهم تعود[١].

«وقارئهم مماذق» الأصل في المذق: اللبن الممزوج بالماء. قال الجوهري: ومنه «فلان يمذق الود» اذا لم يخلصه، فهو مذّاق ومماذق[٢].

في (العقاب) عن الصادق عليه السلام: ان علياً عليه السلام قال: إنّ في جهنّم رحىً تطحن، أفلا تسألوني ما طحنها؟ فقيل: ما طحنها يا أمير المؤمنين؟ فقال: العلماء الفجرة، والقرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة[٣].

وقال شاعر:

تصوَّفَ كي يُقال له أمين	وما يعني التصوُّف والأمانهْ
.... ولكن	اراد به الطريق إلى الخِيانه

«لا يُعظِّمُ صغيرهم كبيرهم» من جوامع كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله: ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوف حق كبيرنا[٤].

وفي (ثواب الأعمال): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من عرف فضل شيخ كبير فوقّره لسنّه آمنه الله من فزع يوم القيامة. وقال: من تعظيم الله إجلال ذي الشيبة المؤمن[٥].

«ولا يعول غنيهم فقيرهم» ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾[٦].

هذا، وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: يأتي على الناس زمان وجوههم وجوه

---

(١) عقاب الأعمال: ٣٠١ ح ٤.

(٢) الصحاح للجوهري ٤: ١٥٥٣.

(٣) عقاب الأعمال: ٣٠٢ ح ١.

(٤) أخرجه الكافي ٢: ١٦٥ ح ٢، عن الصادق عليه السلام لا عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٥) ثواب الأعمال: ٢٢٤ ح ١.

(٦) المدثر: ٤٤.

الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين، سفّاكين للدماء لا يرعوون عن قبيح، إن بايعتهم أربُوك، وإن آئتمنتهم خانوك، صبيّهم عارم، وشائبهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، السُّنّة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، وذو الأمر منهم غاوٍ، فعند ذلك يسلّط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم[١].

٤
خطبة (٤١)

ومن خطبة له عليه السلام :

إِنَّ ٱلْوَفَاءَ تَوْأَمُ ٱلصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَىٰ مِنْهُ، وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ المَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ ٱتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ ٱلْغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهم أَهْلُ ٱلْجَهْلِ فِيهِ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلْحِيلَةِ، مَالَهُمْ ـ قَاتَلَهُمُ ٱللهُ ـ قَدْ يَرَى ٱلْحُوَّلُ ٱلْقُلَّبُ وَجْهَ ٱلْحِيلَةِ وَدُونَه مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَاحَرِيجَةَ لَهُ فِي ٱلدِّينِ.

«ان الوفاء توأم الصدق» التوأم: أصله ولد تضعه أُمّه مع آخر في بطن. قال الخليل: هو فوعل، لأنَّ أصله ووأم، فأبدل من الأُولى تاء كما في (تولج) بالفتح[٢].

ذكر عليه السلام صفتين شريفتين: الوفاء والصدق، وجعلهما توأمين لأنّ كلّاً منهما شعبة من الآخر، فالوفاء بالعهد صدق عملي، ومنشؤهما واحد وهو شراف النفس، فكأنهما كما قيل:

---

(١) جامع الأخبار: ٣٥٥، ٩٩٢. باختلاف يسير، مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، مجمع الزوائد ٧: ٢٨٦، باختلاف يسير، دار الكتاب العربي، بيروت .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢: ٦٢، ٦٢٨، مادة (تأم ، وأم) .

رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا يتفرق

والصدق شرافه معلوم، ويكفى فيه قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[١]، ﴿يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾[٢]، والوفاء مثله. وقال صلى الله عليه وآله: **بعثت بوفاء العهد مع البرّ والفاجر.**

وفي (تنبيه المسعودي): ذكر أبوعبيدة معمر بن المثنى في كتابه الموسوم بـ(الديباج) أوفياء العرب، فعدَّ السموأل بن عاديا الغساني، والحارث بن ظالم المرّي، وعمير بن سلمى الحنفي. ولم يذكر هانياً، وهو أعظم العرب وفاءً، وأعزّهم جواراً، وأمنعهم جاراً، لأنه عرَّض نفسه وقومه للحتوف، ونعمهم للزوال، وحرمهم للسبي، ولم يخفر أمانته، ولا ضيع وديعته[٣].

وفي (أمثال الكرماني): يقال «أوفى من الحرث بن ظالم»، كان من وفائه أنّ عياض بن ديهث مر برعاء الحرث وهم يسقون، فسقى فقصر رشاؤه فاستعار من أرشية الحرث فوصل رشاءه فأروى إبله، فأغار عليه بعض جشم النعمان فاطردوا إبله، فصاح عياض يا «حار»! يا جاراه! فقال له الحرث: ومتى كنت جارك؟ قال: وصلت رشائي برشائك فسقيت إبلي وأُغير عليها، أفلا تشدُّ ما وهى من أديمك؟ ـ يريد أن الحارث قتل خالد بن جعفر بن كلاب في جوار الأسود ابن المنذر ـ فقال الحرث: هل تعدون الحلبة إلى نفسي؟ فأرسلها مثلا ـ أي: إنّك لا تهلك إلّا نفسي إن قتلتها ـ فتدبّر النعمان كلمته فردَّ على عياض أهله وماله، وقال الفرزدق في ذلك؛ يضرب مثلا لسليمان بن

(١) التوبة: ١١٩ .

(٢) المائدة: ١١٩ .

(٣) التنبيه والاشراف: ٢٠٩ .

عبدالملك حين وفىٰ ليزيد ابن المهلب:

لعمري لقد أوفىٰ ـ وزاد وفاؤه
على كل حال جار آل المهلّب

كما كان أوفىٰ إذ ينادي ابن ديهث
وصرمته كالمغنم المتنهّب

فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم
وكان متى ما يسلل السيف يضرب(١)

ويقال «أوفى من الحرث بن عبادة» أسر عدي بن ربيعة في يوم قضة ولم يعرفه، فقال له: دلّني على عديٍّ. فقال له: إن أنا دللتك عليه تؤمنني؟ قال: نعم. فقال: أنا عديٌّ، فخلّاه وقال:

لهف نفسي على عديٍّ وقد أشعب للموت وآحتوته اليدان(٢)

«وأوفى من السموأل» إستودعه آمرؤ القيس لما أراد الخروج إلى قيصر دروعاً، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام، فتحرز منه السموأل فأخذ الملك آبناً له ـ وكان خارجاً من الحصن ـ فصاح به: هذا ابنك في يدي وامرؤ القيس ابن عمي ومن عشيرتي، فإن دفعت إليّ الدروع وإلّا ذبحت ابنك. قال: أجّلني. فأجّله، فجمع أهل بيته ونساءه فشاورهم فكل أشار إليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه، فأشرف عليه وقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل، فاصنع ما أنت صانع، فذبح الملك ابنه وهو مشرف ينظر إليه، ثم انصرف الملك بالخيبة فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس وقال:

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٧٨.

وفيت بأدرع الكندي إنّي إذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا إنه كنز رغيب ولا والله أغدر ما مشيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت[1]

«عاديا»: جدّه.

«أوفى من عوف بن محلم وابنته خماعة» غزا مروان القرظ ـ سمّي بالقرظ لأنه كان يغزو اليمن وهي منابت القرظ ـ بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأسره رجل منهم وهو لا يعرفه، فأتى به أُمه فقالت له: إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ. فقال لها مروان: وما ترتجين من فدائه؟ قالت: مئة بعير. قال: ذلك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم، وكان السبب في ذلك أن خماعة كانت امرأة ليث بن مالك، ولما مات ليث أخذت بنو عبس ماله وأهله، وكان الذي أصاب أهله خماعة عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء، فسألها مروان القرظ من أنت؟ قالت: خماعة بنت عوف، فانتزعها من عمرو وذؤاب ـ لأنه كان رئيس القوم ـ وقال لها: غطي وجهك حتى أردّك إلى أبيك، وقيل: اشتراها منهما بمئة من الإبل، فحملها إلى عكاظ، فلما انتهى إلى منازل بني شيبان قالت: هذه منازل قومي وهذه قبة أبي. قال: فانطلقي إلى أبيك، وقال:

رددت على عوف خماعة بعد ما خلاها ذؤاب غير خلوة خاطب

فمضت به إلى خماعة وكان عمرو بن هند وجد على مروان في أمر فآلى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده في يده، فبعث عمرو إلى عوف أن يأتيه به، فقال: قد أجارته ابنتي وليس إليه سبيل. فقال عمرو: قد آليت كذا وكذا. فقال

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٧٤.

عوف: يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما، فأجابه عمرو إلى ذلك[١].

«ولا أعلم جنة أوقى منه» الجنة - بالضم - ما يوقيك عن الأسلحة.

قال الخوئي في الأثر: ان النعمان بن المنذر قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله، ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه، وكان رجل من طي قد خرج ليطلب الرزق لأولاده، فصادفه النعمان في يوم بؤسه، فعلم الطائي أنه مقتول فقال: حيّا الله الملك! إن لي صبية صغاراً ولم يتفاوت الحال بين قتلي أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن أُوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروة من الحي ثم أعود. فقال النعمان: فإن يضمنك رجل إن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن عدي نديم النعمان. فقال: أنا أضمنه، فمضى الطائي مسرعاً وصار النعمان يقول لشريك: جاء وقتك فتأهّب للقتل. فقال: ليس عليّ سبيل حتى يأتي المساء، فلما قرب المساء قال: تأهّب. قال: هذا شخص قد لاح مقبلا، فلمّا قرب إذا هو الطائي قد اشتد في عدوه. وقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي، مر بأمرك أيها الملك. فأطرق النعمان ثم رفع رأسه فقال: ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائي فما تركت في الوفاء مقاماً لأحد يفتخر به، وأمّا أنت يا شريك؛ فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، ألا وإني رفعت يوم بؤسي عن الناس بوفاء الطائي وكرم شريك[٢].

قلت: وفي (الطبري) في وقائع (٥٨) حبس ابن زياد فيمن حبس مرداس بن اديه، فكان السجّان يرى عبادته واجتهاده وكان يأذن له في الليل فينصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، وكان صديق لمرداس يسامر ابن

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) شرح الخوئي ٢: ٤٩.

زياد، فذكر ابن زياد ليلة الخوارج، فعزم على قتلهم إذا أصبح فانطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس، فأخبرهم وقال: أرسلوا إليه في السجن فليعهد فإنه مقتول فسمع ذلك مرداس وبلغ الخبر صاحب السجن، فبات بليلة سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا به قد طلع فقال له السجان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم. قال: ثم غدوت؟ قال: نعم ولم يكن جزاؤك مع احسانك أن تعاقب بسببي، وأصبح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج ثم دعا بمرداس، فلما حضر وثب السجّان -وكان ظئراً لعبيد الله - فأخذ بقدمه ثم قال: هب لي هذا. وقَصَّ عليه قصته، فوهبه له وأطلقه[1].

«ولا يغدر» هكذا في (المصرية)[2] والصواب: (وما يعذر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[3].

«من علم كيف المرجع» أي: كيف مرجع الغادر في الدنيا من الخزي وفي الاخرة من العقاب، أما خزي الدنيا ففي (وزراء الجهشياري): لما قوي أمر بني العباس قال مروان بن محمد لعبد الحميد كاتبه: إنّا نجد في الكتب أنّ هذا الأمر زائل عنّا لا محالة، وسيضطر إليك هؤلاء -يعني بني العباس- فصر إليهم فإنّي أرجو أن تتمكن منهم فتنفعني في مخلفي وفي كثير من أسبابي. فقال له: وكيف لي بأن يعلم الناس أنّ هذا عن رأيك وكلهم يقول إني غدرت وسرت إلى عدوك، والذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما لي، وأنشد:

أُسِرُّ وفاءً ثم أُظهر غَدرَةً فمن لي بعذرٍ يوسع الناس ظاهرُه[4]

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣١٣، نقله المصنف بتصرف.

(٢) نهج البلاغة ١: ٨٨، من الخطبة ٤١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣١٢، ابن ميثم (الطبع الحجري) ٢: ١٥٨، هكذا في السطر الخامس.

(٤) الوزراء والكتاب للجهشياري: ٥١.

وفي (أمثال الكرماني): نزل أنيس بن مرداس السلمي في صرم من بني سليم بعتيبة بن الحارث، فشدّ على أموالهم فأخذها وربط رجالها حتى افتدوا، فقال العباس بن مرداس أخوه:

كثر الضجاج وما سمعت بغادر كعتيبة بن الحارث بن شهاب
جللت حنظلة الدناءة كلها ودنست آخر هذه الأحقاب[١]

وأما عقاب الآخرة ففي (الكافي) قال أمير المؤمنين عليه السلام: لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إنّ كُلّ غُدَرةٍ فُجَرَةٌ وكُلّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، ألا وان الغدر والفجور والخيانة في النار[٢]. وزاد النهج: ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة[٣].

وعن (غارات الثقفي): ذكر المغيرة بن شعبة عند عليّ عليه السلام فقال: وما المغيرة؟ إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة بنفر من قومه، فهرب، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام، والله مارُئي عليه منذ ادّعى الإسلام خضوعٌ ولا خشوعٌ[٤].

وفي (النهج) قال عليه السلام في مروان لما أخذ أسيراً وكلّمه الحسنان عليهما السلام في أن يبايعه: لا حاجة لي في بيعته إنّها كفٌّ يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته، أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأُمة منه ومن ولده يوماً أحمر[٥].

وفيه أيضاً قال عليه السلام للأشعث: وان امرأً دلَّ على قومه السيف، وساق إليهم

---

(١) مجمع الأمثال للكرماني: ٤٤٠.

(٢) الكافي للكليني ٢: ٣٣٨، ٦.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٠٦، من الخطبة رقم ٢٠٠.

(٤) الغارات للثقفي ٢: ٥١٦، وفيه: خضوعاً ولا خشوعاً (بالنصب).

(٥) نهج البلاغة ١: ١٢٠، الخطبة رقم ٧٣.

الحتف، لحريٌّ أن يمقته الأقرب، ولا يأمنه الأبعد.

قال الرضي: وكان قومه بعد ذلك يسمُّونه «عُرْف النار»، وهو اسم للغادر عندهم[١].

«ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً» عن عمرو بن العلاء كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمّون الغدر في الجاهلية كيسان فقيل فيهم:

إذا كنت في سعد وخالك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعد
إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أولى من شبابهم المرد[٢]

وقال الأخطل في نابغة بني جعدة:

قبيلة يرون الغدر مجداً ولا يدرون ما نقل الجفان

قالوا: أشار إلى قتل ورد والرقاد الجعديين لشراحيل الجعفي غدراً، وقال آخر:

إذا أشرف المعجان ركب بدت له بيوت بني ورد مجاورها الغدر

وفي (مقاتل أبي الفرج): قال أبو إسحاق: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميَّ هاتين. قال أبو إسحاق: وكان والله غدّاراً[٣].

هذا، وفي (عيون ابن بابويه) عن محمد بن يحيى الصولي: إن العباس بن الأحنف خال جدّه قال في جدّته لأبيه المسمّاة بغدر:

---

(١) نهج البلاغة ١: ٥٢ و ٥٣، من الخطبة ١٩، ولم يكن فيه كلام السيد الرضي رحمه الله، ووجدناه في نهج البلاغة بتحقيق الدكتور صبحي الصالح: ٦٢.

(٢) لسان العرب ١٢: ٢٠١، بتحقيق علي شيري.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني: ٤٥.

* يا غدرُ زُيِّن باسمك الغدر[١]*

«ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، مالهم قاتلهم الله قد يرى الحُوّل القُلَّبُ» الحُوّل بتشديد الواو: البصير بتحويل الأُمور.

«وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها، رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز» أي: يغتنم.

«فرصتها من لا حريجة» اسم مصدر لقولهم «تحرّج فلان» إذا فعل فعلا يخرج به من الحرج، أي: الإثم والحرام.

«له في الدين» في زيارته عليه السلام الغديرية «وكم من أمر صدّك عن إمضاء عزمك فيه التُّقى، واتبع غيرك في مثله الهوى، فظن الجاهلون أنك عجزت عمّا إليه انتهى، ضلَّ والله الظانّ لذلك وما اهتدى، ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم وامترى، بقولك ـ صلّى الله عليك ـ «قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونه حاجز من تقوى الله فيدعها رأي عين وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين» صدقت، وخسر المبطلون[٢].

٥
من الخطبة (٩٩)

ومنها:

وذلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إلّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ، إنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإنْ غَابَ لمْ يُفتَقَدْ. أُولئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَىٰ وَأَعْلَامُ ٱلسُّرَىٰ، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلا ٱلْمَذَايِيعِ ٱلْبُذُرِ، أُولئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ

(١) عيون الصدوق ٢: ١٧٧.

(٢) البحار ١٠٠: ٣٦٥.

ٱلْاسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ ٱلْانَاءُ بِمَا فِيهِ. أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[1].

قال الشريف قوله عليه السلام «كل مؤمن نومة» أراد به الخامل الذكر القليل الشر، و«المساييح» جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم و«المذاييع» جمع مذياع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه بها، و«البذر» جمع بذور، وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه.

أقول: ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في (غريبه) مع اختلاف يسير[2].

(ومنها) هكذا في (المصرية)[3] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4] (منها) وهو الصحيح وإن كان العطف فيه ـ لكونه ثانياً ـ صحيحاً.

«وذلك زمن» هكذا في (المصرية)[5] والصواب: زمان كما في الثلاثة[6].

«لا ينجو فيه الا كل مؤمن نومة» في (نهاية ابن الأثير): في حديث عليّ عليه السلام «انه ذكر آخر الزمان والفتن ثم قال: خير أهل ذلك الزمان كل مؤمن نومة» النومة بوزن الهُمزة: الخامل الذي لا يؤبه له، وقيل الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله، وقيل النومة بالتحريك الكثير النوم، وأما الخامل الذي لا يؤبه به، فهو بالتسكين، فمن الاول حديث ابن عباس قال لعليّ عليه السلام: ما النومة؟

---

(١) المؤمنون: ٣٠.

(٢) غريب الحديث ٢: ١٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٩٨، من الخطبة رقم ١٠٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٩، وابن ميثم (الطبع الحجري): ١٥٦، هكذا.

(٥) نهج البلاغة ١: ١٩٨، من الخطبة رقم ١٠٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٩، وابن ميثم (الطبع الحجري): ١٥٦، هكذا.

قال: الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء[١].

«ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد» هو تفسير للمراد من «النومة».

وعن الصادق عليه السلام: طوبى لعبد نومة، عرف الناس فصاحبهم ببدنه ولم يصاحبهم في أعمالهم بقلبه، فعرفهم في الظاهر ولم يعرفوه في الباطن.

«أولئك مصابيح الهدى» المصباح: السراج. «وأعلام السرى» في (النهاية): في حديث جابر قال له: ما السُّرَىٰ يا جابر؟ أي: ما أوجب مجيئك في هذا الوقت «السرى»: السير بالليل[٢].

«ليسوا بالمساييح» في (النهاية): في الخبر «لا سياحة في الاسلام» ساح في الأرض يسيح سياحة: إذا ذهب فيها، وأصله من السيح، وهو الماء الجاري المنبسط على الأرض، أراد مفارقة الأمصار، وقيل أراد الذين يسيحون في الأرض بالشرِّ والنميمة والإفساد بين الناس، ومنه حديث عليّ عليه السلام «ليسوا بالمساييح البُذُرِ» أي: الذين يسعون بالشرِّ والنميمة، وقيل: هو من التسييح في الثوب، وهو أن يكون فيه خطوط مختلفة[٣].

«والمذاييع البذر» في (النهاية) في ذاع: في حديث عليّ عليه السلام في وصف الأولياء «ليسوا بالمذاييع البذر» المذاييع جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه، وقيل أراد الذين يشيعون الفواحش، وهو بناء مبالغة. وفي «بذر» في حديث فاطمة عليها السلام عند وفاة النبي قالت لعائشة: «إني إذن لبذرة» البذر الذي يفشي السرّ ويظهر ما يسمعه، ومنه حديث عليّ عليه السلام «ليسوا بالمذاييع البذر» جمع بذور، ويقال: «بذرت الكلام بين الناس

(١) النهاية ٥: ١٣١، (نوم).

(٢) النهاية ٢: ٣٦٤، (سرى).

(٣) النهاية ٢: ٤٣٢، (يسح).

كما تبذر الحبوب» أي: أفشيته وفرّقته[١].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه! لا تتّبعوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبّع عثرات المسلمين تتبّع الله عثراته، ومن تتبّع الله عثراته يفضحه[٢].

«أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته، ويكشف عنهم ضرّاء نقمته» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إن الله ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء.

وعن الصادق عليه السلام: قيل له إذا نزل العذاب بقوم يصيب المؤمنين؟ قال: نعم ولكن يخلصون بعده[٣].

«أيها الناس سيأتي عليكم زمان يُكفأ فيه الاسلام كما يُكفأ الإناء بما فيه» في (النهاية): في الحديث «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفئ ما في إنائها» هو تفتعل من «كفأت القدر» إذا كببتها لتفرغ ما فيها، يقال «كفأت الإناء وأكفأته» إذا كببته وإذا أملته. وهذا تمثيل لإمالة الضرّة حقّ صاحبتها من زوجها إلى نفسها إذا سألت طلاقها[٤].

«أيها الناس! إنّ الله» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: (ان الله تعالى) كما في الثلاثة[٦] «قد أعاذكم من أن يجور عليكم» ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾[٧]، ﴿إنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون﴾[٨]، ﴿وما أصابكم من

---

(١) النهاية ٢: ١٧٤ و ١: ١١٠.

(٢) الكافي ٢: ٣٥٥، ٤.

(٣) الكافي ٢: ٢٤٧، ١ و ٣.

(٤) نهج البلاغة ١: ١٩٨، من الخطبة رقم ١٠٣.

(٥) النهاية ٤: ١٨٢، (كفأ).

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١١٠، وابن ميثم (الطبع الحجري): ١٥٦، هكذا.

(٧) فصلت: ٤٦.

(٨) يونس: ٤٤.

مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[١].

«ولم يُعِذكم من أن يبتليكم» ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون * ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمَنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين﴾[٢].

«وقد قال جل من قائل: ﴿إنّ في ذلك لآيات وإنْ كنّا لمبتلين﴾[٣]» والآية التي ذكرها عليه السلام في سورة المؤمنون والآية بعد ذكر قصة نوح. فقوله تعالى: ﴿ان في ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر في قصة نوح، قال تعالى: ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً﴾[٤] ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيِّئات لعلّهم يرجعون﴾[٥].

«قال الشريف» هكذا في (المصرية)[٦] وليس في (الخطية المصححة) أصلاً وبدله (ابن أبي الحديد) بقول: «قال الرضي» ولعله إنشاء منه[٧].

(قوله عليه السلام «وكل مؤمن نومة» أراد به الخامل الذكر القليل الشر) لو قيل «الذي لا يعرف الشر» كان أحسن.

(والمساييح: جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم) قد عرفت أن الأصل فيه سيح الماء أو تسييح الثوب.

(والبذر: جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه) قال ابن أبي

---

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) العنكبوت: ٢ و ٣.

(٣) المؤمنون: ٣٠.

(٤) الملك: ٢.

(٥) الاعراف: ١٦٨.

(٦) نهج البلاغة ١: ١٩٨، من الخطبة رقم ١٠٣.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١١٠.

الحديد: بذور كصبور الّذي يذيع الأسرار، وليس كما قال الرضي[١].

قلت: قد عرفت أنه من «بذرت الكلام كما تبذر الحبوب»، وحينئذ فما قاله المصنف ليس بذلك البعد. هذا ولو كان المصنف نقل هذا في فصل غريبه كان أنسب.

٦
الخطبة (١١٣)

ومن كلام له عليه السلام:

فَلا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا تُكْرِمُونَ ٱللهَ فِي عِبَادِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ.

«فلا أموال بذلتموها للذي رزقها» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين﴾[٢].

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي عليه السلام فقال: أخبرني عن قوله تعالى ﴿في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم﴾[٣] ما هذا الحق المعلوم؟ قال عليه السلام: هو الشيء يخرجه الرجل من ماله إن شاء أكثر وإن شاء أقلّ على قدر ما يملك؛ يصل به رحماً، ويقري به ضيفاً، ويحمل به كلّاً، أو يصل به أخاً له في الله، أو لنائبة تنوبه. فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وعن البزنطي قال: قال الرضا عليه السلام: إن صاحب النعمة على خطر أنه تجب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١١٠.

(٢) المنافقون: ١٠.

(٣) المعارج: ٢٤ ـ ٢٥.

عليه حقوق لله، والله إنه لتكون عليَّ النعم من الله تعالى، فما زال عليَّ منها وجل ـ وحرك يده ـ حتى أخرج من الحقوق التي تجب لله عليَّ فيها. قلت: جعلت فداك! أنت في قدرك تخاف هذا؟ قال: نعم. فأحمد ربي على ما منَّ به عليَّ.

وعن الصادق ﷺ: إن الله تعالى فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلّا بأدائها، وهي الزكاة، وبها حقنوا دماءهم، وبها سُمُّوا المسلمين، ولكنه تعالى فرض في أموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم﴾ فالحق المعلوم غير الزكاة، وقال تعالى ﴿وأقرِضوا الله قرضاً حسناً﴾[1]، وهذا غير الزكاة، وقال تعالى أيضاً: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية﴾[2]. والماعون أيضاً غير الزكاة، وهو القرض يُقرِضه، والمتاع يُعِيره والمعروف يصنعه، ومما فرض الله عزّ وجلّ في المال غير الزكاة ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾[3].

وفي الخبر: إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم[4].

وفي الخبر: يا ابن آدم! ما من يوم جديد إلّا ويأتي فيه برزقك من عندي، وما من ليلة إلّا ويأتي الملائكة من عندك بعمل قبيح، خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد.

وفي (الحلية) عن وهب بن منبه أن سائحاً وردناً ـ أي: تبيعاً ـ له كان يأتي طعامهما في كل ثلاثة أيام مرة، فإذا هما لم يأتهما طعام إلّا لأحدهما فقال الكبير لردنه لقد أحدث أحدنا حدثاً منع به برزقه فتذكر ما صنعت. قال الردن: ما صنعت شيئاً، ثم تذكر فقال: بلى قد جاءنا مسكين إلى الباب فأجفت الباب

---

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) الرعد: ٢٢.

(٣) الكافي ٣: ٤٩٨ ـ ٥٠٢ ح ٨ و ١١ و ١٩. والآية ٢١ من سورة الرعد.

(٤) الكافي ٢: ٣١٦ ح ٦.

في وجهه. فقال الكبير: من ثم أُتينا فاستغفرا فجاءهما رزقهما بعدكما كان يأتيهما[١].

«ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها» والناس يخاطرون بأنفسهم للملوك والأُمراء فكيف لا يخاطرون بها لخالقها وهي ملكه، وهو أمر قبيح كعدم بذل المال لرازقه، فيكون حاله حال من ينكر خالقيّته ورازقيّته.

وفي (الحلية) عن وهب: قال تعالى لموسى عليه السلام: وعزّتي يا ابن عمران لو أن هذه النفس التي وكزتها فقتلتها اعترفت لي ساعةً من ليل أو نهار بأنّي لها خالق أو رازق لأذقتك فيها طعم العذاب، ولكنّي عفوت عنك أنها لم تعترف لي ساعة أني لها خالق أو رازق[٢]، وقد قال تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[٣].

وبعد كونه تعالى هو المشتري والثمن الجنة وكتاب البيع التوراة والانجيل والقرآن في كون المعاملة بتلك المثابة التي هي الفوز العظيم الذي ينبغي الاستبشار بها يكون الراغب عن تلك المعاملة بالبخل بالمال والنفس اللذين هما عارية عندك على مالكهما مورداً للملامة وفي غاية اللآمة، ولذا قال عليه السلام ما قال توبيخاً.

«تَكرُمون بالله على عباده ولا تُكرِمون الله في عباده» وهو أيضاً قبيح عقلا كعدم بذل المال والنفس للرازق والخالق، بل من يكرم على العباد لله يكون

---

(١) حلية الأولياء ٤: ٥٧.

(٢) حلية الأولياء ٤: ٦٠.

(٣) التوبة: ١١١.

إكرامه لله في عباده ألزم عليه ممن لا يكرم بالله، ووجه خطابه عليه السلام للذين كانوا يدّعون منزلة لأنفسهم بكونهم صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله كطلحة والزبير وسعد ونظرائهم، ويطَّرِدُ في جميع طبقات الاشراف.

وفي (عيون أخبار الرضا عليه السلام) قال: إنّا أهل البيت وجب حقّنا برسول الله، فمن أخذ به صلى الله عليه وآله حقاً ولم يعط من نفسه مثله فلا حق له(١).

وعن الصادق عليه السلام: كان عليُّ بن الحسين لا يسافر إلّا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من مساعدي الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم، فرآه رجل، فعرفه، فقال لهم، أتدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا علي بن الحسين عليهما السلام، فوثبوا إليه وقبّلوا يده ورجله وقالوا: يا ابن رسول الله، أردت أن تصلينا نار جهنّم، لو بدرت منّا إليك يد أو لسان أما كنّا هلكنا إلى آخر الدهر، فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إنّي سافرت مرّة مع قوم يعرفونني، فأعطوني بالنبيّ صلى الله عليه وآله ما لا أستحق، فإنّي أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحبّ إلي(٢).

«فاعتبروا بنزولكم منازل مَن كان قبلَكم» في (صفين نصر) في مسيره عليه السلام إلى صفّين: ثم مضى نحو ساباط حتى انتهى إلى مدينة (بهر سير) وإذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم بن طريف من بني مالك بن ربيعة ينظر إلى آثار كسرى وهو يتمثل بقول ابن يعقوب التميمي:

جرت الرياح على مكان ديارهم   فكأنّهم كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام: أفلا قلت: ﴿كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين * فما بكت عليهم

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٢٨ ح ٩.

(٢) أخرجه ابن بابويه، في عيون أخبار الرضا ٢: ١٤٣ ح ١٣.

السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[١] ان هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية، إيّاكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم[٢].

وقال ابن أبي الحديد: أنّ الأصل في قوله عليه السلام قوله تعالى ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ [٣].

«وانقطاعكم عن أوصل اخوانكم» والظاهر أن المراد اعتبروا بانقطاعكم عن إخوانكم الذين كانوا في كمال الوصل معكم ليلاً ونهاراً كما تعتبرون بمساكن من كان قبلكم، والحاصل: إعتبروا بآثار المتقدمين عليكم وبأشخاص المعاشرين معكم، وإنكم لابدَّ أن تسلكوا مسلكهم وتهلكون كمهلكهم.

ومرت شكايته عليه السلام من قريش في ١٨ / ٨، في الإمامة الخاصة.

---

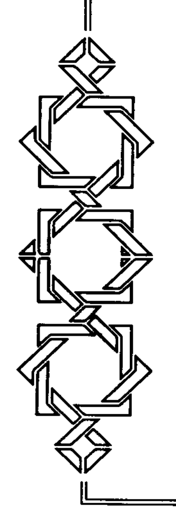
(١) الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ١٤٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٢ ـ ٢٨٣. والآية ٤٥ من سورة إبراهيم.

الفصل السادس والعشرون

في نقص الناس واختلافهم وعجائب قلوبهم وصفة ارذالهم





١
الحكمة (٣٤٣)

وقال عليه السلام:

الأقاويلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ، وكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، والنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، سائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا والسُّخْطُ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤهُ اللَّحْظَةُ وَتَسْتَحِيلُهُ الكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ! اتَّقُوا اللهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ ما لا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ ما لا يَسْكُنُهُ، وَجامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ، آسِفاً لاهِفاً، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ المُبِينُ.

«الأقاويل محفوظة» ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه

ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقّى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد * وجاءت سكرة الموت بالحقِّ ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كلُّ نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[١].

«والسرائر مبلوة» في الدنيا والآخرة، أمّا الدنيا فعن الصادق عليه السلام: ما من عبد يُسِرُّ خيراً فذهبت الأيّام حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يُسِرُّ شراً فذهبت الأيّام حتى يظهر الله له شراً[٢]. وأما الآخرة فقوله تعالى ﴿يوم تبلى السرائر﴾[٣] أي: تُكْشَفُ ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وظل عنهم ما كانوا يفترون﴾[٤].

«وكلُّ نفس بما كسبت رهينة» هو عين قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[٥] وفي التفسير: مرهونة، كلّ نفس مأخوذة بعملها في النار[٦].

«والناس منقوصون مدخولون» في عقولهم كغش يدخل في الذهب والفضة.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: الناس كإبل مئة لا تكاد تجد فيها راحلة[٧].

وفي الديوان ونسب إلى دعبل أيضاً:

---

(١) ق: ١٦ ـ ٢٢.

(٢) الكافي ٢: ٢٢٤ ح ١٢، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران.

(٣) الطارق: ٩.

(٤) يونس: ٣٠.

(٥) المدثر: ٣٨.

(٦) مجمع البيان ١٠: ٣٦١.

(٧) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢١ ح ٣٩٩٠.

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... والله يعلم أنّي لم أقل فَنَدا
إنّي لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا[١]

وفي شرحه الفارسي:

دم جمعى كه بصورت مردمند ... و به حقيقت حيوان بى‌دمند

«إلّا من عصم الله» ﴿وإنّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[٢].

في (عيون القتيبي): كان بين حاتم طي وأوس بن حارثة ألطف ما يكون بين اثنين، فقال النعمان بن المنذر لجلسائه: والله لأُفسدنَّ ما بينهما. فقالوا: لا تقدر على ذلك. قال: بلى فقلّما جرّبت الرجال في شيء إلّا بلغته، فدخل عليه أوس فقال له: ما الذي يقول حاتم؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: إنه أفضل منك وأشرف. قال: أبيتَ اللعنَ، صَدَقَ والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لَأَنْهَبَنَا في مجلس واحد، ثم خرج وهو يقول:

يقول لي النعمان ـ لا من نصيحةٍ ... أرى حاتماً في قوله متطاولا
له فوقنا باعٌ كما قال حاتم ... وما النصح فيما بيننا كان حاوَلا

ثم دخل عليه حاتم وقال له مثل مقالته لأوس قال: صدق. أين عسى أن أقع من أوس، له عشرة ذكور أخسُّهم أفضل مني، ثم خرج وهو يقول:

يُسائلُني النُّعمان كي يستزلني ... وهيهات لي أن أُستَضام فأُصرعا
كفاني نقصاً أن أَضيم عشيرتي ... بقولٍ أرى في غيره مُتَوَسَّعا

فقال النعمان: ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين[٣].

---

(١) اُنظر كتاب «شعر دعبل بن علي الخزاعي» للدكتور عبدالكريم الاشتر: ١٢١، نقله عن العقد ١: ٣٢٥.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٢٣ ـ ٢٤، نقله بتصرف.

وروى (الروضة) عن الصادق عليه السلام: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الاسلام أصل[١].

«سائلهم متعنت» أي: يريد ايقاع مجيبه في العنت، أي: المشقة ويظهر زلّته وجهله.

وفي السير: قال رجل من العمال لأعرابي: ما أحسبك تعرف كم تصلّي في اليوم والليلة؟ قال: فإن عرفت؛ أتجعل لي على نفسك مسألة. قال: نعم. قال:

ان الصلاة أربع وأربع ثم ثلاثٌ بعدهن أربعُ

ثم صلاة الفجر لا تضيَّع

قال: صدقت هات مسألتك. فقال كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدري. قال: فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك؟

وعن (صفوة الأخبار): قام ابن الكوّا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار، وعن بصير بالنهار أعمى بالليل، وعن بصير بالليل أعمى بالنهار. فقال عليه السلام له: سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك، أمّا بصير بالليل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الّذين مضوا، وأدرك النبي فآمن به، فأبصر في ليله ونهاره، وأما أعمى بالليل بصير بالنهار فرجل جحد الأنبياء الّذين مضوا وأدرك النبي فآمن به، فعمى بالليل وأبصر بالنهار، وأما أعمى بالنهار بصير بالليل فرجل آمن بالأنبياء وجحد النبي، فأبصر بالليل وأعمى بالنهار[٢].

«ومجيبهم متكلف» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا أدري ولا يقل «الله أعلم» فيوقع في قلب صاحبه شكاً.

---

(١) الكافي ٨: ١٧٧، ١٩٧.

(٢) نقله عن عيون الأخبار، بحار الأنوار ٤٠: ٢٨٣ ح ٤٥، نقلاً عن كتاب: صفوة الأخبار.

وعنه عليه السلام: للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول «الله أعلم» وليس لغير العالم أن يقول ذلك.

وعنه عليه السلام: من أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ، والمحكم من المتشابه؛ فقد هلك وأهلك[1].

«يكاد أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضا والسخط» في (الخصال) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ثلاث خصال من كنّ فيه استكمل خصال الايمان: الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاطَ ما ليس له[2]، وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[3]، ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[4].

وفي (المعجم) عن إسحاق الموصلي: دخلت على الأصمعي فأنشدته أبياتاً قُلْتها ونَسَبتُها إلى بعض الأعراب، وهي:

هل إلى أن تنام عيني سبيل ... إنّ عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عنّي من لا أُسمِّي فعيني ... كل يوم وجداً عليه تسيل

إنّ ما قلَّ منك يكثر عندي ... وكثير ممّن تحبُّ القليل

فجعل يعجب بها ويرددها، فقلت له: إنّها بنات ليلتها. فقال: لا جرم إنّ أثر التوليد فيها بيّن. فقلت: ولا جرم إنّ أثر الحسد فيك ظاهر[5].

ثم إن المذموم من اختلاف حال الرضا والسخط أن يدّعي في الرّضا

---

(١) الكافي ١: ٤٢ ـ ٤٣، ح ٥، ٦، ٩.

(٢) الخصال: ١٠٥ ح ٦٦.

(٣) المائدة: ٨.

(٤) النساء: ١٣٥.

(٥) معجم الادباء ٦: ٤٣.

لصاحبه الباطل وينكر في السخط له الحق، وأما لو تحرّى الحق في كل منهما فلا، فقالوا: وفد عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر على النبيّ ﷺ فسأل عمراً عن الزبرقان فقال: مطاع في عشيرته، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: انه ليعلم مني أكثر من هذا ولكنه حسدني. فقال عمرو: أما والله انه لزمر المروة، ضيِّق العطن، أحمق الوالد، لئيم الخال، والله يا رسول الله! ما كذبت في الأُولى، ولقد صدقت في الاخرة، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت. فقال النبيّ ﷺ: إنَّ من البيان لسحراً[1].

«ويكاد أصلبهم عوداً» صلب العود كناية عن الشدة في الأُمور، قال الشاعر:

ومــن يك ذا عـودٍ صليب ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

«تنكؤه» من نكأت القرحة: إذا قشرتها.

«اللحظة» النظر بمؤخر العين.

«وتستحيله» أي: تقلبه عن الحالة التي كان عليها «الكلمة الواحدة».

وكان خالد بن المعمر من أصلب أصحابه عليه السلام عوداً فاستحاله كلمة واحدة من معاوية، ففي (صفين نصر) قام وقال: من يبايع على الموت وشرى نفسه لله، فبايعه سبعة آلاف على ان لا ينظر رجل منهم حتى يرد سرادق معاوية، فاقتتلوا قتالاً شديداً وكسروا جفون سيوفهم -إلى أن قال- فخلّى معاوية عن سرادقه وخرج فارّاً لائذاً إلى بعض مضارب العسكر، فدخل فيه وبعث إلى خالد: أنت قد ظفرت، ولك إمرة خراسان إن لم تتم، فطمع في ذلك ولم يتم، فأمّره معاوية حين بايعه الناس على خراسان،

(١) أخرجه أُسد الغابة ٢: ١٩٤، بفرق في اللفظ.

فمات قبل أن يصل إليها[١].

وقيل: الهدية تفقأ عين الحكيم وتسفّه عقل الحليم.

وفي (الحلية) عن وهب: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوّة[٢].

وفي (عيون القتيبي): إستعمل الحجاج المغيرة بن عبيدالله الثقفي على الكوفة، فكان يقضي بين الناس، فأهدى إليه رجل سراجاً من شَبَهٍ، وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة، فلما اجتمعا عنده جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول إن امري أضوء من السراج، فلما أكثر عليه قال له: ويحك ان البغلة رمحت السراج فكسرته[٣].

ومرّ طارق ـ صاحب شرطة خالد القسري في موكبه ـ على ابن شبرمة فقال ابن شبرمة:

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنّها   سحابة صيفٍ عن قريب تَقَشَّعُ

اللّهمَّ لي ديني ولهم دنياهم، فاستُعمل بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه: أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت؟ فقال: يا بني إنَّهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك، إنَّ أباك أكل من حلوائهم وحطَّ في أهوائهم[٤].

وتقدمت كلثم بنت سريع وأخوها الوليد إلى عبدالملك بن عمير ـ قاضي الكوفة ـ وكان ابنه يُرمى بها، فقضى لها فقال هذيل الأشجعي:

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم   على ما ادّعت من صامت المال والخَوَل

(١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٠٦.

(٢) حلية الأولياء ٤: ٦٤.

(٣) عيون الأخبار ١: ٥٢، ونقله المصنف بتصرف يسير.

(٤) عيون الأخبار ١: ٥٦، نقله بتصرف يسير.

فأدلى وليد عند ذاك بحقه
وكان وليد ذا مراءٍ وذا جدل
ففتّنت القبطيَّ حتى قضى لها
بغير قضاء الله في السُّوَر الطُّوَل
إذا ذاتُ دلٍّ كلّمته لحاجة
فهمَّ بأن يقضي تنحنح أوسَعَل

وكان عبدالملك يقول بعد ذلك: ربما جاءتني السعلة أو التنحنح وأنا في المتوضأ فأكفّ عن ذلك[1].

«**معاشر الناس اتقو الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه**» فلا يبيع آخرته لأمل من دنياه لعله لا يبلغه.

«**وبان ما لا يسكنه**» فلا يخرب دار بقائه لدار إن سكنها سكنها أيّاماً ولعله لا يسكنها ساعة.

«**وجامع ما سوف يتركه**» ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾[2].

فجمع عمرو بن العاص قناطر من ذهب، فلما مات أخذها معاوية.

«**ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه**» عن الرضا عليه السلام: لا يجتمع المال إلّا بخمس خصال: ببخل شديد، وأمل طويل، وحرص غالب، وقطيعة الرحم، وإيثار الدّنيا على الآخرة[3].

وعن الباقر عليه السلام: ليس من شيعتنا من له مئة ألف، ولا خمسون ألفاً، ولا أربعون ألفاً، ولو شئت أن أقول ثلاثون ألفاً لقلت، وما جمع رجل قط عشرة

---

(١) عيون الأخبار ١: ٦٣.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) اخرجه الخصال ١: ٢٨٢ ح ٣٩.

آلاف من حلها. قال ابو الحسن: من دراهم.

وعن أويس القرني: ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهماً.

«أصابه حراماً واحتمل به أثاماً» بالفتح أي: جزاء اثمه، قال تعالى: ﴿يلق أثاماً﴾[1].

«فباء» أي: رجع.

«بوزره» أي: إثمه وثقله.

«وقدم على ربه آسفاً لاهفاً» إلى.

«ذلك هو الخسران المبين» لا من يبيع متاعه بأقلّ ممّا شراه.

وفي (الطبري) عن عوانة؛ قال عبيدالله لعمر بن سعد بعد قتله الحسين عليه السلام: أين الكتاب الّذي كتبت به إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب. قال: لتجيئنَّ به. قال: ضاع. قال: والله لتجيئني به. قال: تُرك والله يُقرأ على عجائز قريشٍ اعتذاراً إليهن بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها إلى سعد بن أبي وقاص كنت قد أدّيت حقّه. قال عثمان بن زياد أخو عبيدالله: صدق والله لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأنّ حسيناً لم يقتل...[2].

٢
الحكمة (٢٨٣)

وقال عليه السلام:

جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ.

«جاهلكم مزداد» أي: من الخطأ لجهله بكونه خطأ أو بعقوبة عمله.

---

(١) الفرقان: ٦٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٦٧.

«وعالمكم مسوّف» أي: بالأعمال الصالحة وبالتوبة من القبيحة لطول أمله، وكل منهما هالك: الجاهل بترك تعلّمه مع إتمام الحجة عليه، والعالم بترك عمله.

٣
الخطبة (٢٢٩)

ومن كلام له عليه السلام: روى اليمانيُّ عن أحمد بن قتيبة عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دِحْية قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام -وقد ذكر عنده اختلاف الناس- فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهم مبادِيْ طِينَتِهِمْ، وذَلِك أَنَّهمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلافِهِم يَتَفَاوَتُون، فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، ومادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَذَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ المَنْظَرِ وَقَرِيبُ الْقَعرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، ومعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وتَائِهُ ٱلقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللسانِ حَدِيدُ ٱلجَنانِ.

أقول: قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام» ليس في نسخة ابن ميثم رأساً «روى اليماني» هكذا في (المصرية[١] الأولى)، ونقله (ابن أبي الحديد والخطية) «روى ذعلب اليمامي» نسبة إلى اليمامة، ونقله (ابن ميثم) -على ما في النسخة- «روى ابو محمد اليماني» نسبة إلى اليمن[٢].

«عن محمد بن قتيبة عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دحية» قال ابن أبي

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٥٥، من الخطبة ٢٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨، وابن ميثم ٣١٤، (الطبع الحجري) وفيه: «ومن كلام له عليه السلام روى ابو محمد اليماني»

الحديد: ذعلب وأحمد وعبدالله ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم، وتبعه (ابن ميثم)[١]، لكن لم أقف على أثر من واحد منهم في كتب رجال الشيعة. نعم عنون (لسان ميزان ابن حجر) عدّةً مسمّاة بعبد الله بن يزيد[٢] ولم يعلم كون من في السند أحدهم أم لا نعم في ١٧٤ (النهج) «ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني هل رأيت ربك؟» ومرّ في الفصل الأول[٣] وهو غير «ذعلب» هذا على نقله لتأخر هذا وتقدم ذاك، وليس ذاك أيضاً من رجال الشيعة، فروى توحيد الصدوق عن ذاك أنه قال ـ لما قال عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» ـ: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنّه اليوم[٤]. فهو أعلم وما قال.

«قد ذكر» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «فقال وقد ذكر»[٦].

«عنده عليه السلام اختلاف الناس» أي: في الحالات والصفات، قال الشاعر:

والقوم أشباه وبين حلومهم ... بون كذاك تفاضل الأشياء

وقال آخر:

الناس أصناف وشتى في الشيم ... وكلهم يجمعهم بيت الأدم

وقال عبدالحميد: الناس أصناف مختلفون، وأطوار متباينون، منهم علق مضنة لا يباع، ومنهم غل مظنة لا يبتاع[٧]. وقال الشافعي:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨.

(٢) لسان الميزان ٣: ٣٧٧ ـ ٣٧٩.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٢٠، من الخطبة رقم ١٧٩.

(٤) التوحيد للصدوق: ٣٠٥.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٢٥٥، من الخطبة رقم ٢٣٤.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨، وابن ميثم (الطبع الحجري): ٣١٤، وفيه: «قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال: انما ...».

(٧) وفيات الأعيان (بتحقيق الدكتور احسان عباس ـ طبعة منشورات الشريف الرضي ـ قم) ٣: ٢٢٩، وفيه: «وفي

والنـــاس يـــجمعهم شـــمل وبـــينهم
في العقل فرق وفي الآداب والحسب[١]

وقال الشاعر:

للـحرب أقـوام لهـا خـلقوا وللدواوين كُتّاب وحُسّاب

وقال آخر:

والقوم كالعيدان يفضل بعضهم بـعضاً كـذاك يـفوق عـود عـودا

ولبعضهم:

الناس اخوان وشتى في الشيم وكـــلهم يـــجمعهم بـــيت الادم

وفي الديوان:

الناس من جهة التمثال أكفاء أبـــــوهم آدم والام حـــواء

(فقال) هكذا في (المصرية)[٢]، والكلمة زائدة وليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٣] والخطية).

«انما فرّق بينهم مبادي طينتهم» في (معارف ابن قتيبة) قالوا: كان لأبي الجعد أبي سالم ابن أبي الجعد ستة بنين اثنان يتشيّعان، واثنان مرجئان، واثنان خارجيّان، فقال ابراهيم: لقد خالف الله بينكم.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه‌السلام: لو علم الناس كيف ابتداء هذا الخلق ما اختلف اثنان....

وعن الصادق عليه‌السلام: ان الله تعالى خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الكافر من طينة النار، وإذا أراد الله بعبد خيراً طيّب روحه وجسده، فلا يسمع

رسالة له: والناس أخياف مختلفون، وأطوار متباينون، منهم عِلْقُ مَضَنَّة لا يباع وغل مظنة لا يبتاع».

(١) معجم الأدباء ١٧: ٣١٩.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٥٥، من الخطبة رقم ٢٣٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨، ابن ميثم (الطبع الحجري): ٣١٤، وفيه «قال كنا عند أمير المؤمنين عليه‌السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال انما ...».

شيئاً من الخير إلّا عرفه، ولا يسمع شيئاً من الشرّ إلّا أنكره...[١] وقال البحتري:

والأرض لولا العذاة واحدة والناس لولا الفعال أمثال

أيضاً:

وإن الأنفُس اختلفْنَ فما يغني اتّفاق الأسماء والألقاب

«وذلك أنهم كانوا فلقة» أي: كسرة ومقداراً.

«من سبخ أرض وعذبها» السبخة الملحة، والعذب ضد السبخ.

«وحزن تربة» الحزْن ـ بالسكون ـ ما غلظ من الأرض، والسهل خلافه.

في (معارف ابن قتيبة): أتى حزن بن أبي وهب المخزومي جد سعيد بن المسيب النبيّ ﷺ فقال له: أنت سهل؟ قال: بل أنا حزن ـ ثلاثاً ـ قال: فأنت حزن. قال سعيد بن المسيب: فما زلنا نعرف تلك الحزونة فينا.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: هلك رجل في عهد النبيّ ﷺ فأتى الحفّارين فإذا بهم لم يحفروا شيئاً وشكوا ذلك إليه ﷺ فقالوا: ما يعمل حديدنا في الأرض فكأنما يضرب به في الصفا. فقال: ولِمَ؟ إن كان صاحبكم لحسن الخلق، إيتوني بقدح من ماء، فأتوا به فأدخل يده فيه ثم رشّه على الأرض رشّاً ثم قال: إحفروا فحفروا فكأنما كان رملاً يتهايل عليهم[٢].

«فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون» قال النبيّ ﷺ: الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها آئتلف، وما تناكر منها اختلف[٣].

وقال أيضاً: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة.

---

(١) الكافي ٢: ٣ ح ٢، و ٢: ٦ ح ١.

(٢) الكافي ٢: ١٠١ ح ١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤: ٢٠٣١ ح ١٥٩ ـ ١٦٠، وأبو داود ٤: ٢٦٠ ح ٤٨٣٤.

وفي (الكافي) عن عبدالله بن كيسان، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أُخالط الرجل فأرى له حسن السَّمت وحُسنَ الخلق وأمانة، ثم افتشه فأتبيّنه عن عداوتكم، وأخالط الرجل فأرى فيه سوء الخلق، وقلّة الأمانة، وزعارة، ثم أُفتّشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ قال: أما علمت أنّ الله أخذ طينة من الجنة وطينة من النار فخلطهما جميعاً ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه، فما رأيت في أُولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السمت فممّا مسّهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلاء من قلّة الأُمانة وسوء الخلق والزَّعارة فممّا مسّهم من طينة النار وهم يعودون إلى ما خلقوا منه[1].

وعن حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام: ان الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له، وبالنبوّة لكل نبي؛ كان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته؛ محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، ثم قال لآدم: انظر ماذا ترى؟ فنظر إلى ذريته وهم ذر قد ملأوا السماء فقال: يا ربّ ما أكثر ذرّيّتي ولأمرٍ ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم. قال: يا رب فما لي أرى بعض الذرِّ أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور. فقال تعالى: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم. قال: يا رب فتأذن لي في الكلام. قال: تكلم، فإنَّ روحك من روحي، وطبيعتك خلاف كينونيتي. قال: يا رب لو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة، وجبلة واحدة وأرزاق سواء، لم يبغ بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء. قال: يا آدم!

---

(١) الكافي ٢: ٣ ح ٥، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران.

بروحي نطقت، وبضعف طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به، وأنا الخالق العالم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيّتي يمضي فيهم أمري، وإلى تدبيري وتقديري صائرون، لا تبديل لخلقي ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾[١]، وخلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلُوَكَ وأبلوهم أيكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم، ولذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت، والطاعة والمعصية، والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم، خالفت بين صورهم وأجسادهم وألوانهم وأعمارهم، وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد، والبصير والأعمى، والقصير والطويل، والجميل والدميم، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزَّمانة ومن لا عاهة به، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة؛ فيحمدني على عافيته؛ وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح؛ فيدعوني ويسألني ان أُعافيه، ويصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغنيُّ إلى الفقير؛ فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني؛ فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر؛ فيحمدني على ما هديته، فلذلك خلقتهم وكلّفتهم لأبلوهم في السرّاء والضراء، وفيما أعافيهم وفيما أبتليهم، وفيما أعطيهم وفيما امنعهم، وأنا الله الملك القادر، ولي ان أُمضي جميع ما قدّرت على ما دبّرت[٢].

«فتام الرواء» ـ بالضم ـ: من له منظر.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الكافي ٢: ٤ح ٥ و ٢: ٨ح ٢.

«ناقص العقل» في (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي): قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإنسان عقل وصورة، فمن أخطأه العقل ولزمه الصورة لم يكن كاملاً وكان بمنزلة من لا روح فيه، فمن طلب العقل المتعارف فليعرف صورة الأُصول ويحذف الفضول، فإنّ كثيراً من الناس يطلبون الفضول ويضيّعون الاصول.

وفي (تاريخ بغداد): قال ثعلب كان يحضر مجلس الزبير بن بكار رجل من بني هاشم له رواء وهيئة، حسن الثوب طيّب الرائحة، وكان الزبير يكرمه ويرفع مجلسه، فقال يوماً للزبير: الفرزدق كان جاهلياً أو تميمياً؟ فولّاه الزبير ظهره وقال: اللهمّ اُردد على قريش أخطارها[1]، وقال العباس بن مرداس:

ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير

وقال آخر:

وان طرَّةٌ راقتك فانظر فربما ... أمرّ مذاق العود والعود أخضر

وقال آخر:

وكائن ترى من تلمعيٍّ مُخَطرَب ... وليس له عند العزائم جوّل

«ومادّ القامة قصير الهمّة» قال بنو الديان الحارثيون لحسان بن ثابت: كنّا نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم البغال وأحلام العصافير

فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئاً، وقال الشاعر:

ترى الفتيان كالنخل ... وما يدريك ما الدخل

وهذه القضايا قضايا غالبية لا كلية، فقد يكون تام الرواء تام العقل، قال بعضهم: من تمنّى رجلاً حسن العقل، حسن البيان، حسن العلم، تمنّى شيئاً

(١) تاريخ بغداد ٨: ٤٧٠.

عسيراً، وقد اجتمع ذلك كله في العتابي. كما قد يكون طويل القامة عاقلاً عالي الهمة.

فلما ألحّ المنصور على أبي مسلم حضوره عنده شاور نيزك الطويل فقال له: يانيزك! إنّي والله ما رأيت طويلاً أعقل منك فما ترى؟ قال: لا أرى أن تأتِيَه وأرى ان تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والري لك[1].

وحكيم الهند الذي جرى بينه وبين الاسكندر رموز كان طويلاً، ففي (المروج): جلس الاسكندر جلوساً خاصاً ودعا بالحكيم ـ ولم يكن رآه قبل ذلك ـ فلما نظر إلى صورته وتأمّل قامته نظر إلى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه: هذه بنية تضاد الحكمة، فإذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه، فتأمّله الفيلسوف فأدار أصبعه السبابة على وجهه ووضعه على أرنبة أنفه، فسأله الاسكندر عن سرّ فعله فقال: تأملتك بنور عقلي فتبيّنت فكرتك فيّ وأن هذه الصورة فلمّا تجتمع مع الحكمة، فإذا كان صاحبها ذلك كان أوحد زمانه، فأدرت أصبعي مصداقاً لما سنح لك، وأريتك مثالا شاهداً أنه كما ليس في الوجه إلّا أنف واحد، كذلك ليس في دار مملكة الهند غيري، ولا يلحق أحد بي في حكمتي[2].

«وذاكي العمل قبيح المنظر» هكذا في (المصرية)[3]، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4] (وزاكى) بالزاي وهو الصحيح، من قوله تعالى ﴿قد أفلح من زكاها﴾[5] وأما «ذاكي» فلا مناسبة له هنا، يقال ذكا الرجل: إذا كان حديد

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٨٥.

(٢) مروج الذهب ١: ٣٢٨.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٥٥، من الخطبة رقم ٢٣٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨، وابن ميثم (الطبع الحجري): ٣١٤، السطر السادس عشر هكذا.

(٥) الشمس: ٩.

الفؤاد، وذكت النار: إذا اشتعلت.

من أمثالهم «جاورينا وٱخبرينا»[١] وعن يونس: إنّ رجلين كانا يتعشّقان امرأة وكان أحدهما جميلاً، فيقول لها «عاشرينا وانظري إلينا»، والآخر دميماً يقول لها المثل، فقالت لأختبرنّهما، فقالت لهما: لينحرا جزوراً، فأتتهما متنكّرة، فبدأت بالجميل، فوجدته عند القدر يلحس الدسم ويأكل الشحم، فاستطعمته، فأمر لها بثيل الجزور ـ أي: وعاء قضيبه ـ، ثم أتت الدميم، فإذا هو يقسم اللحم ويعطي كل من يسأله، فسألته، فأمر لها بأطائب الجزور، فلما أصبحا غَدَوَا عليها، فوضعت بين يدي كلّ منهما ما أعطاها، فأقصت الجميل وقرّبت الدميم[٢]، قال أبو محجن:

ألم تسأل فوارس من سليم ... بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو خرق ... وينفع أهله الرجل القبيح

فلم يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الصريح

فكرّ عليهم بالسيف صلتاً ... كما عضَّ الشبا الفرس الجموح

فأطلق غلّ صاحبه وأردى ... جريحاً منهم ونجا جريح

ولآخر:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه رجل عزيز

ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيُخلف ظنك الرجلُ الطرير

هذا، وهجا مسلم بن الوليد قوماً فقال:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم ... حسنت مناظرهم لقبح المخبر[٣]

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٦٣.

(٢) نقله عن يونس الميداني في مجمع الأمثال ١: ١٦٢.

(٣) الأغاني ١٩: ٣٤، وفيه: وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال:

قَبُحتْ مناظِرُه فحين خبرتُه ... حَسُنَتْ مناظره لقبح المخبر

«وقريب القعر بعيد السبر» من سبرت الجرح: إذا نظرت ما غوره.

في (تاريخ بغداد): قال صافي الحرمي مولى المعتضد: مشيت يوماً بين يديه وهو يريد دور الحرم، فلما بلغ إلى باب (شغب) أم المقتدر وقف يسمع ويطّلع من خلل في الستر، فإذا هو بالمقتدر وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه في السن وبين يديه طبق فضة فيه عنقود في وقت فيه العنب عزيز جداً، والصبي يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة على الدور حتى إذا بلغ الدور أكل واحدة مثل ما أكلوا حتى أفنى العنقود، والمعتضد يتميّز غيظاً، فرجع ولم يدخل الدار ورأيته مهموماً، فقلت: يا مولاي ما سبب ما فعلته وما قد بان عليك؟ فقال: يا صافي! والله لولا النار والعار لقتلت هذا الصبي اليوم، فإنّ في قتله صلاحاً للأُمّة. فقلت: يا مولاي! حاشاه. أي شيء عمل، يا مولاي إلعن إبليس. فقال: ويحك! أنا أبصر بما أقوله، أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد، ولابد من موتي، وأعلم أن الناس بعدي لا يختارون غير ولدي وسيجلسون ابني عليّاً ـ يعني المكتفي ـ وما أظن عمره يطول للعلة التي به ـ يعني الخنازير التي كانت في حلقه ـ فيتلف عن قرب، ولا يرى الناس إخراجها عن ولدي ولا يجدون بعده أكبر من هذا فيجلسونه وهو صبي، وله من الطبع في السخاء هذا الذي قد رأيت من أنه أطعم الصبيان مثل ما أكل، وساوى بينه وبينهم وشيء عزيز في العالم والشح على مثله في طباع الصبيان، فتحتوي عليه النسوان لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعته من الأموال كما قسّم العنب، ويبذر ارتفاع الدنيا ويخربها، فتضيع الثغور وتنتشر الأُمور، ويخرج الخوارج وتحدث الاسباب التي يكون فيها زوال الملك عن بني العباس أصلاً. فقلت: بل يبقيك الله حتى يتأدّب بآدابك. قال: إحفظ عني ما أقوله، فكنت كلّما وقفت على رأس

المقتدر وهو يشرب وقد دعا بالأموال فأخرجت إليه وجعل يفرقها على الجواري والنساء ويمحقها ويهبها؛ ذكرت مولاي المعتضد وبكيت[١].

هذا، وقال ابن أبي الحديد: المراد بقرب قعره تقارب طرفيه بقصر قامته[٢].

وقيل لبعض الحكماء: ما بال القصار أدهى وأحذق؟ قال: لقرب قلوبهم من أدمغتهم.

«ومعروف الضريبة، منكر الجليبة» في (الصحاح): الضريبة: الطبيعة، تقول فلان كريم الضريبة وفلان لئيم الضريبة[٣]، والجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره، قال زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفىٰ على الناس تُعلم

وقال ذو الأصبع:

كل ٱمرئٍ راجع يوماً لشيمته وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين[٤]

وقال كثير:

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها[٥]

هذا، وفي (الحلية) عن الشافعي: خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها، ثم لمّا حان ٱنصرافي مررت على رجل في الطريق محتبٍ بفناء داره أزرق العين ناتئ الجبهة سناط ـ وهذا النعت أخبث

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ٢١٦ و ٢١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٢١، بالمعنى.

(٣) الصحاح للجوهري ١: ١٦٩.

(٤) الشعر لحُرثان بن الحارث ذي الأصبع العدواني (كان يعيش نحو ٢٢ هـ.ق). انظر الأغاني ٣: ١٠٥، السطر الثالث عشر وفيه: «كل امرئٍ صائرٌ يوماً ... »

(٥) حلية الأولياء ٩: ١٤٤، ونقله المصنف بتصرف.

ما يكون في الفراسة ـ فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم فأنزلني فرأيته اكرم ما يكون من رجل؛ بعث إليَّ بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف، فجعلت أتقلب الليل ما أصنع بهذه الكتب إذ رأيت النعت في هذا الرجل، فقلت: أرمي بهذه الكتب، فلما أصبحت قلت للغلام: أسرج، فأسرج فركبت ومررت عليه وقلت له: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن محمد بن ادريس الشافعي. فقال: أمولىً لأبيك أنا؟ قلت: لا. قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟ قلت: لا. قال: أين ما تكلفت لك البارحة. قلت: وما هو. قال: أشتريت طعاماً لك بدرهمين وإداماً بكذا وكذا وعطراً بثلاثة دراهم وعلفاً لدابتك بدرهمين وكراء الفرش واللحاف درهمان. قلت: يا غلام أعطه. فهل بقي شيء؟ قال: كراء البيت فاني قد وسعت عليك وضيقت على نفسي. قال: فغبطت بتلك الكتب، فقلت له: هل بقي لك من شيء؟ قال: امض أخزاك الله فما رأيت قط شراً منك[1].

إذا ما طلبت شيمة غير شيمة ... طبعت عليها لم تجبك الطبائع

«وتائه القلب» أي: متحيّره.

«متفرّق اللب» أي: العقل.

في (الطبري): وفي سنة (٦٧) عزل ابن الزبير أخاه مصعباً عن البصرة وولّى ابنه حمزة، فقدم البصرة وكان يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله، فظهرت منه بالبصرة خفّة وضعف، فعزله أبوه فاحتمل مالاً كثيراً من مال البصرة وأتى المدينة وترك أباه، فأودع ذلك المال رجالاً فذهبوا به إلّا يهودياً كان أودعه فوفى له، وعلم أبوه بما فعل فقال: أبعده الله! أردت ان أُباهي به بني مروان فنكص[2].

(١) حلية الأولياء ٩: ١٤٤، ونقله المصنّف بتصرّف.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ١١٧ و ١١٨، ونقله المصنف بتصرف كثير.

وقال سوار: ما أعلم أحداً أفضل من عطاء السلمي، ولو شهد عندي على فلسين لم أجز شهادته ـ يذهب إلى تفرق لبه.

«وطليق اللسان حديد الجنان» بالفتح ـ القلب، قال الجوهري: قال موسى بن جابر الجعفي:

فـما نـفرت جنّي ولا فل مبردي ولا أصبحت طيري من الخوف وقعا

واراد بالجن القلب وبالمبرد اللسان. وقالوا: المرء بأصغريه قلبه ولسانه[1].

وفي (المروج): لما حصل شبيب الخارجي على جسر دجيل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر، فألقاه في الماء، فقال له بعض أصحابه أغرقاً؟ قال: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾[2]. فألقاه دجيل ميتاً بشطه، فحمل على البريد إلى الحجّاج فأمر بشق بطنه واستخراج قلبه، فاستخرج فإذا هو كالحجر إذا ضرب به الأرض نبا عنه، فشُقّ فإذا في داخله قلب صغير كالكرة، فشُقّ فأُصيب علقة الدم في داخله[3].

هذا، وفي (الكافي): كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إذا كان الغلام ملتاث الادرة صغير الذكر، ساكن النظر، فهو ممّن يرجى خيره ويؤمن شرّه، وإذا كان شديد الادرة كبير الذكر حاد النظر فهو ممّن لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه[4].

هذا وقد قيل في كنانة:

فما كنانة في خير بخائرة ولا كنانة في شر باشرار

---

(١) الصحاح للجوهري ٥: ٢٠٩٣.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٤) الكافي ٦: ٥١ ح ١.

وهو أقبح ذم.

٤
الحكمة (١٠٨)

وقال عليه السلام:

لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا ٱلانْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيه، وَذَلِكَ ٱلْقَلْبُ، وَلَهُ مَوَادٌّ مِنَ ٱلحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ ٱلْحِرْصُ، وَإِنْ مَلَكَهُ ٱلْيَأْسُ قَتَلهُ ٱلْأَسَفُ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ ٱلْغَضَبُ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْغَيْظُ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَإِنْ نَالَهُ ٱلْخَوْفُ شَغَلَهُ ٱلْحَذَرُ، وَإِنِ ٱتَّسَعَ لَهُ ٱلْأَمْنُ ٱسْتَلَبَتْهُ الغِرّة، وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ ٱلْغِنَى، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ ٱلْجَزَعُ وَإِنْ عَضَّتْهُ الفَاقَةُ شَغَلَهُ البَلَاءُ، وَإِنْ جَهَدَهُ ٱلجوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعفُ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ البِطْنَةُ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

أقول: رواه الكليني في (روضته) والمسعودي وأبو طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله)، روى الأول عن محمد بن علي بن معمر عن محمد بن علي بن عكاشة عن الحسين بن النضر الفهري عن أبي عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه، فقال: الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال الا وجوده ـ إلى أن قال ـ أيها الناس أعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذلّه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب ٱشتدّ به الغيظ، وإن أُسعد بالرِّضا نسي التحفُّظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن ٱتّسع له الأمن

استلبته الغرّة، وإن جددت له النعمة أخذته الغرّة، وان أفاد مالاً أطغاه الغنى، وان عضّته فاقة شغله البلاء ـ جهده البكاء ـ وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظّته البطنة، فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد[١].

وقال الثاني: دخل ضرار بن ضمرة ـ وكان من خواصّ عليّ عليه السلام ـ على معاوية وافداً، فقال له: صف لي علياً. قال: أعفني. قال معاوية: لابدّ من ذلك. فقال: أمّا إذا كان لابدّ من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى ـ إلى أن قال ـ فقال له معاوية: زدني شيئاً من كلامه. فقال: كان يقول: أعجب ما في الانسان قلبه، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أماله الطمع، وإن مال به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه القنوط قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي التحفّظ، وإن أماله الخوف فضحه الجزع، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى، وان عضته فاقة فضحه الفقر، وان جهده الجوع أقعده الضعف، وان أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضرٌّ، وكل إفراط له مفسد. فقال له معاوية: زدني ما وعيته من كلامه. قال: هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه[٢].

وقال الثالث: نقل البيهقي باسناده عن الشافعي عن يحيى بن سليم عن الامام جعفر بن محمد عن عبدالله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أعجب ما في الانسان قلبه، فيه موادُ من الحكمة وأضدادٌ لها من خلافها، فإن سنح له الرجاء أولهه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب أشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسي

---

(١) الكافي ٨: ١٨ و ٢١.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٢١ ـ ٤٢٢.

التحفّظ، وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن أصابته المصيبة فضحه الجزع، وإن وجد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته فاقة شغله البلاء، وإن أجهد به الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكل تقصير به مضرٌّ، وكل إفراط له مفسد.

«لقد علق بنياط هذا الانسان» في (الصحاح): النياط: عرق علق به القلب من الوتين، فإذا قطع مات صاحبه[١].

ومراده نوع الانسان الشامل لجميع الافراد.

وعن أرسطاطاليس في تفاوت أفراد الانسان كلام، وهو: ليس فيما خلق تعالى أشد من الانسان، يوجد فيه ما في كل حيوان، يكون شجاعاً كالاسد، وجباناً كالأرنب، وسخيّاً كالديك، وبخيلاً كالكلب، وفجوراً كالغراب، ووحشيّاً كالنمر وانسيّاً كالحمام، وخبيثاً كالثعلب، وسليماً كالغنم، وسريعاً كالغزال، وبطيئاً كالدبِّ، وعزيزاً كالفيل، وذليلاً كالحمار، ولصاً كالعقعق، وتائهاً كالطاوس، وهادياً كالقطا، وضالاً كالنعامة، وشروراً كالتيس، وكدوداً كالثور، وشموساً كالبغل، وأخرس كالحوت، ومنطيقاً كالهزار، وجهولاً كالخنزير، وميشوماً كالبوم، ونفّاعاً كالفرس، ومضراً كالفأرة.

«بضعة» في (الصحاح) القطعة من اللحم، وهي بالفتح، وأخواتها مثل القطعة والفلذة والفدرة والكسفة والخرقة وما لا يحصى بالكسر[٢].

«هي أعجب ما فيه» وكل ما فيه عجب، فقال عليه السلام أيضاً: إعجبوا لهذا الإنسان؛ ينظر بشحم، ويتكلّم بلحم، ويسمع بعظم[٣]، بل كله عجب.

---

(١) الصحاح للجوهري ٣: ١١٦٦.

(٢) الصحاح ٣: ١١٨٦.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٤ الحكمة ٧.

أتـــزعم أنك جـرم صـــغير وفيك أنطوى العالم الأكبر

«وذلك القلب» قالوا ما سمّي القلب إلّا من تقلبه.

هذا، وقيل في عضد الدولة: له صدر فيه ألف قلب.

«وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها» وعنه عليه السلام أيضاً: الفضائل أربعة أجناس: أحدها الحكمة وقوامها في الفكرة، والثاني العفّة وقوامها في الشهوة، والثالث القوّة وقوامها في الغضب، والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس[١].

قال ابن ميثم: أراد عليه السلام: بقوله «مواد من الحكمة» الفضائل الخلقية، فإنّها بأسرها من الحكمة، وهي العلم بما ينبغي أن يفعل، وهو الأصلح في كل باب، وهي مواد كمال القلب. وأراد بقوله: «وأضداد من خلافها» الرذائل المضادة للفضائل، وهي التي أطراف التفريط والإفراط منها، فالأولى الطمع وهو رذيلة الإفراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه.

إلى أن قال: الخامسة رذيلة الإفراط من عروض الخوف، وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عند عروضه، والذي ينبغي فيه الأخذ بالحزم، وترك الافراط من الخوف والعمل للأمر المخوف. السادسة رذيلة التفريط في عروض ضده وهو الأمن حتى لا يفكّر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الأمن.

إلى أن قال: ثم ختم ذلك بالتنفير عن طرفي الإفراط والتفريط فيها إجمالا بما يلزم التفريط من مضرّة القلب بعدم الفضيلة ويلزم الإفراط فيها من إفساده لخروجه عنها[٢].

---

(١) بحار الانوار ٧٨: ٨١ ح ٦٨.

(٢) ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٧٨ و ٤٧٩، وقول المصنف «... من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه» ليس من

وعرّض ابن ميثم في كلامه ذاك بابن أبي الحديد حيث قال: ليست الأمور التي عدّدها عليه السلام شرحاً لما قدّمه من هذا الكلام المجمل، وإن ظنّ قوم أنه أراد ذلك[1].

«فان سنح» أي: عرض.

«له الرجاء أذله الطمع» الرجاء ان لم يكن فيه افراط يؤدي إلى الطمع فضيلة وحكمة لأنه مادة الحياة للدين والدنيا، وأما إن أدى إليه فهو طبع.

وفي (مجازات نبوية المصنّف) في قول النبيّ صلى الله عليه وآله «استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع» المراد أن الطمع يصيِّر بصاحبه إلى معائب الأفعال ومدانسها، ويوقعه في مذامّها ومناقصها، والطبع الدنس والعيب مأخوذ على ما سمعته من أبي الفتح النحوي من الطابع وهو الخاتم، كأنه يسم صاحبه بالمعائب[2]، فلما كانت عواقب الطمع صائرة إلى مدارن الطبع جعل صلى الله عليه وآله الطمع كأنه هادٍ إليها على المجاز والاتساع.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذلُّه.

وعنه عليه السلام: الذي يثبّت الإيمان الورع، والذي يخرجه الطمع.

وعن السجاد عليه السلام: رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس[3].

وقالوا: تقطع أعناق الرجال المطامع، وان الطير ليصاد بالمطامع.

وأشعب الطماع وقصصه معروفة.

كلام ابن ميثم فانه قال: «فالأُولى الطمع وهي رذيلة الإفراط من الرجاء، ونفّر عنها بما يلزمها من الذلة؛ المطموع فيه وبما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين».

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٧١.

(٢) المجازات: ٢٣٩.

(٣) الكافي ٢: ٣٢٠ / ١ و ٣ و ٤.

«وان هاج به الطمع أهلكه الحرص» فالحرص إفراط في إفراط، فالطمع يذل والحرص يهلك.

وفي (عيون ابن قتيبة): لا يكثر الرجل على أخيه الحوائج، فان العِجلَ إذا أفرط في مصّ أمه نطَحَتْه ونَحَّتْه. وقال شاعر:

كم من حريص على شيء ليدركه وعلَّ ادراكه يُدني إلى عَطَبِهِ

وقال آخر:

وربّ مُلِحٍّ على بُغيةٍ وفيها منيّتُه لو شَعَرْ[١]

وقال ابن المقفع: الحرص مَحْرمة، أنظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرُّم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره والحرص[٢].

ودخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أُخذ بمال عليه وقُيِّد، فقال له الرجل: أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود، فرفع مالك رأسه فرأى سلّة فقال: لمن هذه؟ قال: لي فأمر بها أن تنزل، فأنزلت وإذا دجاج وأخبِصةٌ، فقال مالك: هذه وضعت القيود في رجلك[٣].

وقالت الحكماء: الحريص الجشع أشد حرارة من النار.

«وإن ملكه اليأس قتله الأسف» هو التفريط من فضيلة الرجاء، فاليأس يمنع العمل للدنيا والدين.

وفي (الخصال) عن الصادق عليه السلام: تبع حكيم حكيماً سبعمئة فرسخ في سبع كلمات، فلما لحق به قال: يا هذا! ما أرفع من السماء، وأوسع من الأرض،

---

(١) عيون الأخبار ٣: ١٩١.

(٢) عيون الأخبار ٣: ١٩١، نقله بالتقطيع.

(٣) عيون الأخبار ٣: ١٩٢، نقله بتصرف يسير.

وأغنى من البحر، وأقسى من الحجر، وأشد حرارة من النار، وأشد برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الراسيات؟ فقال له: يا هذا! الحق أرفع من السماء، والعدل أوسع من الأرض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والحريص الجشع أشدّ حرارة من النار، واليأس من رَوحِ الله أشدُّ برداً من الزمهرير، والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات[١].

وقالوا: عاقب الزهري رجلا، فمات فخرج هارباً وتوحّش وضرب فسطاطاً، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: اني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك[٢].

«وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنَّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإنَّ رجس الشيطان يذهب عنه عند ذلك.

وعن الصادق عليه السلام قال رجل للنبيّ صلى الله عليه وآله: علّمني. قال: إذهب ولا تغضب. فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول النبي «لا تغضب» فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه، فقال: يا هؤلاء! ما كان لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعليَّ في مالي أنا أُوفيكموه. فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم؛ فاصطلح القوم وذهب الغضب.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل.

---

(١) الخصال: ٣٤٨ح ٢١.

(٢) أخرجه ذيل الطبري: ١١٦.

وعن الباقر عليه السلام: ان الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، وأيّما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب عنه رجس الشيطان، وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسّه فإنّ الرحم إذا مست سكنت[1].

هذا، وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): حجّ مروان بن عبدالملك مع أخيه الوليد بن عبدالملك ـ والوليد يومئذ خليفة ـ فجرى بينهما محاورة، فغضب الوليد فأمصّه فتفوه مروان بالرد عليه، فأمسك عمر بن عبدالعزيز على فيه فمنعه من ذلك، فقال لعمر: «قتلتَني رددتَ غيظي في جوفي»، فما راحوا من وادي القرى حتىٰ دفنوه، فقال الشاعر:

لقد غادر القوم اليمانون إذ غدوا   بوادي القرى جلدَ الجَنان مُشَيَّعا
فسيروا فلا مروان للقوم إذ شَقُّوا   وللركب إذ أمسوا مُكِلِّينَ جُوَّعا[2]

والرذيلة ما إذا استتبع الغضب غيظاً يؤدي إلى الانتقام بأكثر مما يستحقه الخصم، وأما ان ترك الانتقام رأساً فهو فضيلة، قال تعالى ﴿وما عندالله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[3] كما انه إذا انتقم بقدر الاستحقاق يكون عدالة، قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾[4].

«**وإن أسعده الرضا نسي التحفّظ**» في (الطبري) ـ في محاربة نصر بن سيّار والكرماني في خراسان ـ بعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرماني ونصر إلى الكرماني «إني معك»، فقبل وانضم إليه، فاشتد ذلك على نصر

---

(١) الكافي ٢: ٣٠٢ ـ ٣٠٤ / ١ و ٢ و ١١ و ١٢.

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري: ١٦٢، ونقله بتصرف.

(٣) الشورى: ٣٦ و ٣٧.

(٤) الشورى: ٤٠.

فأرسل إلى الكرماني: ويلك! لا تغترر فوالله إنّي لخائف عليك وعلى أصحابك منه، ولكن هلم إلى الموادعة فندخل مرو، فنكتب بيننا كتاباً بصلح ـ وهو يريد أن يفرق بينه وبين أبي مسلم ـ فدخل الكرماني منزله وأقام أبو مسلم في المعسكر وخرج الكرماني حتى وقف في الرحبة في مئة فارس وعليه قرطق خشكشونة، ثم أرسل نصر: أُخرج لنكتب بيننا الكتاب فأبصر نصر منه غرة فوجّه إليه ابن سريع في نحو من ثلاثمئة فارس فالتقوا في الرحبة، فاقتتلوا بها طويلاً، ثم ان الكرماني طعن في خاصرته فخر عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به فقتل نصر الكرماني وصلبه[1].

«وان ناله» هكذا في (المصرية)[2] والصواب: (وإن عاله) كما في (ابن ميثم والخطية)[3].

«الخوف شغله الحذر» في (الطبري) ـ في غزوة حنين ـ كان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري، فلما نزل بأوطاس إجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة، فلما نزل دريد قال: مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، ويُعار الشاء، وبكاء الصبي؟ قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. فقال: اين مالك؟ فدُعي له. فقال له: إنك أصبحت رئيس قومك؛ مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، ويُعار الشاء، وبكاء الصغير؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال: ولِمَ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: هل يرد المنهزم شيء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك...[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٧٠ و ٣٧١.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٧٥، من الكلام رقم ١٠٨.

(٣) ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٧٨، وفيه «وان غاله» وكتب في الهامش «ناله صح».

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٧١، ونقله المصنف بتصرف.

والمذموم ما إذا كان له قدرة على تدبير وحيلة والا فلا، فكان هشام بن الحكم بعد وقوف هارون على حجاجه في الامامة أراد قتله، وكان قُدِّم ليضرب عنقه واتفق ان نجا فاعتلّ من الخوف، فكان إذا وصف طبيب له علته يكذبه ويقول له: علتي فزع القلب مما أصابني.

«وإن اتّسع له الأمن استلبته الغرّة» أي: اختلسته، كان علي بن الكرماني استأمن إلى أبي مسلم، فأمره أبو مسلم أن يسمّي له خاصته ليولّيهم ويأمر لهم بجوائز وكُساً، فسمّاهم له فقتلهم جميعاً[١].

«وان أفاد مالاً أطغاه الغني» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: كون هذه الفقرة (وان أفاد مالاً أطغاه الغنى) بعد فقرة «وان أصابته مصيبة فضحه الجزع» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٣]، ولأن المناسب أن يكون: «وإن عضّته الفاقة» بعد «وإن أفاد مالاً». ﴿إنَّ الانسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾[٤]، ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء﴾[٥]، ﴿ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾[٦].

«وان أصابته مصيبة فضحه الجزع» ﴿إنّ الانسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشر جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً﴾[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٨٨.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٧٥، من الكلام رقم ١٠٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٧١، ابن ميثم ٣: ٤٧٨.

(٤) العلق: ٦ و ٧.

(٥) الشورى: ٢٧.

(٦) الزخرف: ٣٣.

(٧) المعارج: ١٩ ـ ٢١.

وفي (المروج): إعتلّتْ حبابة جارية يزيد بن عبدالملك، فأقام يزيد أياماً لا يظهر للناس، ثم ماتت؛ فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جيفت، فقالوا: إنّ الناس يتحدّثون عنك بجزعك، وإنّ الخلافة تجل عن ذلك، فدفنها وأقام على قبرها فقال:

فإن تسلُ عنكِ النفس أو تدعُ الهوى فباليأس تسلو النفس لا بالتجلّد

ثم أقام بعدها أياماً قلائل ثم مات[١].

«وإن عضّته الفاقة شغله البلاء» في (العقد): كان أبو الشمقمق الشاعر أديباً طَريفاً محارفاً صُعلوكاً متبرّماً قد لزم بيته في أطمار مسحوقة، وكان إذا استفتح عليه أحد بابه خرج فنظر من فُرج الباب، فإن أعجبه الواقف فتح له وإلّا سكت، فدخل عليه بعض إخوانه، فلمّا رأى سوء حاله قال: إنّا روينا في بعض الحديث «ان العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة». قال: إن كان ما تقول حقاً لأكوننَّ بزازاً يوم القيامة[٢].

وفي كتاب ما للهند: من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً قعد به العُدم فيبقى مقصّراً عما أراد كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الصيف فلا يجري إلى بحر ولا نهر بل يبقى مكانه حتى تنشفه الأرض[٣].

«وان جهده الجوع قعد به الضعف» في (شعراء ابن قتيبة) ـ في أعشى قيس ـ كان ابوه يدعى قتيل الجوع، وذلك أنه كان في جبل، فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً[٤].

هذا، فقيل لعقيل بن علقمة، لو زوَّجت بناتِك، فإنّ النساء لحم على وضم

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٩٨.

(٢) العقد الفريد ٢: ٣٥٢، نقله بتصرف في العبارة.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ٣٥٣.

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبعة دار صادر بيروت): ١٣٥.

إذا لم يكنَّ غانيات. قال: كلّا إنّي أجيعهنَّ فلا يأثرن، وأُعرّيهنَّ فلا يظهرن.

«وان أفرط به الشبع كظته البطنة» الكِظَّة بالكسر: ما يعتري الانسان من الامتلاء من الطعام، قال حاتم:

يرى الخمص تعذيباً وإن نال شبعة يبت قلبه من قلة الهمّ مبهما

وفي (العقد) قال أبو اليقظان: كان هلال بن سعد التميمي اكولا، فيزعمون انه أكل جملا وأكلت امرأته فصيلا، فلما أراد أن يجامعها لم يصل إليها، فقالت له: وكيف تصل اليّ وبيني وبينك بعيران[1]؟

وقال المدائني: كان سليمان بن عبدالملك بِدابق فأُتي بسلّين أحدهما مملو بيضاً والآخر تيناً. فقال: إقشروا البيض، فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين، ثم أَتَوه بقصعة مملوة مُخّاً بسكر، فأكله فأتخم ومرض فمات[2].

هذا، وفي (المروج) رحل رجل من بني هاشم من الكوفة إلى ابن عمّه بالمدينة، فأقام عنده حولاً لم يدخل مستراحاً، فلما كان بعد الحول أراد الرجوع إلى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياماً أُخر، فأقام وكان للرجل قينتان فقال لهما: أما رأيتما آبن عمي وظرفه؛ أقام عندنا حولا ولم يدخل مستراحاً. فقالتا له: فعلينا أن نصنع له شيئاً لا يجد معه بدّاً من الخلاء. قال شأنكما وذلك، فعمدتا إلى خشب العشر -وهو مسهل- فدقّتاه وطرحتاه في شرابه، فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه إليه وسقتا مولاهما من غيره، فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى وتمغّص الفتى، فقال للّتي تليه: يا سيدتي أين الخلاء؟ فقالت لها صاحبتها: ما يقول لك. قالت: يسألك ان تغنيه:

(١) العقد الفريد ٨: ١٣، وفيه «كان هلال بن الاسعر التميمي ... فيزعمون أنه أكل فصيلاً وأكلت آمرأته فصيلاً ...».

(٢) العقد الفريد ٨: ١٥، وفيه «اقبل نصراني إلى سليمان بن عبدالملك وهو بدابق بسلّين أحدهما مملوء بيضاً ...» .

خلا من آل فاطمة الديار فمنزل أهلها منها قفار

فغنته فقال الفتى: أظنهما مكيتين وما فهمتا، ثم التفت إلى الأُخرى فقال: يا سيدتي أين الحش. فقالت لها صاحبتها: ما يقول؟ قالت: يسألك ان تغنيه:

أوحش الدقرات والدير منها فعناها بالمنزل المغمور

فغنته، فقال الفتى: أظنهما عراقيتين وما فهمتا عني، ثم التفت إلى الاخرى فقال لها: أعزك الله أين المتوضأ. فقالت لها صاحبتها: ما يقول؟ قالت: يسألك أن تغنيه:

توضأ للصلاة وصل خمساً وأذن بالصلاة على النبيّ

فغنته فقال: أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني. ثم التفت إلى الأُخرى فقال: يا سيدتي أين الكنيف؟ فقالت لها صاحبتها: ما يقول لك. قالت: يسألك ان تغنيه:

تكنّفني الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفانيا

فقال: أظنهما يمانيتين وما فهمتا عني، ثم التفت إلى الأُخرى فقال: يا هذه أين المستراح؟ فقالت لها صاحبتها: ما يقول؟ قالت يسألك ان تغنيه:

ترك الفكاهة والمزاحا وقلى الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم، فلما اشتدّ به الأمر أنشأ يقول:

تكنفني السلاح وأضجروني على ما بي بتكرير الأغاني
فلما ضاق عن ذاك اصطباري ذرقت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما، وانتبه المولى في أثر ذلك، فلما رأى ما نزل بجواريه قال: يا أخي ما حملك على هذا الفعل؟ قال: يا ابن الفاعلة! لك جوار يرين المخرج صراطاً مستقيماً لا يدللني عليه، فلم أجد

لهن جزاء غير هذا، ثم رحل عنه[١].

«**وكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد**» قال تعالى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[٢].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله في (جوامع كلماته): خير الأُمور أوساطها[٣].

هذا، وعن المأمون: الناس ثلاثة، فمنهم مثل الغذاء لابدَّ منه على كل حال، ومنهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال.

٥
الحكمة (٧٠)

وقال عليه السلام:

لَا تَرَى الجَاهِلِ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً.

الافراط؛ تجاوز الحد، والتفريط؛ التقصير والتضييع له حتى يفوت، وكلاهما مذمومان، وإنّما الممدوح الحد الوسط.

ومن كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله الجامعة: خير الأُمور أوساطها[٤]، وقال الشاعر:

وإنّ بين التفريط والإفراط   مسلكاً منجياً من الإيراط

الإيراط مصدر أورطه، أي: أوقعه فيما لا خلاص له منه.

وصدق عليه السلام: فالجاهل إمّا ان يبخل ولا ينفق أصلاً. أو ينفق ويسرف مع أن الله تعالى قال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان

---

(١) المروج ٤: ٢٤٠ ـ ٢٤٢.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) رواه النهاية ٥: ١٨٤، وسط.

(٤) رواه النهاية ٥: ١٨٤ مادة (وسط).

بين ذلك قواماً﴾[١].

وكــذلك الجـاهل إمّـا أن يـترك آخـرته لدنـياه، وإمّـا دنـياه لآخـرته، وقالوا عليهم السلام: ليس منّا من ترك آخرته لدنياه ومن ترك دنياه لآخرته، والجاهل إمّا لا يكسب ويكون كلاً على النـاس وإمّـا يـحرص ولا يـجمل فـي كسـبه، وكلاهما ضلال.

وفي (بيان الجاحظ): قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يؤتى يوم القيامة بالوالي جَلَدَ فوق ما أمر الله به، فيقول له الرب: عبدي! لم جلدت فوق ما أمرتك به؟ فيقول: رب غضبت لغضبك. فيقول: أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي!؟ ثم يؤتى بالمقصّر فيقول له: عبدي لم قصّرت عمّا أمرتك به؟ فيقول: رب رحمته. فيقول: أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع مـن رحـمتي؟! فـيصيّرهما إلى النار[٢].

وفي (تاريخ بغداد): ذكر عند أبي حنيفة جهم ومـقاتل فـقال: كـلاهما مفرّط، أفرط جهم حتى قال انه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل حتى جـعله مثل خلقه[٣].

هذا، وأنشد شاعر نصر بن سيار بـخراسـان أرجـوزة تشـبيبها مـئة ومديحها في نصر عشرة، فقال له نصر: والله ما تركت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك، فان أردت مديحي فاقتصد، فأتاه فأنشده:

هل تـعرف الدار لأُمِّ عـمرو دع ذا وحَبِّرْ مِدحةً في نصر

(١) الفرقان: ٦٧.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٢٥، باختلاف في اللفظ.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٦٦، نقله بتصرف.

فقال له نصر: لا هذا ولا ذاك، ولكن أمر بين الأمرين[١].

وفي (المعجم): قال الجاحظ: يجب للرجل أن يكون سخيّاً لا يبلغ التبذير، شجاعاً لا يبلغ الهَوَج[٢]، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القِحة[٣]، قوّالاً لايبلغ الهذر[٤]، صموتاً لا يبلغ العيّ، حليماً لا يبلغ الذلّ، منتصراً لا يبلغ الظلم وقوراً لا يبلغ البلادة، ناقداً لا يبلغ الطيش، ثم وجدنا النبيّ صلى الله عليه وآله قد جمع ذلك كله في كلمة واحدة، وهو قوله «خير الأمور أوساطها»، فعلم أنه صلى الله عليه وآله قد أوتي جوامع الكلم وعلم فصل الخطاب[٥].

٦
الحكمة (١٩٩)

وقال عليه السلام في صِفة الغَوْغاء:

هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا. وقيل بَلْ قال عليه السلام: هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعوا ضَرُّوا وإِذا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا. فَقِيلَ: قَدْ عَرَفْنَا مَضَرَّةَ اجْتِماعِهِمْ، فَما مَنْفَعةُ اَفْتِرَاقِهِم؟ فَقَالَ عليه السلام: يَرْجِعُ أَصْحَاب الْمِهَنِ إِلَى مِهنتهِمْ فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنائِهِ والنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ، والخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِه.

أقول: قول المصنّف: (في صفة الغوغاء) في (الصحاح)، قال الأصمعي: الجرادة إذا صارت لها أجنحة وكادت تطير قبل أن تستقلّ فتطير، غوغاء، وبه شبّه الناس.

---

(١) العقد الفريد ٧: ١٨٦.

(٢) الهَوَج: الحمق والطيش: والتسرّع.

(٣) القِحَةُ: بكسر القاف وفتحها: قلة الحياء.

(٤) الهذر: مصدر هذر كلامه، كثر في الخطأ والباطل.

(٥) معجم الأدباء ١٦: ١١٠ ـ ١١١.

وقال أبو عبيدة: الغوغاء شيء شبيه بالبعوض إلّا أنّه لا يعضُّ ولا يؤذي وهو ضعيف، فمن صرفه وذكره جعله بمنزلة قمقام، والهمزة مبدلة من واو، ومن لم يصرفه جعله بمنزلة عوراء[١].

قال المسعودي في (مروجه): من أخلاق العامة أن يسوِّدوا غير السيّد، ويفضِّلوا غير الفاضل، ويقولوا بعلم غير العالم، وهم أتباع من سبق إليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول، والفضل والنقصان، ولا معرفة للحق من الباطل عندهم.

وقال الجاحظ: سمعت رجلاً من العامة ـ وهو حاج وقد ذكر له البيت ـ يقول: إذا أتيته من يكلمني؟ وأخبره صديق له أن رجلا من العامة قال له ـ وقد سمعه يصلي على محمد صلى الله عليه وآله ـ ما تقول في محمد هذا أربنا هو؟ وذكر لي بعض اخواني: ان رجلا من العامة بمدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندق، فسأله الوالي عن مذهب الرجل فقال: انه مرجئ قدري إباضي رافضي يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاص. فقال له الوالي: ما أدري على أيِّ شيء أحسدك!؟ على علمك بالمقالات، أو على بصرك بالأنساب.

وأخبرني رجل من اخواننا من أهل العلم قال: كنا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعلي ومعاوية وما يذكره أهل العلم فيهم، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منّا فقال لي يوماً بعضهم ـ وكان من أعقلهم واكبرهم لحية ـ كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان. فقلت: فما تقول أنت؟ قال: من تريد؟ قلت: علي. قال: أو ليس هو أبو فاطمة. قلت: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبيّ صلى الله عليه وآله بنت عائشة أخت معاوية. قلت: فما كانت قصة علي؟ قال: قتل

---

(١) الصحاح للجوهري ٦: ٢٤٥٠.

في غزاة حنين مع النبي.

وذكر ثمامة بن أشرس قال: كنت ماراً في السوق ببغداد، فإذا أنا برجل اجتمع الناس عليه فنزلت عن بغلتي وقلت: لشيء ما هذا الاجتماع! ودخلت بين الناس، فإذا أنا برجل يصف كحلا معه أنّه ينجع من كل داء يصيب العين، فنظرت إليه فاذا عينه الواحدة برشاء والأُخرى ما سوكة، فقلت له: يا هذا! لو كان كحلك كما تقول؛ نفع عينيك. فقال لي: أهاهنا اشتكت عيناي؟! انما اشتكتا بمصر. فقال كلهم: صدق وما انفَلتُّ من نعالهم إلّا بعد كدّ.

وكان في أيام الرشيد ببغداد متطبب يطبب العامة بصفاته وكان دهرياً يظهر أنه من أهل السنة والجماعة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنِّيِّ تنقاد إليه العامة فكان يجتمع إليه في كل يوم بقوارير الماءِ خلقٌ. فإذا اجتمعوا وثب قائماً على قديمه فقال لهم: يا معشر المسلمين قلتم لاضار ولا نافع الا الله فلأيّ شيء تسألوني عن مضاركم ومنافعكم الجؤوا إلى ربكم وتوكّلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم. فيقولون: اي والله صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات[1].

قوله عليه السلام في الأوّل (هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرّقوا لم يعرفوا) وفي الثاني (هم الذين إذا اجتمعوا ضرّوا، وإذا تفرّقوا نفعوا) في (كامل الجزري): جرت في سنة (٦٠١) ببغداد بين أهل باب الازج وأهل المأمونية محاربة بسبب أن الأولين قتلوا سَبُعاً، فأرادوا أن يطوفوه فمنعهم الاخيرون فقتل جمع وخرج جمع ونهب دور، وكذلك بين أهل قطفتا والغربية ـ من محال غربي بغداد ـ جرت محاربة بسبب قتل سَبُعٍ أراد الأوّلون طوفه فمنعهم

(١) مروج الذهب ٣: ٣٢ ـ ٣٤.

الاخرون فقتل بينهم قتلى حتى أرسل إليهم عسكر[١].

«فقيل قد عرفنا» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (قد علمنا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم» هذا السؤال إنّما على الرواية الثانية، وأمّا الرواية الأُولى فالمراد من شِقَّي الكلام غلبتهم في اجتماعهم على كل قوة، وعدم معروفيتهم في تفرقهم واضح.

«فقال عليه السلام: يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: «إلى مهنهم» كما في غيرها[٥]، والمهنة: الحذق بالعمل، والخدمة ـ وهي بفتح الميم وكسرها ـ حكى الكسر الكسائي وان أنكره الاصمعي[٦].

«فينتفع الناس بهم...».

قالوا: كتب كتاب حكمة فبقيت منه. فقالوا: ما نكتب فيه؟ فقيل: يكتب «يسأل عن كل صناعة أهلها».

٧
الحكمة (٢٠٠)

وَقَالَ عليه السلام:

وَأُتي بِجانٍ وَمَعَهُ غَوْغَاءُ، فَقَالَ: لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلّ سَوْأَةٍ.

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٢: ٢٠٣ س ٦٠١.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٩٨، من الحكمة رقم ١٩٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٨، ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٩٠.

(٤) نهج البلاغة ٣: ١٩٨، من الحكمة ١٩٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٨، ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٩٠.

(٦) لسان العرب ١٣: ٤٢٤ مادة (مهن).

أقول: رواه الشيخ في (زيادات حدود تهذيبه) مسنداً عن اليعقوبي عن أبيه هكذا، قال: أتي أمير المؤمنين عليه السلام -وهو بالبصرة- برجل يقام عليه الحد، فأقبل جماعة من الناس، فقال عليه السلام: أُنظر يا قنبر ما هذه الجماعة؟ قال: إجتمعوا لرجل يقام عليه الحد، فلما قربوا نظر عليه السلام في وجوههم وقال: لا مرحباً بوجوه لا ترى إلّا في كلّ سوأة، هؤلاء فضول الرجال، أمِطْهُم عنّي يا قنبر[١].

قول المصنّف: «وأُتي عليه السلام» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: (وقد أُتي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«بجان» أي: بذي جِنّة إلّا أن الجوهري قال: الجان ابو الجن وحية بيضاء[٤].

قوله عليه السلام: «لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلّا عند كل سوأة» في (الصحاح) السوأة: العورة والفاحشة[٥].

قال ابن أبي الحديد: أخذ هذا اللفظ المستعين. وقد أدخل عليه ابن أبي الشوارب القاضي ومعه الشهود ليشهدوا عليه أنه قد خلع نفسه من الخلافة وبايع للمعتز، فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه الّتي لا ترى إلّا يوم سوء[٦].

قلت: وقال المسعودي في (مروجه): تقصد العامة في احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر إلّا مرقلين إلى قائد دب، وضارب دف، على سياسة

---

(١) التهذيب ١٠: ١٥٠ ح ٣٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٩٨، الحكمة رقم ٢٠٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٠، ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٩٠، وفيه «وقد أُوتي».

(٤) الصحاح ٥: ٢٠٩٤.

(٥) الصحاح ١: ٥٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٠.

قرد، ومتشوّقين إلى اللهب واللعب، أو مختلفين إلى مشعبذ منمّس مخرّف، أو مستمعين إلى قاصّ كذّاب، أو مجتمعين حول مضروب، أو وقوفاً عند مصلوب، ينعق بهم ويصاح فلا يرتدعون، لا ينكرون منكراً، ولا يعرفون معروفاً، ولا يبالون أن يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر، وقد بيّن ذلك النبيّ ﷺ فيهم حيث يقول: «الناس اثنان: عالم أو متعلم، وما عدا ذلك همج رعاع لا يعبأ الله بهم».

وسئل عليّ عليه السلام عن العامة فقال: همج رعاع، أتباع كل ناعق، لم يستضيئُوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

وقد صنّف أبو عقال الكاتب كتاباً في أخلاق العوام يصف فيه شيمهم ومخاطباتهم وسمّاه بالملهى...[١]. وقال الشاعر:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

وفي (الأغاني): قال عثمان الورّاق: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك أما تستحي. فقال لي: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك. فقلت: لا. قال: فاصبر حتى أُعلمك أنهم بقر، فقام فوعظ وقصّ ودعا حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار. فما بقي واحد إلّا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدّره حتى يبلغها أم لا، فلما تفرقوا قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر[٢].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) الأغاني ١٣: ١١٤.

٨
الحكمة (١٥٠)

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ العَمَل، وَيرْجِئ التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ[١] إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ وَإِنْ مُنِعَ مِنْها لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِي وَيَبْتَغِي الزِيَادَةَ فِيما بَقِي، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي وَيَأْمُرُ بِمَا لا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ ، وَإِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ وَإِنِ افْتَقَرَ قَنَطَ وَوَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ،[١] يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى، يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَماً وَالْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَى الْمَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يُحَقِّرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي

وَيَسْتَوفِي وَلَا يُوفِي وَيَخْشَي ٱلْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

قال الرضيّ: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا ٱلْكِتَابِ إِلَّا هَـذَا ٱلْكَـلَامُ لَكَـفَى بِـهِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَاظِرٍ مُفَكِّرٍ.

أقول: قول المصنّف: (وقـال عليه السلام لرجـل سأله ان يـعظه) رواه (تـحف العقول) عنه عليه السلام أبسط، فقال: موعظة له عليه السلام في وصف المقصرين...[١].

ورواه الجاحظ في (بيانه) عنه عليه السلام أخـصر، وأخـذه عـنه عـبدالله بـن عباس فوعظ به ابنه علي بن عبدالله بن عباس كما رواه المفيد في (أماليه)[٢].

قوله عليه السلام: «**لا تكن ممّن يرجوا الآخرة بغير العمل**» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: (بغير عمل) كما في (ابن أبـي الحـديد وابـن مـيثم والخـطية)[٤]، نهى عليه السلام عن رجاء الآخرة بدون عمل، لأنه كمن رجا ضرب البيدر بدون زرع، وقد قال تعالى ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾[٥] وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا يدَّعِ مدَّعٍ ولا يتمنّ متمنٍّ أنّه ينجو إلّا بعمل ورحمة، لو عصيت هويت، اللّـهمَّ هـل بلّغت.

ومن الشعر المنسوب إليه عليه السلام كما قال ابن أبي الحديد فـي غـير هـذا الموضع:

غَـــرّ جَـهُولاً أمـــلُه	يموت مـن جـا أجـله
ومـن دنـا مـن حـتفه	لم تُـغنِ عـنه حـيله

---

(١) تحف العقول: ١٥٧.

(٢) أمالي المفيد: ٣٢٩ح ٢ م ٣٩٢.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٨٩، من الكلام ١٥٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٥٦.

(٥) النحل: ٣٢.

وما بقاء آخر قد غاب عنه أوله
والمرء لا يصحبه في القبر إلّا عمله[١]

وفي (الأغاني): قال الرشيد لأبي العتاهية: عظني. قال: أخافك. فقال له: أنت آمن فأنشده:

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها إنّ السفينة لا تجري على اليبس

فبكى حتى بلّ كمه[٢].

«ويرجئ التوبة» أي: يؤخرها من «أرجأ» أو «أرجى».

«بطول الأمل» وهذا أحد عبقريات إبليس في إهلاك الناس، وقد هلك من هلك قبل بذا.

هذا، ولما بعث عبدالملك بن مروان خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد إلى البصرة ـ وكان عليها مصعب من قبل أخيه ـ كان طائفة مع ذا وطائفة مع ذا، وكان قيس السلمي مع مصعب، وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل أجرة فقال: غداً أعطيكها. فقال بعضهم لقيس ـ وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل ـ:

لبئس ما حكمت يا جلاجل النقد دين والطعان عاجل

«يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين» في (المروج): أظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا مع الحرص على الخلافة وقال: إنّما بطني شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا وانا العائذ بالبيت، وكثرت أذيته لبني هاشم مع شحّه بالدنيا على سائر الناس، فقال بعضهم:

تخبّر من لا قيت أنك عائذ وتكثر قتلاً بين زمزم والركن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٠، في شرح الخطبة ٤٢.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ٤: ١٠٦، نقله المصنف بتصرف.

أيضاً:

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين[١]

وكان الحسن البصري يقول في الحجاج: يتكلم على المنبر بكلام الأولياء وينزل ويعمل عمل الجبابرة.

وقال بعضهم لسليمان بن عبدالملك: كان الحجاج يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر ويتكلم بكلام الأخيار، فإذا نزل عمل عمل الفراعنة.

وفي (المعجم): كان قاضي القضاة عبدالجبار شيخ المعتزلة يزعم أن المسلم يخلد في النار على ربع دينار، وصادره فخر الدولة على ثلاثة آلاف ألف درهم قيل باع في مصادرته ألف طيلسان مصري، وجميع هذا المال من قضاء الظلمة بل الكفرة عنده وعلى مذهبه[٢].

وفي الخبر: قال المسيح عليه السلام للحواريين: لا تكونوا كالمنخل يخرج الدّقيق الطيب ويمسك النّخالة، قولكم شفاء وعملكم داء[٣]. وقال شاعر:

ومنتظر للموت في كل ساعة يشيّد بيتاً دائماً ويحصّن

له حين يتلوه حقيقة موقن وأفعاله أفعال من ليس يوقن

أيضاً:

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدرّ لها ثعل

أيضاً:

إذا وصف الاسلام أحسنَ وصفَهُ بفيه ويأبى قلبه ويهاجره

---

(١) مروج الذهب ٣: ٧٥.

(٢) معجم الأُدباء ٦: ٣٠٠، نقله المصنف بتصرف.

(٣) رواه تحف العقول: ٥١٠.

وان قام قال الحق مادام قائماً نقي اللسان كافرٌ بعدُ سايره

أيضاً:

لا يعجبك من خطيب قوله حتى يكون مع اللسان دخيلا

أيضاً:

ولفظه يأمرنا بالتقى ولحظه يأمرنا بالخنا

«إن أُعطي منها لم يشبع» لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً[١].

«وإن مُنع منها لم يقنع» وتذهب أعمال من كان كذلك في القيامة هباءً منثوراً، وان كانت كالجبال.

«يعجز عن شكر ما أُوتي» فقالوا عليهم السلام: إنَّ كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها[٢].

وفي (تاريخ بغداد): خرج دعبل إلى خراسان فنادم عبدالله بن طاهر فأعجب به، فكان في كل يوم ينادمه يأمر له بعشرة آلاف درهم، وكان ينادمه في الشهر خمسة عشر يوماً، وكان ابن طاهر يصله في كل شهر بمئة وخمسين ألف درهم فلما كثرت صلاته له توارى دعبل عنه في يوم منادمته في بعض الخانات، فطلبه فلم يقدر عليه، فشق ذلك عليه، فلما كان من الغد كتب إليه دعبل:

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة

وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ١٣١.

(٢) تحف العقول: ٣٩٤، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

ولكـــنني لمـــا أتـــيتك زائـــراً
فأفرطت في بري عجزت عـن الشكـر
فـــملان[1] لا آتـــيك الا مـــعذراً
أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فـــان زدت فـــي بـري تـزيدت جـفوة
ولم تـلقني حـتى القـيامة والحشـر[2]

قلت: فإذا كان الانسان في احسان واحد من مخلوق كذلك فكيف يجب أن يكون في نعمه عزّ وجلّ التي لا تحصى أبداً.

«ويبتغي الزيادة فيما بقي» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام: من لم يقنعه من الرزق إلّا الكثير لم يكفه من العمل إلّا الكثير، ومن كفاه من الرزق القليل فإنّه يكفيه من العمل القليل[3].

«ينهى ولا ينتهي» في المثل: تنهانا أمُّنا عن الغيِّ[البغاء] وتغدو فيه[4].

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عـظيم

وعدم الانتهاء عن المنكر مذموم مطلقا، قال تعالى ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عـصوا وكـانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يـفعلون * تـرى كثيراً منهم يتولَّون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهـم أنـفسهم أن سـخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما

---

(١) أي: فمن الآن.

(٢) تاريخ بغداد ٩: ٤٨٧ و ٤٨٨، نقله بتصرف.

(٣) الكافي ٢: ١٣٨ / ٥.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٢٧، الزمخشري ٢: ٣٢.

أتخذوهم أولياء ولكنّ كثيراً منهم فاسقون﴾[١].

«**ويأمر بما لا يأتي**» ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾[٢].

يا آمر الناس بالمعروف مجتهداً   وإنْ رأى عاملاً بالمنكر انتهره
ابدأ بنفسك قبل الناس كلهم   فأوصها وآتل ما في سورة البقره

اشارة إلى الآية، وقيل بالفارسية: «توبه‌فرمايان چرا خود توبه كمتر مى‌كنند»[٣]. وقال الشاعر:

وغير تقيٍّ يأمر النّاس بالتُّقىٰ   طبيب يداوي والطبيب مريض
لا تركبنَّ الصنيع الذي   تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرئٍ   يخالف ما قال في فعله

«**يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم**» المراد أنه كما يحب الصالحين ليعمل الصالحات وكما يبغض المذنبين ليجتنب السيئات لا انه لا يحب الصالحين ولا يبغض المذنبين، فمن لم يكن محب الصالحين ومبغض المذنبين فهو كافر.

«**يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له**» ﴿يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر﴾[٤].

«**إن سقم ظلّ نادماً، وان صحّ أمن لاهياً**» وكان عليه أن يغتنم الفرصة في سلامته في هذه المرة فلابدّ أن يسقم مرّة أُخرى ولا يسلم.

«**يعجب بنفسه إذا عوفي**» في الخبر: أوحى تعالى إلى داود عليه السلام بشّر المذنبين وأنذر الصِّدِّيقين. قال: كيف يا ربّ؟ قال: بشّر المذنبين أنّي أقبل

(١) المائدة: ٧٨ ـ ٨١.

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) ديوان حافظ، چاپ غنى وقزوينى.

(٤) البقرة: ٩٦.

التوبة وأعفو عنهم، وأنذر الصدّيقين ألّا يعجبوا بأعمالهم، فليس عبد أنصبه للحساب إلّا هلك[١].

أيضاً: ظهر ابليس لموسى عليه السلام وعليه برنس ذو ألوان، فقال له: ما هذا؟ قال: اختطف به قلوب بني آدم. فقال له: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذتَ عليه. قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه[٢].

أيضاً: دخل عابد وفاسق المسجد، فخرجا والفاسق صدّيق لكون فكره في التندم على فسقه واستغفاره من ذنبه، والعابد فاسق لكونه مدلّاً بعبادته وفكرته في ذلك[٣].

«ويقنط إذا ابتلي» ﴿إنّ الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرُّ جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً﴾[٤].

«إن أصابه بلاءٌ دعا مضطراً، وإن أصابه رخاءٌ أعرض مغترّاً» ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[٥]، ﴿وإذا مس الانسان ضرٌّ دعا ربّه منيباً إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾[٦].

«تغلبه نفسه على ما تظن» من الآمال البعيدة **«ولا يغلبها على ما يستيقن»** من الموت والقيامة **«يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله»** مع أنه لو عكسَ فكان عمله أكثر من غيره، وذنبه أقل من غيره لكان عليه

---

(١) أخرجه الكافي ٢: ٣١٤ ح٦، ونقله المصنّف بتصرّف في العبارة.

(٢) و (٣) أخرجه الكافي ٢: ٣١٤ ح ٧ و ٨، ونقله المصنف بتصرف في العبارة .

(٤) المعارج: ١٩ ـ ٢١ .

(٥) العنكبوت: ٦٥ .

(٦) الزمر: ٨ .

أن يخاف على نفسه أكثر ويرجو لغيره أكثر.

وفي (المروج) عن ابن عياش المنتوف؛ قال المنصور يوماً ونحن عنده: أتعرفون جبّاراً أول اسمه عين قتل جباراً أول اسمه عين؟ وجباراً أول اسمه عين، وجباراً أول اسمه عين؟ قلت: نعم. عبدالملك قتل عمرو بن سعيد الأشدق وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن محمد بن الأشعث. فقال: أتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جباراً أول اسمه عين؟ وجباراً أول اسمه عين، وجباراً أول اسمه عين؟ قلت: نعم أنت قتلت عبدالرحمن بن مسلم -أي: أبا مسلم- وعبد الجبار بن عبدالرحمن -وكان عامله على خراسان فخلع فأسر فأمر بقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه- وعبدالله بن علي سقط عليه البيت. قال: فما ذنبي إن كان سقط عليه البيت؟ قلت: لا ذنب لك[1]. فسمّى عبدالملك جباراً ونفسه خليفة مع أنه كان أشدّ في الجبّارية، فعبد الملك كتب إلى الحجاج أن يرعى السجّاد عليه السلام لأنّ بني أبي‌سفيان انقرضوا بتعرّضهم لبيته، وهو -مع ان الصادق عليه السلام كان أخبره بصيرورة الأمر إليهم حتى يلعب به صبيانهم- أحضره مرّات لقتله، وكان عليه السلام يدعو لدفع شره حتى وافق الأخير الأجل.

«إن استغنى بطر» والبطر: شدّة المرح.

«وفتن» ﴿إنّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنىٰ﴾[2]، ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلّا قليلا﴾[3]، ﴿ولا تمدنّ عينيك الى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾[4].

«وإن افتقر قنط» ﴿فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٠٦.

(٢) العلق: ٧.

(٣) القصص: ٥٨.

(٤) طه: ١٣١.

ربّي أكرمن* وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن﴾[١].

«يقصر إذا عمل» والحال إنّه تعالى قال: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾[٢]، ﴿سابقوا الى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض﴾[٣].

«ويبالغ إذا سأل» عن الصادق عليه السلام: إيّاك وسؤال الناس فإنّه ذلّ في الدنيا وحساب طويل يوم القيامة.

وعن الباقر عليه السلام: لو يعلم السائل ما في المسألة؛ ما سأل أحدٌ أحداً، ولو يعلم المعطي ما في العطية؛ ما ردَّ أحدٌ أحداً.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إن الأرزاق دونها حجب، فمن شاء قنى حياءه وأخذ رزقه، ومن شاء هتك الحجاب وأخذ رزقه، والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبلاً ثم يدخل عرض هذا الوادي فيحتطب حتى لا يلتقي طرفاه ثم يدخل به السوق فيبيعه بمدّ من تمر يأخذ ثلثه ويتصدّق بثلثيه؛ خيرٌ له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو حرموه[٤].

«ان عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة» مع أنّه تعالىٰ قال ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى* فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾[٥] وقالوا عليهم السلام: أُذكروا انقطاع اللذّات وبقاء التبعات.

«وإن عرته المحنة انفرج عن شرائط الملّة» فيعلم أنّه ليس بكامل الإيمان وإلّا فالمؤمن الكامل دينه أشدّ من الجبل يؤثر في الجبل المعول ولا يؤثر في

(١) الفجر: ١٥ ـ ١٦.

(٢) البقرة: ١٤٨، المائدة: ٤٨.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) أخرجه الكافي ٤: ٢٠، ١ ـ ٣.

(٥) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

دينه شيء، والسحرة لما قال لهم فرعون ﴿ولأصلّبنّكم في جذوع النخل﴾[١] لايمانهم بموسىٰ قالوا له ﴿فاقض ما أنت قاض إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا* انّا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السّحر﴾[٢].

«يصف العبرة ولا يعتبر» كما ان أكثر الناس يصفون الحق ولا يعملون به «ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ» قال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك تعذر إن وعظت ويُقتدىٰ بالقول منك ويُقبل التعليم

وقيل بالفارسية:

واعظان كاين جلوه در محراب ومنبر ميكنند

چون بخلوت ميروند آن كار ديگر ميكنند[٣]

«فهو بالقول مدلّ» من الدلال.

«ومن العمل مقلٌّ» في (تاريخ بغداد): لقي رجل يحيى بن أكثم ـ وهو يومئذ على قضاء القضاة ـ فقال له: كم آكل؟ قال: دون الشبع. قال: فكم أضحك؟ قال: لا يعلو صوتك. قال: فكم أبكي؟ قال: لا تملّ البكاء من خشية الله. قال: فكم أُخفي من عملي: قال: ما استطعت. قال: فكم أُظهر منه؟ قال: ما يقتدي بك البرُّ الخيِّر، ويؤمن عليك قول الناس. فقال الرجل: سبحان الله قول قاطن وعمل ظاعن[٤].

قلت: قال الرجل ذلك لأن يحيى كان بالعكس عملاً، وكان معروفاً بعمل اللواط بل القول بحليته.

---

(١) طه : ٧١.

(٢) طه : ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) ديوان حافظ . چاپ غني وقزويني.

(٤) تاريخ بغداد ١٤: ٢٠٠، والنقل بتصرف .

«ينافس ما يفنى، ويسامح ما يبقى» على العكس ممّا قال تعالىٰ ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم* على الأرائك ينظرون* تعرف في وجوههم نضرة النعيم* يُسقَون من رحيق مختوم* ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[1]، ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[2].

«يرىٰ الغنم مغرماً والغرم مغنماً» ﴿ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً ويتربّص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء﴾[3]، ﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾[4].

وفي (المناقب): فرّق الرضا عليه السلام بخراسان ماله كلّه في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: ان هذا المغرم. فقال: بل هو المغنم، لا تعدَّنَّ مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً[5].

«يخشى الموت ولا يبادر الفوت» مع أن الفرصة تمرُّ مرَّ السحاب ويجب اغتنام الحياة قبل الممات ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريب فأصّدّق وأكن من الصالحين* ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾[6]، ﴿أولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكر﴾[7].

---

(١) المطفّفين: ٢٢ ـ ٢٦.

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) التوبة: ٩٨.

(٤) الأنفال: ٣٦.

(٥) المناقب ٤: ٣٦١.

(٦) المنافقون: ١٠ ـ ١١.

(٧) فاطر: ٣٧.

«**يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر من نفسه**».

وتــعذر نــفسك إمّـا أسأت وغــيرك بــالعذر لا تــعذر
وتبصر في العين منه القذى وفي عينك الجـذع لا تـبصر

«**ويستكثر من طاعته ما يحقر من طاعة غيره**» والواجب أن يحكم في غيره إذا كان أكبر منه بأنّه أكثر طاعة، وأصغر أقلّ معصية، وتـراه فـي شك مـن معصيته ويقينه في معصية نفسه.

«**فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن**» في (الأغاني): لمّا مـات إبـراهـيم الموصلي كان إبراهيم بن المهدي يشرب وجواريه يغنين ـ وكان كالشامت بموته ـ وأندفع يغنّي:

ستبكيه المزامر والملاهي وتسـعدهن عـاتقة الدنـان
وتـبكيه الغـويّة إذ تـولّى ولا تـبكيه تـالية القُـران

فقال بعض من حضر في نفسه: أفتراه هو إذا مات مَن يُبكيه؟ المحراب أم المصحف؟! مع أنّه كان ـ كما اعترف ـ تـلميذ إبـليس فـي الغـناء، ظـهر له وعلّمه[1]. وقال دعبل فيه لمّا قام في مجلس المأمون لمّا جعل الرضا عليه السلام ولي عهده:

إن كان إبراهـيم مـضطلعاً بـها فَلْتَصْلُحَنْ من بعده لمـخارق[2]

«**اللهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذكر مع الفقراء**» وقالوا عليهم السلام: من تواضع لغنيٍّ لغناه ذهب ثلثا دينه[3].

وعن الكاظم عليه السلام: مـحادثة العـالم عـلى المـزابل؛ خـيرٌ مـن مـحادثة

(١) الأغاني ٥: ٢٥٦، بتصرف.
(٢) الأغاني ٢٠: ١٨١.
(٣) ميزان الحكمة لري شهري ١٠: ٥٠٥ ـ ٥٠٦، والنقل بالمعنىٰ.

الجاهل على الزرابيّ[١].

وفي (تفسير القمي) في ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾[٢] كان بالمدينة فقراء مؤمنون أمرهم النبي صلى الله عليه وآله أن يكونوا في صفه يأوون إليها، وكان النبيُّ يتعاهدهم بنفسه، وربَّما حمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى النبيّ فيقرّبهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك وقالوا له أُطردهم عنك، فجاء يوماً رجل من الأنصار اليه صلى الله عليه وآله وعنده رجل من أصحاب الصُّفّة قد لزق بالنبي والنبي يحدّثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له النبي: تقدّم فلم يفعل، فقال له النبي: لعلّك خفت أن يلزق بك فقره. قال: اطرد عنك هؤلاء، فنزلت الآيات[٣].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: جاء رجل موسر الى النبيّ صلى الله عليه وآله نقيّ الثوب فجلس، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى النبي بجنب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له النبي: أخِفت أن يَمسّك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي. فقال النبي صلى الله عليه وآله للمعسر: أتقبل؟ قال: لا. قال له الرجل: لِمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك[٤].

«يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره» من أنصف الناس فهو

---

(١) الكافي ١: ٣٩ ح ٢.

(٢) الأنعام: ٥٢.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٠٢.

(٤) الكافي ٢: ٢٦٢ و ٢٦٣، ونقله بحذف بعض الرواية.

المؤمن حقاً ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[١].

وفي (الأغاني): لقي الفرزدق كثيّراً بقارعة البلاط فقال له: يا أبا صخر! أنت أنسب العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّل لي لَيلىٰ بكلّ سبيل

قال له كثيّر: وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

قال الراوي: وهذان البيتان جميعاً لجميل، سرق أحدهما الفرزدق وسرق الآخر كثيّر. فقال له الفرزدق: هل كانت أُمك ترد البصرة. قال: لا ولكن أبي كان كثيراً يردها، فعرّض بكثيّر في سرقته ونسي سرقة نفسه، واعتقد شاعرية بيته فقط[٢].

في (العيون): كان رجل من المتوقّرين لا يزال يعيب النبيذ وشَرابَه، فإذا وجده سرّاً شربه، فقال بعض جيرانه:

وَعـيّابَةٍ للشُّربِ لو أنَّ أُمَّهُ تبولُ نبيذاً لم يزل يَستَبيلُها[٣]

وفي (العقد): قيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل لو أدركتُ بها أربعاً لتقرّبت الى الله بدمائهم. قيل: ومَنْ هم؟ قال: مقاتل بن مسمع ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال، فلما قدم البصرة بسط الناسُ له أرديتَهم، فقال لمثل هذا فليعمل العاملون، وعبيد الله بن ظبيان خطب خطبة أوجز فيها، فنادى رجل من أعراض الناس: كثّر الله فينا من أمثالك، قال: لقد سألتم الله شططاً، ومعن بن زرارة كان ذات يوم جالساً على الطريق فمرّت

---

(١) النساء: ١٣٥.

(٢) الأغاني ٨: ٩٦، ونقله المصنف بتصرف كثير.

(٣) عيون الأخبار ٢: ١٩.

به امرأة فقالت: يا عبدالله! أين الطريق الى مكان كذا؟ فغضب وقال: ألمثلي يقال يا عبد الله؟! وأبو سمّاك الحنفي أضل ناقته فقال: لئن لم يردها عليّ لا صلّيت له أبداً، فلما وجدها قال: علم أن يميني كانت براً. قال الراوي: ونسي الحجاج نفسه وهو خامس الأربعة بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم إلحاداً، كتب الى عبد الملك: ان خليفة الله في أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم[1].

ولما سمع الحجاج بظفر ابن خازم على الكفار قال: الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكفار[2].

«يرشد غيره ويغوي نفسه) و «ويرشد» في (المصرية) تحريف[3].

في (الكافي) عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿فكُبكِبُوا فيها هم والغاون﴾[4] هم قوم وَصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره[5].

وعن الصادق عليه السلام: أوحى تعالى الى داود: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أُولئك قُطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم[6].

«فهو يطاع ويعصي» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[7] من لم يصدِّق فعلُه قولَه فليس بعالم[8].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال الحواريون لعيسىٰ: من نجالس؟ قال: من يُذكّركم

---

(١) العقد الفريد ٢: ١٩٨ و ١٩٩ ونقله بتصرف كثير.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٤٠٥.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٩١ من الكلام ١٥٠.

(٤) الشعراء: ٩٤.

(٥) الكافي ١: ٤٦ح ٤ و ١: ٤٧ح ٤.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) فاطر: ٢٨.

(٨) الكافي ١: ٣٦ح ٢، و ١: ٣٩ح ٢.

الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله.

«ويستوفي ولا يوفي» ﴿ويل للمطفّفين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[1].

«يخشى الخلق في غير ربه» مع أنّه تعالى قال: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾[2].

وشاور معاوية الأحنف في استخلاف يزيد، فسكت فقال: مالك لا تقول؟ فقال: إن صدقناك أسخطناك، وإن كذبناك أسخطنا الله، وسخطك أهون من سخط الله. قال: صدقت.

وقال ابن هبيرة للحسن البصري: تأتينا كتب يزيد بن عبد الملك، فإن أنفذتُها وافق سخط الله وإن لم أنفذها خشيت على دمي. فقال: هذا الشعبي فقيه الحجاز عندك فاسأله، فسأله فقال: إنّما أنت عبد مأمور. فقال للحسن: ما تقول أنت؟ فقال: يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، إنّ الله مانعك من يزيد، وإنّ يزيد لا يمنعك من الله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب اليك يزيد، فاعرضه على كتاب الله؛ فإن وافقه فأنفذه، وإن خالفه فلا تنفذه، فإنّ الله أولى بك من يزيد، وكتاب الله أولى بك من كتاب يزيد. فقال ابن هبيرة: هذا الشيخ صدقني وربّ الكعبة.

«ولا يخشى الله في خلقه» قالوا عليهم السلام: إتّقوا من لا يجد ملجأً إلّا الله.

وفي (الطبري): أقرّ معاوية بعد زياد سمرة بن جندب ستة أشهر ثم عزله، فقال سمرة: لعن الله معاوية! لو أطعت الله كما أطعت

(١) المطففين: ١ ـ ٣.

(٢) المائدة: ٥٤.

معاوية ما عذّبني أبداً[١].

وفي (الخلفاء): قال طاووس لسليمان بن عبد الملك: أبغض الخلق إلى الله عبد أشركه الله في سلطانه، فعمل فيه بمعاصيه، فحك سليمان رأسه حتى كاد أن يجرح[٢].

(قال الرضي: ولو لم يكن في هذا الكتاب إلّا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة) من نجع فيه الدواء: أثّر (وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكّر).

مرّ أن ابن عباس أخذه منه عليه السلام ووصّى به ابنه ثم قال له: ليكن هذا كنزك الذي تدّخره، وكن به أشدّ اغتباطاً منك بكنز الذهب الأحمر، فإنّك إن وعيته اجتمع لك به خير الدنيا والآخرة.

هذا، وفي (ذيل الطبري): أتى صعصعة عمّ الفرزدق النبي صلى الله عليه وآله فقرأ النبي عليه ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾[٣] فقال صعصعة: حسبي لا أسمع غيرها[٤]

٩
الحكمة (٢٨٥)

وقال عليه السلام:

كُلُّ مُعاجَلٍ يَسْأَلُ الْاِنْظَارَ وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بالتَّسْوِيفِ.

المراد نقص الناس بأنّ من عليه حقٌّ معجّل يسأل من ذي الحق إنظاره وإمهاله، ومن عليه حقٌّ مؤجّل يتعلّل بالتسويف بعد الأجل.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٩١ في وقائع سنة ٥٣، ونقله المصنف بتصرف.

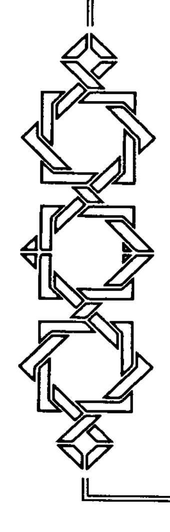
(٢) الامامة والسياسة ٢: ١٠٥.

(٣) الزلزلة: ٧ و ٨.

(٤) ذيل المذيل: ٦٥.

الفصل السابع والعشرون

في القضاء والقدر





١

الحكمة (٧٨)

ومن كلامه عليه السلام للسائل لما سأله: «أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر» بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيْحك لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً، وَقَدَراً حاتِماً، ولَوْ كانَ كَذَلِكَ لَبَطلَ الثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ، وَسَقَطَ ٱلْوَعْدُ وَٱلْوَعِيدُ. إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى ٱلْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرُوهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ ٱلْأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ ٱلْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلَا خَلَقَ السَّماوٰاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

أقول: رواه المفيد في (إرشاده) والكليني في (كافيه) والصدوق في (توحيده)، قال الأول: روى الحسن البصري أن رجلاً جاء الى أمير المؤمنين عليه السلام بعد آنصرافه من حرب صفّين فقال: خبّرني عمّا كان بيننا

وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله وقدر؟ فقال عليه السلام له: ما علوتم تلعةً ولا هبطتم وادياً إلّا ولله فيه قضاء وقدر. فقال الرجل: فعند الله أحتسب عنائي. فقال له: ولِمَ؟ قال: إذا كان القضاء والقدر إلى العمل فما وجه الثواب لنا على الطاعة؟ وما وجه العقاب لنا على المعصية؟ فقال عليه السلام: أوظننت يا رجل أنّه قضاءٌ حتمٌ وقدرٌ لازمٌ، لا تظنَّ ذلك، فإن القول به مقال عَبَدة الأوثان، وحزب الشيطان، وخصماء الرحمٰن، وقدرية هذه الأُمة ومجوسها، ان الله جل جلاله أمر تخييراً، ونهىٰ تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يُطَعْ مُكرِهاً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يخلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾[1]. فقال الرجل: فما القضاء والقدر الذي ذكرته؟ قال عليه السلام: الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، والتمكّن من فعل الحسنة وترك السيئة، والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا، فأمّا غير ذلك فلا تظنّه، فإن الظنّ له محبط للأعمال. فقال الرجل: فرّجت عنّي فرّج الله عنك، وأنشأ يقول:

أنت الامام الذي نرجو بطاعته ... يوم المآب من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربك بالإحسان احسانا

قال: وهذا الحديث موضح عن قوله عليه السلام في معنى العدل ونفي الجبر وإثبات الحكمة في أفعاله تعالى ونفي العبث عنها[2].

وقال الثاني: علي بن محمد عن سهل بن زياد واسحاق بن محمد وغيرهما رفعوه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه ثم قال له: أخبرنا عن مسيرنا الى أهل

---

(١) ص: ٢٧.

(٢) إرشاد المفيد: ١٢٠.

الشام بقضاء من الله وقدر؟ فقال عليه السلام له: أجل يا شيخ، ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن وادٍ إلّا بقضاء من الله وقدر. فقال له الشيخ: فعند الله أحتسب عنائي. فقال له: مه، فوالله لقد عظّم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرَهين، ولا إليه مضطرين. فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين، وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال عليه السلام له: وتظن أنّه كان قضاءً حتماً وقدراً لازماً؟ انّه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي. والزجر من الله، وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب، ولا محمدة للمحسن، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عَبدة الأوثان، وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان، وقدرية هذه الأمة ومجوسها، إنّ الله تعالى كلّف تخييراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يطع مكرِهاً، ولم يملّك مفوضاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشّرين ومنذرين عبثاً ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾. فأنشأ الشيخ...[١].

وروى الثالث مسنداً عن السكوني عن الصادق عليه السلام عن آبائه وعن الهادي عن آبائه عليهم السلام قال: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا الى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له: أجل يا شيخ، فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن وادٍ إلّا بقضاء من الله وقدر؟ فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي. فقال عليه السلام: مهلاً يا شيخ! لعلك تظن قضاءً حتماً

---

(١) الكافي ١: ١٥٥، ١.

وقدراً لازماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعيد والوعد، ولم يكن على مسيء لائمة، ولا لمحسن محمدة، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولىٰ بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عَبدة الأوثان، وخصماء الرحمن، وقدرية هذه الأُمة ومجوسها. يا شيخ! إنّ الله عزّوجلّ كلّف تخييراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾. فنهض الشيخ وهو يقول ـ الى أن قال زائداً على ما مرّ من الشعر ـ:

فليس معذرة في فعل فاحشة   قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قائلاً ناهيه أوقعه   فيها عبدتُ إذن يا قوم شيطانا
فلا أحَبَّ ولا شاءَ الفُسوقَ ولا   قتل الولي له ظلماً وعدوانا

ورواه مسنداً عن عبدالله بن نجيح عن جعفر عن محمد عن آبائه عليهم السلام، وعن عكرمة عن ابن عباس ـ الى أن قال ـ وذكر الحديث مثله سواء إلّا أنّه زاد: فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا وادياً ولا علونا تلعة إلّا بهما؟ فقال عليه السلام: الأمر من الله والحكم، ثم تلا هذه الآية ﴿وقضى ربُّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً﴾[1].

وقال ابن أبي الحديد: ذكره أبو الحسين في (غرره) في بيان أن القضاء والقدر قد يكون بمعنى الحكم والأمر.

وروى عن الأصبغ قال: قام شيخ إلى عليٍّ عليه السلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً إلّا بقضاء الله وقدره. فقال الشيخ: فعند الله

(١) التوحيد: ٣٨٠ ـ ٣٨٢. والآية ٣٣ من سورة الاسراء.

احتسب عنائي ما أرى عليّ من الأجر شيئاً. فقال: مه، لقد عظّم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين. فقال: وكيف والقضاء والقدر ساقانا؟ فقال: ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تك لائمة من الله لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبّاد الأوثان، وجنود الشيطان، وشهود الزور، وأهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله سبحانه أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يُعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾. فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلّا بهما؟ فقال: هو الأمر من الله والحكم، ثم تلا قوله سبحانه ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا إيّاه﴾[1].

قلت: ورواه الزمخشري في (فائقه) مثله[2].

قلت: شتان بينه عليه السلام وبين فاروقهم. روى الخطيب عن ابن مسعود قال: خطب عمر الناس بالجابية فقال في خطبته: ان الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. فقال قس من القسوس: ما يقول أميركم؟ هذا. قالوا: يقول: إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. فقال القس: برقست. الله أعدل من أن يضلّ أحداً فبلغ عمر ذلك فبعث اليه: بل الله أضلّك ولولا عهدك لضربت عنقك[3].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ والآية: ٢٣ من سورة الاسراء.

(٢) أورد الزمخشري أجوبة الامام علي عليه السلام على بعض الأسئلة المحيّرة راجع ١: ٧١ و ٢: ٣٣٥ من الفائق، دار المعرفة، تحقيق محمد أبي الفضل.

(٣) أورد أبو عبيد عن علي بن رباح عن أبيه: أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية، فقال: من أراد أن يسأل عن

قول المصنّف: (ومن كلام له عليه السلام للسائل) هكذا في (المصرية الأولى)[١] ولكن في ابن أبي الحديد: ومن كلامه عليه السلام للسائل الشامي. وفي (ابن ميثم): ومن كلام له للشامي[٢]. فالظاهر ان أصل النهج كان هكذا لصحّة نسختهما، فيرد عليه ان السائل لم يكن شامياً بل عراقياً شهد معه صفّين، كما صرّح به في طريق الصدوق. نعم ورد ورود شيخ شامي عليه عليه السلام في خبر آخر وسؤاله وسؤالات أُخر، فروى (الفقيه): أنه بينا أمير المؤمنين عليه السلام يعبّئ أصحابه للحرب إذ أتاه شيخ عليه سجية السفر، فقال له: إنّي أتيتك من ناحية الشام، وأنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضائل، وإنّي أظنّك ستُغتال، فعلّمني ممّا علّمك الله. قال: نعم يا شيخ، من اعتدل يوماه فهو مغبون ـ الى أن قال ـ فقال الشيخ: فأين أذهب وأدع الجنّة، وأرى الجنّة وأهلها معك...[٣].

(لمّا سأله أكان مسيرنا الى الشام بقضاء وقدر بعد كلام طويل هذا مختاره) إشارة الى قوله عليه السلام «ما علوتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلّا ولله فيه قضاء وقدر» وقوله: «مه يا شيخ فوالله لقد عظّم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين».

«ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً» قد عرفت أن لفظ الروايات «وقدراً حتماً» وهو أحسن، فلم نرَ استعمال «حاتم» إلّا بمعنى الغراب الأسود، كقوله:

القرآن فليأت أُبيّ بن.كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني. (كتاب الأموال لأبي عبيد: ٩٩ ح٥٤٨).

(١) نهج البلاغة ٣: ١٦٧ من الكلام ٧٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٧ ـ ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٧٤ وفيه: ومن كلام له عليه السلام للشامي.

(٣) الفقيه ٤: ٢٧٣ ح٩.

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم

وقوله:

وليس بهيّاب إذا شدّ رحله يقولُ عداني اليوم واق وحاتم[١]

هذا، وروى (مجالس المفيد) عن عيسى بن عمر قال: كان ذو الرمّة يذهب الى النفي في الأفعال، وكان رؤبة يذهب الى الإثبات فيها، فاجتمعا يوماً عند بلال ابن أبي بردة ـ وهو والي البصرة وكان يعرف ما بينهما من الخصومة ـ فحضّهما على المناظرة، فقال رؤبة: والله لا يفحص طائر فحوصاً ولا يقرمص سُبُعٌ قرموصاً إلّا كان ذلك بقضاء الله وقدره. فقال له ذو الرمّة: ما أذن الله للذئب أن يأخذ حلوبة عالة عيايل صرايل. فقال له رؤبة: أفبمشيته أخذها أم بمشية الله؟ فقال ذو الرمة: بل بمشيته. فقال رؤبة: هذا والله الكذب على الذئب. فقال ذو الرمة: والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على ربّ الذئب[٢].

«ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب» هكذا في (المصرية)[٣]، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم): «لو كان ذلك كذلك»[٤]. وهو الصحيح. هذا وقال محمود الوراق:

أعاذلُ لم آتِ الذنوب على جهل ولا انها من فعل غيري ولا فعلي

ولا جرأة مني على الله جئتها ولا أن جهلي لا يحيط به عقلي

ولكن بحسن الظن منّي بعفو من تفرّد بالصنع الجميل وبالفضل

فإن صدق الظنُّ الذي قد ظننته ففي فضله ما صدّق الظن من مثلي

---

(١) لسان العرب ١٥: ٤٠٥ مادة (وقى).

(٢) أمالي المفيد: ١٠٧ ح١٢٣٧.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٦٧ من الكلام ٧٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٧، وابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٧٤.

وإن نـــالني مـــنه العـــقاب فـــإنّما أُتيت من الإنصاف في الحكم والعدل

وفي (الطرائف): رووا أن أبا حنيفة اجتاز على موسى بن جـعفر عليه‌السلام فأراد امتحانه فقال له: المعصية ممن؟ فقال له: إجلس حتى أخبرك، فجلس بين يديه فقال له: لابد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما، فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده الضعيف ويأخذه بما لم يـفعله، وإن كـانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد فعليه وقع الأمر وإليه توجّه النهي، وله حق الثواب والعقاب، ووجبت له الجنّة أو النار. فقال أبو حنيفة: ﴿ذرّيَّة بعضها من بعض﴾[1].

«وسقط الوعد والوعيد» عن (المنية والأمل): كتب ابن عباس الى مجبّرة الشام: أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضـلّ المـتقون؟ وتـنهون النـاس عـن المعاصي وبكم ظهر العاصون؟ يا أبناء سلف المقاتلين وأعـوان الظـالمين، وخزّان مساجد الفاسقين، وعمّار سلف الشياطين، هل منكم إلّا مفتر على الله يحمل اجرامه عليه وينسبها علانية اليه؟ وهل منكم إلّا السيف قلادته والزور على الله شهادته؟ أعلى هذا تواليـتم أم عـليه تـماليتم؟ حـظكم مـنه الأوفـر، ونصيبكم منه الأكبر، عمدتم إلى موالاة من لم يدع لله مالاً إلّا أخذه، ولا مناراً إلّا هدمه، ولا مالاً ليتيم إلّا سرقه أو خانه، فأوجبتم لأخبث خلق الله أعظم حق الله، وتخاذلتم أهل الحق حتى ذلّوا وقلوا، وأعنتم أهل الباطل حتى غروا وكثروا[2].

أيضاً: كتب غيلان إلى عمر بن عبد العزيز: هل وجدت حكيماً يعيب ما يصنع، أو يصنع ما يعيب، أو يعذب على ما قضى، أو يقضي ما يعذب عليه؟ أم هل وجدت رشيداً يدعو الى الهدى ثم يضل عنه؟ أم هل وجدت رحيماً يكلف

---

(١) الطرائف ٢: ٣٢٨. والآية ٣٤ من سورة آل عمران.

(٢) المنية والأمل: ١٢٩.

العباد فوق الطاقة أو يعذبهم على الطاعة؟ أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم؟ وهل وجدت صادقاً يحمل الناس على الكذب والتكاذب بينهم؟ كفى بهذا بياناً، وبالعمى عنه عمى[1].

هذا، وفي (الطبري): إن المهدي كتب الى جعفر بن سليمان عامل المدينة أن يحمل إليه جماعة اتُّهموا بالقدر، فحمل إليه رجالاً منهم عبدالله بن محمد بن عمّار بن ياسر وعبدالله بن يزيد بن قيس الهذلي، وعيسىٰ بن يزيد بن داب الليثي، وإبراهيم بن محمد بن أبي بكر الأسامي، فأُدخلوا على المهدي، فانبرى له من بينهم عبدالله بن محمد بن عمّار فقال له: هذا دين أبيك ورأيه. قال: لا ذاك عمي داود. قال: لا الا أبوك، على هذا فارقنا، وبه كان يدين، فأطلقهم[2].

«إنَّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً» ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[3] ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى﴾[4].

«ونهاكم تحذيراً» ﴿ويحذّركم الله نفسه﴾[5].

«وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً» ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[6]، ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[7].

«وأعطى على القليل كثيراً» ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[8]، ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كلّ

---

(١) المنية والأمل : ١٣٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٨ : ١٧٨ .

(٣) الإنسان : ٣ .

(٤) فصلت : ١٧ .

(٥) آل عمران : ٢٨ و ٣٠ .

(٦) الحج : ٧٨ .

(٧) البقرة : ١٨٥ .

(٨) الأنعام : ١٦٠ .

سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾[١].

«ولم يعص مغلوباً» في (كنز الكراجكي): سأل أهل العدل المجبّرة عن مسألة ألزموهم بها، فقالوا لهم: أخبرونا عن رجل نكح إحدى المحرّمات عليه في أحد المساجد العظيمة في نهار شهر رمضان وهو عالم غير جاهل أتقولون ان الله تعالى أراد منه هذا الفعل على هذه الصفة. قالت المجبرة: بلى لله إرادة. قال لهم أهل العدل: أخبرونا عن إبليس هل أراد ذلك أم كرهه؟ قالت المجبرة: بلى هذا إنّما يريده إبليس ويؤثره. قال لهم أهل العدل: فأخبرونا لو حضر النبي صلى الله عليه وآله وعلم بذلك أكان يريده أم يكرهه. قالت المجبرة: بل يكرهه ولا يريده. قال لهم أهل العدل: فقد لزمكم على هذا أن تثنوا على إبليس وتقولوا إنّه محمود لموافقة إرادته لإرادة الله تعالى، وتذمّوا النبي لمخالفة إرادته لإرادة الله تعالى.

وقد كنت أوردت هذه المسألة في مجلس بعض الرؤساء وعنده جمع فقال أحدهم ـ وكان يميل الى الجبر ـ ان كانت هذه المسألة لا حيلة للمجبّرة فيها فعليكم أيضاً مسألة أُخرى لا خلاص لكم ممّا يلزمكم منها. فقلت: وما هي؟ فقال: إذا كان الله لا يشاء المعصية وإبليس يشاؤها ثم وقعت معصية من المعاصي فقد لزم من هذا أن تكون مشية إبليس غلبت مشية الله. فقلت له: انما تصح الغلبة عند الضعف وعدم القدرة، ولو كنّا نقول ان الله تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعة ويضطرّه إليها وان يحول بينه وبين المعصية بالقسر والالجاء لزمنا ما ذكرت، وقد أبان تعالى ذلك فقال ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أُمة واحدة﴾[٢] وقال ﴿ولو شئنا لاتينا كلّ نفس هداها﴾[٣] وإنّما لم

(١) البقرة : ٢٦١.

(٢) هود : ١١٨.

يفعل لما فيه الخروج عن سنن التكليف وبطلان استحقاق العباد للمدح والذم[٤].

وفي (الطبري): قال هشام بن عبد الملك لغيلان: ويحك! قد أكثر الناس فيك فنازعنا بأمرك فان كان حقّاً اتّبعناك، وإن كان باطلاً نزعت عنه. قال: نعم. فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه، فقال له غيلان: أشاء الله أن يُعصى؟ فقال له ميمون: أفعصي كارهاً، فسكت فقال هشام: أجبه فلم يجبه فقال هشام: لا أقالني الله إن أقلته، وأمر بقطع يديه ورجليه[٥].

«**ولم يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزّل الكتاب للعباد عبثاً**» قال الكراجكي: ممّا يدل على أنّه سبحانه لا يريد المعاصي والقبائح ولا يجوز أن يشاء شيئاً منها وانّه كاره لها ساخط لجميعها، فهو أنّه تعالى نهى عنها، والنهي إنّما يكون بكراهة الناهي للفعل المنهيّ عنه، ألا ترى أن أحدنا لا يجوز أن ينهى إلّا عمّا يكرهه، فلو كان النهي في كونه نهياً غير مفتقر إلى الكراهية؛ لم يجب ما ذكرناه، لأنّه لا فرق بين قول أحدنا لغيره: «لا تفعل كذا» وقوله: «أنا كاره له»، كما لا فرق بين قوله: «افعل» أمراً له وقوله: «إنّي مريد منك أن تفعل»، وإذا كان سبحانه كارهاً لجميع المعاصي والقبائح من حيث كان ناهياً عنها استحال أن يكون مريداً لها لاستحالة أن يكون مريداً وكارهاً لأمر واحد على وجه واحد.

ويدلّ على ذلك أيضاً أنّه لو كان مريداً للقبيح لوجب أن يكون على صفة نقص وذم إن كان مريداً له بلا إرادة، وان كان مريداً بإرادة وجب أن يكون فاعلاً لقبيح، لأن إرادة القبيح قبيحة. وقد دل السمع من ذلك على مثل ما دل

---

(٣) السجدة : ١٣ .

(٤) كنز الكراجكي: ٤٥ ـ ٤٦ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٣ .

عليه العقل، قال عزوجل: ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾[١]، ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾[٢] ﴿كلّ ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾[٣]، ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[٤] ونعلم أنّ الكفر أعظم العسر، وقال تعالىٰ ﴿وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون﴾[٥] فإذا كان خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يريد منهم غيرها، وقال تعالىٰ: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [٦].

وفي (الطرائف): سأل رجل من المجبّرة بعض أهل العدل عن آية ظاهرها أنّ الله أضلّهم. فقال له: تفصيل الجواب يطول عليك وربما لا تفهمه ولا تحفظه ولكن عرّفني: أما تعتقد أنت وسائر المسلمين أن القرآن نزل حجّة لمحمّد صلى الله عليه وآله فلو كانت هذه الآيات التي تتعلّق بها باطنها مثل ظاهرها في أنّه تعالى منع الكفار والعصاة من الطاعة كان القرآن نزل حجّة للكفار والعصاة للنبي على النبي، فكانوا يستغنون بهذه الآيات عن محاربته وقتل أنفسهم ويقولون له: إن ربّك الذي جئت برسالته وكتابك الذي جئت به؛ يشهدان أنّه قد منعنا عن الاسلام وقد لزمك تركنا، فكان القرآن يصير حجّة لهم عليه[٧].

«ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً وذلك» هكذا في (المصرية)[٨] والصواب: (ذلك) بلا واو كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٩] ﴿ذلك

---

(١) غافر : ٣١.

(٢) آل عمران : ١٠٨.

(٣) الاسراء : ٣٨.

(٤) البقرة : ١٨٥.

(٥) الذاريات : ٥٦.

(٦) كنز الكراجكي : ٤٤ ـ ٤٥. والآية ٧ من سورة الزمر.

(٧) الطرائف ٢ : ٣٢٨.

(٨) نهج البلاغة ٣: ١٦٧ من الكلام ٧٨.

(٩) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٧ ـ ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٧٤.

ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾[١].

قال الكراجكي: ان جناية المجبّرة على الإسلام كثيرة؛ بحملها المعاصي على الله تعالى وقولها: إنّه لا يكون ما أراده تعالىٰ، وإنّه لا قدرة للكافر على الخلاص من كفره، ولا سبيل للفاسق إلى ترك فسقه، وإن الله قضى بالمعاصي على قوم وخلقهم لها وجعلها فيهم ليعاقبهم عليها، وقضى بالطاعات على قوم وخلقهم لها وفعلها فيهم ليثيبهم عليها، وهذا الاعتقاد القبيح يسقط عن المكلف الحرص على فعل الطاعة والاجتناب عن المعصية، لأنّه يرى أنّ اجتهاده لا ينفع، وحرصه لا يغني. نعوذ بالله ممّا يقولون.

وأنشدت بعض أهل العدل:

سألت المخنّث عن فعله ... على م تخنثت يا ماذق

فقال ابتلاني بداء العضال ... وأسلمني القدر السابق

ولمت الزناة على فعلهم ... فقالوا بهذا قضى الخالق

وقلت لآكل مال اليتيم ... وأنت امرؤ فاسق

فقال ـ ولجلج في قوله ـ ... أكلت وأطعمني الرازق

وكلٌّ يحيل على ربّه ... وما فيهم أحد صادق[٢]

وفي (الطرائف): كان ثمامة في مجلس الخليفة وأبو العتاهية حاضر، فالتمس أبو العتاهية من الخليفة مناظرة ثمامة؛ فأذن له، فحرّك أبو العتاهية يده ـ وكان مجبّراً ـ وقال: من حرّك هذه؟ قال ثمامة ـ وكان يقول بالعدل ـ من أُمُّه زانية. فقال أبو العتاهية للخليفة: شتمني ثمامة في مجلسك. فقال ثمامة للخليفة: ترك مذهبه، يزعم أن الله حرّكها فلأي شيء غضب

---

(١) ص: ٢٧.

(٢) كنز الكراجكي: ٤٦.

وليس له أمر، فانقطع[١].

هذا، وروى ابن شعبة في (تحفه): أن الحسن البصري كتب الى الحسن بن علي عليه السلام: أما بعد! فانكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللُّجج الغامرة والأعلام النيّرة الشاهرة، وكسفينة نوح التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك، فإنّ من علم الله علمكم وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[٢].

فأجابه الحسن عليه السلام: وصل إليَّ كتابك، ولولا ما ذكرت من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذن ما أخبرتك، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه وأنَّ الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إنّ الله لم يُعصَ مكرهاً ولم يُعص مغلوباً، ولم يُهمل العباد سدى من المهلكة، بل هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييراً ونهاهم تحذيراً، فان ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صادّاً، وإن انتهوا إلى المعصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وان لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ولا أُلزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، ولله الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين[٣].

ورواه (المنية والأمل) مع اختلاف على نقل (جمهرة الرسائل)[٤].

---

(١) الطرائف ٢: ٣٤١.

(٢) آل عمران: ٣٤.

(٣) تحف العقول: ٢٣١.

(٤) المنية الأمل: ١٣٠، عن جمهرة الرسائل ٢: ٢٥ الرسالة ٢٥.

٢
الحكمة (٢٨٧)

وسُئِلَ عليه السلام عنِ القَدَرِ فقال:

طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكوه، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ، وَسِرُّ اللهِ فلا تَتَكَلَّفُوهُ.

أقول: الأصل فيه ما رواه ابن بابويه في (توحيده) باسناده عن عبد الملك بن عنترة عن أبيه عن جده قال: جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن القدر. فقال: بحر عميق فلا تلجه. قال: أخبرني عن القدر. فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: سرّ الله فلا تكلفه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. فقال أمير المؤمنين: أما إذا أبيت فإني سائلك، أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله. فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله لهم قبل أعمالهم. فقال: قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافراً. وانطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف اليه عليه السلام فقال: أبالمشية الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط، فقال: وانك لبعد في المشية، اما اني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاءوا. فقال: كما شاء. قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاءوا. فقال: لما شاء. قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤا. فقال: كما شاء. فقال: قم فليس لك من المشية شيء[١].

وروى ابن طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله) باسناده عن عبدالله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أعجب ما في الانسان قلبه ـ الى أن قال ـ فقام اليه رجل شهد وقعة الجمل فقال له: أخبرنا عن القدر. فقال: بحر عميق فلا

---

(١) توحيد المفضل: ٣٦٥ ح٣.

تلجه. فقال؛ أخبرنا عن القدر. فقال: سرّ الله فلا تبحث عنه. فقال: أخبرنا عن القدر. فقال: لما أبيت أمر بين الأمرين لا جبر ولا تفويض. فقال: ان فلاناً ـ لرجل حاضر ـ يقول بالاستطاعة. فقال عليه السلام: عليَّ به، فلما رآه قال له الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله ـ وإيّاك أن تقول واحدة منهما فترتد قال: فما أقول؟ قال: قل أملكها بالله ان شاء ملّكنيها...[1].

وروى قريباً منه في (الفقه الرضوي) ـ وزاد ـ ثم قيل له عليه السلام الرابعة: انبئنا عن القدر. فقال: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾[2].

وروى المصنّف: في (مجازاته النبوية) قريباً من معنى العنوان عن النبي صلى الله عليه وآله فقال: ومن ذلك قوله وقد سمع ناساً من أصحابه يتذاكرون القضاء والقدر انكم قد أخذتم في شعبين بعيدي الغور[3].

هذا القول مجاز لأنّه صلى الله عليه وآله شبه القضاء والقدر حقيقة علمهما ومعرفة كنههما بالشعبين اللذين غورهما بعيد واقتحامهما شديد وطالب غايتهما مجهود، يقول صلى الله عليه وآله: ان علمهما كالماء الغائر الذي لا يقدر عليه ولا يهتدى إليه.

قوله عليه السلام **«طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه»** روى (توحيد الصدوق) مسنداً عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: ألا إنّ القدر سرٌّ من سرِّ الله، وسترٌ من ستر الله، وحرزٌ من حرز الله، مرفوعٌ في حجاب الله، مطويٌّ عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ

---

(١) مطالب السؤول: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) فقه الرضا: ٤٠٨، والآية ٢ من سورة فاطر.

(٣) المجازات: ٣١٣.

عقولهم، لأنّهم لا ينالونه بحقيقة الربانيّة، ولا بقدرة الصمديّة، ولا بعظم النورانيّة، ولا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخر خالص لله تعالىٰ، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيّات والحيتان، تعلو مرة وتسفل أُخرىٰ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطّلع عليها إلّا الله الواحد الفرد، فمن تطلّع إليها فقد ضادّ الله تعالى في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسره[١].

وسئل بعضهم عن القدر فقال: الناظر في قدر الله كالناظر في عين شمس، يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها.

وسئل آخر عنه فقال: علم اختصمت فيه العقول، وتقاول فيه المختلفون، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا الى ما سبق علينا من حكمه.

هذا، وفي (اعتقادات الصدوق): روي أن أمير المؤمنين عليه‌السلام عدل عن حائط مائل الى مكان آخر، فقيل له: أتفرّ من قضاء الله؟ فقال: أفر من قضاء الله الى قدره.

وسئل عليه‌السلام أيضاً عن الرقية هل تدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر[٢].

هذا، وممّا ورد عنه عليه‌السلام في ذلك غير العنوانين ما رواه (التحف والتوحيد) عنه قال: الأعمال علىٰ ثلاثة أحوال: فرائض، وفضائل، ومعاصي؛ أما الفرائض فبأمر الله تعالى ورضائه، وقضائه وتقديره، ومشيته وعلمه، وأما الفضائل فليست بأمر الله، ولكن برضاء الله، وقضائه وقدره، ومشيته وعلمه، وأما المعاصي فليست بأمر الله، ولكن

---

(١) التوحيد : ٣٨٣ ح ٣٢.

(٢) اعتقادات الصدوق : ٧.

بقضائه وقدره وعلمه، ثم يعاقب عليها[١].

وفي (طرائف ابن طاوس): روى جماعة من العلماء أنّ الحجّاج كتب الى الحسن البصري وإلى عمرو بن عبيد وإلى واصل بن عطاء والى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم في القضاء والقدر. فكتب إليه الحسن: إن أحسن ما انتهى الينا ما سمعت من أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الذي نهاك دهاك، إنّما دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك». وكتب إليه عمرو: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول علي عليه السلام «لو كان الوزر في الأصل محتوماً كان الموزور في القصاص مظلوماً». وكتب إليه واصل: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول علي عليه السلام «أيدلُّك على الطريق ويأخذ عليك المضيق». وكتب اليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليه السلام «كل ما استغفرت الله منه فهو منك، وكلّما حمدت الله عليه فهو منه». فلما وصلت كتبهم الى الحجاج قال: لقد أخذوها من عين صافية[٢].

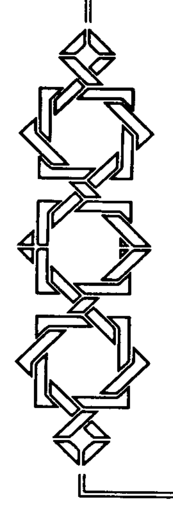
---

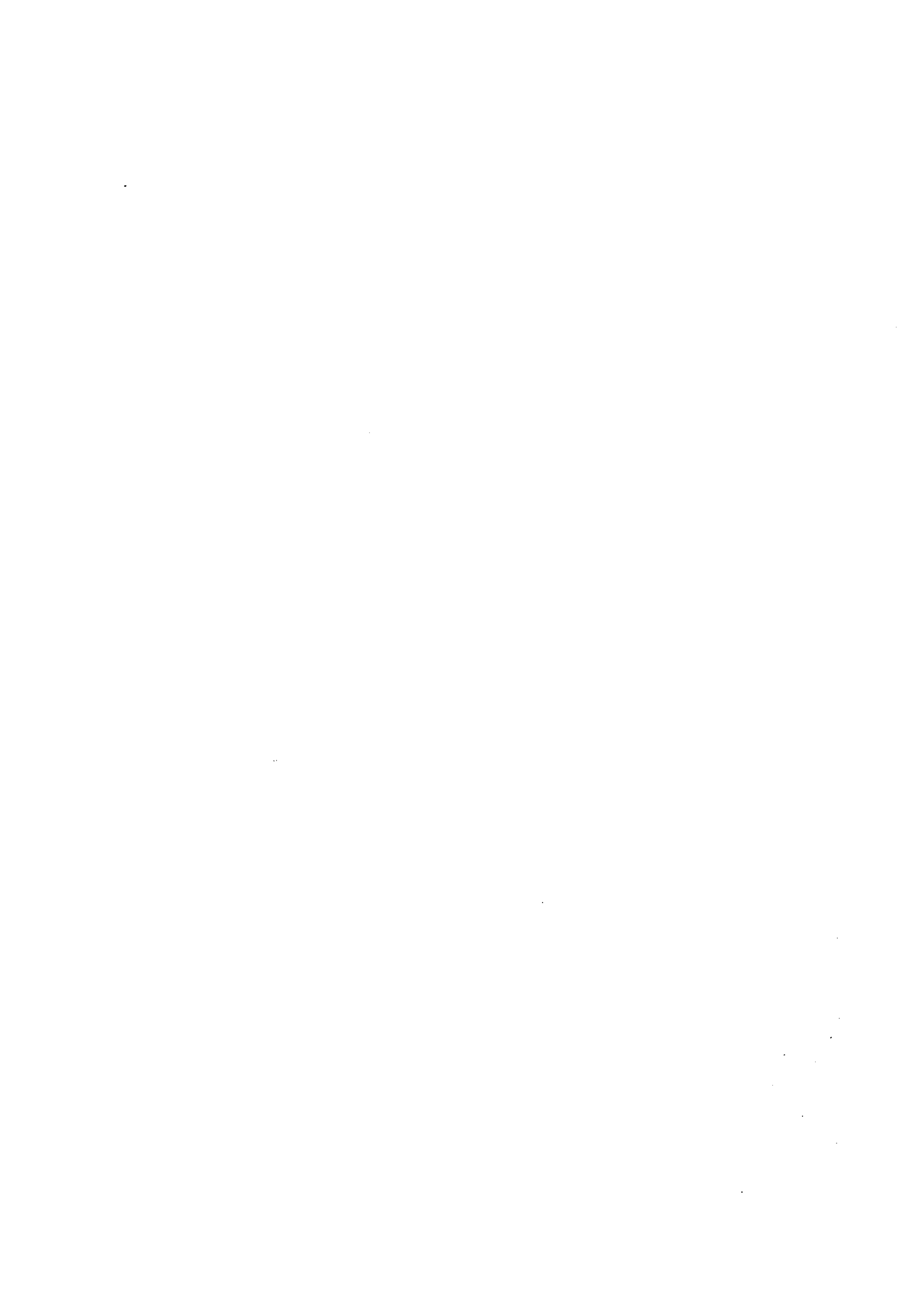
(١) التوحيد : ٣٦٩، ح٩ وتحف العقول: ٢٠٦.

(٢) الطرائف ٢: ٣٢٩.

الفصل الثامن والعشرون

في كلامه عليه السلام
الجامع لمصالح الدين والدنيا





١

الكتاب (٢٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العبّاس وكان ابنُ عبّاس يقول ما انتفعتُ بكلامٍ بعدَ كلام رسولِ الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَافَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ.

الكتاب (٦٦)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس، وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ

دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ، وَلٰكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ، وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ وَهَمُّكَ فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه)، والكليني في (روضته)، واليعقوبي في (تاريخه)، وسبط ابن الجوزي في (تذكرته)، ونقل عن (مجالس ثعلب) و(أمالي القالي) و(محاضرات الراغب)[١] و(دستور القاضي القضاعي)[٢].

قال الأول: وكتب عليه السلام إليه: أمّا بعد، فإن الإنسان قد يسرّه ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه وإن جهد. فليكن سرورك فيما قدّمت من حكم أو منطق أو سيرة، وليكن أسفك على ما فرّطت فيه من ذلك، ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر به حزناً، وما أصابك فيها فلا تبغ به سروراً، وليكن همّك فيما بعد الموت[٣].

وقال الثاني: عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن اسباط رفعه قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام الى ابن عباس: أما بعد، فقد يسرُّ المرء ما لم يكن ليفوته، ويحزنه ما لم يكن ليصيبه أبداً وإن جهد، فليكن سرورك بما قدمت من عمل صالح أو حكم أو قول، وليكن أسفك على ما فرّطت فيه من ذلك، ودع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه حزناً، وما أصابك منها فلا تنعم به سروراً، وليكن همّك فيما بعد الموت. والسلام[٤].

وقال الثالث: وكتب أبو الأسود ـ وكان خليفة ابن عباس بالبصرة ـ الى علي عليه السلام يعلمه أن عبدالله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب عليه السلام

(١) المحاضرات للراغب الاصفهاني ٢: ١٧٣.

(٢) دستور القضاعي: ٩٦، أمالي القالي ٢: ٩٤، وعبارة الأمالي تختلف عن النهج.

(٣) وقعة صفين: ١٠٧.

(٤) روضة الكافي ٨: ٢٤٠، ٣٢٧.

إليه يأمره بردها، فامتنع فكتب يقسم له بالله ليردنّها، فلما ردّها أو ردّ أكثرها كتب إليه: أما بعد، فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همّك لما بعد الموت. والسلام[١].

فكان ابن عباس يقول: ما اتّعظت بكلام قط اتّعاظي بكلام أمير المؤمنين[٢].

روى الرابع مسنداً عن المأمون عن آبائه عن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله كانتفاعي بكلام كتب به أمير المؤمنين عليه السلام إليّ: أمّا بعد، فإنّ المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما فاتك من الدنيا فلا تأسفنّ عليه، وليكن همّك فيما بعد الموت.

وروى السدّي هذا عن أشياخه، وقال عقيبه: كان الشيطان قد نزغ بين ابن عباس وبينه عليه السلام ثم عاد إلى موالاته[٣].

قول المصنّف: في الأول (وكان ابن عباس) هكذا في (المصرية)[٤] أخذاً عن (ابن أبي الحديد) وفي (ابن ميثم): «وكان عبدالله»[٥].

(يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله) ومن كلامه صلى الله عليه وآله له الذي انتفع به ما رواه اليعقوبي عنه قال: أردفني النبي صلى الله عليه وآله ثم قال لي: يا غلام! ألا أُعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ. قلت: بلى. قال: إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده

---

(١) مجالس ثعلب ١: ١٥٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٥.

(٣) تذكرة الفقهاء: ١٥٠.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٢٣ من الكتاب رقم ٢٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٤٠، وشرح ابن ميثم: ٣٨٤ السطر الثالث هكذا.

أمامك، أُذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدّة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جفَّ القلم بما هو كائن، ولو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فعليك بالصدق في اليقين، إنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً[١].

(كانتفاعي بهذا الكلام) قد عرفت أنّه روى هذا الكلام عنه سبط بن الجوزي وكذا اليعقوبي.

قوله في الثاني (وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية) هكذا في (المصرية)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد) «وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية» ومثله (ابن ميثم) لكن فيه (هذا الكتاب)[٣] وقد عرفت أن المقدم رواية الأخيرين، وهذه رواية الأوّلين ممّن نقلنا كلامه.

قوله عليه السلام في الأول **«أمّا بعد، فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه»** وفي الثاني (أما بعد فان المرء) هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: (العبد) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه» معناهما واحد وإنّما ٱختلف لفظهما، والمراد أنّ سروره وفرحه وكذا

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦٣ .

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٣٩ من الكتاب رقم ٦٦ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٨ .

(٤) نهج البلاغة ٣: ٢٣ من الكتاب رقم ٢٢ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٢٨، ابن ميثم (الطبع الحجري) ٤٥٨ هكذا .

مساءته وحزنه كانا هدراً وفي غير محلهما.

وفي (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي) قال علي عليه السلام: الشيء شيئان شيء قصر عنّي لم أُرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي، وشيء لا أناله دون وقته ولو استعنت عليه بقوّة أهل السماوات والأرض، فما أعجب أمر هذا الانسان يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت مالم يكن ليدركه، ولو أنّه فكّر لأبصر، ولعلم أنّه مدبر، وأقتصر على ما تيسّر ولم يتعرّض لما تعسّر، وأستراح قلبه ممّا استوعر، فبأيِّ هذين أُفني عمري، فكونوا أقل ما تكونون في الباطن أحوالاً أحسن ما تكونون في الظاهر أحوالاً، فان الله تعالىٰ أدّب عباده المؤمنين أدباً حسناً فقال جلّ من قائل ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً﴾[1].

وفي الأول «فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك» ﴿وان الدار الآخرة لهي الحيوان﴾[2].

«وليكن أسفك على ما فاتك منها» ومن أسماء يوم القيامة التغابن لأن الانسان يرى مغبونيته فيما فاته من الآخرة.

«وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً» قال تعالىٰ ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[3].

وفي (الأغاني) قال أعشى همدان:

فلا تأسفنّ على ما مضىٰ ... ولا يُحزننّك ما يُدبِرُ
فإن الحوادث تُبلي الفتى ... وإنّ الزمان به يَعثُر

(١) البقرة : ٢٧٣ .

(٢) العنكبوت : ٦٤ .

(٣) الحديد : ٢٣ .

فيوماً يُساء بما نابه ويوماً يُسَرُّ فيستبشرُ
ومن كلّ ذلك يَلقى الفتى ويُمنىٰ له منه ما يُقدَر[١]

وفي الثاني «فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك بلوغ لذة أو شفاء غيظ» فانّه يشارك في ذلك البهائم والسباع.

«ولكن اطفاء» نار «باطل أو احياء حق» ميت الذي هو عمل الأنبياء والأوصياء وهم العلماء والحكماء.

«وليكن سرورك بما قدمت» ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾[٢].

«وأسفك على ما خلفت» ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾[٣].

وفي الأول «وليكن همّك» وفي الثاني «وهمك» وفيهما «فيما بعد الموت» فأغبط الناس من نام تحت التراب وأمن العقاب ﴿ولتنظر نفس ما قدّمت لغدٍ﴾[٤].

هذا، ونظير وعظه لعبد الله بن عباس وعظ النبي صلى الله عليه وآله لأخيه الفضل بن العباس، روى (الفقيه في نوادر آخره) عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: قال الفضل: أُهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله بغلة أهداها له كسرى أو قيصر، فركبها بحبل من شعر وأردفني خلفه، ثم قال: يا غلام! احفظ الله[٥]... مثل ما مرّ عن اليعقوبي في قول النبي لعبد الله بن عباس نفسه، والظاهر أصحيّة ما في (الفقيه) من كون قوله صلى الله عليه وآله للفضل ولعل عبدالله سمعه من أخيه.

---

(١) الأغاني ٦: ٣٨ (في أخبار أعشى همدان).

(٢) المزمل: ٢٠.

(٣) الانعام: ٩٤.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) فقيه ٤: ٢٩٦ ح٧٦.

وقوله: «ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله» لا يستلزم أن يكون هو المخاطب، فيصدق مع كون أخيه المخاطب.

وكيف كان فقوله في هذا الخبر «كسرى أو قيصر» الترديد من الرواة، والصواب: قيصر بشهادة التاريخ، فإن كسرى غضب من كتاب النبي إليه ومزّق كتابه وإنما قيصر أهدى إليه هدايا.

ويمكن تأييد خبر اليعقوبي بما رواه كاتب الواقدي عن ابن عباس، قال: أُهدي النبي صلى الله عليه وآله بغلة شهباء، فبعثني الى أُم سلمة، فأتيته بصوف وليف ـ الى أن قال ـ ثم أردفني خلفه[1].

٢
الكتاب (٣١)

ومن وصية له للحسن بن عليّ عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين:

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ، ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمْرِ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ المَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ، وَغَرِيمِ المَنَايَا، وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ، وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ، وَقَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ، وَنُصُبِ ٱلْآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوح الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يُرَغِّبُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ وَالاهْتِمام بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي فَصَدَّقَنِي

(١) ابن سعد ١: ٢، ١٧٥.

رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فأفضى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ، أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَٱعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيما فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دِيارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيل قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِي مَا لَا تَعْرِفُ وَٱلْخِطَابَ فِي مَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلْأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَخُضِ ٱلْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهْ فِي ٱلدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلتَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ ٱلْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي ٱلْحَقِّ، وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي ٱلْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ ٱلْعَطَاءَ وَٱلْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ

ٱلْاستِخَارَةَ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً. فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُون أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى أَوْ فِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ. فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا قَدْ رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا ٱنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الْاسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَلَا أُجَاوِزُ لَكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِن تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ

إِلَيَّ مِن إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ. وَرَجَوْتُ أَنْ يُعَرِّفَكَ اللهُ لِرُشْدِكَ وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ. فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

وَاعْلَم يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ وَالاقْتِصَارُ على ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالأَخْذُ بِما مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبائِكَ، والصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ. فإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ ناظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَما أَنْتَ مُفكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الأَخْذِ بِما عَرَفُوا، والإِمْساكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا. فإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَما عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ وعُلوِّ الخُصُومِاتِ. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالاسْتِعانَةِ بِإِلٰهِكَ، والرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ في شُبْهَةٍ أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ. فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ وكانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً. فانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وفَرَاغ نَظَرِكَ وفِكْرِكَ، فاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّما تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ. وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ. وَالإِمْساكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُغْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوِ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ وَالِابْتِلَاءِ وَالْجَزَاءِ في الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ. فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ. فَإِنَّكَ أَوَّلَ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ. وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدُ ذَلِكَ؛ فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ،

وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فَارْضَ بِهِ رَائِداً وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَمْ تَبْلُغ في النَّظَر لِنَفْسِكَ ـ وَإِن اجْتَهدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

إلى أن قال:

يا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكْرَهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لَهَا، ولا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلاَ تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ. ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لَكَ.

واعْلَمْ أَنَّ الإعْجاب ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الألْبابِ، فاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا كُنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ أنَّ أمامَكَ طَرِيقاً ذا مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنى لَكَ فِيه عَنْ حُسْنِ الارْتِيادِ، وقَدْرِ بلاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ، وإذا وجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ إيَّاهُ وأكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فلا تَجِدُهُ، واغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِناكَ لِيَجْعَلَ قَضاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

واعْلَمْ أنَّ أمامكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، الْمُخِفُّ فِيها أحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالمُبطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وأنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحالَةَ عَلَى

جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُـزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْـمَنْزِلَ قَـبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولاَ إِلَى الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْاجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِـيَرْحَمَكَ، وَلَـمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُه عَنْكَ ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِـالنِّقْمَةِ، وَلَـمْ يـعَيِّرك بالْانَابَةِ وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَولَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِـي قَبُولِ الْانَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْـمَةِ، بَـلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَـنَةً، وَحَسَبَ سَـيِّئَتَكَ وَاحِـدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَبَابَ الاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْـتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدِكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَـمَتَى شِـئْتَ اسْـتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْاجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَـيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَـتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ.

إلى أن قال:

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ في سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ في الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ في المُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً، وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ مِنَ الكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ، وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا في الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا في يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا في يَدَ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ، وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ، مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ وَمَنْ فَكَّرَ أَبْصَرَ، قارِنْ أَهْلَ الخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعامُ الحَرَامُ، وظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الخُرْقُ رِفْقاً، رُبَّما كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُ دَوَاءً، ورُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ المُسْتَنْصَحُ. وَإِيَّاكَ وٱتِّكالَكَ على المُنَى فإنَّها بَضائِعُ النَّوْكَى، وَالْعقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ، وَخَيْرُ ما جَرَّبْتَ مَا وعَظَكَ، بادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ولا كُلُّ غائِبٍ يؤوب، وَمِنَ الْفَسادِ إِضاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ المَعادِ. وِلِكُلِّ أَمْرٍ عاقِبَةٌ

سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ لَكَ. التَّاجِرُ مُخاطِرٌ، ورُبَّ يَسِيرٍ أنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مُهِين، وَلَا في صَدِيقٍ ظَنِينٍ، ساهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ، احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللّطفِ وَالمُقَارَبَةِ وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى ٱلْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى ٱللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى ٱلْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لاَتَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي مَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلَى مَقَاطَعَتِكَ أقوَى مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ وَلاَ يَكونَنَّ عَلَى الاسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الاحْسَانِ، وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوأَهُ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِنْدَ الحَاجَةِ وَالجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى، إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ

فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، اسْتَدِلْ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ ، فإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ ، إِطَّرِحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِين ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعِنَاء ، وَرُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَرُبَّ بَعِيد أَقْرَب مِنْ قَرِيبٍ ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كانَ أَبْقَى لَهُ ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِك فَهُوَ عَدُوُّكَ ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكاً ، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ ، أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ ، وَقَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ ، سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ ، إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ مُضْحِكاً وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ، وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى

السَّقم وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ، وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

اسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. والسلام.

قول المصنّف: (ومن وصيّة له عليه السلام) في (محجّة ابن طاووس): قال أبو أحمد العسكري في كتاب (زواجره): ولو كان من الحِكَمِ ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه الوصية[١].

(للحسن بن علي عليه السلام) كون الوصية له عليه السلام أحد القولين واحدى الروايتين ذهب إليه ـ كالمصنف ـ ابن شعبة في (تحفه) ورواه الكليني في (رسائله)[٢]، وقول آخر إنها لابنه محمد بن الحنفية، ذهب إليه الشيخ والنجاشي في (فهرستيهما)، والصدوق في (نوادر آخر فقيهه)[٣].

قال الأول: روى الأصبغ عهد مالك الأشتر ووصية أمير المؤمنين عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية ـ الى أن قال ـ وأمّا الوصية فأخبرنا بها الحسين بن عبيدالله، عن الدوري، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن جعفر بن محمد الحسيني، عن علي بن عبدك الصوفي، عن الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام الى ولده محمد بن الحنفية[٤].

وقال الثاني أيضاً فيه: روى الأصبغ عنه عليه السلام عهد الأشتر ووصيته إلى

---

(١) كشف المحجة: ١٥٧.

(٢) كشف المحجة: ١٥٩ نقلا عن رسائل الكليني، وتحف العقول: ٦٨.

(٣) الفقيه ٤: ٢٧٥ ح١٠.

(٤) فهرست الطوسي: ٣٧ ـ ٣٨.

ابنه محمد، أخبرنا عبد السلام بن الحسين الأديب، عن أبي بكر الدوري عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج ـ الخ مثل (الفهرست)[١].

وروى (الكافي) الروايتين فقال في باب إكرام الزوجة: أبو علي الأشعري عن بعض أصحابنا عن جعفر بن عنبسة عن عباد بن زياد الأسدي عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر عليه السلام، وأحمد بن محمد العاصمي عمّن حدّثه عن معلى بن محمد البصري عن علي بن الحسّان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في رسالة أمير المؤمنين الى الحسن: لا تملّك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فإنَّ ذلك أنعم بحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها، فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تَعْدُ بكرامتها نفسَها، واغضض بصرها بسترك واكففها بحجابك، ولا تُطمِعها في أن تشفع لغيرها فيميل من شفعت له عليك معها، واستبق من نفسك بقية، فإنّ إمساكك نفسك عنهن وهن يرين أنّك ذو اقتدار خير من أن يرين منك حالاً على انكسار.

أحمد بن محمد بن سعيد عن جعفر بن محمد الحسني عن علي بن عبدك عن الحسن بن ظريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله إلّا انّه قال: كتب عليه السلام بهذه الرسالة إلى ابنه محمّد[٢].

ورواها أبو أحمد العسكري في (زواجره) كما نقل عنه علي بن طاووس في الفصل (١٦٣) من (محجته) بأربعة طرق:

أولها: جماعة عن علي بن الحسين بن إسماعيل عن الحسن بن أبي عثمان الادمي عن أبي حاتم عن يوسف بن يعقوب عن بعض أهل العلم.

---

(١) فهرست النجاشي: ٦.

(٢) الكافي ٥: ٥١٠ ح ٣.

وثانيها: أحمد بن عبد العزيز عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمة الزاهد عن صباح بن يحيى المزني، وعلي بن عبد العزيز الكاتب عن جعفر بن هارون بن زياد عن محمد بن علي الرضا عن آبائه عن جدّه عليهم السلام.

وثالثها: علي بن محمد بن إبراهيم التستري عن جعفر بن عنبسة عن عباد بن زياد عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام.

ورابعها: محمد بن علي عن محمد بن العباس عن عبدالله بن زاهر عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، كلّ هؤلاء حدّثونا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب بهذه الرسالة الى الحسن. قال وروى بطريق واحد أحمد بن عبد الرحمن بن فضّال القاضي عن الحسن بن محمد وأحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عن جعفر بن محمد الحسني عن الحسن بن عبدك عن الحسن ابن ظريف عن الحسن بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ قال: كتب عليه السلام الى ابنه محمّد[1].

وطرق كونها الى الحسن عليه السلام ـ وان كانت أكثر ـ فقد عرفت أن أبا أحمد العسكري رواها بأربعة طرق، والكليني رواه بطريق آخر في طريقه الثاني، وأما طريقه الأول فمتّحد مع طريق أبي أحمد فتصير الطرق فيه خمسة، وأما كونها الى محمد بن الحنفية فطريقه واحد، فان الطرق كلّهم من العسكري والكليني والطوسي والنجاشي «جعفر الحسني عن ابن عبدك» الى آخر السند، إلّا أن الأول فسّر ابن عبدك بالحسن والثلاثة بعلي، الا أن الذي يبعد كونها الى الحسن عليه السلام فضلاً عن مقام إمامته وعدم احتياجه الى تلك الوصية ـ بل الى عهد الامامة ـ أنّه عليه السلام كان في ذاك الوقت ابن ست وثلاثين سنة، لأن مولده كان في سنة اثنتين أو ثلاث، وصفّين كانت في سنة (٣٧)، وفي الوصية

---

(١) كشف المحجة: ١٥٧ ـ ١٥٨.

أنها كانت بعد صفّين، ومن فقرات الوصية «وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية»، ورواه (العقد) في كتاب (الزمردة) في المواعظ منه في عنوان «مواعظ الآباء»[١].

هذا، وقال ابن ميثم: روى جعفر بن بابويه أن هذه الوصية كتبها عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية[٢].

قلت: ليس لنا جعفر بن بابويه بل أبو جعفر بن بابويه أي: محمد بن علي بن الحسين، وقد عرفت أنّه قال ذلك في (نوادر آخر فقيهه)، ولا يبعد أن يكون بعض الفقرات قالها عليه السلام للحسن فخلطوهما فحصل هذا الاختلاف.

ويشهد لذلك أن في نقل (نوادر آخر الفقيه) بعد قوله: «فإنَّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة» «فدارِها على كلّ حال، وأحسن الصحبة لها فيصفو عيشك، إحتمل القضاء بالرضا، وإن أحببت أن تجمع خير الدنيا والآخرة فاقطع طمعك ممّا في أيدي الناس، والسلام عليك يا بنيَّ ورحمة الله وبركاته» وقال: هذا آخر وصيته لمحمد بن الحنفية[٣]، وقد عرفت أن النهج نقل بعد ذلك القول أموراً أُخر.

وكيف كان ففي روايات (الفقيه) زيادات[٤].

(كتبها إليه بحاضرين) قال ابن أبي الحديد: كنّا نقرأه قديماً بالحاضرين على صيغة التثنية، يعني حاضر حلب وحاضر قِنّسرين، وهي الأرياض والضواحي المحيطة بهذه البلاد، ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ولم يفسّروه، ومنهم من يذكره بصيغة الجمع ومنهم من يقول

---

(١) العقد الفريد ٣: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) شرح ابن ميثم: ٣٩٨.

(٣) الفقيه ٤: ٢٨٠.

(٤) الفقيه ٤: من السطر ١٧ من ص ٢٧٥ الى السطر ٧ من ص ٢٨٠.

بخناصرين يظنونه تثنية خناصرة أو جمعها، وقد طلبت هذه الكلمة في الكتب المصنفة، سيما في البلاد فلم أجدها، ولعلّي أظفر بها[١].

قلت: الظاهر أن «حاضرين» محرّف «قنسرين»، يشهد له طريق أبي أحمد الأول عن بعض أهل العلم قال: لما انصرف علي عليه السلام من صفين الى قنسرين كتب به الى ابنه الحسن «من الوالد الفان...»، ويجوز من حيث التقارب اللفظي أن يكون «بقاصرين»، ففي (فتوح البلاذري)؛ بعث أبو عبيدة جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين وقدم مقدمته الى بالس، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أقطعا القرى التي بالقرب منهما وجعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشام ـ الى أن قال ـ فلمّا كان مسلمة بن عبد الملك توجه غازياً للروم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه أهلها وأهل بولس وقاصرين وعابدين وصفّين وهي قرى منسوبة اليها...[٢].

ثم لا معنى لما قاله من كون «حاضرين» بصيغة التثنية بمعنى حاضر حلب وحاضر قنسرين، فالإنسان لا يكون بمحلين. وكيف كان ففي بلدان البلاذري كان حاضر قنسرين لتنوخ منذ ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل.

وروى أيضاً عن عبد الرحمن بن غنم قال: رابطنا مدينة قنسرين ـ الى أن قال ـ وكان حاضر طي قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجبلين ـ الى أن قال ـ وكان بقرب مدينة حلب حاضر تدعى حاضر حلب، تجمع أصنافاً من العرب تنوخ وغيرهم...[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٥٢.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ١٥٥.

(٣) فتوح البلاذري : ١٥٠.

وفي (الصحاح): الحاضر: الحيُّ العظيم، يقال: حاضر طَيِّءٍ، وهو جمع كما يقال سامر للسمّار وحاجٌّ للحُجّاج [١].

وأما قوله: «ومنهم من يقول بخناصرين يظنونه تثنية خناصرة أو جمعها» ففيه أن خناصرة ليس لها تثنية أو جمع، قال الحموي: خُناصرة بليدة من أعمال حلب وجعلها جران العود خناصرات، كأنّه جعل كلّ موضع منها خناصرة فقال «نظرت وصحبتي بخناصرات»[٢]. وبالجملة ليس لنا موضع يقال له حاضرين أو خناصرين بلفظ التثنية أو الجمع.

(منصرفاً من صفين) هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: (عند انصرافه من صفين) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

قوله عليه السلام «من الوالد الفان» نقله (المحجة) عن (رسائل الكليني) «من الوالد الفاني»[٥] وهو الأصل، وما هنا للازدواج مع قوله بعد «المقر للزمان».

هذا، ومن جيد ما قيل في الفناء:

دبَّ فـيّ الفناء علواً وسفلا ... وأراني أموت عضواً فعضوا
ليس من ساعة مضت بي إلّا ... نقصتني بمرّها بي حذوا

«المقرّ للزمان» قال الشاعر:

ليس الأمان من الزمان بممكن ... ومن المحال وجود ما لا يمكن
معنى الزمان على الحقيقة كأسمه ... فعلى مَ ترجو أنّه لا يزمن

وقال آخر:

---

(١) الصحاح ٢ : ٦٣٢.

(٢) معجم البلدان ٢ : ٣٩٠.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٤٢ ـ رقم ٣١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٩ ـ ابن ميثم : ٣٩٨ هكذا.

(٥) كشف المحجة : ١٥٩.

كانت قناتي لا تلين لغـامز فألانها الإصباح والإمساء

وقال البحتري:

إنّ الزمـان إذا تـتابع خـطوه سبق الطَّلوب وأدرك المطلوبا

«المدبر العمر» في (تاريخ بغداد): سأل أبو بكر بن أبي الدنيا يوسف بن يعقوب القاضي عن قوته فقال: أجدني كما قال سيبويه:

لايـنفع الهـليون والطـويفل إنخرق الأعلى وجار الأسفل

فكيف تجدك أنت فقال:

أراني فـي انـتقاص كـلّ يـوم ولا يبقى مع النـقصان شـي

طوى العصران ما نشراه مني فأخلق جدَّتي نشـرٌ وطـيٌّ[1]

«المستسلم للدهر» في ديوان النابغة لما بلغه مرض النعمان مشيراً إلى النفس:

تكـــلّفني أن أفــعل الدهــر هــمها وهل وجدت قبلي على الدهر قادراً[2]

ولآخر:

وما الناس في شيء من الدهر والمنىٰ

ومــا النــاس إلّا ســيقات المــقادر

وقيل في غلبة الدهر أبيات كثيرة منها:

الدهـر يـلعب بـالفتى لعب الصوالج بالكره

أو لعب ريح عـاصف عصفت بكف من ذره

الدهــر قــنّاص ومـا الإنســان إلّا قــنبره

ومنها:

---

(١) تاريخ بغداد ١٤ : ٣١١، بتصرف.

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٥٥، طبعة مصر سنة ١٩١١ .

برتني صروف الدهر من كلّ جانب ... كما ينبري دون اللحاء عسيب

ومنها:

ومن يك ذا عظمٍ صليب يُعِدُّه ... ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

ومنها:

الدهر أبلاني وما أبليته ... والدهر غيّرني وما يتغيّر

والدهر قيّدني بخط مبرم ... فمشيت فيه وكلّ يوم يقصر

ومنها:

حنتني حانيات الدهر حتّى ... كأنّي خاتل يدنو لصيد

وما أجاد ابن المعتز في قوله للوزير ابن الفرات:

أبا حسن ثبَّتّ في الأرض وطأتي ... وأدركتني في المعضلات الهزاهز

وألبستني درعاً عليَّ حصينة ... فناديتُ صرف الدهر هل من مبارز؟

فابن الفرات نفسه لم يسلم من صروف الدهر، إذ خلع عن الوزارة ثلاث مرات ونكب فيها وقتل أخيراً، فكيف آمنك يا ابن المعتز وأنت خليفة ليلة.

وفي (الأغاني): لما نعي النعمان بن المنذر إلى النابغة الذبياني وحدث بما صنع به كسرى ـ أي: من إلقائه تحت أرجل الفيلة ـ قال: طلبه من الدهر طالب الملوك، ثم تمثّل:

من يطلب الدهر تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناج غير مطلوب

ما من أُناس ذوي مجد ومكرمة ... إلّا يشدّ عليهم شدة الذيب

حتى يُبيد على عمد سراتهم ... بالنافذات من النُّبل المصابيب

إنّي وجدت سهام الموت معرضة ... بكل حتف من الآجال مكتوب[1]

ولما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور أنشدوا للمنصور قصيدة أبي

---

(١) الأغاني ٢: ١٤٦.

ذؤيب الهذلي في بنيه:

أمن المنون وريبه تتوجّع والدهر ليس بمُعتب من يجزع

فاستنشد المنشد أن ينشده قوله «والدهر ليس بمعتب من يجزع» مئة مرّة[1].

وفي (الدميري): يحكى أنَّ عضد الدولة خرج إلى بستان له متنزِّهاً فقال: ما أطيب يومنا هذا لو ساعدنا فيه الغيث، فجاء المطر في الوقت فقال:

ليس شرب الراح إلّا في المطر وغناءٌ من جوارٍ في السَّحر

ناعمات سالبات للنُّهى ناغمات في تضاعيف الوتر

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلّاب القدر

فلم يفلح بعد هذه الأبيات وعوجل بقوله: «غلّاب القدر»[2].

«الذام للدنيا» في (المعجم): دخل خيار النهدي على معاوية فقال له: ما صنع بك الدهر؟ فقال: صدع قناتي وشيّب سوادي وأفنى لذاتي وجرأ عليّ أعدائي ولقد بقيت زماناً آنس بالأصحاب وأسبل الثياب وآلف الأحباب، فباعدوا عني ودنا الموت مني[3].

وفي (بيان الجاحظ): دخل الهيثم بن الأسود العريان ـ وكان خطيباً شاعراً ـ على عبد الملك، فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني قد ابيضَّ مني ما كنت أحبُّ أن يسودّ، واسودَّ مِنّي ما كنت أُحبُّ أن يبيضَّ، واشتدَّ منّي ما كنت أحب أن يلين، ولانَ منّي ما كنت أحبُّ أن يشتدَّ، ثم أنشد:

اسمَعْ أُنبِّئكَ بآياتِ الكبر نوم العشاء وسعال بالسحر

---

(١) الأغاني ٦: ٢٧١ ـ ٢٧٢، بتصرّف.

(٢) حياة الحيوان للدميري ١: ١٣٣.

(٣) معجم الأدباء ١١: ٩٠.

وقـلّة النـوم إذا اللـيل اعـتكر ... وقـلّة الطـعم إذا الزاد حـضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر ... وحـــذراً أزدادُهُ إلى حـــذر
وتركي الحسناء في قبل الطهر ... والناس يبلون كما يَبلَى الشَّجر[1]

قلت: أشار في قوله: «إبيضّ وأسودَّ وأشتدّ» إلى شعره وسنّه وجِلدهِ وعظمه.

وقال آخر:

تنكّر لي مذ شبت دهري فأصبحت ... معـــارفه عـندي مـن النكـرات

وقال آخر أيضاً:

ألقى عليَّ الدهر رجـلاً ويـداً ... والدهر ما أصلح يوماً فسدا
يصلحه اليوم ويفسده غدا

وفي (الأغاني) عن مطرف بن عبدالله الهذلي عن أبيه عن جده قال: بينا أنا أطوف بالبيت ومعي أبي إذ أنا بعجوز كبيرة يضرب أحد لحييها الآخر، فقال لي أبي: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قال: هذه التي يقول فيها الأحوص:

يا سلم ليت لساناً تنطقين به ... قبل الذي نالني من حبّكم قطعا
يلومني فيك أقوام أجالِسُهم ... فما أُبالي أَطارَ اللّوم أم وقعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني ... حتى إذا قلت هذا صادق نزعا

فقلت له: يا أبه! ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قط، فضحك ثم قال: يا بنيَّ هكذا يصنع الدهر بأهله[2].

«السّاكن مساكن الموتى» قال الأعشى:

أَزالَ أُذَيْـــنَةَ عـن مـلكه ... وأخرَجَ من حِصنه ذا يَزَنْ

---

(١) البيان والتبيين ٢ : ٧٠.

(٢) الأغاني ٤: ٣٠٠ ـ دار احياء التراث العربي.

وخـــان الـنـعيمُ أبـا مــالكٍ وأيّ امرئ لم يخنه الزمـن
أزال المــــلوكَ فأفـــناهمُ وأخرج من بيته ذا حزن[١]

وقال في سيل العرم:

رخــام بَــنَتْهُ لهـم حِـمَيرٌ إذا جــاءه مــاؤهـم لم يَـرِمْ
فأروى الزروعَ وأعــنابها على سَعَةٍ ماؤهُم إذ قُسِـم
فـعاشوا بـذلك فـي غـبطة فجار بهم جـارفٌ مـنهزم
فــطار القــيول وقَــيْلاتُها بـيَهماء فـيها سـرابٌ يَـطِمْ
فطاروا سِراعاً وما يـقدرو نَ منه لشُربِ صبّيٍ فَطِمْ[٢]

وقال أبو العتاهية:

أنســاك مَـحْياك المـماتا فطلبتَ في الدنـيا الثـباتا
أَوَثِــــقْتَ بـــالدنيا وأنـ ـتَ ترىٰ جماعتها شَـتاتا
وعَزمت منك على الحـيا ة وطــولها عـزماً بـتاتا
يــامن رأى أبــويه فــيـ ـمن قـد رأى كـانا فـماتا
هـــل فـــيهما لك عـــبرة أم خلت أنّ لك انـفلاتا[٣]

«والظاعن» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: (الظاعن) كما في (ابن أبي الحديد وابن مـيثم والخـطية)[٥]، والظـاعن أي: المـرتحل (عـنها غـداً) وقـال الشاعر:

(١) ديوان الأعشىٰ: ٣٠٦.

(٢) ديوان الأعشىٰ: ٢٠١. والقيول: الواحد قيل لقب ملوك حمير، ويطم: يعلو.

(٣) الأغاني ٤: ٥٢.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٢ رقم ٣١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٩، شرح ابن ميثم ٣٩٨ هكذا (الطبع الحجري).

كــلٌّ تُــصبِّحه المـنـ ـيةُ أو تُـبَيِّته بـياتا[1]

هذا، وما أبعد البون بين هذا الرجل الذي هو سلطان الدين يصف نفسه بهذه الأوصاف وبين سلاطين الدنيا وعجبهم واغترارهم حتى ينسلخوا من الإنسانية ويدّعوا الربوبية، فكتب قابوس بن وشمكير إلى أصبهد له هجره ـ كما في ديوان معاني العسكري ـ وكيف تهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الانقياد كبعض خدمه؛ إذا رأت منه هشاشة أعشبت، وإن أحسّت منه بجفوة أجدبت، وكيف تستغني عمّن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالي والأيام، من هرب منه أدركه مكائدها ومن طلبه وجده في مراصدها، وكيف يعرض عمّن تعرض رفاهية العيش بإعراضه، وتنقبض الأرزاق بانقباضه، وأضاء نجم الإقبال إذا أقبل، وأهلّ هلال المجد إذا تهلّل، وكيف يُزهى على من تحقر في عينه الدنيا وتُرى تحته السماء العلياء، وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك، فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بعزته المجرّة وآثرت لمحاسنه أوضاح الثريا، بل كيف يهون من لو شاء عَقَدَ الهواء وجسم الهباء وفصل تراكيب الأشياء وألّف بين النار والماء، وأخمد ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير والسفر، وسد مناخر الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع، وقطع ألسنة الرعود بسيفه من الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد، ورفع عن الأرض سطوة الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل، وعرض الشيطان بمعرض الإنسان وكحل العيون بصور الغيلان، وأنبت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار ـ إلى أن قال ـ فإنّي لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمي لما وضعت عليها جانباً وان السماء لا تتوق إلى تقبيل

---

(١) الأغاني ٤ : ٥٢، والبيت لأبي العتاهية .

هامتي لما رفعت اليها طرفاً...[١].

«إلى المولود» أي: الولد «المؤمل ما لا يـدرك» فمحال أن يدرك أحد جميع آماله، ومن أدرك شيئاً منها فإنّما يدرك قليلاً من كثير.

تـمنّيت أن تـحيى حـياة هـنيئة وأن لا ترى كرّ الزمان بـلا بـلا
رويدك هذي الدار سجنٌ وقـلّما يمرُّ على المسجون يوماً بلا بلا

وأيضاً:

وأرجو من الأيام بالوصل عودة وتـلك أمـاني الـنفوس الكـواذب

«السالك سبيل من قد هلك» قال لقمان لابنه: إنّ الناس قـد جـمعوا قـبلك لأولادهم، فلم يبق ما جمعوه، ولم يبق من جمعوا له، وإنّما أنت عبدٌ مستأجر قد أمرت بعمل وَوُعِدْتَ عليه أجراً، فأوفِ عملك واستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر، فأكلت حتى سمنت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتـركتها، ولم ترجع اليها آخر الدهر...[٢].

«غرض الأسقام» أي: تجعله الأسقام هدفاً لها.

في (المروج): كان الجاحظ في علّته التي مات فيها يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدّة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بـالمقاريض مـا شعر به من خدره وبرده[٣].

«ورهينة الأيام» قال حميد بن ثور النميري:

ولا يلبث العصران يـوماً وليـلة إذا طـلبا أن يـدركا مـا تـمنّيا

---

(١) انظر ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) الكافي ٢: ١٣٤ ح ٢.

(٣) مروج الذهب ٤: ١٠٩.

إذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا

وقال الأعشى:

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء إلّا عناء معن
يظلّ رجيماً لريب المنون وللسقم في أهله والحزن
وهالك أهلٍ يُجنّونه كآخرَ في قَفْرةٍ لم يُجَن
وما إن أرى الدهر في صرفه يُغادِر مِن شارخٍ أو يَفَن[1]

«ورمية المصائب» كصيد رماه الصائد، قال عمرو بن قميئة من طبقة حجر أبي امرئ القيس:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمي وليس برام
فلو أنّني أُرمى بنبل رأيتها ولكنني أُرمى بغير سهام[2]

«وعبد الدنيا وتاجر الغرور» ﴿وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور﴾[3]

«وغريم» أي: مديون «المنايا» أي: الحوادث المقدرة، قال:

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو منى الحدثان

«وأسير الموت» ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة﴾[4] ﴿قل إنَّ الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم﴾[5].

«وحليف الهموم وقرين الأحزان» فإن الإنسان في كلّ وقت له مقاصد

---

(١) ديوان الأعشى: ٢٠٥.

(٢) الأغاني ١٨: ١٤٢، وفيه:

. . . . فما بال من يُرمى وليس برامِ
فلو أنّ ما أُرمى بنبلٍ رَمَيتُها ولكنما أُرمى بغير سهام

(٣) آل عمران: ١٨٥، والحديد: ٢٠.

(٤) النساء: ٧٨.

(٥) الجمعة: ٨.

لا تتيسر له فهو دائماً رهين همّ وقرين حزن.

وإذا عددت سني ثم نقصتها زمن الهموم فتلك ساعة مولدي

«ونصب الآفات» أي: جعل منصوباً في مقابلها «وصريع الشهوات» أي: مهلكها الطريح على الأرض.

وقد عدّد الله تعالى شهوات الدنيا في قوله عزّوجل ﴿زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[(١)]، ولاسيما حبّ النساء، وقد هلك جمع فيهن، وقد ألّف فيه بعضهم كتاباً سمّاه «مصارع العشّاق» جمع فيه من مات منهم بحبِّهن[(٢)].

هذا، ومن الشعراء موسى شهوات، قال ابن قتيبة في (شعرائه): لُقِّب «شهوات» لأن عبدالله بن جعفر كان يتشهى عليه الشهوات فيشتريها له ويتربّح عليه[(٣)].

وفي (زهر آداب الحصري): لُقِّب مسلم بن الوليد الأنصاري صريع الغواني والصريع لقوله:

صريع غوانٍ راقهنّ ورُقنه لدن شبَّ حتّى ابيضَّ سود الذوائب
هل العيش إلّا أن تروح مع الصبا صريع حميّا الكأس والحدق النجل

وفي (وزراء الجهشياري): خلف المنصور في بيوت الأموال تسعمئة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم، وكان أبو عبيدة وزير المهدي أوّلاً يشير عليه بالاقتصاد وحفظ الأموال، ولما صار يعقوب بن داود وزيره زيّن

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) انظر مصارع العشاق تأليف الشيخ ابي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج القاري(رحمه الله).

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٣٦٦، طبعة دار صادر بيروت.

له هواه فأنفق المال وأكبّ على اللذّات والشرب وسماع الغناء، ففي ذلك يقول بشار:

بني أُمية هبوا طال نومكم	إنّ الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطّلِبُوا	خليفة الله بين الزِّقِّ والعود[1]

«وخليفة الأموات» قيل إنّ صوفياً أراد دخول قصر إبراهيم بن أدهم أيام ملكه فمنعه الحاجب فقال: لِمَ تمنعني وهذا خان. قال: تسمّي قصر الملوك خاناً. قال: من كان قبل الملك فيه؟ قال: أبوه. قال: وقبله. قال: جدّه. فقال: وهل الخان إلّا من يرحل منه إنسان وينزله آخر، فسمع ذلك إبراهيم من فوق قصره فترك ملكه.

هذا، وفي (المروج) قال المنصور يوماً للربيع: ما أطيب الدنيا لولا الموت. فقال له الربيع: وما طابت إلّا بالموت. قال: وكيف ذلك؟ قال: لولا الموت لم تقعد هاهنا. قال: صدقت[2].

سل الدور تخبر وأفصِحْ بها	بأن لا بقاء لأربابها

هذا، وقال ابن أبي الحديد: عدّ عليه السلام من صفات نفسه سبعاً ومن صفات ولده أربع عشرة، فجعل بازاء كلّ واحدة ممّا له؛ إثنتين ممّا لولده. ومن جيّد ما وصف شاعر نقص الدهر من قواه قول عوف بن محلّم الشيباني في عبد الله بن طاهر أمير خراسان:

يا ابن الّذي دان له المشرقان	وألبس الأمن به المغربان
إنّ الثمانين وبُلِّغْتَها	قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ومن الشعر القديم الجيّد في هذا المعنى قول سالم بن عونة الضبّي:

(١) الوزراء والكتّاب: ١١٨.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٠٢.

لا يبعَدَنّ عصرُ الشباب ولا لذّاتـــه ونـــباته النـضر

إلى أن قال:

أولم تَـرَيْ لقـمان أهـلكه ما اقتات من سنة ومن شهر

جعل الزمان كالقوت له، ومن اقتات الشيء أكله، والأكل سبب المرض والمرض سبب الهلاك[1].

قلت: أما قوله «جعل بإزاء كلّ واحدة مما له آثنتين مما لولده» فليس بجيّد، لأنّه لم يجعل وصفاً أزاء وصف ومقابلاً له، بل الكلّ من واد واحد للتنبيه على نقص الدنيا حتى لا يغترّ بها، وإنّما ضاعف عليه السلام أوصاف ولده لأن الشابّ آماله أكثر.

كما أن ما نقله من أبيات الشاعرين ليست في معنى كلامه عليه السلام، فإنّ الشاعرين في مقام مدح الشباب وذم الشيب، وهو عليه السلام بصدد ذمّ أصل الدنيا شبابها وشيبها وأصلها وفرعها.

كما ان ما فسّر به المصراع الأخير بارد، وإنّما المراد أنّ لقمان أكل سنته وشهره وكانا قوته ومادة حياته، فبقي بعد أكله لهما بلا قوت فهلك.

«أمّا بعد فإنّ فيما تبيّنت من أدبار الدنيا عنّي وجموح» من جمح الفرس براكبه: إذا صار بحيث لا يملكه.

«الدهر عليّ وإقبال الآخرة إليّ ما» من الغريب أن محشّي (المصرية) كتب «ما» خبر[2] «إن» مع أنّه واضح كونها آسمها، كما أنّ قوله وروي فإنّني فيما تبيّنت، وعليه فما مفعول «تبيّنت» أيضاً بلا معنى «يرغبني» هكذا في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٥٤ ـ ٥٦ .

(٢) نهج البلاغة ٣: ٤٣، الهامش رقم ٣.

(المصرية)[1] والصواب: (يزعني) أي: يمنعني كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي».

في (وزراء الجهشياري): لما مات عمر بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي بحبَّتَيْ عنب اعترضتا في حلقه؛ صار إليهم سفيان بن عيينة معزّياً، فأنشدهم بيت عمران بن حطان:

وكيف أُعزِّيك والأحداث مقبلةٌ　　　فيها لكل امرئٍ من نفسه شغل[3]

وفي (البيان) غمّضت أعرابية ميّتاً ثم قالت: ما أحق من أُلبس العافية وأطيلت له النظرة؛ ألّا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته، والحيالة بينه وبين نفسه[4].

ورأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته فقال: أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته، أعوذ بك ياربِّ من فجئات الأمور، يا بني سعد! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي. ولزم بيته.

هذا، وواضح أن المراد بقوله عليه السلام «والاهتمام بما ورائي» من أمور الدنيا وأهلها، وأغرب محشّي المصرية الأولى فقال: أي: عن الاهتمام بما ورائي من أمر الآخرة[5].

«غير أنّي حيث تفرّد بي دون هموم الناس همّ نفسي» ﴿عليكم أنفسكم لا

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٥٧ ـ شرح ابن ميثم (الطبعة الحجرية): ٣٩٩ هكذا.

(٣) الوزراء والكتّاب: ١١٦.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ٣: ٤٠٦، بتصرف.

(٥) نهج البلاغة ٣: ٤٣.

يضرّكم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾[١].

«فصدّقني رأيي» ومن أمثالهم «صدقني سن بكرة»، وأصله أنّ رجلاً ساوم رجلاً في بكر فقال: ما سنّه؟ فقال صاحبه: بازل، ثم نفر البكر فقال له صاحبه «هدع هدع»، وهذه لفظة تسكن بها صغار الإبل، فلّما سمعه المشتري قال: صدقني سن بكرة.

ومن أمثال الميداني قال أبو عبيدة: يروى عن علي عليه السلام أنّه أُتي فقيل له: إنّ بني فلان وبني فلان اقتتلوا، فغلب بنو فلان؛ فأنكر ذلك. ثم أتاه آتٍ فقال: بل غلب بنو فلان ـ للقبيلة الأُخرىٰ ـ فقال عليه السلام: صدقني سن بكرة.

قال أبو عمرو: دخل الأحنف على معاوية بعد علي عليه السلام فقال له معاوية: أما إنّي لم أنس اعتزالك يوم الجمل ببني سعد ونزولك بهم سفوان وقريش تذبح بناحية البصرة ذبح الحيران، ولم أنس طلبك إلى ابن أبي طالب أن يدخلك في الحكومة لتزيل عنّي أمراً جعله الله لي، ولم أنس تحضيضك بني تميم يوم صفّين على نصرة عليّ، فلما خرج من عنده قيل للأحنف: ما قال لك معاوية؟ قال: صدقني سن بكرة ـ أي: خبّرني بما انطوت عليه ضلوعه[٢].

«وصرفني عن هواي» ﴿ولا تتبع الهوىٰ فيضلّك عن سبيل الله﴾[٣] وقالوا «من هوي هوىٰ»[٤].

«وصرح لي» من «لبن صريح» ذهبت رغوته.

---

(١) المائدة: ١٠٥.

(٢) الميداني ١: ٣٩٢.

(٣) ص: ٢٦.

(٤) الروايات بهذا المعنى كثيرة كقول أمير المؤمنين عليه السلام من أطاع هواه هلك (غرر الحكم) ولكن لم أجد رواية بهذا اللفظ في البحار ولا في الغرر ولا في وسائل الشيعة ولا في النهج ولا في ميزان الحكمة.

«محض أمري» ومن أمثالهم «صرّح الحق عن محضه»[١]، «صرّح المخض عن الزبد»[٢]، «صرحت بجلذان»[٣] قيل جلذان موضع بالطائف مستوٍ لا خمر فيه يتوارى به.

«فأفضى» أي: جر.

«بي إلى جدّ لا يكون فيه لعب، وصدق لا يشوبه كذب، ووجدتك» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: (وجدتك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥]، ولأنّه جواب «حيث» فلا وجه للواو.

«بعضي بل وجدتك كلّي» فقالوا «أولادنا أكبادنا»[٦].

وفي الخبر قيل للنبي صلى الله عليه وآله: ما بالنا نجد بأولادنا ما لايجدون بنا؟ قال: لأنهم منكم ولستم منهم[٧].

وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام رأت أُم الفضل امرأة العباس كأنّ عضواً من أعضاء النبي في بيتها، فأخبرت النبي بذلك فقال لها: تلد فاطمة غلاماً فترضعينه

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ١: ٣٩٨، الزمخشري ٢: ١٤٠.

(٢) مجمع الأمثال للميداني ١: ٤٠٥.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ١: ٤٠٥، الزمخشري ٣: ١٤٠.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٥٧، وشرح ابن ميثم: ٣٩٩ السطر العشرون هكذا.

(٦) هذه العبارة جزء ممّا روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال: أولادنا أكبادنا، صغراؤهم امراؤنا، كبراؤهم أعداؤنا، فان عاشوا فتنونا وان ماتوا أحزنونا.

راجع بحار الأنوار (طبع المكتبة الإسلامية «ايران») ١٠٤: ٩٧ ح٥٨ نقله المجلسي (ره) عن جامع الأخبار: ١٠٥.

(٧) أنظر بحار الأنوار ١٠٤: ٩٣، نقله المجلسي رحمه الله عن مكارم الأخلاق ١: ٢٥٣ هكذا: «سأل رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال: مالنا...».

بلِبانِ ابنك قُثَمَ[١].

وفي (تاريخ بغداد): حضر مجلس ابن السراج يوماً بنيٌّ له صغير، فأظهر من المحبّة له ما يكثر، فقال له بعض الحاضرين: أتحبُّه؟ فقال متمثلاً:

أحبُّه حبَّ الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله[٢]

«حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني» ممّا قيل في الاتحاد قول جرير:

وكأني بالأباطحِ من صديق يراني لو أُصبت هو المصابا

وقال آخر:

مُزِجَتْ روحك في روحي كما يمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسّك شيء مسّني فإذا أنت أنا في كلّ حال

وقال آخر:

جُعِلَتْ روحك في روحي كما يجعل العنبر في المسك الفتق

فإذا مسّك شيء مسّني فإذا أنت أنا لا نفترق

«وكأنّ الموت لو أتاك أتاني» دفن اعرابي ابنه ثم قال:

دفنت بنفسي بعض نفسي فأصبحت وللنفس منها دافن ودفين

«فعناني» أي: أهمّني.

«من أمرك ما يعنيني من نفسي، فكتبت إليك كتابي» هكذا في (المصرية)[٣] أخذاً «كتابي» من (ابن أبي الحديد) وكان عليه أن يأخذ منه بعده «هذا» أيضاً.

---

(١) أُنظر نسب قريش: ٢٤، ولعلّ نقل المصنّف بتصرف كبير أخلّ بالمعنى، فان أُم الفضل امرأة العباس رأت فيما يرى النائم كأنّ عضواً...

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٣٢٠ بتصرف.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٤٣.

والكلمتان في (ابن ميثم والخطية) أيضاً[١].

«مستظهراً به ان أنا بقيت لك أو فنيت» فيكون الكتاب خلفاً منه لو فني، والمعين لو بقي. قال الشاعر:

أبُنَيّ إنّ أباك كارب يومه ... فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل

«فاني أوصيك بتقوى الله» هكذا في (المصرية)[٢] وفيها سقط فبعدها «أي بني» قال تعالىٰ ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[٣].

«ولزوم أمره» قال تعالىٰ ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[٤].

«وعمارة قلبك بذكره» ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[٥].

«والاعتصام بحبله» ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[٦].

«وأيّ سبب» أي: حبل.

«أوثق» أي: أحكم.

«من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به» ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها والله سميعٌ عليم﴾[٧].

«أحي قلبك بالموعظة» ﴿إستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٥٧ (فكتبت اليك كتابي) ـ وفي ابن ميثم، الطبعة الحجرية ٣٩٩ (فكتبت اليك كتابي هذا).

(٢) نهج البلاغة ٣: ٤٣.

(٣) التغابن: ١٦.

(٤) النور: ٦٣.

(٥) الرعد: ٢٨.

(٦) آل عمران: ١٠٣.

(٧) البقرة: ٢٥٦.

يحييكم﴾[١] ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾[٢].

«وأمته بالزهادة» ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[٣].

ولا يخفى لطف قوله عليه السلام «أحي قلبك وأمته»، والمراد إحياؤه بالنسبة إلى الآخرة وإماتته بالنسبة إلى الدنيا، وأكثر الناس بالعكس. وزاد في رواية الكليني «وأسكنه بالخشية وأشعره بالصبر»[٤].

«وقوّه باليقين» ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين* لترون الجحيم﴾[٥].

«ونوّره بالحكمة» ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[٦].

«وذلّله بذكر الموت» ﴿قل إنّ الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم ثم تردُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون﴾[٧].

«وقرّه بالفناء» ﴿إنما هذه الحياة متاع وان الآخرة هي دار القرار﴾[٨].

«وبصّره فجائع الدنيا وحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيام» في (الأغاني): كانت خرقاء بنت النعمان إذا خرجت إلى بيعتها يَفرش لها طريقاً بالحرير والديباج مغشّى بالخزّ والوشي ثم تقبل في جواريها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها، فلما هلك النعمان نكبها الزمان فأنزلها من الرفعة إلى الذلّة، فلما وفد سعد القادسية أميراً عليها وانهزم الفرس وقتل رستم؛ أتته في حفدة من قومها وجواريها عليهن المسوح والمقطعات السود تطلب

---

(١) الانفال : ٢٤.

(٢) فاطر : ٢٢.

(٣) الحديد : ٢٣.

(٤) كشف المحجة : ١٦٠.

(٥) التكاثر: ٥، ٦.

(٦) البقرة : ٢٦٩.

(٧) الجمعة : ٨.

(٨) غافر : ٣٩.

صلته، فقال لهن: أيتكن خرقاء؟ قالت: ها أنا ذه إنّ الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال، كنّا ملوك هذا المصر يُجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتّت شملنا، وكذلك الدهر ليس يأتي قوماً بمسرّة إلّا ويعقبهم بحسرة، ثم قالت:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... اذا نحن فيهم سوقة ليس تُعرف

فأُفّ لدنــــيا لا يــدوم نـعيمها ... تــقلب تــارات بــنا وتــصرّف

وقال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي: دخلت على أُمـي يـوم أضـحى وعندها امرأة في أثواب دنسة، فقالت: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هي عنابة أم جعفر البرمكي، فسلّمت عليها وقلت لها: حدِّثيني ببعض أمركم. فقالت: أذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر، لقد هجم عليَّ مثل هـذا اليـوم وعـلىٰ رأسـي أربعمئة وصيفة وأنا أزعم أن ابني جعفر عاق لي، وقد أتيتكم اليوم أسألكم جِلدَيْ شاتين بشعار ودثار.

وكان الفضل بن مروان وزير المعتصم جالساً يوماً لاشغال الناس، فرفعت إليه قصص العامة، فرأى فيها رقعة مكتوباً فيها هذه الأبيات:

تفرعنتَ يا فضل بن مروان فاعتبر ... فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثــلاثة أمــلاك مـضوا لسـبيلهم ... أبــادتهم الأقـياد والحـبس والقـتل

وإنّك قد أصبحت فـي النـاس ظـالماً ... ستودي كما أودى الثـلاثة مـن قـبل

أراد الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل، ثـم نكـبه المعتصم فقالوا:

ليبك على الفضل بن مروان نـفسه ... فـليس له بـاك مـن النـاس يـعرف

لقد صحب الدنـيا مـنوعاً لخـيرها ... وفـارقها وهـو الظـلوم المـعنف

إلى النار فليذهب ومـن كـان مـثله ... عـلى أيِّ شـيء فـاتنا مـنه نأسـف

ولأبي الفتح المعرّي:

الدهـــر خـداعـة خـلوب فـلا تغرنك الليالي فبرقها خلب كـذوب
وأكـــثر النـــاس فـــاعتزلهم قـــوالب مـــا لهـــم قـــلوب

«وأعرض عليه أخبار الماضين وذكّره بما أصاب قبلك من الأولين» في (الأغاني) عن عدي بن زيد:

لم أر مثلَ الفِتيان في غَبَنِ الأ يّـام يـنسون مـا عـواقـبها
ينسون إخـوانـهم ومـصرعهم وكـيف تـعتاقُهُم مـخالبُها
ماذا تُرجي النفوسُ مِن طلب الـ ـخير وحبُّ الحياةِ كـارِ بُـها
تـظنّ ان لن يـصيبها عَـنَتُ الـ ـدَّهرِ وريبُ المنون صـائبُها[1]

«وسر في ديارهم وآثارهم» ﴿قل سيروا في الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾[2]، ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾[3].

«فانظر فيما فعلوا» هكذا في (المصرية)[4] والصواب: (مافعلوا) بدون «في» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[5].

«وعمّا انتقلوا وأين حلّوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد أنتقلوا» هكذا في (المصرية)[6] والصواب: (انتقلوا) بدون قد كما في (ابن أبي الحديد

(١) الأغاني ٢: ١٤٧ طبعة دار الكتب.
(٢) الانعام: ١١.
(٣) النمل: ٦٩.
(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٤.
(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٢ والطبعة المصرية، وابن ميثم الطبعة الحجرية ٤٠٠ السطر السادس (فانظر ما فعلوا).
(٦) نهج البلاغة ٣: ٤٤ السطر الثامن.

وابن ميثم والخطية)[١].

«عن الأحبة وحلوا ديار الغربة» وزاد ابن شعبة في روايته «وناد في ديارهم: أيتها الديار الخالية ـ أين أهلك ـ ثم قف على قبورهم، فقل: أيّتها الأجساد البالية، والأعضاء المتفرّقة، كيف وجدتم الدار التي أنتم بها»[٢].

في (كامل المبرد): نزل النعمان بن المنذر في ظلّ شجرة مونقة ليلهو ومعه عدي بن زيد، فقال له: أبيت اللعن أتدري أيّها الملك ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا. قال تقول:

من رآنا فليحدِّث نفسه ... أنّه موفٍ على قرن زوال
وصروف الدهر لا تبقى لها ... ولما تأتى به صمّ الجبال
رُبّ ركب قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فُدُم ... وجياد الخيل تردى في الجلال
عمّروا الدهر بعيش حسن ... قطّعوا دهرهم غير عجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم ... وكذاك الدهر حالاً بعد حال[٣]

وفي (الجهشياري): خرج عمر بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي متنزهاً ومعه جماعة من أهله وأقاربه ومعه سفرة وفواكه، فقدمت إليه سلّة فيها عنب، فأخذ منها حبتين فألقاهما في فيه فاعترضتا في حلقه، فلم ينزلا ولم يصعدا حتى مات، فقال ابن أخيه داود بن علي:

غدا صحيحاً مع الأحياء مغتبطاً ... والآن ميتاً بقربي أهله عمر
فاحتلّ قبراً لدى قبر أبوه به ... يعلوهما نضد الأحجار والمدر[٤]

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٢، السطر السادس (قد انتقلوا).

(٢) تحف العقول: ٦٩.

(٣) الكامل للمبرد ١: ٣٩٩ ـ ٤٠٠ بتصرف.

(٤) الوزراء والكتّاب: ١١٦.

وفي (الأغاني): عن رجل من أهل صنعاء قال: حفروا حفيراً في زمن مروان فوقفوا على أزج له باب، فإذا هم على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه «أنا علس ذو جدن القيل كان لخليلي مني النيل ولعدوّي مني الويل، طلبت فأدركت وأنا ابن مئة سنة من عمري، وكانت الوحش تأذن لصوتي، وهذا سيفي ذو الكف عندي، ودرعي ذوات الفروج، ورمحي الهزبري، وقوسي الفحواء، وقرني ذات الشرّ فيها ثلاثمئة حشر من صنفه ذي نمر، أعددت كلّ ذلك لدفع الموت عني فخانني» قال: فنظرنا فجميع ذلك عنده.

«وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم» روى (الأغاني) عن ابن بُسخُنَّر قال: كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كلّ جمعة إذا حضرت ركبت إلى الدار، فإن نشط إلى الشرب أقمت عنده وان لم ينشط انصرفت، وكان رسمنا ألّا يحضر أحدٌ منّا إلّا في يوم نوبته، فإنّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذ رُسُلُ الواثق قد هجموا عليّ وقالوا لي إحضر، فقلت: الخير. قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يوم لم يحضرني فيه الخليفة قط ولعلّكم غلطتم. فقالوا: لا تطوّل وبادر. فقد أمرنا أن لا ندعك تستقر على الأرض، فداخلني فزع شديد وخفت أن يكون ساع سعى بي، فتقدّمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار، فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل فمنعت وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي إلى مبرمات لا أعرفها، فزاد ذلك في غمّي وجزعي، ثم لم يزل الخدم يسلمونني من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك، واذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب وإلى جانبه فريدة جارية عليها من ثيابه وفي حجرها عود، فلما رآني

قال: جوّدت والله يا محمّد البنا، فقبّلت الأرض ثم قلت: خيراً. قال: خيراً ما ترى، وإني طلبت ثالثاً يؤنسنا فلم أرَ أحقّ بذلك منك، فبحياتي بادر فكُلْ شيئاً وبادر البنا. قلت: يا سيدي أكلت وشربت. قال: فاجلس، فجلست فقال: هاتوا لمحمد رطلاً في قدح، فأُحضِرتُ ذلك واندفعت فريدة تغني:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة ... عليَّ ولكن ملءُ عين حبيبها
وما هجرتك النفس يا ليل إنّها ... قلتك ولا ان قلّ منك نصيبها

فجاءت والله بالسحر وجعل الواثق يجاذبها، وفي خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت وأُغنّي أنا في خلال غنائها، فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد، فإنّا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتَّت عودها ومرَّت تعدو وتصيح وبقيت أنا كالمنزوع الروح، ولم أشك في أن عينه وقعت إليَّ وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إليَّ، فأطرق ساعة إلى الأرض متحيّراً وأطرقتُ أتوقّع ضرب العنق، فإنّي لكذلك إذ قال لي يا محمد! فوثبت، فقال: ويحك! أرأيت أغرب ممّا تهيأ علينا. فقلت: يا سيدي الساعة والله تخرج روحي، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله. فما كان السبب؟ ألذنب؟! قال: لا والله ولكن فكّرت أن جعفراً يقعد هذا المقعد ويقعد معها كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر، وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت. فسرِّيَ عنّي وقلت: بل يقتل الله جعفراً، ويحيي الخليفة أبداً، وقبّلت الأرض وقلت: يا سيدي! الله الله إرحمها ومُر بردِّها. فقال لبعض الخدم الوقوف: من يجيء بها، فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عود وعليها غير الثياب التي كانت عليها، فلما رآها جذبها وعانقها، فبكت وجعل هو يبكي واندفعت أنا أبكي، فقالت: ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي؟ وبأيِّ شيء أستوجبت هذا؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي، فقالت له: سألتك بالله إلّا ضربت عنقي

الساعة وأرحتني من الفكر في هذا وأرحت قلبك من الهمِّ لي، وجعلت تبكي ويبكي ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها، وأومى إلى الخدم الوقوف بشيء لا أعرفه، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عين وورق، ورزماً فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه فألبسها إياه، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي وخمسة تخوت فيها ثياب. وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن ممّا كنّا، فلم نزل كذلك إلى الليل ثم تفرّقنا وضرب الدهر ضربته وتقلّد المتوكل، فوالله إني لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هجم عليّ رسله فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدار، فأُدخلت والله الحجرة بعينها واذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة، فلما رآني قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه، أنا منذ غدوة أطالبها بأن تغنيني فتأبىٰ ذلك فقلت لها: يا سبحان الله أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر! بحياته غنّي، فعزفت والله ثم اندفعت تغني:

مقيم بالمجازة من قنونا	واهلك بالاجيفر فالثماد
فلا تبعد فكل فتى سيأتي	عليه الموت يطرق أو يُغادي

ثم ضربت بالعود الأرض ثم رمت بنفسها عن السرير ومرت تعدو وهي تصيح: واسيداه، فقال لي: ويحك ما هذا؟ فقلت: لا أدري والله يا سيدي. فقال: فما ترى. فقلت: أرى أن أنصرف أنا وتحضر هذه ومعها غيرها فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد الخليفة. قال: فانصرف في حفظ الله. فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة[1].

«فأصلح مثواك» ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في

---

(١) الأغاني ٤: ١١٥ ـ ١١٨.

جنب الله﴾[١].

«ولا تبع آخرتك بدنياك» ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾[٢].

«ودع القول فيما لا تعرف» ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا﴾[٣]، ﴿إن يتّبعون إلّا الظنّ وما تهوى الأنفس﴾[٤].

«والخطاب فيما لا تكلف» ﴿وما أنا من المتكلفين﴾[٥].

وقال الصادق عليه السلام: حض الله تعالى عباده بآيتين من كتاب الله ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا مالم يعلموا، قال تعالىٰ ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق﴾[٦]، ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾[٧].

«وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإن الكف عن حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال» كما أن طعاماً أو شراباً يحتمل كونه ممزوجاً بالسم يجب اجتنابه لئلا يوجب هلاكه.

«وأمر بالمعروف تكن من أهله» فإن من يكون عمله فقط معروفاً ولم يكن له قول في ذلك يأمر غيره به لا يعدُّ من أهل المعروف.

«وأنكر المنكر بيدك ولسانك» وذلك أكمل الإنكار لا أن يقتصر على اللسان ﴿ولتكن منكم أُمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن

---

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) البقرة: ١٦.

(٣) الاسراء: ٣٦.

(٤) النجم: ٢٣.

(٥) ص: ٨٦.

(٦) الاعراف: ١٦٩.

(٧) يونس: ٣٩.

المنكر﴾[١].

«وباين من فعله بجهدك» أي: بطاقتك، قال عليه السلام: أمرنا النبي صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة.

«وجاهد في الله حق جهاده» والأصل فيه قوله تعالىٰ ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٢].

«ولا تأخذك في الله لومة لائم» ﴿من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبُّهم ويحبُّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾[٣].

«وخض الغمرات» أي: الشدائد.

«للحق» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: (إلى الحق) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«حيث كان» الحق. في كلام الصديقة فيه عليها السلام «وكلّما نجم قرن للضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف أبي بأخيه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله»[٦].

«وتفقّه في الدين» قال تعالىٰ ﴿ليتفقهوا في الدين﴾[٧].

«وعوّد نفسك التصبّر» هكذا في (المصرية)[٨] والصواب: (الصبر) كما

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) الحج : ٧٨ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٥ السطر الأول .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٥، وابن ميثم : ٤٠٠ السطر العاشر هكذا .

(٦) رواه الجوهري في السقيفة (عنه كشف ٢: ١١٢)، والدلائل: ٢٤ و ...

(٧) التوبة : ١٢٢ .

(٨) نهج البلاغة ٣: ٤٥ السطر الثاني .

في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«على المكروه» عند النفس.

«ونعم الخلق» بالضم أي: الطبيعة.

«التصبّر» أي: الصبر على المكروه، قال أبو الأسود:

تــعوّدتُ مسَّ الضُــرِّ حـتى أَلِـفتُه وأسلَمَني طـولُ البَـلاء إِلى الصَّـبرِ
وَوسَّعَ صدري للأذىٰ كـثرةُ الأذىٰ وكان قديماً قد يَضيقُ بـه صـدري
إذا أَنَا لم أَقـبَلْ مِـن الدّهـرِ كُـلّ مـا أُلاقيه مِنهُ طالَ عَتبي عَلَى ٱلدَّهرِ[٢]

وقال آخر:

تحلم عن الادنين واستبق ودهـم ولن تستطيع الحلم حـتى تـحلما

أيضاً:

تلقَّ بالصبر ضيف الهمّ حيث أتى إنّ الهموم ضيوف أكـلها المـهج

وفي (المروج): أمر هارون ذات يوم بحمل أبـي العـتاهية وأمـر أن لا يتكلّم في طريقه ولا يعلم ما يراد منه، فلما صار في بعض الطريق قال له بعض من معه: انما يراد قتلك. فقال أبو العتاهية:

ولعـلّ مـا تـخشاه ليس بكـائن ولعلّ ما ترجوه سـوف يكـون
ولعــلّ مــا هـوّنت ليس بـهيّن ولعلّ ما شددت سوف يهون[٣]

وعن أكثم بن صيفي قال: ما أحب أني مكفى كلّ أمر الدنيا، قالوا: وان أسمنت. قال: نعم أكثره عادة العجز.

«في الحق» هكذا في (المصرية)[٤] أخذاً عن (ابن أبي الحديد) وليس في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٤ وابن ميثم: ٤٠٠ السطر العاشر من الطبعة الحجرية.

(٢) معجم الأدباء ١٢: ٣٨.

(٣) مروج الذهب ٣: ٤٥٠.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٥ السطر الثاني.

(ابن ميثم)[١] والظاهر زيادته.

«**والجئ نفسك في الأمور كلّها إلى إلهك فإنّك تلجئها إلى كهف**» قال الجوهري: الكهف كالبيت المنقور في الجبل، وفلان كهف أي: ملجأ[٢].

«**حريز**» أي: حصين.

«**ومانع عزيز**» أي: قوي غالب، وفي المثل «من عزّ بزّ» أي: من غلب سلب[٣]، قال البستي:

وثقت بربّي وفوّضت أمري ... إليه وحسبي به من معينِ

فلا تبتئس لصروف الزمان ... ودعني فإنّ يقيني يقيني

في (وزراء الجهشياري): كان إبراهيم الحرّاني خاصّاً بالمهدي وأنفذه مع ابنه الهادي إلى جرجان، فخصّ به وبلغ المهدي عنه أشياء زاد فيها عليه أعداؤه فكتب إلى الهادي في حمله، فتعلل في حمله، فكتب: إن لم تحمله خلعتك من العهد، فحمله مع بعض خدمه مرفّهاً وقال له: إذا دنوت من محل المهدي فقيِّده، فامتثل واتفق أن ورد والمهدي يريد الركوب للصيد، فبصر بالموكب فسأل عنه فقيل خادم موسى الهادي ومعه إبراهيم الحرّاني، فقال: وما حاجتنا إلى الصيد؟ وهل صيد أطيب من صيد إبراهيم، فأُدني منه وهو على ظهر فرسه، فقال له: والله لأقتلنّك، ثم والله لأُقتلنّك، ثم والله لأُقتلنّك، إمض به يا خادم إلى المضرب إلى أن انصرف. قال إبراهيم: فيئست من نفسي ففزعت إلى الله تعالى بالدُّعاء والصلاة، فانصرف المهدي وأكل من اللوز المسموم المشهور خبره فمات من وقته[٤].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٤ وابن ميثم: ٤٠٠ هكذا.

(٢) الصحاح ٤: ١٤٢٥.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٠٧، الزمخشري ٢: ٣٥٧.

(٤) الوزراء والكتّاب: ١٢٦.

وفيه: قال الوضاح بن خيثمة أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن، فأخرجتهم وتركت يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج، فحقد ذلك علي ونذر دمي، فإني لبافريقية إذ قيل لي: قدم يزيد بن أبي مسلم من قبل يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، فهربت منه وعلم بمكاني، فأمر بطلبي فظفر بي وصيرني إليه، فلما رآني قال: سألت الله أن يمكّنني منك. فقلت: وأنا لطالما سألت الله أن يعيذني منك. قال: فوالله ما أعاذك مني، والله لأقتلنّك ثم والله لأقتلنّك، ثم والله لو سابقني اليك ملك الموت لسبقته. ثم دعا بالسيف والنطع، فأُتي بهما وأمر بي فأُقمت في النطع وكُتِّفتُ وقام ورائي رجل بسيف وأقيمت الصلاة، فخرج إليها فلما سجد أخذته السيوف، ودخل إليَّ من قطع كتافي وقال: انطلق[1].

«وأخلص في المسألة لربك» عن الرضا عليه السلام: إنّما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لأنّه لم يرد أحداً غير الله، ولم يسأل أحداً قطّ غير الله[2].

«فإنّ بيده العطاء والحرمان» وفي الخبر: أغرق الله تعالى فرعون لأنّه استغاث بموسى ولم يستغث بالله[3].

وقالوا: كان عامر بن عبد القيس العنبري يقول: أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتُها مساءً لم أُبال على ما أُمسي، وإذا تلوتهن صباحاً لم أُبال على ما أصبح: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾[4]، ﴿وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخير

---

(١) الوزراء والكتّاب: ٣٥.

(٢) عيون الأخبار ٢: ٧٥ ح ٤.

(٣) عيون الأخبار ١: ٥٩ ح ٢ عن الرضا عليه السلام.

(٤) فاطر: ٢.

فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده﴾[١] ﴿وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[٢]، ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[٣].

«واكثر الاستخارة» أي: طلب الخيرة من الله تعالى بالدعاء والصلاة.

وروى الكافي عن الصادق عليه‌السلام في خبر قال: صلِّ ركعتين واستخر الله، فوالله ما استخار الله مسلم إلّا خار له البتة.

وفي آخر: اذا أراد أحدكم شيئاً يصلّي ركعتين ثم يحمد الله ويثني عليه ويصلّي على نبيه وآله ثم يقول: اللّهم ان كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسّره لي واقدره، وان كان غير ذلك فاصرفه عنّي.

وفي آخر: عنه عليه‌السلام في أمر يأمر به بعض وينهى عنه بعض: صلِّ ركعتين واستخر الله مئة مرّة ومرّة ثم انظر أجزم الأمرين لك فافعله فان الخيرة فيه...[٤].

وروى (الفقيه) عنه عليه‌السلام في خبر أنّه إذا أراد الشيء اليسير استخار الله سبع مرّات، فإذا كان جسيماً استخار الله مئة مرة. وفي آخر: ما استخار الله أحد سبعين مرّة بهذه الاستخارة «يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع الحاسبين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين، صلّ على محمّد وأهل بيته وخر لي في كذا وكذا» إلّا رماه الله بالخيرة.

وفي آخر: يستخير الله في آخر سجدة من ركعتي الفجر مئة مرة ومرة، ويحمد الله ويصلّي على نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله، ثم يستخير الله خمسين مرة، ثم يحمد الله

---

(١) يونس: ١٠٧.

(٢) هود: ٦.

(٣) الطلاق: ٧.

(٤) الكافي ٣: ٤٧٠ ـ ٤٧٢، ١ و ٦ و ٧.

ويصلّي على نبيّه ويتمّ المئة والواحدة.

ونقل عن رسالة أبيه: صلّ ركعتين واستخر الله مئة مرة ومرة، فما عزم لك فافعل وقل في دعائك «لا إله إلّا الله الحليم الكريم، لا إله إلّا الله العلي العظيم، ربِّ بحقّ محمّد وآله صلّ على محمّد وآله وخر لي في كذا وكذا للدنيا والآخرة خيرة في عافية»[١].

«وتفهم وصيتي» بالعمل بها.

«ولا تذهبن عنها» هكذا في (المصرية)[٢] وفي (ابن أبي الحديد) عنك وليس في (ابن ميثم والخطّية) رأساً[٣].

«صفحاً» والمراد لا تعرض بوجهك عنها.

«فإنّ خير القول ما نفع» ﴿الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾[٤].

«واعلم أنّه لا خير في علم لا ينفع» عن الكاظم عليه السلام «دخل النبي صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة. قال: وما العلّامة. قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار والعربية. فقال النبي: ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه، إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة وما خلاهن فهو فضل»[٥].

«ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلّمه» الذي نهت الشريعة عنه كعلم السحر والكهانة.

وما في الدعاء «وأعوذ بك من علم لا ينفع» الظاهر أن المراد عدم نفعه

---

(١) الفقيه ١: ٣٥٥ و ٣٥٦.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٤٥ السطر الخامس.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٤ وابن ميثم: ٤٠٠ وفيه «لا تذهبنّ عنك» الطبعة الحجرية.

(٤) الزمر: ١٨.

(٥) الكافي ١: ٣٢، ١.

لعدم العمل به لا من حيث هو كما توهمه ابن ميثم[١].

«أي بنيّ إنّي لمّا رأيتني قد بلغت سنّاً» فزاد عليه السلام بعد صفّين على الستين.

«ورأيتني أزداد وهناً» ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وشَيبةً﴾[٢].

«بادرت بوصيّتي إليك» في الخبر: لأَن يؤدّب أحدكم ولده خيرٌ له من أن يتصدّق كلّ يوم بنصف صاع.

«وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي» أي: أظهر.

«إليك بما نفسي أو أُنقص في رأيي كما نُقِصت في جسمي» قال عليه السلام ذلك عاماً، قال تعالىٰ ﴿والله خلقكم ثم يتوفّاكم ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾[٣].

«أو يسبقني اليك بعض غلبات الهوىٰ» في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلّا فلا خير فيه»[٤].

وعن (المحاسن) قال النبي صلى الله عليه وآله: «الولد سيّد سبع سنين، وعبدٌ سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإنْ رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين وإلّا فاضرب على جنبه فقد أعذرت»[٥].

«أو فتن الدنيا فتكون كالصعب» مركب غير ذلول، وكان المنذر بن ماء السماء يلقب «ذو القرنين الصعب» قال لبيد:

---

(١) شرح ابن ميثم: ٤٠١.

(٢) الروم: ٥٤.

(٣) النحل: ٧٠.

(٤) الفقيه ٣: ٣١٨ ح١.

(٥) عن المحاسن مكارم الأخلاق: ٢٢٢.

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث أُميم، مقيم[١]

يعني أصبح المنذر ذاك مقيماً في قبر في حنو ذيقار يا أُميم.

«النُّفور» من نفرت الدابة نفوراً ونفاراً، قال الشاعر:

إذا المرء أعيته المروّة ناشئاً فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال آخر:

إذا المرء جاز الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتىٰ ولو جرّ أرسان الحياة له الدهر

«وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته» قال ابن أبي الحديد: كان يُقال: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، وفي الكبر كالخطّ على الماء.

وفي المثل: «الغلام كالطّين يقبل الختم ما دام رطباً»، قال الشاعر:

إختم وطينُك رطب إن قدرت فكم قد أمكن القوم من ختم فما ختموا[٢]

قلت: وممّا قيل في المعنى:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

وقال آخر:

خذ فؤادي فقد أتاك بودٍّ وهو بكر ما افتضه ودّ قطُّ

«فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك» مما قيل في ذلك: وليس الفتى يرجى إذا ابيضَّ رأسه.

وقال الآخر:

يقوّم من ميل الغلام المؤدِّب ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

---

(١) أورده لسان ١: ٥٢٤ مادة (صعب).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٦٧.

وقال آخر:

وتروض عرسك بعدما هـرمت ومـن العـناء ريـاضة الهـرم

وقال آخر:

ان الكـبير اذا تـناهت سـنه أعيت رياضته على الرُّوّاض

وقال آخر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس يـنفع بـعد الكـبرة الأدب

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولن تـلين إذا قـوَّمتها الخشب

ولما أراد المهدي العبّاسي قتل بشّار على الزندقة قال: تبت منها. قيل له: وكيف؛ وأنت القائل:

والشـيخ لا يـترك أخـلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا ارعـوى عـاد إلى جـهله كذي الضَّنى عاد إلى نكسـه

«لتستقبل بجدِّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بـغيته» أي: البـحث عنه.

«وتـجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة. فأتاك من ذاك ما قد كنّا نأتيه» هكذا في النسخ[١]، وكأنّه وقع فيه تصحيف.

«واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه» قال الشاعر:

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار مـن لم تـزوّد

«أي بنيّ! إنّي وإن لم أكن عُمّرت عمر من كان قبلي» فـي (الصـحاح): عَـمِر الرجل (بالكسر) عَمراً وعُمراً على غير قياس، لأن قياس مصدره التحريك، أي: عاش زماناً طويلاً[٢]. ومراده ان مصدر الفعل اللازم فعل بفتحتين كفرح فرحاً،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٦، نهج البلاغة ٣: ٤٦، ابن ميثم: ٤٠١ وفيه «فتستقبل...» .

(٢) الصحاح ٢: ٧٥٦.

وهنا المصدر بالضم أو الفتح فالسكون.

«**فقد نظرت في أعمالهم وفكّرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم**» في رسالة علي بن طاوس إلى ولده المسمّاة بالمحجة: قد هيّأ الله تعالى كتباً كثيرة عندي في تاريخ الخلفاء والملوك وغيرهم من الذين طلبوا سراب الدنيا الزائل وسوروا وجوه العقل والفضل بخسران العاجل والآجل ورحلوا من الدنيا بأحمال الذنوب وأثقال العيوب، وكانوا كأنّهم في أحلام ومنام وباعوا بتلك الأيام ما لا يبيعه ذوو الهمم العالية الباهرة من سعادة الدنيا والآخرة، فأحذرهم على دينك ومولاك، فالله الله أن تتقرّب اليهم أو تقرّب منهم مهما أمكنك، ففي قربهم السمّ الناقع والهلاك، وانما ذخرت لك تواريخهم لتنظر أوّل أمورهم وآخرها وظاهرها وباطنها، ترى ما ضرّوا بنفوسهم بلذات ساعات يسيرة وأعمار قصيرة، وكيف خدعهم الشيطان في دنياهم وآخرتهم[1].

«**بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره**» في (المعجم) قالت الحكماء: الكتاب يجمع لك الأول والاخر والناقص والوافر والغائب والحاضر والشكل وخلافه والجنس وضده، وهو ميّت ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء وتعرف منه في شهر ما لا تعرف من أفواه الرجال في دهر[2].

وفي (الكامل) في فوائد التاريخ: فمن دنيويتها أن الإنسان يحبّ البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء، فأيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين، فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا

---

(١) كشف المحجة: ١٢٨.

(٢) معجم الادباء ١: ٩٣.

علمها فكأنّه حاضرهم، وإن الملوك ومن إليه الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور ورأوها مدونة يرويها خلف عن سلف، وما أعقبت من سوء الذكر وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال؛ إستقبحوها وأعرضوا عنها، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن ممالكهم وبلادهم عمرت وأموالها درّت؛ إستحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا مضرة الأعداء وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً.

ومنها؛ ما يحصل من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا وقد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً ويصبح لأن يُقتدىٰ به أهلاً.

ومنها؛ ما يتجمّل به الإنسان في المحافل من ذكر شيء من معارفها وطريفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغية إليه والوجوه مقبلة عليه.

وأما الفوائد الأُخروية: فمنها أن اللبيب إذا تفكّر فيها ورأى تقلّب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبقِ على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير؛ زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزود للآخرة ورغب في دار تنزهت عن هذه الخسائس.

ومنها؛ التخلّق بالصبر والتأسّي، وهما من محاسن الأخلاق، فإنَّ العاقل إذا رأى أنّ مصائب الدنيا لم يسلم منها نبيٌّ مكرّم ولا ملك معظّم علم أنّه يصيبه ما أصابهم، ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد...[1].

---

(١) الكامل ١: ٦ ـ ٩ بتلخيص.

«فاستخلصت» أي: عملت الخلاصة.

«لك من كلّ أمر نخيله» هكذا في (المصرية)[١] وفي (ابن أبي الحديد) جليله، وفي (ابن ميثم والخطية) نخليته[٢]، وهو الصحيح من النهج، وان كانت رواية (الرسائل) أيضاً بلفظ «جليله»[٣] وأما «نخيله» كما في (المصرية) فغلط مطلقاً، ومعنى النخيلة الخيرة قال عمارة:

تبحّثتم سخطي فغيّر بحثكم نخيلة نفس كان نصحاً ضميرها[٤]

وجمعها النخائل، وفي الحديث: «لا يقبل الله إلّا نخائل القلوب»[٥].

«وتوخيت» أي: تحريت.

«لك جميله، وصرفت عنك مجهوله» ببيانه لك.

«ورأيت حيث عناني» أي: أهمّني.

«من أمرك ما يعني» أي: يهمّ.

«الوالد الشفيق» أي الرؤوف.

«وأجمعت» أي: عزمت. عطف على «عناني» لا «يعني» كما قال (ابن ميثم)[٦].

«عليه من أدبك» أي: تعليمك الآداب.

«أن يكون ذلك» أي: تعليمك.

«وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر» أي: مستأنفه، كأنّه يستأنف الدهر كلّ

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٦ السطر التاسع.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٦٧، وفي ابن ميثم : ٤٠١ السطر ٢٢ (نخيلة).

(٣) كشف المحجة : ١٦١.

(٤) أورده أساس البلاغة: ٤٥١، مادة (نخل).

(٥) النهاية ٥: ٢٢، مادة (نخل).

(٦) شرح ابن ميثم : ٤٠١ وفيه «أجمعت عطف على يعني».

ساعة.

«وان أبتدئك بتعليم كتاب الله» زاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١] «عزوجل»، ففي (المصرية) سقط، وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: من علّم ولده القرآن دعي في القيامة بالأبوين فكُسيا حلّتين تضيء من نورهما وجوه أهل الجنّة[٢].

وروى ابن بابويه عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ ليهمّ بعذاب أهل الأرض جميعاً لا يحاشى منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السّيئات، فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلاة، والولدان يتعلّمون القرآن، رحمهم فأخّر ذلك عنهم.

«وتأويله» ونسبته إلى التنزيل نسبة المعنى إلى اللفظ، ولفظ القرآن يعلمه كلّ أحد، وأما تأويله فلا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم.

«وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في الغلام يلعب سبع سنين ويتعلّم الكتاب سبع سنين ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين[٣].

«ولا أجاوز لك إلى غيره» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: (لا أجاوز ذلك بك إلى غيره) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«ثم أشفقت» أي: خفت.

«أن يلتبس» أي: يشتبه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٦٨، وابن ميثم: ٤٠١ السطر ٢٤.

(٢) الكافي ٦: ٤٩ ح ١.

(٣) الكافي ٦: ٤٧ ح ٣.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٧ السطر الثالث.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٨، وابن ميثم : ٤٠١ وفيه «ولا أجاوز بك ولا إلى غيره».

«عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم» كان الصادق عليه السلام يقول لشيعته: بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة[١].

وقال الشهرستاني في (ملله): الاختلافات في الأُصول: حدثت في آخر أيام الصحابة بدعة، معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء ـ وكان تلميذ الحسن البصري ـ وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية، ابتدأت بدعتهم في زمان الحسن، واعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بين المنزلتين وسمّي هو وأصحابه معتزلة.

ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسّرت أيام المأمون ـ إلى أن قال ـ ونبغ رجل متنمّس بالزهد من سجستان يقال له أبو عبدالله بن الكرام قليل العلم قد قمش من كلّ مذهب ضغثاً وأثبته في كتابه، وروّجه على أغنام غزنة وغور وسواد بلاد خراسان، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهباً قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان، وصُبّ البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم، وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج وهم مجسّمة...[٢].

«فكان إحكام ذلك» أي: جعله محكماً.

«على ما كرهت من تنبيهك له» لأنّ كثيراً من غير المستعدّين يحصل لهم في هذا الطريق العثرة والزلّة.

---

(١) الكافي ٦: ٤٧ ح ٥.

(٢) الملل والنحل الشهرستاني ١: ٣٥ ـ ٣٨.

«أحبُّ الي من إسلامك» أي: تركك وتفويضك.

«إلى أمر لا آمن عليك به» هكذا في (المصرية)[١] والصواب: (فيه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«الهلكة» بتأثير شبهات أهل الشبهة.

«ورجوت أن يوفقك الله لرشدك» وفي (ابن أبي الحديد والخطية) «فيه لرشدك»[٣].

«وأن يهديك لقصدك» أي: عدلك؛ قال الشاعر:

على حكم المأتيّ يوماً إذا قضى قضيته أن لا يجور ويقصد

«فعهدت إليك وصيتي هذه» للوجوه المذكورة.

«واعلم يا بنيَّ أنّ أحبّ ما أنت آخذ به إليّ» متعلّق بقوله: «أحب».

«من وصيّتي تقوى الله» ﴿فإنّ خير الزاد التقوى واتّقون يا أُولي الألباب﴾[٤].

«والاقتصار على ما فرضه عليك» فعنهم عليهم السلام أُسكتوا عمّا سكت الله عنه.

«والأخذ بما مضى عليه الأوّلون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك» وفي رواية ابن شعبة: «والصالحون من أهل ملّتك»[٥].

«فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكّروا كما أنت مفكّر» كان عليه السلام يقول: التفكّر يدعو إلى البرّ والعمل به، وكان عليه السلام يقول: نبّه بالتفكّر

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٧ السطر الخامس والسادس.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٦٨، وابن ميثم : ٤٠١ السطر ٢٦ هكذا.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٦٨.

(٤) البقرة : ١٩٧.

(٥) تحف العقول: ٧١.

قلبك، وجافِ عن الليل جنبك، واتّق الله ربك[١].

«ثم ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عمّا لم يكلّفوا» كان عليه السلام يقول: إنّ على كلّ حق حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً.

وفي (الكافي) عن الفتح بن يزيد: سألت أبا الحسن عليه السلام عن أدنى المعرفة فقال: الإقرار بأنّه لا إلّه غيره ولا شبه له ولا نظير، وأنّه قديم موجود غير فقيد[٢].

«فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا؛ فليكن طلبك ذلك بتفهّم وتعلّم لا بتورّط الشبهات» والورطة: الهلكة، قال:

إن تأت يوماً مثل هذي الخطه   تلاق من ضرب نمير ورطه[٣]

وأصلها الهوة الغامضة، ويقال تورّطت الماشية أي: وقعت في موحل ومكان لا يتخلّص منه.

«وعلو الخصوصيات» هكذا في (المصرية)[٤] ولكن في (ابن أبي الحديد) «وعلق الخصومات»، و(ابن ميثم والخطية) «وغلو الخصومات»[٥].

في (الكافي) عن السجّاد عليه السلام سئل عن التوحيد فقال: إنّ الله تعالى علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل: ﴿قل هو الله أحد﴾[٦] وأنزل الآيات في سورة الحديد ـ إلى قوله ـ ﴿عليمٌ بذات الصدور﴾[٧]

---

(١) الكافي ١: ٥٤ ـ ٥٥ / ١ و ٥.

(٢) الكافي ١: ٨٦ / ١.

(٣) لسان العرب ١٥: ٢٧١ «قال ابو عمرو: هي [أي الورطة] الهلكة وأنشد:

ان تأتِ يوماً مثل هذي الخُطَّه   تُلاقِ من ضرب نُميرٍ وَرْطَه

(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٨ السطر الثاني.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٧٠، وابن ميثم: ٤٠١ السطر ٣١ هكذا.

(٦) التوحيد: ١.

(٧) الحديد: ٦.

فمن رام وراء ذلك هلك[١].

قلت: وأشار عليه السلام من آيات الحديد إلى قوله تعالىٰ ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم* له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو علىٰ كلّ شيءٍ قدير* هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيءٍ عليم* هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير* له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأُمور* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور﴾[٢].

وعن الصادق عليه السلام: من عَبد الله بالتوهّم فقد كفر، ومن عَبد الإسم دون المعنى فقد كفر، ومن عَبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقّاً[٣].

«وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلٓهك» فإن المعونة إنّما منه تعالىٰ ولا يستعان إلّا به جل وعلا ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾[٤].

«والرغبة إليه في توفيقك» قال شعيب: ﴿وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب﴾[٥].

«وترك كلّ شائبة» الشوائب: الأقذار والأدناس.

---

(١) الكافي ١: ٩١، ٣.

(٢) الحديد: ١ ـ ٦.

(٣) الكافي ١: ٦٨، ح١. ط الاسلامية.

(٤) الفاتحة: ٥.

(٥) هود: ٨٨.

«أولجتك» أي: أدخلتك.

«في شبهة أو أسلمتك إلى ضلالة» ويقال: «وقعوا في وادي تضلّل» إذا هلكوا «وفلان ضلّ ابن ضل» إذا لم يعرف هو وأبوه، قال:

فإنّ إيادكم ضلّ ابن ضلّ وإنّا من إيادكم براء[١]

«فإذا أيقنت أن صفا قلبك» من الكدورات.

«فخشع» لقبول الحق.

«وتمّ رأيك فاجتمع» بدون شعث.

«وكأن همّك في ذلك همّاً واحداً» بلا تفرّق.

«فانظر ما فسّرت لك» لأنّ الذين لا يؤثّر فيهم كلام الحق إنّما هو لعدم اجتماع الشرائط فيهم من صفاء قلبهم واجتماع لبّهم.

«وان أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك» بصفاء قلبك.

«وفراغ نظرك وفكرك» ونظرت في المقاصد العالية والمعاني العلية.

«فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء» كالناقة العشواء التي في بصرها ضعف فتخبط ولا تتوقّى شيئاً في مشيها، والأصل (تخبط خبط العشواء) فحذف المصدر، وقد يحذف الفعل قال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تُمته ومن تخطئ يعمّر فيهرم[٢]

«وتتورط الظلماء» أي: في الظلمة.

«وليس طالب الدين من خبط أو خلط» ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾[٣].

---

(١) لسان العرب: ٢٧١ مادة (ضل).

(٢) لسان العرب ٧: ٢٨١، مادة (خبط).

(٣) الانعام: ١٢٢.

«والإمساك عن ذلك أمثل» أي: أقرب إلى الحق بحكم العقل في مثله.

«فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة» ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾[1].

(وان الخالق هو المميت) ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين* ثم إنكم بعد ذلك لميّتون﴾[2].

«وأنّ المفني هو المعيد» ﴿ثم انكم يوم القيامة تبعثون﴾[3]، ﴿ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾[4].

«وأن المبتلى هو المعافى» ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلّا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾[5].

«وأنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء» في (الكافي): روى أنّ قوماً من أصحابه عليه السلام خاضوا في التجوير والتعديل فخرج حتى صعد المنبر وقال: أيّها الناس! إنّ الله تعالى لمّا خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة وأخلاق شريفة، فعلم انّهم لم يكونوا كذلك إلّا بالأمر والنّهي، وهما لا يجتمعان إلّا بالوعد والوعيد، وهما لا يكونان إلّا بالترغيب والترهيب، وهما لا يكونان إلّا بما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم، وبضد ذلك

---

(١) الملك : ٢.

(٢) المؤمنون : ١٢ ـ ١٥.

(٣) المؤمنون : ١٦.

(٤) الفرقان : ٣.

(٥) يونس: ١٠٧.

فخلقهم في دار الدنيا وأراهم طرفاً من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم ألا وهي الجنّة، وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلّوا به على ما وراءَهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذّة ـ ألا وهي النار ـ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها وسرورها ممزوجاً بغمومها[١].

«والجزاء في المعاد أو ما شاء ممّا لا نعلم» الظاهر كونه إشارة إلى قوله تعالىٰ ﴿فأمّا الذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير وشهيق* خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك إنّ ربك فعّال لما يريد* وأما الذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ﴾[٢].

«فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به» قال جميل لبثينة:

بثين ألزمي (لا) إنّ (لا) ان لزمتِهِ   على كثرة الواشين أيُّ معون

«فإنك أوّل ما خلقت جاهلاً ثم علمت» ﴿والله أخرجكم من بطون أُمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾[٣] ﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام: أنّ موسى قال: يارب! رضيت بما قضيت، تميت الكبير وتبقي الصغير. فقال تعالىٰ: يا موسىٰ! أما ترضاني لهم رازقاً وكفيلاً؟ قال: بلى يارب، فنعم الوكيل أنت ونعم الكفيل[٥].

وفي (المعجم): حضر محمد بن علي الواسطي ـ وهو يرتعش من الكبر ـ عزاء طفل فتغامز عليه الحاضرون ـ يشيرون إلى موت الطفل وطول

---

(١) بحار الأنوار ٥: ٣١٦، ١٣. نقلاً عن الاحتجاج ولم نعثر عليه في الكافي.

(٢) هود: ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٣) النحل: ٧٨.

(٤) الاسراء: ٨٥.

(٥) التوحيد لابن بابويه: ٣٧٤ ح١٨، ٤٠١ ـ ٤٠٢ ح٧.

حياته ـ فتفطّن لهم وقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب	عزاءً وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله إذ	توفّى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن دهر	وما بين ذلك هذا المصير[1]

وفي (توحيد المفضل): قال الصادق عليه السلام: إتخذ أُناس من الجهّال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان ذريعة إلى جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير، وأنكرت المعطلة والمانوية المكاره والمصائب والموت والفناء، فيقال في جواب من أنكر هذه الآفات كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد: إنّه إن لم يكن خالق ومدبّر فلِمَ لا يكون ماهو أكثر من هذا وأفظع، فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض وتهوي الأرض وتذهب سفلاً، وتتخلف الشمس عن الطلوع أصلاً، وتجفّ الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة، وتركد الريح حتى تحمّ الأشياء، وتفسد ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها.

ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء وما أشبهه ما بالها لا تدوم وتمتدّ حتى تجتاح كلّ ما في العالم، بل تحدث في الأحايين ثم لا تلبث أن ترفع، أفلا ترى أن العالم يُصان ويُحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، ويلذع أحياناً بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

وأنكرت المنانيّة[2] أيضاً المكاره والمصائب التي تصيب الناس، فكلاهما يقول إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلِمَ تحدث فيه هذه الأمور

(١) معجم الأدباء ١٨: ٢٥٨.

(٢) كذا في النسخ، والظاهر: المانوية.

المكروهة؟ والقائل بهذا القول يذهب إلى أنّه يجب أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كلّ كدر، ولو كان هكذا كان الإنسان يخرج من العتوّ والأشر إلى ما لا يصلح له في دين ولا دنيا، كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه، حتى ان أحدهم ينسىٰ أنّه بشر وأنّه مربوب، أو أن ضرراً يمسّه أو أن مكروهاً ينزل به، أو أنّه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً أو يرثي لمبتلىً أو يتحنّن على ضعيف أو يتعطّف على مكروب، فإذا عضّته المكاره ووجد مضضها اتّعظ وأبصر كثيراً ممّا كان جهله وغفل، ورجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه.

والمنكرون لهذه الأُمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمّون الأدوية المرّة البشعة، ويتسخّطون من منعهم من الأطعمة الضارة، ويتكرّهون الأدب والعمل، ويحبّون أن يتفرّغوا للّهو والبطالة وينالوا كلّ مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤدّيهم إليه البطالة من سوء النشوّ والعادة، وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارة من الأدواء والأسقام، ومالهم في الأدب من الصلاح وفي الأدوية من المنفعة.

وقد يتعلق هؤلاء بالآفات الّتي تُصيب الناس فتعمّ البر والفاجر، أو يبتلى بها البر ويسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجّة فيه؟ فيقال لهم: إنّ هذه الآفات وإن كانت تنال الصالح والطالح فإنّه تعالى جعل ذلك صلاحاً للصنفين كليهما، أمّا الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يَرِدهم[1] نعم ربهم عندهم في سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر، وأمّا الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرّتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش، وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في

---

(١) في البحار ٣ / ١٣٩ يردّهم، والظاهر أنه: يذكّرهم.

ذلك، أمّا الأبرار فإنّهم يغتبطون بما هم عليه من البرّ والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة، وأمّا الفجّار فإنّهم يعرفون رأفة ربّهم وتطوُّله عليهم بالسلامة من غير استحقاق، فيحضهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمّن أساء اليهم.

ولعلّ قائلاً يقول هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم، فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف؟

فيقال له: إن الله تعالى جعل في هذا صلاحاً للصنفين جميعاً، أمّا الأبرار فلِمَا لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها، وأمّا الفجّار فَلِمَا لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها.

وجملة القول: إن الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأُمور كلّها إلى الخير والمنفعة، فكما انّه إذا قطعت الريح شجرة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب المنافع، فكذلك يفعل المدبّر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم، فيصيرها جميعاً إلى الخير والمنفعة.

فإن قال: وَلِمَ تحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة، فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر، فإن هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدَّعة، وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبّههم على ما فيه رشدهم، فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس في أوّل الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

وممّا ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير؛ الموت والفناء، فإنّهم يذهبون إلى أنّه ينبغي أن يكون الناس مخلّدين في هذه الدنيا مبرَّئين من هذه الآفات، فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايةٍ فينتظر ما محصوله، أفرأيت لو كان كلّ من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت أحد منهم؛ ألم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعايش، فإنّهم والموت يفنيهم أولاً فأولاً يتنافسون في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك منهم الدماء، فكيف كانت حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشّره وقساوة القلوب، فلو وثقوا بأنّهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله، ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء ممّا يحدث عليه، ثم كانوا يملّون الحياة وكلّ شيء من أمور الدنيا، كما قد يملُّ الحياة من طال عمره حتى يتمنّى الموت والراحة من الدنيا.

فان قالوا: انّه كان ينبغي أنّه يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتى لا يتمنّوا الموت ولا يشتاقوا إليه. فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتوّ والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين.

وان قالوا: انّه كان ينبغي ألّا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعايش. قيل لهم: إذن كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعمه تعالى ومواهبه في الدارين جميعاً إذا لم يدخل إلّا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون.

فإن قالوا: إنّه كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم. يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم.

ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأُنس بالقرابات

وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الأولاد والسرور بهم، ففي هذا دليل على أن كلّ ما تذهب إليه الأوهام سوىٰ ما جرى به التدبير خطأ وسفه من الرأي والقول.

ولعلّ طاعناً يطعن على التدبير من جهة أُخرىٰ فيقول: كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزَّ بَزَّ، فالقوي يظلم ويغصب والضعيف يُظلم ويُسامُ الخسف، والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه، ومن ركب فاحشة أو انتهك محرماً لم يعاجل بالعقوبة، فلو كان في العالم تدبير لجرت الأُمور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يُمنع من ظلم الضعيف والمنتهك للمحارم يُعاجَلُ بالعقوبة. فيقال في جواب ذلك: ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فُضّل به الإنسان علىٰ غيره من الخلق، وحمل النفس على البرّ والعمل الصالح احتساباً للثواب وثقة بما وعد الله تعالىٰ، ولصار الناس بمنزلة الدوابِّ التي تُساس بالعصا والعلف ويلمع فيها بكلّ واحد منها ساعة فساعة فتستقيم على ذلك، ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسانية إلى حد البهائم، ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل إلّا على الحاضر من نعيم الدنيا، وكان يحدث من هذا أن يكوَن الصالح إنّما يعمل للرزق والسعة في هذه الدنيا، ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يكفّ عن ذلك لترقّب عقوبة تنزل به من ساعته حتى تكون أفعال الناس كلّها تجري على الحاضر لا يشوبه شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها.

مع أنَّ هذه الأُمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه، بل تجري على ذلك أحياناً والأمر مفهوم،

فقد نرى كثيراً من الصالحين يرزقون المال بضروب من التدبير، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفّار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح، وترى كثيراً من الفساق يُعاجَلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم، كما عوجل فرعون بالغرق وبختنصر بالتيه وبلبيس بالقتل، وإن أُمهِلَ بعض الأشرار بالعقوبة وأُخِّرَ بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد. ولم يكن هذا مما يبطل التدبير، فإنّ مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض، ولا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخَّروه وتعجيلهم ما عجَّلوه داخلاً في صواب الرأي والتدبير.

واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب أن للأشياء خالقاً حكيماً قادراً فما يمنعه أن يدبّر خلقه، فإنّه لا يصلح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلّا بإحدىٰ ثلاث خلال: إمّا عجز، وإمّا جهل، وإمّا شرارة. وكلّ هذا محال في صنعته عزّوجل وتعالىٰ ذكره. وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة، والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب: والحكمة، والشرّير لا يتطاول لخلقها وإنشائها.

وإذ كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبّرها لا محالة، وان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه، فان كثيراً من تدابير الملوك لا تعرفه العامة ولا تعرف أسبابه، لأنّها لا تعرف دخلة أمر الملوك وأسرارهم، فإذا عرف سببه وجد قائماً على الصواب: والشاهد لمحنه.

ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فتبين لك من جهتين أو ثلاث انّه حار أو بارد، ألم تكن تقضي عليه بذلك وتنفي الشكّ فيه عن نفسك، فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة

وأكثر منها ممّا لايحصى كثرة.

ولو كان نصف العالم وما فيه مشكلاً صوابه لما كان من حـزم الرأي وسمت الأدب أن يقضي على العالم بالإهمال، لأنّه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب والإتقان ما يردع الوهم عن التسرّع إلى هذه القضية، كيف وكل ما كان فيه إذا فتّش وجد على غاية الصواب:، حتى لا يخطر بالبال شيء إلّا وجد ما عليه الخلقة أصحّ وأصوب منه.

واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة، وكذلك سمّته الفلاسفة ومن ادّعى الحكمة، أفكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلّا لما رأوا فيه من التقدير والنظام؟ فلم يرضوا أن يسمّوه تقديراً ونظاماً حتى سمّوه زينة ليخبروا أنّه مع ما هو عليه من الصواب: والإتقان على غاية الحسن والبهاء.

أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطئ ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئاً مهملاً، بل أعجب من أخلاق من ادّعى الحكمة وجهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جلّ وعلا، بل العجب من المخذول حين ادّعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل، تبارك الحليم الكريم[١].

«وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحيّر فيه رأيك ويضلّ فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك» كما اتّفق لموسىٰ عليه السلام من جهله وتحيّره وعدم بصره حكمة أعمال الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: في كتاب علي عليه السلام ان داود قال: يا

(١) توحيد المفضل : ١٦٧ ـ ١٧٦، بحار الأنوار، ط مؤسسة الوفاء ـ بيروت ٣: ١٣٧ ـ ١٤٦. باختلاف في بعض الألفاظ.

ربِّ أرني الحق كما هو عندك حتى أقضي به. فقال: انك لا تطيق ذلك، فألحّ على ربه حتى فعل، فجاءه رجل يستدعي على رجل أنّه أخذ ماله، فأوحى إلى داود أنَّ هذا المستدعي قتل أبا هذا وأخذ ماله، وأمر داود بالمستدعي فقتل وأخذ ماله فدفعه إلى المستدعىٰ عليه، فعجب الناس وتحدّثوا حتى بلغ داود ودخل عليه من ذلك ما كره، فدعا ربه أن يرفع ذلك ففعل، ثم أوحى إليه أن آحكم بينهم بالبيّنات وأضفهم إلى اسمي يحلفون[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام: ان داود سأل ربه أن يريه قضية من قضايا الآخرة فأوحى تعالى إليه: إن الذي سألتني لم أُطلع عليه أحداً من خلقي ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيري، فلم يمنعه ذلك أن عاد في سؤاله، فأتاه جبرئيل وقال له: لقد سألت ربّك شيئاً لم يسأله قبلك نبيٌّ ولا ينبغي لأحدٍ أن يقضي به غير الله قد أجاب الله دعوتك وأعطاك ما سألت، إن أوّل خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة، فلما أصبح داود عليه السلام أتاه شيخ متعلّق بشاب ومع الشاب عنقود من عنب، فقال الشيخ: إنّ هذا الشاب دخل بستاني وخرّب كرمي وأكل منه بغير إذني وهذا العنقود أخذه بغير إذني. فقال داود للشاب: ما تقول: فأقرّ الشاب أنّه قد فعل ذلك، فأوحى إليه تعالى إنّي إنْ كشفت لك عن قضية من قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قلبك ولم يرض بها قومك، يا داود! إنّ هذا الشيخ اقتحم علىٰ أبي هذا الغلام في بستانه فقتله وغصب بستانه وأخذ منه أربعين ألف درهم فدفنها في جانب بستانه فادفع إلى الشاب سيفاً وأْمُرهُ أن يضرب عنق الشيخ وادفع إليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا وكذا ويأخذ ماله. ففزع من ذلك داود وجمع إليه علماء أصحابه وأخبرهم الخبر وأمضى القضية

---

(١) فروع الكافي ٧: ٤١٤، حديث ٣، باب ان القضاء بالبينات والأيمان.

على ما أوحى تعالى إليه[1].

وعن (عجائب المخلوقات): أن موسى عليه السلام اجتاز بعين ماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الجبل ليصلّي إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين وترك عنده كيساً فيه دراهم، وذهب مارّاً، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس وعلى رأسه حزمة حطب فوضعها هنا ثم استلقى ليستريح، فما كان إلّا قليلاً حتىٰ عاد الفارس فطلب كيسه فلم يجده، فأقبل على الشيخ يطالبه به فلم يزل يضربه حتى قتله، فقال موسى: يا رب! كيف العدل في هذه الأُمور. فأوحى الله تعالى إليه: ان الشيخ كان قتل أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي مقدار ما في الكيس، فجرى بينهما القصاص وقضي الدين وأنا حكم عادل.

«فاعتصم بالذي خلقك» ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[2]، ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾[3]، ﴿يا أيّها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً* فأمّا الّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم ربُّهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾[4]، ﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم﴾[5].

«ورزقك» ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالىٰ عمّا يشركون﴾[6].

---

(١) فروع الكافي ٧: ٤٢١، باب النوادر، ح ١.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٥) آل عمران: ١٠١.

(٦) الروم: ٤٠.

«وسوّاك» ﴿ونفس وما سوّاها* فألهمها فجورها وتقواها* قد أفلح من زكّاها* وقد خاب من دسّاها﴾[١].

«وليكن له تعبّدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك» أي: خوفك، وتقديم الظرف في الثلاثة للحصر، وانه لا يجوز التعبّد لغيره ولا الرغبة إلى غيره ولا الشفقة من غيره تعالىٰ.

هذا، وقال الجوهري: قال ابن دريد: شفقت وأشفقت بمعنىً، وأنكره أهل اللغة[٢].

قلت: بل نقل ذلك عن بعض وأنكره فقال؛ زعم قوم أنَّ شفقت وأشفقت بمعنى، وأنكره جلّ أهل اللغة وقالوا لا يقال إلّا أشفقت فأنا مشفق، فأمّا قول الشاعر:

فإنّي ذو محافظة أبِيٌّ كما شفَّقت للزاد العيال

فذاك بمعنى بخلت وضنت[٣].

«واَعلم يا بنيّ أنّ أحداً لم ينبئ» أي: لم يخبر «عن الله» هكذا في (المصرية) بلا زيادة، والصواب: زيادة (سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«كما أنبأ عنه الرسول» هكذا في (المصرية) والصواب: (نبينا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥]، ﴿وما ينطق عن الهوى* إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٦]، ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل* لأخذنا منه باليمين* ثم

(١) الشمس: ٧ ـ ١٠.

(٢) الصحاح ٤: ١٥٠٢، طبعة بيروت.

(٣) كتاب جمهرة اللغة ٣: ٨٧٤.

(٤ و ٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٧٦، وابن ميثم ٥: ١٥.

(٦) النجم: ٣ ـ ٤.

لقطعنا منه الوتين﴾[١].

«فارض به رائداً» وفي المثل «لا يكذب الرائد أهله»[٢]، والرائد من يرسل في طلب الكلأ.

«وإلى النجاة قائداً» ﴿يا أيّها الذين آمنوا هل أدلُّكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم* تؤمنون بالله ورسوله﴾[٣].

«فاني لم آلك نصيحة» أي: لم أُقصّر لك في النصيحة.

«وإنّك لن تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك» فإنّ من المعلوم أن ابنه ابن الحنفية ـ على الأصح في كون الوصية إليه ـ كان ناقص الاستعداد بمراتب عنه عليه السلام حسب الفرق بين الامام وغيره.

إلى أن قال: «يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك» في (موفقيات زبير بن بكار) عن المدائني، قال سلمة بن زياد لطلحة بن عبدالله الخزاعي: أُريد أن أصل رجلاً له حق عليَّ وصحبة بألف ألف درهم فما ترى؟ قال: أرى أن تجعل هذه العشر. قال: فأصله بخمسمئة ألف. قال: كثير. فلم يزل حتى وقف على مئة ألف. قال: أفترى مئة ألف يقضى بها ذمام رجل له انقطاع وصحبة ومودة وحق واجب، قال: نعم. قال: هي لك وما أردت غيرك. قال: أقِلني. قال: لا أفعل والله.

وفي (الطبري): ذكر عن عبدالله بن مالك قال: كنت أتولّى الشرطة للمهدي ـ وكان المهدي يبعث إلى ندماء الهادي ومغنّيه ويأمرني بضربهم، وكان الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه لهم ولا التفت إلى ذلك، وأمضي لما

---

(١) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٢) مجمع الأمثال ٢: ٢٣٣، الزمخشري ٢: ٢٧٤، صحاح اللغة ٢: ٤٧٨.

(٣) الصف : ١٠ و ١١ .

أمرني به المهدي ـ فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث إليّ يوماً فدخلت عليه متكفّناً متحنّطاً وإذا هو على كرسيٍّ والسيف والنطع بين يديه، فسلّمت فقال: لا سلم الله على الآخر، تذكر يوماً بعثت اليك في أمر الحرّاني وما أمر به أبي من ضربه وحبسه فلم تجبني، وفي فلان وفلان ـ وجعل يعدّد ندماءه ـ فلم تلتفت إلى قولي ولا أمري. قلت: نعم. أفتأذن لي في استيفاء الحجّة. قال: نعم. قلت: ناشدتك بالله أيسرّك أنّك ولّيتني ما ولّاني أبوك فأمرتني بأمر فبعث إليَّ بعض بنيك بأمر يخالف به أمرك فاتبعتُ أمره وعصيت أمرك؟ قال: لا. قلت: فكذلك أنا لك وكذا كنت لأبيك، فاستدناني فقبّلت يده فأمر بخلع فصبَّت عليَّ وقال: ولّيتك ما كنت تتولّاه[1].

«**وآكره له ما تكره لها**» في (عيون القتيبي) قال الرياشي: كان أبو ذؤيب يهوى امرأة من قومه، وكان رسوله إليها رجلاً يقال له خالد بن زهير، فخانه فيها فقال أبو ذؤيب:

تـريدين كـيما تـجمعيني وخـالداً وهل تجمع السيفان ويحك في غمد
أخـالد مـا راعـيت مـنّي قـرابـة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

وكان أبو ذؤيب خان فيها ابن عمٍّ له يقال له مالك بن عويمر، فأجابه خالد:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها وأوّل راضٍ سـنّة مـن يسـيرها
ألم تَـتَنَقَّذها مـن ابـن عـويمر وأنت صـفي نـفسه ووزيـرها[2]

«**ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم**» في الخبر: أفضل الجهاد من أصبح لا يهمّ

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٢١٦، دار التراث ـ بيروت.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ١٠٩، دار الكتاب العربي.

بظلم أحد[١]، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢]، ومن ظلم ظلم، ﴿وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[٣].

وفي (المعجم): قال أحمد بن عبيد بن ناصح: لما أراد المتوكل أن يعقد للمعتز ولايته حططته عن مرتبته قليلاً وأخّرت غداءه عن وقته، فلما كان وقت الانصراف قلت: إحمله. وضربته من غير ذنب، فكتب بذلك إلى المتوكل، فأنا في الطريق منصرفاً إذ لحقني صاحب رسالته فقال. الخليفة يدعوك، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي والغضب بيّن في وجهه والفتح قائم بين يديه متكئاً على السيف، فقال: ما هذا الذي فعلته. قلت: أقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: قل، إنّما سألتك لتقول. قلت: بلغني ما عزم عليه الخليفة فدعوت وليَّ عهده وحططت منزلته ليعرف هذا المقدار من الحط فلا يعجل بزوال نعمة أحد وأخَّرت غداءه ليعرف هذا المقدار من الجوع فإذا شكي إليه الجوع عرف ذلك، وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل على أحد. فقال: أحسنت، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم لحقني رسول قبيحة بعشرة آلاف أُخرىٰ، فانصرفت بعشرين ألف[٤].

قلت: ونقل نظيره عن معلم انوشروان معه في صباوته.

«وأحسن كما تحبُّ أن يُحسن إليك» في الخبر جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فأخذ بغرز راحلته وقال: علّمني شيئاً أدخل به الجنة؟ فقال النبي له: ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم خلِّ سبيل الراحلة ﴿إنَّ الله لا يضيع أجر

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٣١٤، عن المحاسن: ٢٩٢.

(٢) بحار الأنوار ٦٧: ٣٢١، صحيح البخاري ١: ١٣ ح١٠ و ١١ ـ باب ٣ ـ ٥، المستدرك على الصحيحين ١: ١١.

(٣) الانعام: ١٢٩.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢: ٢٣٠ و ٢٣١، دار الفكر، بيروت.

المحسنين﴾[١] ﴿ان الله مع الذين اتّقوا والّذين هم محسنون﴾[٢].

«واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك» قال أبو عبدالله عليه السلام: أما يخشىٰ الذين ينظرون في أدبار النساء أن يبتلوا بذلك في نسائهم[٣].

«وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك» عن المفضل، قال لي أبو عبدالله عليه السلام: أتدري لِمَ قيل من يزنِ يوماً يُزن به؟ قلت: لا. قال: كانت بغيٌّ في بني إسرائيل وكان فيهم رجل يكثر الاختلاف إليها، فلما كان في آخر ما أتاها أجرى الله على لسانها: أما إنّك سترجع إلى أهلك فتجد معها رجلاً، فخرج وهو خبيث النفس، فدخل منزله على غير الحال التي كان يدخله قبل، دخل بغير إذن فوجد على فراشه رجلاً، فارتفعا إلى موسى عليه السلام فنزل جبرئيل وقال: يا موسى! من يَزْنِ يوماً يُزْنَ به. فنظر موسى إليهما فقال: عفّوا تعفّ نساؤكم[٤].

وفي (الأغاني): عن ميمون بن هارون قال: كان محمد بن عبد الملك الزيات يقول: الرحمة خور في الطبيعة وضعف في المنة، ما رحمت شيئاً قط. فلمّا وضع في الثقل والحديد قال إرحموني، فقالوا له: وهل رحمت شيئاً قط فترحم، هذه شهادتك علىٰ نفسك وحكمك عليها.

وفيه: عن الأصمعي: قدم رجل من أهل اليمن مكة فسمع امرأة عبيد الله بن العباس تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بقولها:

يامن أحس بابني اللذين هما كالدرّتين تشظّى عنهما الصدق

فرق لها واتصل ببسر حتى وثق به ثم احتال لقتل ابنيه فخرج بهما الى وادي أوطاس فقتلهما وهرب وقال:

---

(١) التوبة : ١٢٠، يوسف: ٩٠.

(٢) بحار الأنوار ٧٧: ١٢٦، رواية ٤٥، باب ٦ . والآية ١٢٨ من سورة النحل.

(٣) فروع الكافي ٥: ٥٥٣، ح٣، من لا يحضره الفقيه ٤: ١٩، رواية ٤٩٧٢.

(٤) الكافي ٥: ٥٥٣ ح٣.

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت شمس النهار ولا غابت على الناس
خيرٌ من الهاشميِّين الذين همو عين الهدى وسهام الأسوق القاس
ماذا أردت إلى طفلي مولّهة تبكي وتنشد من أنكلت في الناس
أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت من صاحبيك قناتي يوم أوطاس
فاشرب بكأسهما ثُكلاً كما شربت أُمُّ الصبيَّين أو ذاق ابن عباس[1]

وقال تعالىٰ ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتَّقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[2].

«ولا تقل ما لا تعلم وان قلّ ما تعلم» ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾[3].

«ولا تقل ما لا تحب أن يُقال لك» في (المعجم): كان أبو نزار ملك النحاة إذا ذكر عنده أحد النحاة يقول: كلب من الكلاب. فقال له رجل يوماً: فلستَ إذن ملك النحاة، إنّما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضباً وقال: أخرِجوا عنّي هذا الفضولي[4].

وفي (الخصال) عنه عليه السلام قال لبنيه: إيّاكم ومعاداة الرجال، فإنهم لا يخلون من ضربين: من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجّل عليكم، والكلام ذَكَرٌ والجواب أُنثىٰ، فإذا اجتمع الزوجان فلابدّ من النتاج، ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا
ومن هاب الرجال تهيّبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا[5]

وفي (الأغاني): بعث بشّار يوماً إلى صديق له يقال له أبو زيد يطلب منه

---

(١) الأغاني ١٦: ٢٧٢ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.
(٢) النساء: ٩.
(٣) البقرة: ٨٠.
(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٨: ١٣٢، دار الفكر ـ بيروت.
(٥) الخصال: ٧٢ ح ١١١.

ثياباً بنسيئة، فلم يصادفها عنده، فقال يهجوه:

ألا إنَّ أبـــا زيــــد زنـى فـي ليـلة القـدر
ولم يــرع تــعالى الله ربَّــه حـرمة الشــهر

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، ولم يكن أبو زيد ممّن يـقول الشــعر، فقلبها وكتب في ظهرها:

ألا إنّ أبـــا زيــــد له فــي ذلكــم عــذر
أتـــته أُمُّ بشّـــار وقد ضـاق بـه الأمـر
فــواثـبها وجـامعها وما سـاعدها الصـبر

فلما قرئ على بشّار غضب وندم على تعرُّضه لرجل لا نباهة له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظاً ثم قال: لا تعرَّضت لهجاء سفلة مثل هذا أبداً.

وفيه: كان عبدالله بن الحسن الاصبهاني يخلف عمرو بن مسعدة على ديوان الرسائل، فكتب إلى خالد بن يزيد: إن الخليفة المعتصم ينفخ منك مـن غير فحم ويخاطب آمرءً من غير ذي فهم. فقال محمد بن عبد الملك الزيّات: هذا كلام ساقط سخيف، جعل الخليفة ينفخ بالزق كأنّه حداد وأبطل الكتاب. ثـم كتب ابن الزيات إلى عبدالله بن طاهر: أنت تجري أمرك على الأربـح فـالأربح والأرجح فالأرجح، لا تسعى بنقصان ولا تميل برجـحان. فـقال الاصـبهاني: الحمد لله قدأظهر من سخافة اللفظ ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع ورجحان المـيزان ونـقصان الكـيل والخسـران مـن رأس المال، فضحك المعتصم وقال: ما أسرع ما انتصف الاصبهاني منه[1].

وفــي الخـبر: وردالزهـري وهـو كـئيب عـلى السـجاد عليه السلام فـقال له: مـا لك؟ قـال: هــموم تــتوإلى عـليّ مــن جــهة حسّـاد نـعمتي ومـمّن

(١) الأغاني ٣: ١٨٨ و ٢٣: ٥٣، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

أحسنت إليه فتخلف ظنّي.

فقال عليه السلام له: إحفظ عليك لسانك تملك به اخوانك، وإيّاك أن تعجب بنفسك، وإيّاك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كلّ من تسمعه نكراً يمكنك أن توسعه عذراً. ثم قال له عليه السلام: من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك وصغيرهم بمنزلة ولدك وتربك بمنزلة أخيك، فأي هؤلاء تحب أن تظلمه؟ وأيّ هؤلاء تحب أن تدعو عليه؟ وأيّ هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟ وإن عرض لك ابليس بأن لك فضلاً على أحد فانظر ان كان أكبر منك فقل سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل ذنبي أكثر منه، وإن كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فمالي أدع يقيني لشكّي.

يا زهري! ان رأيت المسلمين يعظّمونك فقل هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً عنك فقل هذا لذنب أحدثته، فإنّك إذا فعلت ذلك سهّل الله عيشك وكثر أصدقاؤك وقلّ أعداؤك، وفرحت بما يكون من برهم ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أنّ أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فائضاً وكان عنهم مستغنياً متعفّفاً، وأكرم الناس عليهم بعده من كان عنهم متعفّفاً وان كان إليهم محتاجاً فانما أهل الدنيا يعتقّبون الأموال فمن لم يزاحمهم فيما يعتقّبونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكّنهم من بعضها كان أعزّ وأكرم[1].

وعن الصادق عليه السلام: عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد، وصدق الحديث

(١) بحار الأنوار ٧٤: ١٥٥، رواية ١.

واداء الأمانة، وحسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم[١].

وعنه عليه السلام صاحب علي عليه السلام ذمياً فقال له الذميُّ: يا عبدالله! أين تريد؟ قال: الكوفة، فلما عدل الطريق بالذميِّ عدل عليه السلام معه، فقال له الذميّ: ألست قلت أريد الكوفة؟ قال: بلى. قال: فقد تركت الطريق. فقال قد علمت. قال: فلِمَ عدلت معي وقد علمت ذلك؟ قال: من تمام حسن الصحبة أن يشيّع الرجل أخاه هنيهة إذا فارقه، هكذا أمرنا نبيّنا. فقال؛ هكذا أمر نبيّكم، لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أنّي على دينك، فرجع الذميّ مع علي عليه السلام فلما عرفه أسلم[٢].

وعن زكريا بن إبراهيم قلت للصادق عليه السلام: إنّي كنت نصرانياً وإنّ أبي وأمّي على النصرانية وأُمّي مكفوفة البصر أكون معهم وآكل في آنيتهم. قال عليه السلام: يأكلون لحم الخنزير؟ قلت: لا ولا يمسّونه. فقال: لا بأس، وانظر أُمَّك فبِرَّها، ثم ذكر أنّه زاد في برّها على ما كان يفعل وهو نصراني، فسألته فأخبرها أَنّ إمامه أمره بذلك، فأسلمت[٣].

«واعلم أنّ الإعجاب» أي: العُجب بالنفس.

«ضد الصواب وآفة الألباب» في (عيون القتيبي): قيل لرجل من بني عبد الدار: ألا تأتي الخليفة. قال أخشىٰ أن لا يحمل الجسر شرفي. وقيل له: البس شيئاً فان البرد شديد. فقال: حَسَبِي يُدفئني.

ومدّ أعرابي يده في الموقف وقال: اللّهم إن كنت ترى يداً

---

(١) الكافي ٢: ٧٧ ح ٩. بحار الأنوار ٧٠: ٢٩٩ ـ رواية ٩ ـ باب ٥٧.

(٢) الكافي ٢: ٦٧٠ ح ٥. بحار الأنوار ٤١: ٥٣ ـ رواية ٥ ـ باب ١٠٤.

(٣) الكافي ٢: ١٦٠ ح ١١ بتلخيص.

أكرم منها فاقطعها.

وكان جذيمة الأبرش سمّي بذلك لبرص فيه، فقالوا الأبرش خوفاً منه، كان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وقال: أنا أعظم من أن أُنادم إلّا الفرقدين، فكان يشرب كأساً ويصب لكلّ واحد منهما في الأرض كأساً[1].

«فاسع في كدحك» قال ابن أبي الحديد: الكدح هنا المال الذي كدح في حصوله، والسعي فيه إنفاقه، وهذه كلمة فصيحة[2].

قلت: هو كما ترى، وكيف كان فقد قال تعالىٰ: ﴿يا أيّها الإنسان إنّك كادح إلى ربّك كدحاً فملاقيه * فأمّا من أوتي كتابه بيمينه* فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره* فسوف يدعو ثبوراً * ويصلى سعيراً* إنّه كان في أهله مسروراً * إنّه ظن أن لن يحور* بلى إنّ ربّه كان به بصيراً﴾[3].

وقال الزمخشري: الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من (كدح جلده) إذا خدشه، ومعنى «كادح إلى ربك» جاهد إلى لقاء ربك، وهو الموت وما بعده[4].

«ولا تكن خازناً لغيرك» بجمع المال وتركه للوارث، ولذا قالوا «الناس أموال غيرهم أحب اليهم من أموالهم» لأنّ مالهم ما قدّموه وأمّا ما خلّفوه فمال غيرهم.

وفي (الطبري): لمّا مات هشام أغلق الخُزّان الأبواب، فطلبوا قمقماً يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه حتى استعاروا قمقماً من بعض الجيران،

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٨٦ ـ دار الكتب العلمية.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٨٥.

(٣) الانشقاق: ٦ ـ ١٥.

(٤) الكشاف للزمخشري ٤: ٧٢٦.

فقال بعض من حضر: إنّ في هذا لمعتبراً.

وفيه: قال عقال بن شبّه: دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر، فوجّهني إلى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء، ففطن فقال: هو ذاك مالي قباء غيره، وأما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فانّه لكم.

وفيه: كان الوليد بن يزيد أيام هشام خرج فنزل بالأزرق على ماء يقال له «الأغدف» وخلّف كاتبه عياض بن مسلم بالرصافة ليكتب له بما يحدث، فلمّا أتته البشارة بموت هشام وصيرورته خليفة سأل عن كاتبه عياض فقيل له: لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار في حد لا ترجى فيه الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلنّ أحد منه إلى شيء، وأفاق هشام إفاقة فطلب شيئاً فمنعوه، فقال: أرانا كنّا خزّاناً للوليد، ومات من ساعته، وخرج عيّاض من السجن فختم أبواب الخزائن، وأمر بهشام فانزل عن فراشه فما وجدوا له قمقماً يسخن له فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفناً من الخزائن فكفنه غالب مولى هشام[1].

«وإذا كنت» هكذا في (المصرية) والصواب: (أنت) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك» في الخبر أوحى تعالى إلى موسىٰ عليه السلام: أتدري لِمَ خصصتك بوحيي وكلامي. قال: لا. قال: إنّي اَطّلعت إلى خلقي اطّلاعة فلم أرَ فيهم أشد تواضعاً منك، وكان موسىٰ إذا صلّى لا ينفتل حتى يلصق خدّه الأيمن والأيسر بالأرض[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٢٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٨٤.

(٣) الكافي ٢: ١٢٣ ، ٧، بحار الأنوار ١٣: ٣٥٧ ـ رواية ٦١، و ٨٦: ٢٠٠ رواية ٩.

«واَعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقّة شديدة وأنّه لا غنىً لك» هكذا في (المصرية) والصواب: (بك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«فيه عن حسن الارتياد» أي: طلب الكلأ.

«وقدر بلاغك من الزاد» في (عيون ابن قتيبة): أراد قوم سفراً فحاروا عن الطريق وانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية، فنادوه فأشرف عليهم فقالوا: إنّا ضللنا فكيف الطريق؟ فقال لهم: هاهنا ـ وأومى إلى السماء ـ فعلموا الذي أراد، فقالوا: إنّا سائلوك أفتجيبنا أنت؟ قال: سلوا ولا تكثروا، فإن النهار لن يرجع، والعمر لن يعود، والطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد. قالوا: ما الخلق عليه غداً عند مليكهم؟ فقال: على نيّاتهم. فقالوا: فإلى م المؤمّل؟ قال: إلى المقدم. قالوا: أوصنا. قال: تزوّدوا على قدر سفركم، فإنّ خير الزّاد ما بلغ المحل، ثم أرشدهم إلى المحجة وانقمع.

«مع خفة الظهر فلا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك» والمراد حمل أوزار الذنوب وأثقال الآثام لا حمل المال كما توهمه ابن أبي الحديد[٢]، قال تعالىٰ: ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرىٰ وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربىٰ﴾[٣]، ﴿من أعرض عنه فإنّه يحمل يوم القيامة وزراً * خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾[٤]، ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٨٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٨٦.

(٣) فاطر: ١٨.

(٤) طه: ١٠٠ ـ ١٠١.

ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾[١].

«وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمّله وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده» والمراد الإنفاق في سبيل الله، وكان جعفر الطيار من كثرة إنفاقه على أهل الفاقة يسمّى أبا المساكين[٢]، كما ان زينب بنت خزيمة ـ احدى أزواج النبي ـ أيضاً لذلك تسمّى أُم المساكين[٣].

وروى (العلل): أنّ الزُّهري رأى علي بن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي، فقال له: يابن رسول الله ما هذا؟ قال: أُريد سفراً أُعدُّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز. فقال الزهري: فهذا غلامي يحمل عنك، فأبى، فقال: أنا أحمله عنك فإنّي أرفعك عن حمله. فقال عليه السلام: لكني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني، فانصرف عنه. فلما كان بعد أيام قلت له: يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً. قال: بلى يا زهري، ليس ما ظننته ولكنه الموت وله أستعد، والاستعداد له تجنُّب الحرام وبذل الندى والخير.

وروى أيضاً: انّه عليه السلام لما وضع على السرير ليغسل نظر إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل المساكين[٤].

«واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك» في الخبر: إغتنم شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل سقمك

---

(١) الأنعام: ٣١.

(٢) أُسد الغابة ١: ٢٨٧، بحار الأنوار ٢٠: ١٢.

(٣) أُسد الغابة ٥: ٤٦٦، بحار الأنوار ٢٠: ١٢ رواية ٨ باب ١١.

(٤) علل الشرائع: ٢٣١ ح ٥ و ٦.

وحياتك قبل موتك، وغناك قبل فقرك[١].

«واعلم أنّ أمامك عقبة كؤوداً» أي: شاقة المصعد.

«المخفّ فيها أحسن حالاً من المثقل والبطيء» هكذا في (المصرية) والصواب: (والمبطئ) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[٢].

«عليها أقبح حالاً» هكذا في (المصرية) والصواب: (أمراً) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣].

«من المسرع، وإنّ مهبطك بها» هكذا في (المصرية) والصواب: (مهبطها بك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤].

«لا محالة» أي: بلا حيلة.

«على جنّة أو على نار» هكذا في (المصرية) ولكن في (ابن ميثم) أو نار، وفي (ابن أبي الحديد) «إمّا على جنّة أو على نار»[٥].

في (اعتقادات الصدوق): وأمّا العقبات التي على الجسر فاسمها اسم فرض وأمر ونهي، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسم فرض وكان قد قصّر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها، فإن خرج منها بعمل صالح قدّمه أو برحمة تداركته نجا منها إلى عقبة أُخرىٰ، فلا يزال يدفع من عقبة إلى أُخرىٰ ويحبس عند كلّ عقبة فيسأل عمّا قصّر فيه من مَعنى اسمها، فإنْ سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيى حياة لا موت فيها أبداً، وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً، وسكن جوار الله مع أنبيائه وحججه والصدّيقين والشهداء والصالحين من عباده، وإن حبس في عقبة فطولب بحق قصّر فيه إن لم ينجه عمل صالح قدمه ولا أدركته من الله رحمة زلّت به قدمه

(١) بحار الأنوار ٧٧: ٧٧ رواية ٣ باب ٤، بحار الأنوار ٨١: ١٧٣ رواية ١١ باب ١.

(٢ ـ ٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٨٥.

عن العقبة وهوى في جهنم[١].

«فارتد» من راد الكلأ وارتاده أي: طلبه.

«ووطئ المنزل» يقال وطّأت الفراش أي: جعلته وطيئاً.

«قبل حلوله» حتى لا يحصل لك تعب بعده.

«فليس بعد الموت مستعتب» أي: استرضاءً ﴿فإن يصبروا فالنّار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾[٢]، وإنما الاستعتاب في الدنيا.

وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك، ملك ينادي يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي يا صاحب الشر إنـزع وأقصر...[٣].

«ولا إلى الدنيا منصرف» ﴿قال رب ارجعون* لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنّها كلمة هو قائلها﴾[٤].

«واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض» ﴿ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾[٥].

«قد أذن لك في الدعاء وتكلّف لك بالإجابة» ﴿أُدعوني أستجب لكم﴾[٦]، ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون﴾[٧].

---

(١) اعتقادات الصدوق: ٢٥ بتصرف يسير.

(٢) فصلت: ٢٤.

(٣) الكافي ٤: ٤٢، ١.

(٤) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٥) المنافقون: ٧.

(٦) غافر: ٦٠.

(٧) البقرة: ١٨٦.

«وأمرك أن تسأله فيعطيك، وتسترحمه ليرحمك» قال النمر بن تولب:

ومتى تصبك خصاصة فارجُ الغِنىٰ وإلى الذي يهب الرغائب فارغب

وفي الدعاء: «الحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإنْ كنت بخيلاً حين يستقرضني»[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: لا يزيد في العمر إلّا البر، ولا يرد القدر إلّا الدعاء[٢].

«ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه»

في (المروج): كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك: إنَّ الحجّاج قد قدم بلادنا وأُحبّ ألّا تجعل له عليَّ سلطاناً بيد ولا لسان. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج: إنّ محمد ابن علي كتب إليّ يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطاناً بيد ولا لسان فلا تتعرّض له، فلقي الحجّاج ابن الحنفية في الطواف فعضَّ على شفته ثم قال: لم يأذن لي فيك الخليفة. فقال له محمد: ويحك! أو ما علمت أنَّ الله تعالى في كلّ يوم وليلة ثلاثمئة وستين لحظة ـ أو قال نظرة ـ لعلّه أن ينظر إليَّ منها بنظرة ـ أو قال بلحظة ـ فيرحمني فلا يجعل لك عليّ سلطاناً بيد ولا لسان. فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك، فكتب بها عبد الملك إلى ملك الروم وقد كان توعَّده، فكتب إليه ملك الروم: ليست هذه من سجيتك ولا سجية آبائك، ما قالها إلّا نبي أو رجل من أهل بيت نبي[٣].

«ولم يمنعك إن أسأت من التوبة» ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات﴾[٤].

«ولم يعاجلك بالنقمة» ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على

---

(١) كتاب مهج الدعوات ـ بحار الأنوار ٩٤: ٢٨١ ـ رواية ٢ ـ باب ٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٧٧ : ١٦٨ ـ رواية ٣.

(٣) مروج الذهب ٣: ١١٦.

(٤) الشورىٰ : ٢٥.

ظهرها من دابة﴾[١].

«ولم يعيّرك بالانابة» الباء فيه بمعنى «في»، أي: لم يعيّرك وقت إنابتك إليه لِمَ عصيته.

«ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى» هكذا في (المصرية) والصواب: (حيث تعرضت للفضيحة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) وكذا (الخطية)[٢].

ورد في الدعاء: يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر.

«ولم يشدّد عليك في قبول الإنابة» ﴿ويهدي إليه من أناب﴾[٣]، ﴿واتّبع سبيل من أناب إليّ﴾[٤].

«ولم يناقشك» في (الصحاح): المناقشة: الاستقصاء في الحساب[٥]، وفي الحديث «من نوقش الحساب عُذِّبَ»[٦].

«بالجريمة» أي: بالذنب.

«ولم يؤيسك من الرحمة» ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[٧]، ﴿ولا تيأسوا من روح الله انّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾[٨].

---

(١) فاطر: ٤٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٨٧..

(٣) الرعد : ٢٧.

(٤) لقمان : ١٥.

(٥) الصحاح ٣: ١٠٢٣.

(٦) أخرجه الكافي ٥: ١٠٦.

(٧) الزمر: ٥٣.

(٨) يوسف : ٨٧.

«بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة» ﴿والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً* إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيّئاتهم حسنات﴾[1].

«وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشراً» ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلّا مثلها وهم لا يظلمون﴾[2].

«وفتح لك باب المتاب» ﴿من تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متاباً﴾[3].

«وباب الاستيعاب» هكذا في (المصرية) والصواب: (الاستعتاب) كما في (ابن ميثم)[4]، ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيّئات﴾[5].

وفي الخبر: إن آدم عليه السلام قال: يارب! سلّطت عليَّ الشيطان وأجريته مني مجرى الدم، فقال: يا آدم! جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه، ومن همّ منهم بحسنة فإن هو لم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشراً. قال: يا رب زدني. قال: جعلت لك أنّ من عمل سيئة ثم استغفر غفرت له. قال: يا رب زدني. قال: جعلت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه[6].

---

(١) الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) الفرقان: ٧١.

(٤) بحار الأنوار ٥١: ٣٠٣، رواية ١٩، باب ١٥.

(٥) الشورى: ٢٥.

(٦) الكافي ٢: ٤٤٠، ١.

«فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك» ﴿يعلم السرَّ وأخفىٰ﴾[١]، ﴿قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾[٢].

«فأفضيت إليه بحاجتك» أي: خصصته بإظهار حاجتك له.

«وأبثثته» أي: نشرت له.

«ذات نفسك» أي: مقاصدك. وقال السجستاني (ذات الصدور) أي: حاجة الصدور.

قلت: وكلامه ليس بمطّرد، فإنّه لا يناسب قوله تعالىٰ ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾[٣] بل لا يناسب أيضاً قوله تعالىٰ ﴿قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور﴾[٤]، ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾[٥].

«وشكوت إليه همومك» أي: أحزانك.

«واستكشفته كروبك» أي: غمومك.

وورد لدفع الظالم في السجود بعد ركعتي المغرب «يا شديد القوى! يا شديد المحال! يا عزيز! أذللت بعزتك جميع من خلقت، فصل على محمد وآل محمّد وأكفني مؤنة فلان بما شئت»، فدعا به بعضهم على ظالمه فلم يرعه إلّا الواعية بالليل على الظالم وموته فجأة[٦].

---

(١) طه : ٧.

(٢) المجادلة : ١ . بحار الأنوار ٧: ٩٦، باب ٥ .

(٣) الأنفال : ١ .

(٤) آل عمران : ١١٩ .

(٥) آل عمران : ١٥٤ .

(٦) بحار الأنوار ٨٧: ١٠٣، رواية ٣٠ بتغيير قليل .

«واستعنته على أمورك» قال الباقر عليه السلام ـ كما في بيان الجاحظ ـ: إذا أنعم الله عليك نعمة فقل: «الحمد لله» وإذا أحزنك أمر فقل: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» وإذا أبطأ عنك الرزق فقل: «أستغفر الله».

«وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحّة الأبدان وسعة الأرزاق» في (الأُسد) عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالىٰ: يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم كانوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان ما سأل لا ينقص ذلك من ملكي شيئاً، إلّا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة[١].

وفي (العيون): إحتبس القمر عن بني إسرائيل فأوحى تعالى إلى موسى أن أخرِجْ عظام يوسف من مصر، ووعده طلوع الفجر إذا أخرج عظامه، فسأل موسى عمّن يعلم موضعه فقيل له: إنّ هاهنا عجوزاً تعلم علمه، فبعث إليها فأُتي بها مقعدة عمياء، فقال لها: تعرفين موضع قبر يوسف؟ قالت: نعم. قال: فأخبريني به. قالت: لا حتى تعطيني أربع خصال: تطلق لي رجلي، وتعيد لي شبابي، وتردّ إليَّ بصري، وتجعلني معك في الجنّة. فكبر ذلك على موسىٰ عليه السلام فأوحى تعالى إليه: أعطها ما سألت فإنّك إنّما تعطي عليَّ. ففعل فدلّته عليه فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلما أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام[٢].

وفي الخبر: إن موسىٰ عليه السلام قال: يا ربّ إنّك لتعطيني أكثر من أملي. قال: لأنّك تكثر من قول ﴿ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله﴾[٣].

---

(١) أُسد الغابة ١: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

(٢) عيون الصدوق ١: ٢٠٣ ح١٨.

(٣) الكهف: ٣٩.

«ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مساءلته، فمتى شئت استفتحت بالدّعاء أبواب نعمته» في (الكافي) عن أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن صدر تقيٍّ وقلب نقيٍّ، وفي المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع[1].

وعن الصادق عليه السلام: الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر، وما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبّار إلّا استحى أن يردّها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتى يمسحها على وجهه ورأسه، وان العبد إذا عجّل فقام لحاجته يقول تعالى أما يعلم عبدي أنّي أنا الله الذي أقضي الحوائج، وإنّ الله تعالى كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه، إنّ الله تعالى يحب أن يُسأل ويُطلب ما عنده[2].

«واستمطرت» أي: طلبت عطاءً كالمطر، قال الفرزدق:

. . . . واستمطروا من قريش كلّ منخدع[3]

«شآبيب» جمع الشؤبوب؛ الدفعة من المطر.

«رحمته فلا يقنطنك» أي: لا يؤيسنك.

«ابطاء» أي: تأخير.

«إجابته» وفي (الكشي): قال يونس بن عبد الرحمن: صمت عشرين سنة، وسألت عشرين سنة، ثم أُجبت[4].

---

(١) الكافي ٢: ٤٦٨ح ٢.

(٢) الكافي ٢: ٤٧١ح ١ و ٢؛ ٢: ٤٧٤ح ٢ و ٤٧٥ح ٤. من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٥ رواية ٩٥٣.

(٣) لسان العرب ٥: ١٧٩، مادة (مطر).

(٤) الكشي: ٤٨٥، ح٩١٨.

«فإنّ العطية على قدر النيّة» لا بمجرد لفظ الدعاء.

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لمّا ٱستسقى النبي صلى الله عليه وآله وسقي الناس حتى قالوا إنّه الغرق، وقال: «اللّهم حوالينا ولا علينا» فتفرّق السحاب، قالوا له صلى الله عليه وآله إستسقيت لنا فلم نسق، ثم استستقيت فسقينا. قال: إنّي دعوت وليس لي في ذلك نيّة ثم دعوت ولي في ذلك نيّة.

وعنه عليه السلام: إن الله تعالى لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساهٍ، فإذا دعوت فأقبل بقلبك[1].

«ثم ٱستيقن بالإجابة وربما أُخِّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل» أي: أعظم وأكثر «لعطاء الأمل».

في الخبر: بينا إبراهيم عليه السلام في جبل بيت المقدس يطلب مرعى غنمه إذ سمع صوتاً، فإذا هو برجل قائم يصلّي، طوله نحو اثني عشر شبراً، فقال له: يا عبدالله لمن تصلّي؟ قال: لإله السماء. قال: فمن أين تأكل؟ قال: أجتني من هذا الشجر في الصيف وآكل في الشتاء. قال له: فأين منزلك؟ فأومىٰ بيده إلى جبل، فقال له إبراهيم: هل لك أن تذهب بي معك فأبيت عندك الليلة؟ فقال: إنّ قدّامي ماءً لا يخاض. قال: كيف تصنع. قال: أمشي عليه. قال: فاذهب بي معك لعل الله يرزقني ما رزقك. فأخذ العابد بيده فمضيا حتى ٱنتهيا إلى الماء فمشىٰ ومشى ابراهيم عليه السلام معه حتى ٱنتهيا إلى منزله، فقال له إبراهيم: أيُّ الأيام أعظم؟ فقال العابد: يوم الدين، يوم يدان الناس بعضهم من بعض. فقال: هل لك أن ترفع يدك وأرفع يدي فندعو الله أن يؤمننا من شر ذلك اليوم. فقال: وما تصنع بدعوتي، فوالله إنّ لي لدعوة منذ ثلاث سنين ما أجبت فيها بشيء. فقال له ابراهيم: أولا أخبرك لأي شيء احتبست دعوتك؟ قال: بلى. قال: إنّ الله تعالى

---

(١) الكافي ٢: ٤٧٣ ـ ٤٧٤، ١ و ٥.

إذا أحبّ عبداً احتبس دعوته ليناجيه ويسأله ويطلب إليه، وإذا أبغض عبداً عجّل له دعوته أو ألقىٰ في قلبه اليأس منها. ثم قال له: وما كانت دعوتك؟ قال: مرَّ بي غنم ومعه غلام له ذؤابة فقلت: يا غلام! لمن هذا الغنم؟ قال: لإبراهيم خليل الرحمن. فقلت: اللّهم ان كان لك. في الأرض خليل فأرنيه. فقال له إبراهيم: فقد استجاب الله لك أنا إبراهيم خليل الرحمن فعانقه. قال: فلما بعث الله محمّداً جاءت المصافحة[1].

«وربما سألت الشيء فلا تؤتاه» أي: لا تعطاه «وأوتيت» أي: اعطيت «خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف» ذلك الشيء «عنك لما هو خير لك» قال البحتري:

والشيء تمنعه تكون بفوته أجدى من الشيء الذي تعطاه

هذا، وفي (الأغاني): قال بعض أصدقاء الحسين بن الضحّاك يوماً له: تأخرت أرزاقك، ونفقتك كثيرة؛ فكيف يمشي أمرك؟ فقال له: ما قوام أمري إلّا ببقايا هبات الأمين وهبات جارية له أغنتني للأبد؛ لشيء ظريف جرى على غير تعمّد، وهو أن الأمين دعاني يوماً فقال: ان جليس الرجل موضع سره، إنَّ جاريتي فلانة أحسن الناس وجهاً وغناء وهي مني بمحل نفسي ونغصت النعمة عليّ بتجنّيها عليّ وإدلالها بما تعلم من حبي إيّاها، وإنّي محضرها ومحضر صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها، فإذا غنّت جاريتي فلا تحسِّن غناءها ولا تشرب عليه، وإذا غنّت الأُخرىٰ فاشرب واطرب واشقق ثيابك، وعليّ مكان كلّ ثوب مئة ثوب. فقلت: السمعة والطاعة، فجلس في الخلوة فأحضرني وسقاني وخلع عليَّ، فغنّت المحسنة وقد أخذ الشراب منّي فما تمالكت أن استحسنت وطربت وشربت، فأومى إليّ وقطب في وجهي، ثم غنّت الأُخرىٰ فجعلت أتكلّف ما أقول وأفعله، ثم غنّت المحسنة ثانية فأتت بما

---

(١) أخرجه امالي الصدوق ٢٤٤ ـ ٢٤٥، المجلس ٤٩، ح١١.

لم أسمع مثله، فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت والأمين ينظر إلي ويعض شفتيه غيظاً، وقد زال عقلي فما أُفكر فيه حتى فعلت ذلك مراراً، فغضب وأمر بجر رجلي من عنده، فجررت وأمر بأن أحجب بعد، ثم بعد شهر أمر بإحضاري فحضرت وأنا خائف، فضحك إليّ وقام وقال: إتبعني، ودخل الى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري وغنت المحسنة التي نالني من أجلها ما نالني، فسكتّ، فقال لي: قل ما شئت ولا تخف لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب، إنّ هذه الجارية عادت إلى الحال التي أُريد منها فسألتني الرضا عنك وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار ووصلتك هي بدون ذلك لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألّا تصل إليّ لأجبتها، فدعوت له وحمدت الله على توفيقه وانصرفت، فما كان يمضي أُسبوع إلّا وألطافها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال، وما جالست الأمين مجلساً بعد ذلك إلّا سألته أن يصلني، فكل شيء أُنفقه إلى هذه الغاية من فضل مالها وما ادّخرت من صلاتها[١].

«فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أُوتيته» فكان بنو إسرائيل يقولون لموسىٰ عليه السلام: ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا﴾[٢] فقال لهم موسىٰ ﴿عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾[٣]، فلما أهلك الله تعالى فرعون وصاروا خلفاء الأرض صاروا مثل فرعون، فكانوا يقتلون أنبياء الله وعبدوا العجل.

وفي (عيون ابن قتيبة): قال عبد الصمد بن يزيد: استخيروا الله ولا تخيروا عليه، فكم من عبد تخيّر لنفسه أمراً كان فيه هلاكه، أما رأيتم من سأل

---

(١) الأغاني ٧: ٢٠٥، دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

(٢ و ٣) الأعراف : ١٢٩ .

ربّه طرسوس فأُعطِيَها فأُسر فصار نصرانياً.

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله قال تعالى: إنّ من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلّا بالغنى والسعة والصحة في البدن فيصلح عليهم أمر دينهم بها، وإنّ من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلّا بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمر دينهم فأبلوهم بها، وإنّ من عبادي لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجّد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنُّعاس اللَّيلة واللّيلتين نظراً منّي له وإبقاءً عليه فينام حتى يصبح وهو ماقت لنفسه زارٍ عليها، ولو أُخلِّي بينه وبين ما يريد لدخله العجب، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه[1].

«فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ويُنفى عنك وباله» من المعنويات والأُمور الدنيوية التي لا تضرُّ بدينك.

«والمال لا يبقى لك» إن بقيت.

«ولا تبقى له» إن بقي ﴿وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾[2].

إلى أن قال: «واعلم يقيناً انك لم تبلغ أملك» لعدم حدٍّ لآمال الإنسان.

«ولن تعدو» أي: لن تجاوز.

«أجلك» ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[3].

«وانك في سبيل من كان قبلك» «وكلُّ حيٍّ سالكُ السَّبيل».

«فخفّض» أي: خفف.

«في الطلب وأجمل» ولا تأت بما يستقبح.

---

(١) الكافي ٢: ٦٠، رواية ٤.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) النحل: ٦١.

«في المكتسب، فإنّه ربّ طلبٍ قد جرَّ إلى حَرَبٍ» أي: سلب المال، ومثله قولهم «ربّ طمع أدنى إلى عطب» أي: هلاكه، وفي ديوان النابغة:

واليأس ممّا فات يعقب راحة ولرب مطمعة تعوذ ذباحا

«فليس كلّ طالب بمرزوق، ولا كلّ مجمل بمحروم» علّة لقوله عليه السلام: «خفّض في الطلب وأجمل في المكتسب» وبدله رواية الكليني بقوله «وليس كلّ طالب بناج ولا كلّ مجمل بمحتاج»[1]. وكيف كان فقال ابن عبدل:

قد يرزق الخافض المقيم وما شدّ بعنس رحلاً ولا قتبا

ويحرم الرزق ذو المطيّة والرحـ ـل ومن لا يزال مغتربا

ولآخر:

وليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن حظوظ بأرزاق وأقسام

كالصيد يُحرَمه الرامي المجيدُ وقد يرمي فيُحرزه من ليس بالرام

وقال البحتري:

خفض أسى عمّا شاءك طلابه ما كلّ شائم بارق يسقاه

وقد تتناهى الأُسدُ من دون صيدها شباعاً وتغشى صيدها وهي جوّع

وفي (المعجم): دخل الناشي الأحصى على سيف الدولة فأنشده قصيدة له فيه، فاعتذر سيف الدولة بضيق اليد يومئذ، فخرج من عنده فوجد على بابه كلاباً تذبح لها السخال وتطعم لحومها، فعاد إليه وأنشده:

رأيت بباب داركم كلاباً تغذّيها وتُطعمها السِّخالا

فما في الأرض أدبر من أديب يكون الكلب أحسن منه حالاً

ثم اتفق أن حمل إلى سيف الدولة أموال من بعض الجهات على بغال، فضاع منها بغل بما عليه وهو عشرة آلاف دينار، وجاء هذا البغل حتى وقف

(١) كشف المحجة: ١٦٦.

على باب الناشي بالاحص، فسمع حسّه فظنّه لصاً فخرج إليه بالسلاح فوجده بغلاً موقراً بالمال، فأخذ ما عليه من المال وأطلقه، ثم دخل حلب ودخل على سيف الدولة وأنشد قصيدة يقول فيها:

ومن ظن أن الرزق يأتي بحيلة فقد كذبته نفسه وهو آثم
يفوت الغنى من لا ينام على السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم

فقال له سيف الدولة: بحياتي وصل اليك مال كان على البغل. قال: نعم. قال: خذه بجائزتك مباركاً لك فيه، فقيل لسيف الدولة: كيف عرفت ذلك؟ قال: عرفته من قوله «وآخر يأتي رزقه وهو نائم» بعد قوله «يكون الكلب منه أحسن حالاً»، وقال البحتري:

وعجبت للمحدود يحرم ناصباً كلفاً وللمجدود يغتم قاعدا

«واكرم نفسك عن كل» صفة «دنيّة وإن ساقتك إلى الرّغائب» جمع الرغيبة العطاء الكثير.

رأى أعرابي إبِلَ رجل قد كثرت بعد قلة، فسأل عن العلة قيل له: إنّه زوّج أمَّه فجاءته بنافجة. فقال: اللّهم إنّا نعوذ بك من بعض الرزق. قال البحتري:

خَلِّ الثـراء إذا أحرَزْتَ مغبَّته واخترْ عليه على نقصانه العدما

«فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً» قال الشاعر:

إنَّ الهوى دنس النفوس فليتني طهّرت هذي النفس من أدناسها
ومطامع الدنيا تذلُّ ولا أرىٰ شيئاً أعزّ لمهجة من ياسها

أيضاً:

إذا أظمأتك أكفُّ اللِّئام كفتك القناعة شبعاً وريّا
فكن رجلاً رِجله في الثرى وهامة همّته في الثُّريّا
أبيّاً لنائل ذي ثروة تراه بما في يديه أبيا

فــإنّ إراقــةَ مــاء الحـياة　　　دون إراقــة مــاء المــحيّا

«ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً» في (شعراء ابـن قـتيبة): أصـاب عروة بن الورد العبسي في الجاهلية فـي بـعض غـاراتـه آمـرأة مـن كـنانة فاتَّخذها لنفسه فأولدها وحجّ بها ولقيه قومها وقالوا: فادِنا بـصاحبتنا فـإنّا نكره أن تكون سبيَّةً عندك. قال: على شريطة. قالوا: وما هي؟ قـال: عـلى أن تخيّروها بعد الفداء؛ فإن اختارت أهلها أقامت فيهم، وان اختارتني خرجتُ بها. وكان يرى أنّها لا تختار عليه، فأجابوه إلى ذلك وفادوه بـها، فـلما خـيّروها اختارت قومها، ثم قالت له: اما إنّي لا أعلم امرأة ألقت ستراً على خير منك أغفل عيناً وأقل فحشاً وأحمى لحقيقة، ولقد أقمت معك ومـا مـن يـوم يـمضي إلّا والموت أحبُّ إليَّ من الحياة فيه، وذلك أنّي كنت أسمع المرأة من قومك تقول: «قالت أمة عروة كذا، وفعلت أمة عروة كذا» والله لا نظرت في وجه غطفانية؛ فارجع راشداً وأحسن إلى ولدك[1].

وفي (أدب كتاب الصولي): كتب رجل إلى المهدي كتاباً عنوانه «عـبده فلان» فقال: لا أعلمن أحداً نسب نفسه إلى عبودة في كتاب فإنّه مـلق كـاذب وليس يقبله إلّا متكبّر أو غبيٌّ.

ورأى طاهر بن الحسين رقعة كتبها ابـنه عـبدالله إلى المأمـون عـليها «عبده» فقال: يا بنيّ! سميتك عبدالله وكذلك أنت فلا تشركنّ في الملك أحـداً، فإنّه جعلك بإنعامه حرّاً لا مولى لك سواه.

وكـــان أحـد العـرفاء وزيـراً لسـلطان، فـاستوحش مـنه فكـتب إليـه السلطان يستعطفه، فأجـابه بأنّـي كـنت حـرّاً فـي جـبلّتي فـعبّدني إحسـان السلطان ورجعني استيحاشه إلى أصل الفطرة، فلا أعود بـعد إلى العـبودية

---

(١) الشعر والشعراء: ٤٥٠، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

لمّا أنقذني الله منها.

ولبعضهم: لرد أمس بالحبال، وحبس عين الشمس بالعقال، ونقل ماء البحر بالغربال، أهون عليَّ من ذُلّ السؤال، واقفاً على باب مثلي أرتجي منه النوال. وقيل بالفارسية:

گر بخارد پشت من انگشت من   خم شود از بار مِنَّتْ پُشت من

وكان عارفٌ مقيماً على نهر يقتات من الأعلاف التي يجيء بها الماء، فمر به جندي فقال: لو كنت مثلي تخدم السلاطين لما كان قوتك مثل هذا. فقال له: لو كنت قانعاً مثلي لما صرت عبداً وخادماً للناس.

«**وما خير خير لا ينال إلّا بشرّ، ويسر لا ينال إلّا بعسر**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في نسخة ابن ميثم «وما خير خير لا يوجد إلّا بشرّ ولا ينال إلّا بعسر»[1].

وكيف كان؛ ففي (أمثال العسكري): كان أهل بيت زرارة حضان الملوك، فافتخر بذلك حاجب بن زرارة فقال:

حللنا بأثناء العذيب ولم تكن   تحل بأثناء العذيب الركائب

لنكسب مالاً أو نصيب غنيمة   وعند ابتلاء النفس تدنو الرغائب

حضنّا ابن ماء المزن وابن محرّق   إلى أن بدت منهم لحىً وشوارب

فعابه الناس وقالوا: ما رأينا من يفتخر بالمعائب، وذلك أن الظئر خادمة والخدمة تضع ولا ترفع. وقيل: تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها، وقالوا: العبد حرٌّ ما قنع، والحرُّ عبدٌ ما طمع[2].

وقال أخو ذي الرّمّة لمن أراد سفراً: إنَّ لكل رفقة كلباً يشركهم في فضلة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٩٣.

(٢) جمهرة الأمثال ١: ٢٦١، دار الجيل ـ بيروت.

الزاد ويهر دونهم، فإن قدرت ألّا تكون كلب الرفقة فافعل.

«وإيّاك أن توجف بك» الإيجاف: السّير السريع، قال تعالىٰ: ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾[١].

«مطايا» أي: دوابُّ.

«الطمع فتوردك مناهل» في (الصحاح) المنهل: عين ماء ترده الابل في المرعى، وتسمّى المنازل التي في المفازة على طريق السفار؛ مناهل، لأن فيها ماء[٢].

«الهلكة» قال الشاعر:

طمعت بليلى أن تريع وإنّما ... تقطّع أعناق الرجال المطامع

أيضاً:

وارفض دنيئات المطامع إنّها ... شينٌ يعرُّ وحقُّها أنْ ترفضا

أيضاً:

رأيت مخيّلة فطمعت فيها ... وفي الطمع المذلّة للرّقاب

وفي (الطبري) في وقايع سنة (٢٨٧) أسر إسماعيل بن أحمد الساماني عمرو ابن الليث الصفّار، وكان من خبرهما أن عمراً سأل السلطان أن يولّيه ما وراء النهر، فولّاه ذلك ووجّه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخِلَعِ واللّواء على ما وراء النهر، فخرج لمحاربة إسماعيل، فكتب إليه إسماعيل: إنّك قد وليت دنياً عريضة وإنّما في يدك ما وراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني مقيماً بهذا الثغر، فأبى إجابته، فذكر له أمر نهر بلخ وشدّة عبوره فقال: لو أشاء أن أسكره ببدر الأموال وأعبره لفعلت. فلما أيس اسماعيل من انصرافه

---

(١) الحشر: ٦.

(٢) الصحاح ٥: ١٨٣٧، دار العلم للملايين ـ بيروت.

عنه جمع من معه والتُنّاء والدَّهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربي، وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ عليه اسماعيل النواحي، فصار كالمحاصر وطلب المحاجزة فيما ذكر فأبى اسمٰعيل عليه ذلك، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى انهزم عمرو فولى هارباً ومرَّ بأجمة في طريقه قيل له إنّها أقرب، فقال لعامة من معه امضوا في الطريق الواضح، ومضى في نفر يسير فدخل الأُجمة، فوحلت دابته فوقعت ولم يكن له في نفسه حيلة، ومضى من معه ولم يلووا عليه، وجاء أصحاب اسماعيل فأخذوه أسيراً[١].

«فان استطعت ألّا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل» في (القصص): لما سلب سليمان عليه السلام ملكه خرج على وجهه فضاف رجلاً عظيماً فأضافه وأحسن إليه ونزل منه منزلاً عظيماً لما رأى من صلاته وفضله وزوّجه بنته، فقالت له بنت الرجل: بأبي أنت وأُمي ما أطيب ريحك وأكمل خصالك! لا أعلم فيك خصلة أكرهها إلّا أنّك في مؤونة أبي. فخرج سليمان حتى أتى الساحل، فأعان صيّاداً ثمة فأعطاه السمكة التي وجد في بطنها خاتمه[٢].

وقال الجاحظ: عليّة أصحاب السلطان ومصاصهم وذوو البصائر منهم يعترفون بفضيلة التجار ويتمنّون حالهم ويحكون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون أنّهم أودع الناس بدناً وأهنأهم عيشاً وآمنهم سرباً، لأنّهم في أفنيتهم كالملوك على أسرتهم يرغب إليهم أهل الحاجات وينزع إليهم ملتمسو البياعات، لا تلحقهم الذلّة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لمعاملاتهم، وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته، فإنّ أُولئك لباسهم الذلّة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة، قد لبسها

---

(١) تاريخ الطبري ١٠: ٧٦، دار سويدان ـ بيروت .

(٢) أخرجه أمالي الطوسي ٢: ٢٧٢ ، المجلس ١٧ . بحار الأنوار ٢: ٦٩، باب ٥، رواية ٣.

الرعب وألفها الذلّ وصحبها ترقّب الاجتياح، وهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيّر الدولة واعتراض حلول المحن، فإنْ هي حلت بهم ـ وكثيراً ما تحلّ ـ فناهيك بهم مرحومين يرقُّ لهم الأعداء فضلاً عن الأولياء، فكيف لا يميّز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله ومن قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الأُثر وقضاء اللذات من غير منّة لأحد، ومن استرقَّه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنيعة، وطوّق عنقه الامتنان واستُرهِن بتحمّل الشكر.

«فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك» في (تاريخ بغداد): قال المأمون يوماً وهو مقطّب لأبي دلف: أنت الذي يقول فيه الشاعر:

إنّما الدنيا أبو دلف ... عند باديه ومحتضره

فإذا ولّى أبو دلف ... ولّت الدنيا على أثره

فقال له أبو دلف: شهادة زور وقول غرور وملق معتب وطالب عرف، وأصدق منه ابن أُخت لي حيث يقول:

دعني أجوب الأرض ألتمس الغنى ... فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

فضحك المأمون وسكن غضبه[1].

«وان اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم» هكذا في (المصريِة) والصواب: (أكرم وأعظم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«من الكثير من خلقه وإن كان كلّ منه» زاد في رواية (التحف) (ولو نظرت ـ ولله المثل الأعلىٰ ـ فيما يطلب من الملوك ومن دونهم من السفلة، لعرفت أنّ لك في يسير ما تصيب من الملوك افتخاراً، وأنّ عليك في

---

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٤٢١، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٩٣.

كثير ما تصيب من الدناة عاراً)[١].

سير النواعج في بلاد مضلّة يمسي الدليل بها على ملمال
خير من الطمع الدنيّ ومجلس بفناء لا طلق ولا مفضال
فاقصد لحاجتك المليك فإنّه يغنيك عن مترفّع مختال

«وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك على ما فات من منطقك» هذا أحد الأدلّة على أفضلية الصمت على النطق، وقالوا في مثله: «الندم على السكوت خير من الندم على القول»[٢]، أيضاً «عيٌّ صامت خير من عيٍّ ناطق»[٣].

هذا، وزاد في رواية (التحف) قبله: (وفي الصمت السلامة من الندامة)[٤].

«وحفظ ما في الوعاء» أي: الظرف والآنية.

«بشدّ» أي: بعقد.

«الوكاء» قال الجوهري: الوكاء: الذي يشدّ به رأس القربة[٥].

وفي الخبر: إنَّ مَن أعطاه الله تعالىٰ مالاً ولم يقم عليه كما ينبغي فذهب ماله ثم دعا بأن يعطيه ثانياً كان ممّن لا يستجاب له، ويقال له قد أُعطيت فلِمَ لم تحفظ[٦].

وفي (الأغاني): قال اسحاق الموصلي: قال ابو المحبب ـ أو غيره ـ دعا رجل من الحي يُقال له أبو سفيان؛ القتّال الكلابي إلى وليمة، فجلس القتّال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى ارتفع النهار وكانت عنده فقرة

(١) تحف العقول : ٧٨، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٤٦، الزمخشري ١: ٣٥٣.
(٣) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٩، الزمخشري ٢: ١٧٥.
(٤) تحف العقول : ٧٩، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
(٥) الصحاح للجوهري ٦: ٢٥٢٨، دار العلم للملايين ـ بيروت.
(٦) أخرجه الكافي ٢: ٥١٠ ـ ٥١١ ، ١ ـ ٣.

من حوار فقال لامرأته:

فإنّ أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فقرة من حوارك

قال إسحاق: فقلت له ثم مه. قال: لم يأت بعده بشيء. فقلت له: أفلا أزيدك إليه بيتاً آخر ليس بدونه. قال: بلى. قلت:

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك

فقال: والله لقد أرسلته مثلاً وما يلام الخليفة أن يدنيك ويؤثرك[١].

هذا، وزاد في رواية (التحف) قبله: «ولا تحدّث إلّا عن ثقة، فتكون كاذباً والكذب ذلّ»[٢].

«وحفظ ما في يديك أحبّ إلي من طلب ما في يد غيرك» من أمثالهم «عمّك خرجك»[٣]، وأصله أن رجلاً سافر بلا زاد برجاء خرج عمه، فمنعه منه وقال له عمك خرجك.

وفي الخبر: لو يعلم الناس مافي السُّؤال لما سأل أحد أحداً[٤]. وقال بعضهم: أحفظ مالي ويصير بعدي إلى أعدائي أحبّ إليَّ من أن يذهب مالي فأحتاج إلى أصدقائي. وقال:

إستغن أو مت ولايغررك ذو نشب من ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خال

إنّي أكبّ على الزوراء أعمرها إنّ الكريم على الأقوام ذو المال

ولأبي هلال العسكري:

فلو أنّي جُعِلت أمير جيش لما قاتلت إلّا بالسُّؤال

فإنّ الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالي

---

(١) الأغاني ٥: ٢٧٥ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) تحف العقول: ٧٩، طبعة دار النشر الاسلامي ـ قم.

(٣) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٧، الزمخشري ٢: ١٦٨.

(٤) الكافي ٤: ٢٠ ح ٢.

«ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس» وزاد في رواية (التحف) «وحسن التدبير مع الكفاف أكفى لك من الكثير مع الاسراف» قال قتال الكلابي «وفي الصرم إحسانٌ إذا لم يُنوَّل»[1].

وقالوا: دعا حذيفة ابنه عند موته فقال له: أظهر اليأس ممّا في أيدي الناس فإنَّ فيه الغنى، وإيّاك وطلب الحاجات إلى الناس فإنّه فقر حاضر.

وقال اعرابي لرجل مطله في حاجته: إنَّ مثل الظفر بالحاجة: تعجُّل اليأس منها إذا عسر قضاؤها، وإنّ الطلب وإن قلّ؛ أعظم قدراً من الحاجة وإن عظمت. وقالوا:

وتركك مطلب الحاجات عزٌّ ومطلبها يُذِلُّ عُرى الرقاب

وقالوا:

لئن طبت نفساً عن ثنائي فإنّني لأطيب نفساً عن نَداك على عسري

«والحرفة» قالوا محارف بفتح الراء خلاف مبارك، قال الراجز:

محارَفٌ بالشّاء والأباعر مبارك بالقَلَعيّ الباتر

«مع العفة؛ خير من الغنى مع الفجور» لأنّ الفجور مستتبع لفقر الآخرة الذي هو أصل الفقر.

هذا، وقريب من قوله عليه السلام قولهم: «قرب الدار في إقتار؛ خير من العيش الموسع في اغتراب».

«والمرء أحفظ لسره» وكان عليه السلام ـ كما في (عيون ابن قتيبة) ـ يتمثّل بهذين البيتين:

ولا تفش سرك إلّا اليك فإنّ لكل نصيح نصيحا

---

(١) تحف العقول: ٧٩، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

فـــإنّي رأيت غــواة الرجــا ل لايتركون أديماً صحيحا[١]

وقيل لاعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما قلبي له إلّا قبر.

وكانت الحكماء تقول: سرّك من دمك. وقال الشاعر:

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت منّي الضلوع من الأسرار والخبر

لكــنت أوّل مــن يـنسىٰ سـرائـره إذ كنت من نشرها يوماً على خطر

أيضاً:

إذا ما ضاق صدرك عن حـديث فأفشــته الرجـال فـمن تـلوم؟

إذا عـاتبت مـن أفشـى حـديثي وســرّي عــنده فأنــا الظـلوم

أيضاً:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سـرّها فسرُّك عند الناس أفشى وأضيع

وفيه: قرأت في (التاج): أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال أحدهم: ليس للملك أن يستشير منّا أحداً إلّا خالياً به؛ فإنّه أموت للسرّ وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإنّ إفشاء السرِّ إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين، وافشاءه إلى ثلاث كإفشائه إلى العامّة، لأن الواحد رهن بما أُفشي إليه، والثاني يُطلق عنه ذلك الرهن، والثالث علاوة فيه، وإذا كان سرّ الرجل عند واحد كان أحرىٰ ألّا يظهره رهبة منه ورغبة إليه، وإذا كـان عـند اثـنين دخـلت عـلى المـلك الشُّـبهة واتسـعت عـلى الرجـلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحـد وإن اَتَّـهمهما اتّـهم بـريئاً بجناية مجرم، وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخـر ولا حجّة معه[٢].

---

(١) عيون الأخبار ١: ٩٧، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) عيون الأخبار ١: ٨٢، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وعن عمرو بن العاص: إذا أنا أفشيت سرّي إلى صديق فاذاعه فهو في حلٍّ. قيل له: وكيف؟ قال: لأنّي كنت أحقّ بصيانته.

هذا، وأما قول جميل بثينة:

أموت وألقى الله يا بثن لم أبُحْ ... بسرّك والمستخبرون كثير

فإنّه وإن قال لفظاً إنه لا يبوح بسرّها إلّا أن شعره هذا كان نشراً لسرّها لأهل عصرها جميعاً ولكلّ عصر بعده، فهو أنشر للسر من أعرابي قال:

ولا أكتم الأسرار لكن أنمُّها ... ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي

وإنَّ قليل العقل من بات ليله ... تقلّبه الأسرار جنباً إلى جنب

«ورب ساع فيما يضره» وقالوا: «رب طائر بجناحه إلى موضع اجتياحه».

في (أذكياء ابن الجوزي): خرج ابن أبي الطيّب القلانسي الكاتب النصراني في سنة نيّف وأربعين وثلاثمئة من جند يسابور إلى بعض شأنه في الرستاق، فأخذه الأكراد وعذّبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل وكتب إلى أهله: أنفذوا إلي أربعة دراهم أفيون وأعلموا أنّي أشربها فتلحقني سكتة فلا يشك الأكراد أنّي متٌّ، فيحملوني إليكم فإذا حصلت عندكم فأدخلوني الحمّام واضربوني ليحمىٰ بدني وسوّكوني بالأرياج، وكان سمع أن من شرب أفيوناً أسكت فإذا أُدخل الحمام وضرب وسوك بالارياج برأ ولم يعلم مقدار الشرب فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته فلفوه في شيء وأنفذوه إلى أهله فلما حصل عندهم أدخلوه الحمّام وضربوه وسوّكوه فما تحرّك، وأُقيم في الحمّام أياماً ورآه أهل الطب فقالوا: قد تلف كم شرب؟ قالوا: أربعة دراهم. قالوا: لو شوي هذا في جهنم ما عاش، إنّما يجوز هذا عن شرب أربعة دوانيق أو حوالي درهم، فلم يفعل أهله وتركوه في الحمام حتى

أراح وتغيّر ثم دفنوه[١].

وفيه: روي أنَّ بلال بن أبي بردة بن أبي موسىٰ الأشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذّبه، وكان كلّ من مات في الحبس رفع خبره إلى الحجاج فيأمر باخراجه وتسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعليَّ غناك أبداً، فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج مثل هذا لا يجوز تسليمه إلى أهله حتى أراه، فعاد إلى بلال فقال: اعهد ان الحجاج قال كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني وعلم أنـي أردت الحيلة عليه ولابدّ أن أقتلك خنقاً، فبكى بلال وسأله ألا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى فأخذه السجان وخنقه وأخرج إلى الحجاج، فلما رآه ميّتاً قال سلمه إلى أهله، فكان اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم[٢].

هذا، وقال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: كتب عبد الحميد الكاتب إلى أبي مسلم: «لو أراد الله بالنملة صلاحاً لما أنبت لها جناحاً»[٣]. وهو كما ترى، فالكلام في السعي فيما يضرُّ، ونبت الجناح للنّمل ليس سعياً منها.

«من أكثر أهجر» قال النبي صلى الله عليه وآله كما في (مجازات المصنّف): ألا أخبركم بأبغضكم إليّ، وأبعدكم منّي مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون. قال المصنف في شرحه: المراد؛ الذين يكثرون الكلام، ويتعمّقون فيه طلباً للتكلّف، وخروجاً عن القصد، وأصل الثرثار مأخوذ من العين الثرثارة، وهي الواسعة

(١) كتاب الأذكياء : ١٢٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) كتاب الأذكياء : ١٢٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٩٦ .

الأرجاء، الغزيرة الماء، و «متفيهق» من قولهم فهق الغدير ويفهق إذا كثر ماؤه[١]. ويأتي الإهجار أيضاً بمعنى الهجر والهذيان والخناء. قال الشماخ:

كماجدة الأعراق قال ابن ضرّة عليها كلاماً جار فيه وأهجرا[٢]

«**ومن تفكّر أبصر**» العاقبة، ولذا ورد: تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة.

«**قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن**» أي: تنفصل «**عنهم**» من وصايا لقمان لابنه: يا بنيّ كن عبداً للأخيار ولاتكن ولداً للأشرار[٣].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

قال النبي صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه[٤].

«**بئس الطعام الحرام**» وعنه عليه السلام ـ كما في (الفقيه) ـ ما من عبد إلّا وبه ملك موكّل يلوي عنقه حتى ينظر إلى حدثه، ثم يقول له الملك: يا بن آدم هذا رزقك، فانظر من أين أخذته، وإلى ما صار، فينبغي للعبد عند ذلك أن يقول: «اللّهم ارزقني الحلال وجنّبني الحرام»[٥].

وقال ابن أبي الحديد: كلامه هذا من قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾[٦] وهو كما ترى، فإنّ الكلام في مطلق طعام الحرام ولو من كبير، مع أن أكل مال اليتيم الذي يستتبع تلك العقوبة ليس منحصراً بأكل طعامه، بل يشمل

---

(١) مجازات: ١٨٧.

(٢) لسان العرب ٥: ٢٥٣، مادة (هجر).

(٣) معاني الأخبار: ٢٥٣ ح١. بحار الأنوار ٧٤: ١٨٦ ـ رواية ٤ ـ باب ١٣.

(٤) الكافي ٢: ٦٤٢، الرواية ١٠ و ٢: ٣٧٥ الرواية ٣.

(٥) من لا يحضره الفقيه ١: ١٦ ح٣.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٠. والآية ١٠ من سورة النساء.

ما لو غصب مساكنه أو ملابسه أو مراكبه. وبالجملة خصص ما هو غير خاص وعمّم ما هو غير عام من الكلام.

«وظلم الضعيف أفحش الظلم» كظلم النساء والصبيان، فإنّه أفحش من ظلم الرجال والكبار.

قال الصادق عليه السلام ـ كما في (الفقيه) ـ اتقوا الله في الضعيفين، يعني بذلك اليتامى والنساء[1].

«إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً» في (شعراء القتيبي): أتى النابغة الجعدي النبي صلى الله عليه وآله وأنشده:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له   بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبي: لا يفضض الله فاك ـ فغبر دهره لم ينقض له سن ـ وكان معمّراً نادم المنذر وأدرك الأخطل[2].

وفي رجز لبيد على زياد العبسي لما طعن في بني جعفر الكلاب ـ وهم بنو ابي لبيد ـ عند النعمان بن المنذر «يا ربَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَهْ».

وقال ابن أبي الحديد: قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجلهن أحدٌ علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفي المثل «إنّ الحديدَ بالحديدِ يُفلَحُ»، وقال زهير:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يُهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يظلم[3]

وهو كما ترى، فان المثل والبيتين في مقام وكلامه عليه السلام في مقام.

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٨ ح١.

(٢) الشعر والشعراء: ١٧٧، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) و (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠١.

نعم نقله بيت المتنبّي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضرّ كوضع السيف في موضع النّدى(١)

مربوط.

«ربما كان الدواء داء والداء دواء» في (وزراء الجهشياري): كان للبرامكة عند الحسن بن عيسىٰ (كاتب عمرو بن مسعدة) معروف، فلما حملوا إلى الرقة استقبل الحسن ـ وهو يسير ـ يحيى، فلما بصر به قال لا يراني الله أمنعه من نفسي في هذا الوقت شيئاً كنت أبذله له قبل ذلك اليوم، فنزل عن دابته مترجّلاً له فصاح به إيّاك إيّاك، فلم يلتفت إلى زجره، فلما دنا قال له يحيى: إفهم عنّي أنّ هذا الأمر لو بقي فيمن كان قبلنا لم يصل الينا، ولو بقي فينا لم يصل إلى من بعدنا، ولابدّ للأعمال من تصرف وللأمور من تنقل، قد كنّا قبل اليوم دواء فأصبحنا داء، فلا تعد. قال: فكنت أراه بعد ذلك فلا أفعل ما أنكره.

وقالوا: الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم يكتف بما يكتفي به الذئب، فإذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت، لأن كلّ واحد منهما يمنع صاحبه، والعرب تقول في دعائها: «اللّهم ضبعاً وذئباً» أي: إجمعهما في الغنم لتسلم. ومنه قول الشاعر:

تفرّقت غنمي يوماً فقلت لها يا ربّ سلّط عليها الذّئب والضّبعا

وقالوا: خرج قوم إلى الصيد فطردوا ضبعاً فتبعوها حتى ألجأوها إلى خباء اعرابي، فاقتحمته فخرج إليهم فقالوا: صيدنا وطريدتنا. قال: كلّا، لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي في يدي، فرجعوا وتركوها، فقام الاعرابي إلى لقحة له فحلبها وقرب إليها الحليب وقرّب إليها ماءً، فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرّة تلغ من هذا حتى سمنت، فبينما الاعرابي نائم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه

وشربت دمه وأكلت حشوته وخرجت، فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت إلى موضع الضبع ـ وكنيتها أُم عامر ـ فأخذ كنانة واتبعها حتى أدركها فقتلها، وقال:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله   يلاقي الذي لاقى مجير أمّ عامر

ومنه المثل «كمجير أمّ عامر»[١].

وفي (الطبري): جلس المنصور للمدنيّين مجلساً عامّاً ـ وكان وفد إليه منهم جمع ـ فقال: لينتسب كلّ من دخل، فقام شاب من ولد عمرو بن حزم فانتسب ثم قال: قال الأحوص فينا شعراً امنعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة. قال: أنشدنيه، فأنشده:

لا تأوينّ لحزميّ رأيت به   فقراً وإن أُلقي الحزميّ في النار

الناخسين بمروان بذي خشب   والداخلين على عثمان في الدار

وكان الأحوص مدح الوليد بن عبد الملك في قصيدة أنشده، فلما بلغ إلى هذا الموضع قال له الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال له المنصور: أعد علي الشعر، فأعاد ثلاثاً فقال له المنصور: لا جرم أنّك تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به، ثم أمر أن يعطى عشرة آلاف درهم، وان يكتب إلى عمّاله أن تُرد ضياع آل حزم عليهم ويعطوا غلّاتها في كلّ سنة من ضياع بني أُميّة وتقسّم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم وفّر على ورثته، فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد[٢].

«وربّما نصح غير الناصح وغشّ المستنصَح» أي: من تعده ناصحاً لك، قال الشاعر:

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ١٤٤، الزمخشري ٢: ٢٣٢.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٨٥. دار سويدان ـ بيروت.

رُبّ مُستَنصَح يغشّ ويردي وظنين بالغيب يُلفى نصيحا

أيضاً:

ألا ربّ من تغتشه لك ناصح ومؤتمن بالغيب غير أمين

هذا، وفي (الأغاني): إستودع رجل من عمّال ابن هبيرة رجلاً ناسكاً ثلاثين ألف درهم، واستودع مثلها رجلاً نبيذياً، فأما الناسك فبنى بها داره وتزوّج النساء وأنفقها وجحدها، وأما النبيذي فأدّى الأمانة، فقال ابن بيض:

ألا لا يغرَّنْك ذو سجدة يظلّ بها دائباً يخدع

كأنّ بجبهته جلبة يسبّح طوراً ويسترجع

وما للتقى لزمة وجهه ولكن ليغترَّ مستودع

ولا تنفرنَّ مِنَ اَهل النبيذ وإن قيل يشرب لا يقلع[1]

وقال ابن أبي الحديد: كان المغيرة يبغض علياً عليه السلام وأشار عليه يوم بويع أن يقرّ معاوية على الشام، فإذا خطب له في الشام وتوطأت دعوته، دعاه إليه ـ كما كان عمر وعثمان يدعوانه إليهما ـ وصرفه، فلم يقبل، وكان ذلك نصيحة من عدوّ كاشح[2].

قلت: المغيرة كان منافقاً داهيةً ولم يكن من مبغضيه المخصوصين كبني أُميّة وجمع آخر، وإنّما يصحّ أن يقال له كان مبغضاً له عليه السلام من حيث إنّ المنافق والمؤمن متباغضان بالطبع، وإلا فالمغيرة اعتزل معاوية كما اعتزله عليه السلام فلكونه داهيةً اعتزلهما حتى يرى أيّهما يظهر فيلحق به، وبعد شهادته عليه السلام وظهور معاوية لحق به. وكيف يصحُّ ما قال من كونه مبغضاً وقد قال الطبري: إن المغيرة لمّا بلغه عن صعصعة أنّه يكثر ذكر عليٍّ ويعيب

---

(١) الأغاني ١٦: ٢٠٧ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٢.

عثمان دعاه وقال له: إيّاك أن يبلغني أنّك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإيّاك أن يبلغني عنك انّك تظهر شيئاً من فضل عليٍّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل عليٍّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد بدّاً منه، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة[1].

كما أن ما قاله من كون إشارة المغيرة عليه عليه السلام نصيحة ليس كذلك، فلم يكن ذاك الرأي نصيحة دينية بل سياسة دنيوية يعتقدها المغيرة نصيحة لا هو عليه السلام وقد صرّح بأنّه قال ذلك عن نصيحة عنده.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: استشار الحسين عليه السلام عبد الله بن الزبير ـ وهما بمكة ـ في الخروج وقصد العراق ظانّاً أنّه ينصحه، فغشّه وقال له: لا تقم بمكة، فليس بها من يبايعك، ولكن دونك العراق، فإنّهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحداً، فخرج إلى العراق، حتّى كان من أمره ما كان[2].

قلت: ما قاله أيضاً غير صحيح، فلم يستشر الحسين عليه السلام ابن الزبير ولا ظنّ انّه ناصحه ولا خرج إلى العراق بإشارته، كيف وفي (الطبري): أتى ابن الزبير إلى الحسين عليه السلام وقال له: ما تركُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم، خبِّرني ما تريد أن تصنع؟ قال عليه السلام لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتبت إلي شيعتي بها وأشراف أهلها وأستخير الله. فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، ثم خشي أن يتهمه فقال: أما انّك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ما خولف عليك، ثم قام فخرج فقال الحسين عليه السلام: إنّ هذا الرجل ليس شيء يؤتاه من

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٨٩ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٢.

الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق لأنّه علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء فودّ أنّي خرجت منها لتخلو له...[١].

وبالجملة ليس واحد مما ذكر شاهداً لكلامه عليه‌السلام من نصح غير الناصح أحياناً وغش المستنصح، ومن الشاهد للثاني ما في (المروج) وغيره: أنّ مروان الجعدي دعا اسماعيل بن عبدالله القُشيري ـ وقد كان مروان وافى على الهزيمة إلى حران ـ فقال له: قد ترى ما جاء من الأمر وأنت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس، فما الرأي؟ فقال اسماعيل: على ما أجمعت؟ قال: على أن أرتحل بمواليَّ ومن تبعني من الناس حتى أقطع الدرب وأميل إلى مدينة من مدن الروم فأنزلها وأُكاتب صاحبها وأستوثق منه، فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم وليس هذا عاراً بالملوك ـ فلا يزال يأتيني الخائف والهارب والطائع فيكثر من معي ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمري وينصرني على عدوّي. قال اسماعيل: فلما رأيت أن ما أجمع عليه هو الرأي ورأيت آثاره ونكاياته في قوم من قحطان قلت: أُعيذك بالله من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك وحرمك وهم الروم ولا وفاء لهم ولا تدري ما تأتي به الأيام، وان حدث عليك حادث وأنت بأرض النصرانية ضاع مَنْ بَعَدَكَ، ولكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام جنداً فإنّك في كنف وعزّة، ولك في كل جند صنايع يسيرون معك حتى تأتي مصر فإنّها أكثر أرض الله مالاً وخيلاً ورجالاً، ثم الشام أمامك وأفريقية خلفك، فإن رأيت ما تحبّ انصرفت إلى الشام، وإن كانت الأُخرى مضيت إلى أفريقية. قال: صدقت. فقطع الفرات ووالله ما قطعه من قيس إلّا رجلان: أحدهما أخوه من الرضاعة، ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً بل غدروا به وخذلوه، فلما اجتاز ببلاد قنّسرين والحاضر أوقعت تنوخ

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٨٣ ـ دار سويدان ـ بيروت.

القاطنة بقنّسرين بساقته ووثب به أهل حمص وسار إلى دمشق، فوثب به الحرث بن عبد الرحمن الحرشي، ثم أتى الأردن فوثب به هاشم العنسي والمذحجيون جميعاً، ثم مر بفلسطين فوثب به الحكيم بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الأمر عنه، وعلم مروان ان اسماعيل قد غشه في الرأي ولم يمحضه النصيحة وأنّه فرّط في مشورته إيّاه إذ شاور رجلاً من قحطان متعصّباً من قومه على أضدادهم من نزار، وأن الرأي هو الذي همّ به من قطع الدرب ونزول بعض حصون الروم ومكاتبة ملكها[1].

«**وإيّاك واتكّالك**» هكذا في (المصرية) والصواب: (والاتكال) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، أي: الاعتماد.

«**على المنى**» أي: على التمنيات.

«**فإنّها**» أي: المنى.

«**بضائع**» قال الجوهري: البضاعة طائفة من مالك تبعثها للتجارة[3].

«**النوكى**» بالفتح أي: الحمقاء[4]، وفي (المصرية) (الموتى) وهو غلط.

في (عيون ابن قتيبة): في كتاب للهند، ان ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة، ففكّر يوماً فقال: أبيع الجرّة بعشرة دراهم وأشتري خمسة أعنز فأُولدهن في كلّ سنة مرّتين ويبلغ النتاج في سنتين مئتين، وأبتاع بكلّ أربعٍ بقرةً وأصيب بدراً فأزرع وينمى المال في يدي فأتّخذ المساكن والعبيد والإماء والأهل ويولد لي ابن فأسمّيه كذا وآخذه بالأدب فإن هو عصاني ضربت بعصاي رأسه ـ وكانت في يده عصاً فرفعها حاكياً للضرب ـ فأصابت

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٤٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ٩٧.

(٣) الصحاح ٣: ١١٨٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٤) الصحاح ٤: ١٦١٢ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

ضربت بعصاي رأسه ـ وكانت في يده عصاً فرفعها حاكياً للضرب ـ فأصابت الجرّة فانكسرت وانصبَّ العسل والسمن على رأسه.

وفيه: قال الأصمعي: قال شيخ من بني القحيف تمنّيت داراً فمكثت أربعة أشهر مغتمّاً للدرجة أين أضعها[1].

وفي (بيان الجاحظ): مرض فتى فقال له عمّه: أيّ شيء تشتهي؟ قال: رأس كبشين. قال: هذا لا يكون. قال: فرأس كبش. ومن الشعر في ذلك:

إذا تمنّيت بتّ الليل مغتبطاً   إنّ المنىٰ رأس أموال المفاليس

أيضاً:

أُعلّل نفسي بما لا يكون   كما يفعل المائق الأحمق

هذا، وقالوا: ان الوليد بن عبد الملك قال لبديح المغني: خذ بنا في التمنّي، فو الله لأغلبنّك. قال: والله لا تغلبني أبداً. قال: بلى. فإنّي أتمنّى كفلين من العذاب وأن يلعنني الله لعناً كثيراً فخذ ضعفي ذلك. قال: غلبتني لعنك الله.

«والعقل حفظ التجارب» زاد في رواية (التحف) قبله «وتَثَبُّطٌ عَنْ خير الدنيا والآخرة، ذكِّ قلبك بالأدب كما تُذكّى النار بالحطب، ولا تكن كحاطب الليل، وغُثاء السيل، وكفرُ النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم»[2].

عنه عليه السلام: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرئٍ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والخير والرشد منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، والذل مع الله أحبّ إليه من العزّ مع غيره، والتواضع أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقلُّ كثير

---

(١) عيون الأخبار ١: ٣٧٣ و ٣٧٤ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) تحف: ٨٠. طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

المعروف من نفسه، ويرى الناس كلّهم خيراً منه، وأنّه شرّهم في نفسه وهو تمام الأمر(١).

وعن الصادق عليه السلام: العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان. قيل: فالذي كان في معاوية. قال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل(٢).

وعن بعضهم: العقل الإصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان.

هذا، وسئل شريك عن أبي حنيفة فقال: أعلم الناس بما لا يكون، وأجهل الناس بما يكون.

«**وخير ما جرّبت ما وعظك**» هو نظير قوله عليه السلام المذكور في القصار «لم يذهب من مالك ما وعظك»(٣) ووجه قوله عليه السلام أن التجربة مفيدة لحصول شيء لك بفهمه، فإذا كان فهم أمر من أُمور الدنيا يكون حسناً، وإذا كان فهم أمر من الآخرة ووعظ له كان أحسن.

وزادت رواية الكليني بعده: «ومن الكرم لين الشيم»(٤).

«**بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة**» في (الأغاني) قال رجل كان يديم الأسفار: سافرت مرّة إلى الشام على طريق البر فجعلت أتمثل بقول القطامي:

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي، فقال: ما زاد قائل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم، فهلاّ قال بعد بيته هذا:

---

(١) الكافي ١: ١٨ رواية ١٢.

(٢) الكافي ١: ١١ / ٣.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٤٥ الحكمة ١٩٦.

(٤) كشف المحجة: ١٦٧.

وربّما ضر بعض الناس بُطؤهم   وكان خيراً لهم لو أنّهم عجلوا[١]

هذا وقال ابن أبي الحديد هنا: حضر ابن زياد عند هانئ عائداً، وقد كمن له مسلم، وأمره أن يقتله إذا جلس، فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه على الوثوب به فلم تطعه، وجعل هانئ يترنم «ما الانتظار بسلمى لا تحيّيها» ويكرر ذلك، فأوجس عبيد الله خيفة ونهض، وفات مسلماً ما كان يؤمّله بإضاعة الفرصة[٢].

قلت: ان هانياً لم يأمر مسلماً بقتل عبيد الله بل نهاه في عيادة عبيد الله له وفي عيادته لشريك بن الاعور الذي كان نازلاً على هاني، وإنّما شريك أمره بقتله، وهو الذي يترنم وأمره، ففي (الطبري) عن أبي مخنف عن المعلّى بن كلب عن أبي الودّاك قال: مرض هاني قبل أن يدخل عين عبيدالله على مسلم، فجاء عبيد الله عائداً له فقال له عمارة بن عبيد السلولي: انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله منه فاقتله. قال هاني: ما أحب أن يقتل في داري، فخرج فما مكث إلاّ جمعة حتى مرض شريك بن الأعور ـ وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأُمراء وكان شديد التشيّع ـ فأرسل إليه عبيد الله إني رائح إليك العشيّة. فقال لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس فأخرج إليه فاقتله ثم اقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فإذا برأت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها، فلمّا كان من العشيّ أقبل عبيد الله لعيادة شريك، فقام مسلم ليدخل فقال له شريك: لا يفوتنّك إذا جلس. فقام هاني إليه فقال: إني لا أحبُّ أن يقتل في داري ـ كأنّه استقبح ذلك ـ فجاء عبيد الله وجعل يسأله عن حاله، فلمّا طال سؤاله ورأى أن مسلماً لا

(١) الأغاني ٢٤: ٢١. دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٢ ـ ١٠٣ بتصرف.

يخرج؛ خشي أن يفوته فأخذ يقول: «ما تنظرون بسلمى أن تحيّوها» أُسقونيها وإن كانت فيها نفسي. قال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله: ما شأنه! أترونه يهجر؟ قال له هاني: نعم...[١].

هذا، وزاد في رواية الكليني بعده: «ومن الحزم العزم، ومن سبب الحرمان التواني»[٢].

«ليس كلّ طالب يصيب» قال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

ما كل وقت ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا

«ولا كلّ غائب يؤب» أي: يرجع، قال ابن أبي الحديد: كقول عبيد:

وكلّ ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب[٣]

قلت: وقالوا في المثل «حتى يؤوب القارظان» و «يعود المثلم»[٤] والمراد لا يؤوب فلان كما لا يؤوب القارظان ولا يرجع فلان كما لا يرجع المثلم، أمّا القارظان فقالوا كانا رجلين من عنزة خرجا لطلب القرظ ـ أي ورق السلم ـ للدباغ فلم يرجعا، قال أبو ذؤيب:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

وأمّا المثلم فكان من شرطة عبيد الله بن زياد، فقتل بأمره خالد السدوسي من الخوارج ـ وكان المثلّم مغرماً باشتراء اللقاح ـ فجَاءه رجل من الخوارج وقال له: لك ما تحب فامض معي، فذهب به إلى داره وأغلق عليه الباب وثاروا به فقتلوه، فقال أبو الأسود:

آليت لا أغدو إلى رَبِّ لقحة أُساومه حتى يعود المثلَّم

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٦٣ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) كشف المحجة: ١٦٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٣.

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١ : ٢١١، أساس البلاغة للزمخشري ٢ : ٥٨.

وفي (أمثال الكرماني): «لا أفعله حتى ترجع ضالّة غطفان» يعنون سنان بن أبي حارثة المرّي، وكان قومه عنّفوه على الجود فقال: لا أراني يؤخذ على يدي، فركب ناقته ورمى بها الفلاة فلم ير بعد.

ثم إنّ نفي أوبِ الكل لا يلزم نفي أوب البعض، وعن الحلية في سفيان بن عيينة قال مسعر بن كدام: إنَّ رجلاً ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم يرَ أحداً ولم يأكل ولم يشرب، فتمثل بقول القائل:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

فأجابه صوت:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فإذا سفينة قد أقبلت، فلوّح إليها فأتوه فحملوه[1].

«ومن الفساد إضاعة الزّاد» أي: زاد الآخرة.

«ومفسدة المعاد» ﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله﴾[2].

هذا، وليس «مفسدة المعاد» في رواية الكليني والحلبي[3].

«ولكل أمر عاقبة» هكذا في (النسخ)[4] والصواب: رواية الكليني (ولكل امرئٍ عاقبة).

«وسوف يأتيك ما قدر لك» قال ابن أبي الحديد هذا من قول النبي صلى الله عليه وآله: وإن يقدّر لأحدكم رزق في قلّة جبل أو حضيض بقاع يأته[5].

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٢٣٣.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) كشف المحجّة: ١٦٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٩٧، كشف المحجّة: ١٦٧، تحف لعقول: ٨٠، ط مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٣.

قلت: مورد كلام النبي صلى الله عليه وآله الرزق المقدّر، ومورد كلامه عليه السلام كلّ أمر مقدّر لا خصوص الرزق كما قيل:

استقدر الله خيراً وارضينَّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير

«التاجر مخاطر» قال ابن أبي الحديد هذا الكلام ليس على ظاهره بل له باطن، وهو أنّ من مزج الأعمال الصالحة بالأعمال السّيئة مثل قوله تعالى: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً﴾[1] فإنّه مخاطر لأنّه لا يأمن أن يكون بعض تلك السيئات تحبط أعماله الصالحة، كما لا يأمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفّر تلك السيئات، والمراد أنّه لا يجوز للمكلّف أن يفعل إلّا الطّاعة أو المباح[2].

قلت: أين ربط (التاجر مخاطر) بآية ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾، وما ذكره من بيان المراد من قبيل ما قيل بالفارسية «لفظ ميگوئى ومعنى زخدا ميطلبى» مع أن قوله «كما لا يؤمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفّر تلك السيئات» تعبير غلط، فقولهم: «لا يؤمن» إنّما يقال في مقام الخوف، واحتمال تكفير السيئة بالعمل الصالح رجاء، وإنّما الظاهر والمتبادر من قوله عليه السلام «التاجر مخاطر» أن التاجر وإنْ يتَّجر بقصد الربح إلاّ انّه لا يعلم هل يربح أم يخسر، وكم تاجر خسر حتى هلك رأس ماله، هذا هو المعنى المتبادر منه.

ويمكن أن يراد به المخاطرة من حيث الآخرة إذا لم يعرف مسائل المعاملة فتصدر منه معاملات غير مشروعة كالربا وغيره، أو يحمله الحرص على الخيانة والكذب والبخس، ففي (الكافي) عن الأصبغ: سمعت أمير

---

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٣ ـ ١٠٤.

المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: يا معشر التّجّار! الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله لَلرِّبا في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا أيمانكم بالصدق، التاجر فاجر والفاجر في النار إلاّ من أخذ الحق وأعطى الحق.

(وفيه): ان النبي صلى الله عليه وآله لم يأذن لحكيم بن حزام في تجارته حتى ضمن له إقالة النادم وإنظار المعسر وأخذ الحق وافياً وغير وافٍ.

(وفيه): عن النبي صلى الله عليه وآله من باع واشترى فليحفظ خَمسَ خصال وإلاّ فلا يشترينّ ولا يبيعنّ: الربا، والحلف، وكتمان العيب، والمدح إذا باع، والذمّ إذا اشترى[1].

«ورُبَّ يسيرٍ أنمى» أي: أكثر نمواً.

«من كثير» يتفق ذلك في الزرع كثيراً وفي كثير من الأشياء كالتجارة وفي الأغنام والاحشام وفي النسل، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وأمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً* فأردنا أن يبدلهما ربّهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾[2] أبدل الله والديه به ـ بعد قتل الخضر له ـ بنتاً ولدت سبعين نبياً.

وقد يقع ذلك في الكلام، ففي (تاريخ بغداد) رُئي مروان بن أبي حفصة واقفاً بباب الجسر كئيباً آسفاً ينكت بسوطه في معرفة دابته فقيل له: ما الذي نراه بك؟ قال أخبركم بالعجب، فوصفت له ناقتي من خطامها إلى خفيها ووصفت الفيافي من اليمامة إلى بَابَهْ، أرضاً أرضاً ورملة رملة حتى إذا

---

(١) الكافي ٥: ١٥٠ ـ ١٥١ / ١ و ٢ و ٤. التهذيب ٧: ٦ ـ رواية ١٨، باب ٢٢، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٢٠ ـ ١٢١، الحكمة ١١.

(٢) الكهف: ٨٠ ـ ٨١.

أشفيت منه على غناء الدهر، جاء ابن بيّاعة النخاخير ـ يعني أبا العتاهية ـ فضعضع بهما شعري وسوّاه في الجائزة بي. فقيل له: وما البيتان؟ قال:

إنّ المطايا تشتكيك لأنها ... تطوي إليك سبا سبأ ورمالاً

فإذا رحلن بنا رحلن مُخِفّة ... وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا[1]

وقال البحتري:

أَصِلُ النزر إلى النزر وقد ... يبلغ الحبل إذا الحبل وصل

من لفا هذا إلى مخسوس ذا ... ومن الذود إلى الذود ابل

«ولا خير» هكذا في (المصرية) والصواب: (لا خير) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[2].

«في معين» من الاعانة.

«مهين» بالفتح من المهانة أي: الضعف والذلة.

«ولا في صديق ظنين» أي: متهم، قال عبد الرحمن بن حسان:

لا خير في الود ممّن لا تزال له ... مستشعراً أبداً من خيفة وجلا

إذا تغيّب لم تبرح تسيء به ... ظنّاً وتسأل عمّا قال أو فعلا

وقال المثقب العبدي:

فإمّا أن تكون أخي بصدق ... فأعرفُ منك غَثّي من سميني

وإلاّ فاجتنبني واتّخِذني ... عدوّاً أتّقيك وتتّقيني

ومن شواهد عدم الخير في الصديق الظنين ما ذكره المسعودي في (مروجه) أنّه كان للقاهر في بعض الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل إليه من البصرة وعمان والهند قد اشتبكت أشجاره، ولاحت

---

(١) تاريخ بغداد٦ : ٢٥٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٤ .

ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر، وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر، وقد جعل مع ذلك في الصحن أنواع الأطيار من القماري والدبابي والشحاري والببغا ممّا جلب إليه من الممالك والأمصار وكان في غاية الحسن، وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس في تلك المجالس، فلمّا أفضت الخلافة إلى الراضي اشتدّ شغفه بذلك الموضع، فكان يداوم الجلوس والشرب فيه، ثم إن الراضي رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالأموال ولا شيء قبله منها وسأله إن يسعفه بما عنده منها إذا كانت الدولة له وأن يتدبّر تدبيره ويرجع في كلّ الأمور إلى قوله، وحلف له بالايمان الوكيدة ألا يسعى في قتله ولا الإضرار به ولا بأحد من ولده، فأنعم له القاهر بذلك وقال له: ليس لي مال إلاّ في بستان النارنج، فصار به الراضي إلى البستان وسأله عن الموضع فقال له القاهر: قد حجب بصري فلست أعرف موضعه، ولكن مر بحفره فإنّك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك مكان ذلك، فحفر الراضي البستان وقلع تلك الأشجار والغرس والأزهار حتى لم يبق منه موضع إلاّ حفره وبولغ في حفره فلم يجد شيئاً، فقال له الراضي فما هاهنا شيء ممّا ذكرت فما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال له القاهر: وهل عندي من المال شيء، إنّما كانت حسرتي جلوسك في هذا الموضع وتمتعك به وكانت لذتي من الدنيا فتأسفت على أن يمتع به بعدي غيري. فتأسّف الراضي على ما توجه عليه من الحيلة في أمر ذاك البستان وندم على قبوله منه، وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفاً على نفسه أن يتناول بعض أطرافه[1].

«ساهل الدهر ما ذل لك قعوده» بالفتح البعير الذي يقتعده الراعي في كلّ حاجة، قال الجوهري: وهو بالفارسية «رخت» وبتصغيره جاء المثل «اتخذوه

(١) مروج الذهب ٤: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

قعيد الحاجات» إذا امتهنوا الرجل في حوائجهم، وجمعه «قعدات» قال الأخطل:

فبئس الظاعنون غداة شالت على القعدات أشباه الزباب[١]

قال ابن أبي الحديد: ومثل قوله عليه السلام المثل «من ناطح الدهر أصبح أجم»، «ودر مع الدهر كيفما دار»، وقوله:

ومن قامر الأيّام عن ثمراتها فأحر به أن تنجلي ولها القَمَرُ[٢]

قلت: وهو كما ترى، فإن كلامه عليه السلام في مقام وما نقله في مقام. نعم نقله بيتاً آخر:

إذا الدهر أعطاك العنان فسر به رويداً ولا تعنف فيصبح شامسا[٣]

له ربط.

«**ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه**» كمن يعطي ماله مضاربة لمن لا يعرفه فيمكن ألاّ يردَّ عليه رأس ماله فضلاً عن عدم حصول ربح له، وكمن يبيع نسيئة بأكثر من ثمن المثل ممّن لا يثق به.

«**واياك أن تجمح**» من جمح الفرس براكبه.

«**بك مطية**» أي: دابة.

«**اللجاج**».

في الخبر: أنّ موسى عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر قال له: أوصني، فكان ممّا أوصاه أن قال له: إيّاك واللجاجة أو أن تمشي في غير حاجة[٤].

هذا، وفي (العيون): قال معاوية في صفين لمّا قتل العباس بن ربيعة

(١) الصحاح ٢: ٥٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٦.

(٣) النفس المصدر.

(٤) أخرجه الراوندي في قصص الانبياء: ١٥٧، بحار الأنوار ١٣: ٢٩٤ ـ رواية ٧ باب ١٠.

الهاشمي عرّار بن أدهم ـ وكان من فرسان الشام ـ متى ينطف فحل بمثله أيطل دمه لا والله إلاّ رجل يطلب بدمه، فانتدب له رجلان من لخم فقال لهما: أيّكما قتل العباس فله كذا، فأتياه ودعواه إلى البراز فقال: إنّ لي سيّداً أُريد أن أُؤامره، فأتى عليّاً عليه السلام فأخبره، فقال: لودّ معاوية أنّه ما بقي من هاشم نافخ ضرمة إلاّ طعن في نيطه إطفاءً لنور الله، وأخذ عليه السلام سلاح العباس ووثب على فرس العباس وقتل اللخميَّين. ونمي الخبر إلى معاوية فقال: قبّح الله اللّجاج، إنّه لقعود ما ركبته قطُّ إلاّ خذلت، فقال له عمرو بن العاص: المخذول والله اللّخميان لا أنت[1].

«احمل نفسك من أخيك عند صرمه» أي: قطعه.

«على الصلة» عن ابن الأنباري:



وكم من قائل قد قال دعه	فلم يك وده لك بالسليم
فقلت إذا جزيت الغدر غدراً	فما فضل الكريم على اللئيم؟
وأين الإلف يعطفني عليه	وأين رعاية الحق القديم؟

ولآخر:

إذا ما صديقي رابني سوء فعله	ولم يك عمّا ساءني بمفيق
صبرت على أشياء منه تريبني	مخافة أن أبقى بغير صديق

«وعند صدوده» أي: إعراضه.

«على اللُّطف» بالضم، مصدر لطف بالفتح، قال الفيروز آبادي: لَطَفَ كنَصَرَ لطفاً: رفق ودنا، فقول ابن أبي الحديد اللطف بفتح اللام والطاء، الاسم من ألطفه بكذا[2] في غير محله.

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٧٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٦.

«والمقاربة» قال الشاعر:

نفسك لا تعطيك كلّ الرضا فكيف ترجو ذاك من صاحب
أجلُّ مصحوب حياةٌ صفت فهل خلت من هرم عائب

وقال النابغة:

واستبق ودّك للصديق ولا تكن قتباً يعض بغارب ملحاحا

ولبعضهم:

إذا ما خليلي ساءني سوء فعله ولم يك عما ساءني بمفيق
صبرت علىٰ ما كان من سوء فعله مخافة أن ابقى بغير صديق

«وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدّته على اللين وعند جرمه على العذر» قال بعضهم:

إنّي إذا ما صاحبي تعدّى في اللوم والعذل عليَّ حدّا
لم أُوله بالعذل عذلاً قصدا ولم أُبقِّ في احتمالٍ جهدا
فإنْ أبى إلاّ التعدّي عمدا أوسعته بالحلم منّي صَدّا
حتى يرى وجه اختياري سدّا ويرجع الذمُّ إليَّ حمدا

وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني أُمّي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيراً بنحس تمرُّبي زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

أيضاً:

إنّي وإن كان ابن عمّي كاشحاً لمقاذف من خلفه وورائه

«حتى كأنّك له عبد وكأنّه ذو نعمة عليك» قال إبراهيم الصولي:

أميل مع الصديق على ابن عمي وأقضي للصديق على الشقيق

وأفــرق بـين مـعروفي ومَـنّي وأجــمع بـين مـالي والحـقوق
فــإن ألفـيتني حُــرّاً مــطاعاً فــإنّك واجــدي عـبد الصـديق

«وإيّاك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله» فإنّ بـعض الناس كالضبع، ومرت قصة من أجارها وأحسن إليها بعد نجاتها مـمّن أراد صيدها، وأشار إلى قصتها ابن عم مجيرها فقال:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يـلاقي الذي لاقـى مـجير امِّ عـامر
أدام لهــا حـين اسـتجارت بـقربه قِراهـا مـن البـان اللـقاح الغـزائـر
واشـبعها حـتى إذا مــا تـملّأت فــرته بأنـــياب لهــا وأظــافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء مـن غدا يصنع المعروف مع غير شاكر

وفي الخبر: أربعة تذهبن ضياعاً: البذر في سبخة، والسراج في القمر، والأكل على الشبع، والمعروف إلى من ليس بأهله.

وفي خبر آخر: أربعة تذهبن ضياعاً: علمٌ عند من لا استماع له، وسـرٌّ تودعه عند من لا حصانة له، ومودّة تمنحها من لا وفاء له، ومعروف عند من لا يشكره[1].

وأكثر الشعراء في ذلك، قال بعضهم:

ولمّــا رأيــتك تـنسى الذمـام ولا قــــدر عــندك للــمعدم
وتجفو الشريف إذا ما أخلّ[2] وتُــدني الدنـيّ عـلى الدرهـم
وهـــبت إخـاءك للأعــميين وللأثـــــرمين ولم أظـــلم

وفي (اللسان) الأعميان: السيل والنّار، والأثرمان الدهر والموت[3].

إذا كنت تأتي المرء تعرف حقه ويجهل منك الحق فالترك أجمل

---

(١) الخصال ٢٦٣ ـ ٢٦٤ الحكمة ١٤٢ و ١٤٤.

(٢) أي: صار به خلة وحاجة.

(٣) لسان العرب ١٢: ٧٧، ط. دار صادر، بيروت، مادة: (ثرم).

وفي العيش منجاة وفي الهجر راحة   وفي الأرض عمّن لا يؤاتيك مرحل

أيضاً:

لا نائل منك ولا موعد   ولا رسول فعليك السلام

أيضاً:

له حق وليس عليه حق   ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقاً   عليه لغيره وهو الرسول

أيضاً:

ودع العتاب إذا استربت بصاحب   ليست تُنال مودةٌ بخصام

أيضاً:

إذا كان خراجاً أخوك من الهوى   موجهة في كلّ أوب ركائبه

فخلّ له وجه الفراق ولا تكن   مطية رحّال بعيد مذاهبه

أخوك الذي إن تدعه لمُلِمَّة   يُجبك وإن عاتبته لانَ جانبه

«لا تتّخذنّ عدوَّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك» في الباب الأخير وقال عليه السلام: أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك صديقك، وصديق صديقك، وعدوّ عدوّك، وأعداؤك عدوّك، وعدوّ صديقك، وصديق عدوّك[1].

وقال ابن أبي الحديد أكثروا في المعنى:

إذا صافي صديقك من تعادي   فقد عاداك وانقطع الكلام[2]

«وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو» هكذا في (المصرية) والصواب: (أم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[3].

---

(١) نهج البلاغة ٤ : ٧١ الحكمة ٣٩٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٥ ـ ١٠٨.

«قبيحة» وعن النبي عليه السلام: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، فإن كان مظلوماً فخذ له بحقّه وان كان ظالماً فخذ له من نفسه.

كان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين كتب إليه المنصور في القدوم عليه مريداً لقتله، فأشار عليه مالك بعدم القدوم، فلمّا قتل المنصور أبا مسلم أذكر مالكاً ذلك فقال له مالك: إنّ أخاك إبراهيم الإمام حدَّث عن أبيه قال: لا يزال الرجل يزاد في رأيه إذا نصح لمن استشاره، وإنّي لكم اليوم كذلك.

وفي (الطبري) كتب زياد إلى معاوية: إني قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة فأشغلها بالحجاز ـ إلى أن قال ـ فخرجت طاعونة على أصبعه فأرسل إلى شريح ـ وكان قاضيه ـ فقال له: حدث بي ما ترى وقد أمرت بقطعها فأشر علي. فقال له: أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتموت أجذم أو يكون في الأجل تأخير وقد قطعت يدك فتعيش أجذم وتعير ولدك، فتركها. وخرج شريح فسألوه فأخبرهم بما أشار به فلاموه وقالوا له: هلاّ أشرت عليه بقطعها، فقال: قال النبي «المستشار مؤتمن»[1].

«وتجرّع الغيظ فإنّي لم أرَ جرعة أحلى منها عاقبة، ولا ألذّ مغبة» أي: عاقبة في (العيون) عن الرضا عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبي: إذا أصبحت فأوّل شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه. فلمّا أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف وقال أمرني ربي أن آكل هذا وإنّه لا يأمرني إلاّ بما أطيق، فمشى إليه ليأكله، فكلمّا دنا منه صغر حتى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله، ثم مضى فوجد طستاً من ذهب فقال أمرني ربي أن أكتم هذا، فحفر له حفيرة وجعله فيها وألقى عليه التراب، ثم مضى فالتفت فإذا الطست قد ظهر فقال قد فعلت ما

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٨٩ ـ دار سويدان ـ بيروت.

أمرني ربي فمضى فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال أمرني ربي أن أقبل هذا، ففتح كمه فدخل الطير فيه، فقال له البازي أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيام، فقال أمرني ربي ألا أؤيس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه، ثم مضى فإذا هو لحم ميتة منتن مدوّد فقال أمرني ربي أن أهرب من هذا فهرب منه ورجع، ورأى في المنام كأنّه قيل له: إنّك قد فعلت ما أُمرت به فهل تدري ما ذاك؟ قال: لا. قيل له: أما الجبل فهو الغضب؛ إنّ العبد إذا غضب لم يرَ نفسه وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا عرف نفسه وعرف قدره وسكن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التي أكلها، وأما الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله إلّا أن يظهره ليزينه به مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة، وأما الطير فهو الرجل الذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحته، وأمّا البازي فهو الرجل الذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه، وأمّا اللحم المنتن فهو الغيبة فاهرب منها[١].

وقال ابن أبي الحديد قال المبرّد في (كامله): أوصى علي بن الحسين ابنه محمداً فقال: يا بني عليك بتجرّع الغيظ من الرجال، فإنّ أباك لا يسرّه بنصيبه من تجرّع الغيظ من الرجال حمر النّعم، والحليم أعزّ ناصراً وأكثر عدداً[٢].

«ولن لمن غالظك فانّه يوشك» أي: يكاد.

«أن يلين لك» قال العسكري في (أمثاله): كان هذيل بن هبيرة أغار على بني ضبة فأقبل بما غنم فقال أصحابه: إقسم بيننا غنيمتنا. فقال: أخاف الطلب، فأبوا إلاّ القسم، فقال: «إذا عزّ أخوك فهن» فصار مثلاً، ومعناه إذا صعب أخوك

(١) عيون أخبار الرضا ٧ ١: ٢٧٥ ح ١٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٨.

فَلِنْ، فإنّك إنْ صعبت أيضاً كانت الفرقة.

وأخذ معاوية معنى المثل، فقال: لو أن بيني وبين الناس شعرة ممدودة ما انقطعت، لأنّي إذا مدّوا أرسلت وإذا أرسلوا مددت.

وقال زياد: إيّاكم ومعاوية فإنّه إذا طار الناس وقع، وإذا وقعوا طار[١].

هذا، وقال العسكري قال الزجاج: «هُنْ» في المثل بالضم، وهو خطأ إنّما هو بالكَسر، فإنّه بالضم من الهَوان، مع أنّه من الهَون بمعنى الرفق واللين، قال تعالى ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾[٢].

قلت: لم نقف على من قال هان يهين حتى يكون الأمر «هـن» بالكسر، وكيف وهو أجوف واوي ولم يجئ إلاّ على يفعل بالضم، وانما الفعل مشترك ويفرق بين المعنيين بالمصدر، قال الفيروزآبادي: هان هوناً ـ بالضم ـ وهواناً ومهانة: ذل، وهوناً ـ بالفتح ـ سهل فهو هيّن.

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة) في باب المشورة قال معاوية: لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أنّ في قلبه ضغناً عليّ فأستشيره فيثير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه، فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعه حلماً حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعينني وأستنجده فينجدني[٣].

قلت: نقله في باب المشورة غلط كنقله «فأستشيره»، وانما هو «فأستثيره» بشهادة قوله «فيثير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه» ولا ربط للمشورة هنا ولا ربط للخبر بالمشورة.

«وخذ على عدوّك بالفضل فانّه أحلى الظفرين» قال تعالى ﴿ادفع بالّتي

---

(١) جمهرة الأمثال ١: ٦٥ ـ دار الجيل ـ بيروت .

(٢) الفرقان: ٦٣ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٨٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾[١].

وفي (مقاتل أبي الفرج): ان رجلاً من آل عمر كان يشتم علياً عليه السلام إذا رأى موسى بن جعفر ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه: دعنا نقتله. فقال: لا، ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتوطّأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا فلم يُصغِ إليه وأقبل حتى نزل عنده وجعل يضاحكه وقال له: كم غرمت على زرعك هذا. قال: مائة دينار. قال: فكم ترجو أن تربح. قال: لا أدري. قال: إنّما سألتك كم ترجو. قال: مائة أُخرى. فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له، فقام فقبّل رأسه. فلمّا دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلّم عليه وجعل يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» فوثب أصحابه عليه وقالوا: ما هذا فشاتمهم، فقال عليه السلام لأصحابه: أيّما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت[٢]؟

وقالوا: وقف رجل عليه مقطّعات على الأحنف يسبّه، وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف، فجعل لا يألو أن يسبّه سباً يُغضب، والأحنف مطرق صامت، فلمّا رآه لا يكلمه جعل الرجل يعض إبهاميه ويقول: يا سوأتاه! والله ما يمنعه من جوأبي إلاّ هواني عليه، وقال الشاعر:

كم صديق بالعتب صار عدوّاً وعدوٍّ بالحلم صار صديقاً

«وإن أردت قطيعة أخيك فاستبقِ له من نفسك بقيةً ترجع إليها إن بدا له» هكذا في النسخ[٣] والظاهر كونه مصحف «لك» فإن القطيعة كانت أوّلاً منه لا من أخيه.

«ذلك يوماً ما» في (عيون ابن قتيبة) كان يقال: لا يكن حبك كلفاً

---

(١) فصلت : ٣٤.

(٢) مقاتل الطالبيين : ٣٣٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٥.

ولا بغضك تلفاً.

وقال الحسن: أحبّوا هوناً، فإن أقواماً أفرطوا في حب قوم فهلكوا[١].

وفي الكتاب (٢٢٦) «أحبب حبيبك هوناً ما؛ عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

وقال ابن أبي الحديد وكان عليه‌السلام يقول: «إذا هويت فلا تكن غالياً، وإذا تركت فلا تكن قاليا».

«ومن ظن بك خيراً فصدّق ظنّه» في (تاريخ بغداد): ولّى المنصور رجلاً من بني العباس يقال له قثم، فأتاه أعرابي فقال:

يا قُثَمَ الخير جُزِيت الجنّهْ　　　أُكس بنيّاتي وأُمّهُنَّهْ

أُقسم بالله لتفعلُنَّهْ

فقال قثم: والله لا أفعل. فقال الأعرابي: لكن لو أقسمت على معن بن زائد لأبرَّ قسمي، فبلغت الكلمة معناً فبعث إليه ألف دينار[٢].

وقال الشاعر:

لا تَجْبَهَنْ بالردِّ وجهَ مؤمِّلٍ　　　فبقاءَ عِزِّك أن تُرى مأمولا

«ولا تُضِيعَنَّ حق أخيك اتّكالاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه» قال البحتري في عتاب بن بسطام:

وكما يسرّك لين مسّي راضياً　　　فكذاك فاخش خشونتي غضبانا

ومع كون جميل صاحب بثينة من العشّاق المعروفين وقال فيها:

خليلَيَّ في ما عشتما هل رأيتما　　　قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

فقد دعا عليها لمّا رأى منها الأذى فقال:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) تاريخ بغداد ١٣: ٢٣٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

رمى الله في عَيْنَيْ بثينة بالقذى وفي العرِّ من أنـيابها بـالقوادح

في (المعجم): قيل لإبراهيم بن العباس الصولي: إنّ فلاناً يحب أن يكون لك وليّاً. فقال: أحبّ أن يكون الناس جميعاً إخواني، ولكنّي لا آخذ منهم إلاّ من أطيق قضاء حقّه وإلاّ استحالوا أعداءً، وما مثلهم إلاّ كمثل النار قليلها مقنع وكثيرها محرق[١].

وفي (كامل المبرد): قال سعيد بن سلم الباهلي: عرض لي أعرابي فمدحني فبلغ فقال:

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة سعيد بن سلم ضوء كلّ بلاد

لنا سيّد أربى على كلّ سيد جواد حثا في وجه كلّ جواد

فتأخرت عن برّه قليلاً فهجاني فبلغ فقال:

لكلّ أخي مدحٍ ثواب يُعِدّه وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزّة فكان كصفوان عليه تراب[٢]

وممّا قيل في ذلك من الشعر:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدّ السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل

وقيل أيضاً:

أحسن صحابتنا فإنّك مدرك بعض اللُّبانة باصطناع الصاحب

وإذا جفوت قطعت عنك لبانتي والدَّرُّ يقطعه جفاء الحالب

وقيل بالفارسية:

گرت روا است كه با دوست نگسلى پيوند

نگاهدار سر رشته تا نگهدارد

---

(١) معجم الأدباء للحموي ١: ١٨٨ ـ دار الفكر.

(٢) الكامل ٣: ٧ ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة.

«ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك» فيتمنّون موتك وزوال نعمتك.

هذا، وفي (الأغاني) عن الحسين بن الضحّاك الشاعر: شربنا يوماً مع الأمين في بستان، فسقانا على الريق وجدَّ بنا في الشرب وتحرّز من أن نذوق شيئاً، فاشتدَّ الأمر عليّ وقمت لأبول فأعطيت خادماً من الخدام ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرة أومأت إليها رقاقة فيها لحم، فأخذ الألف وفعل ذلك ووثب محمد فقال: من يكون منكم حماري، فكل واحد منهم قال له أنا لأنّه كان يركب الواحد منّا عبثاً ثم يصله، ثم قال: يا حسين! أنت أضلع القوم فركبني وجعل يطوف وأنا أعدل به من الشجرة وهو يمرُّ بي إليها حتى صار تحتها. فرأى الرقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري وقال: هذه جعلت لبعضكم، ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء، فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتني ما يمسك رمقي ولم يصلني كعادتي، ما أنا إلاّ كما قال الشاعر:

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه أنّى توجّه والمحروم محروم[1]

«ولا ترغبنّ في من زهد عنك» هكذا في (المصرية) والصواب: (فيك) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[2].

في (عيون ابن قتبة): قال ابن الزبير يوماً: والله لوددت أن لي بكلّ عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم. فقال له أبو حاضر: مثلنا ومثلك كما قال الأعشى:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أُخرى غيرها الرجل

(١) الأغاني ٧: ٢٠٨ ـ دار احياء التراث العربي .

(٢) متن شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٠٥ .

أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام، وأحب أهل الشام عبد الملك[١].

وأكثر الشعراء في ذلك، فقال أبو بكر الخوارزمي:

ولمّا أن غرست إليك ودي   فلم يثمر لديك زكيُّ غرسي
أردت ملالة وأردت هجراً   فصنتك عنهما فهجرت نفسي
لأن الذنب ذنبي حين أهدي   إلى من يريد الأُنس انسي

وقال ابن أبي الحديد قال العباس بن الأحنف:

ما زلت أزهد في مودّة راغب   حتى ابتليت برغبة في زاهد
هذا هو الداء الّذي ضاقت به   حيل الطبيب وطال يأس العائد

وقيل:

وفي الناس إن رثّت حبالك واصل   وفي الأرض عن دار القلى متحوّل[٢]

«ولا يكوننّ أخوك على مقاطعتك أقوى» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[٣].

«منك على صلته، ولا يكوننَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان».

روى أبو الفرج في (مقاتله) والمفيد في (إرشاده) والصدوق في (عيونه): أنّ الرشيد جعل ابنه في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث - وكان يقول بالإمامة - فحسده يحيى البرمكي - فقال يوماً لبعض ثقاته أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بواسع الحال فيعرفني ما أحتاج إليه، فدُلَّ على عليِّ بن إسماعيل بن جعفر، فحمل إليه مالاً وأنفذ إليه يرغبه في قصد الرشيد

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٧ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١١٠ - ١١١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٠٥.

ويعده بالإحسان إليه. فعمل على ذلك وأحس به عمّه موسى بن جعفر عليه السلام فدعاه فقال له: يا بن أخي إلى أين؟ قال: إلى بغداد. قال: وما تصنع؟ قال: عليّ دين وأنا مملق. فقال له: فأنا أقضي دينك وأفعل بك وأصنع فلم يلتفت إلى ذلك وعمل على الخروج، فاستدعاه موسى عليه السلام وقال له: أنت خارج؟ قال: نعم، لابدّ لي من ذلك. فقال له: أنظر يا بن أخي واتّق الله ولا تيتمنَّ أولادي وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلمّا قام من بين يديه قال موسى لمن حضره: والله ليسعينَّ في دمي وليبيتمن أولادي. فقالوا: تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله، فقال لهم: نعم حدّثني أبي عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ الرحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله، وإنّي أردت أن أصله بعد قطعه لي حتى إذا قطعني قطعه الله، فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى يحيى فعرف منه خبر موسى بن جعفر عليه السلام ورفعه إلى الرشيد فسأله عن عمّه فسعى به إليه وقال له: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب. فأمر له الرشيد بمائتي ألف درهم يسبب له بها على بعض النواحي فاختار بعض كور المشرق، ومضت رسله لقبض المال وأقام وصوله فدخل في بعض تلك الأيام إلى الخلاء فزحر زحرة خرجت منها حشوته كلّها وجهدوا في ردّها فلم يقدروا، وجاءه المال وهو ينزع فقال: ما أصنع به وأنا في الموت[1].

وروى الكليني والكشي القصة ناسباً إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر[2]، والظاهر أصحية الأول لتضمّن السِّيَرِ بقاء محمد بن إسماعيل إلى زمان المأمون.

هذا، وزاد في رواية الرسائل «ولا على البخل أقوى منك على البذل، ولا

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٣٣ ـ ٣٣٤ بتصرف، وعيون الصدوق ١: ٥٧ الحكمة ١، وإرشاد المفيد: ٢٩٩.

(٢) الكشي: ٢٦٣ ح٤٧٨؛ الكافي ١: ٤٨٥ الحكمة ٨.

على التقصير أقوى منك على الفضل»[١].

«ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فإنّه يسعى في مَضرّته ونفعك» فيوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم، وما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من دنيا المظلوم.

«وليس جزاء من سرّك أن تسوءه» فالعقل يحكم بأنّ جزاء من سرّك أن تسرّه ﴿هل جزاء الاحسان إلاّ الإحسان﴾[٢] والكلام مستقل، وتوهم ابن أبي الحديد كونه تعليلاً لسابقه.

«واعلم يا بنيّ أنّ الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك» في (شعراء ابن قتيبة): وفد عروة بن أُذينة على هشام بن عبد الملك فقال له هشام ألست القائل:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي أنَّ الذي هو حظّي سوف يأتيني
أسعى له فيعنّيني تَطَلُّبه ولو قعدت أتاني لا يُعَنِّيني

قال: بلى. قال: فما أقدمك علينا. قال: سأنظر في ذلك، وخرج وارتحل من ساعته وبلغ هشاماً فأتبعه بجائزة[٣].

ومرّت قصة الناشئ الشاعر وأنّه مدح سيف الدولة فلم يعطه شيئاً ورأى انّه يطعم كلابه لحوم السِّخال فقال له: الكلب عندكم أحسن من الأديب، ثم ضلّ بغل موقر بالمال حمل إلى سيف الدولة فذهب ليلاً على باب الناشئ فأخذ ماله وأطلقه ثم دخل على سيف الدولة وأنشده:

ومن ظن ان الرزق يأتي بحيلة فقد كذبته نفسه وهو آثم

(١) كشف المحجّة: ١٦٩.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) الشعر والشعراء: ٣٨٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

يفوت الغنى من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم

ففطن سيف الدولة من شعره انّه وجد البغلة وأخذ المال.

ولبعضهم:

اتق الله لا الأعداء واعلم يقيناً بأنّ الذي لم يقضه لن يصيبكا

وحظّك لا يعدوك ان كنت قاعداً ولا أنت تعدو حين تعدو نصيبكا

«ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى» زاد في رواية الكليني «واعلم يا بنيّ أنّ الدهر ذو صروف، فلا تكن ممّن يشتدّ لائمته، ويقلّ عند الناس عذره»[١].

ونظير كلامه عليه السلام ما عن النبي صلى الله عليه وآله: ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد المسكنة، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته[٢]. ومن شواهد كلامه عليه السلام قول بعضهم:

وما الموت قبل الموت غير أنني أرىٰ ضرعاً بالعسر يوماً لدى اليسر

ومدح إبراهيم الصولي رجلاً بضد ذلك فقال:

يعرف الأبعد ان أثرى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقال ابن أبي الحديد قال الشاعر:

خلقان لا أرضاهما لفتىً تيه الغنى ومذلّة الفقر

فإذا غنيتَ فلا تكن بَطِراً وإذا افتقرت فَتِهْ على الدّهر

وقال: كلامه عليه السلام من قوله تعالى ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كلّ مكان وظنّوا أنّهم أُحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين* فلمّا نجّاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾[٣].

---

(١) كشف المحجة: ١٦٩.

(٢) الكافي ٢: ٨٤ ح٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١١٥، والآيتان من سورة يونس: ٢٢ ـ ٢٣.

قلت: بل الآية في مقام، وكلامه عليه السلام في مقام، فهل الخضوع لله وقت الإحاطة بهم في البحر قبيح؟ وإنّما يقبح الخضوع للناس وقت الحاجة، والمراد من الآية نقض الناس عهودهم مع الله تعالى في الاضطرار بعد رفعه.

«ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك» أي: محل إقامتك، وزاد في رواية التحف والرسائل «فأنفق في حقّ، ولا تكن خازناً لغيرك»[1].

قال ابن أبي الحديد كلامه عليه السلام مأخوذ من كلام النبي صلى الله عليه وآله: «يا ابن آدم ليس لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأبقيت». وقال أبو العتاهية:

ليس للمتعب المكادح من دنـ ياه إلّا الرّغيف والطّمران[2]

(وان جزعت) كذا في (المصرية) والصواب: (وان كنت جازعاً) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

«على ما تفلّت» أي: خرج بغتة.

«من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك» لكونه نظيره في عدم تقدير أحدهما له، وهو أيضاً نظير أن يخرج الإنسان في يقظته على فوت ما حصل بيده في النوم.

«استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الأمور أشباه» فتعرف ما لم يكن ممّا كان. قال ابن أبي الحديد يقال: إذا شئت أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك، وقال المتنبي في سيف الدولة:

ذكـــيّ تـــظنّيه طـــليعةُ عـــينه يرى قلبُه في يومه ما يرى غدا[4]

---

(١) كشف المحجة: ١٦٩، وتحف العقول: ٨٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١١٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١١٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١١٦.

قلت: البيت غير مربوط بكلامه عليه السلام، فإنّه في الاعتبار للآتي بالماضي والبيت وصف الذكاء، كقول الآخر:

الألمعيُّ الّذي يظنُّ بك الظّـ ـنّ كأن قد رأى وقد سمعا

وكيف كان فزاد في رواية الرسائل: «ولا تكفر ذا نعمة، فإن كفر النعمة من ألأم الكفر، واقبل العذر»[١].

«ولا تكونن ممّن لا تنفعه العظة إلاّ إذا بالغت في إيلامه فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب» هكذا في (المصرية) والصواب: (بالأدب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٢].

«والبهائم لا تتعظ إلاّ بالضرب» وزاد في رواية الكليني «اعرف الحق لمن عرفه لك رفيعاً كان أو وضيعاً»[٣]، قال بشار:

الحر يلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد

وقال ابن أبي الحديد كان يقال: اللئيم كالعبد، والعبد كالبهيمة عتبها ضربها، وقال الشاعر:

العبد يقرع بالعصا والحرّ تكفيه الملامه[٤]

«اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين» ﴿واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور﴾[٥]، قال الشاعر:

خفّض عليك من الهموم فإنّما يحظى براحة دهره من خفّضا

أيضاً:

---

(١) كشف المحجة : ١٦٩ .

(٢) متن شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٣ .

(٣) كشف المحجة : ١٦٩ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١١٧ .

(٥) لقمان: ١٧.

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أيضاً:

إنّ الأُمور إذا انسدَّت مسالكها فالصبر يفتح منها كلّ ما ارتتجا
لا تيأسنّ وإن طالت مطالبه إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

أيضاً:

إنّي رأيت وللأيّام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جدَّ في أمر يطالبه واستصحب الصبر إلّا فاز بالظّفر

أيضاً:

فصبراً معين الملك إن عنّ حادث فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسنْ من صنع ربّك إنّه ضمين بأن الله سوف يديل
فإن اللّيالي إذ يزول نعيمها تبشّر أنّ النائبات تزول
ألم ترَ أن الشمس بعد كسوفها لها منظر يغشي العيون صقيل
وان الهلال النضو يغمر بعدما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبنَّ السيف يقصر كلّما تعاوده بعد المضاء كلول
ولا تحسبنّ الدوح يقلع كلّما يمرُّ به نفح الصبا فيميل
فقد يعطف الدهر الأبيُّ عنانه فيشفى عليل أو يبلّ غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما تساقط ريش واستطار نسيل
ويستأنف الغصن السليب نضارة فيورق ما لم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة وللحظّ من بعد الذهاب قفول

«من ترك القصد» أي: العدل، قال الشاعر:

على حكم المأتيّ يوماً إذا قضى قضيته ألّا يجور ويقصد

«جار» كان غريب بن عمليس مبذّراً، ومن أمثالهم «ومن يطع عَرِيباً يُمسِ غريباً»، «من يطع عكّباً يمس منكّباً»[١]، «من يطع نمرة يفقد ثمرة»[٢].

وزاد في رواية (الرسائل) «ونعم حظ المرء القنوع، ومن شر ما صحب المرء الحسد، وفي القنوط التفريط، والشح يجلب الملامة»[٣].

«والصاحب مناسب» أي: يجب أن يكون صاحبك مناسبك، قال الشاعر:

نسيبك من ناسبت بالودّ قلبه ... وجارك من صافيته لا المصاقب

وفي (عيون ابن قتيبة) قال بختيوع للمأمون: لا تجالس الثقلاء فإنّا نجد في الطب مجالسة الثقيل حمّى الروح[٤].

وكتب رجل على خاتمه «أبرمت فقم» فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إيّاه، وقال بعضهم:

إنّـي أُجـالس معشراً ... نوكى أخفُّهم ثقيل

قوم إذا جالستهم ... صدأت بقربهم العقول

لا يُفهموني قولهم ... ويدقّ عنهم ما أقول

فهم كثير بي وأعـ ... ـلم أنّني بهم قليل

أيضاً:

ألا إنّ خير الود ود تطوعت ... به النفس لا ودٌّ أتى وهو متعب

أيضاً:

ذو الود منّي وذو القربى بمنزلة ... وإخوتي أُسوة عندي وإخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي ... فهم وان فرقوا في الأرض جيراني

(١ و ٢) مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٩٨.

(٣) كشف المحجة : ١٦٩.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٤٢٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

أرواحنا في مكان واحد وغدت أبدانـنا بشآم أو خراسان

أيضاً:

أبن لي فكن مثلي أو ابتغِ صاحباً كمثلك إنّي مبتغ صاحباً مثلي

عزيز اخائي لا ينال مودّتي من القوم إلاّ مسلم كامل العقل

وما يلبث الإخوان أن يتفرّقوا إذا لم يؤلّف روح شكل إلى شكل

وكتب رجل إلى صديقه: إني صارفت منك جوهر نفسي، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام، لأن النفس يتبع بعضها بعضاً، وقالوا: «طير السماء على إلفه من الأرض يقع» وقيل:

وقائل كيف تهاجرتما فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلي فتاركته والناس أشكال والآف

هذا، وفي (تاريخ بغداد): إجتمع ثمامة بن أشرس ويحيى بن أكثم عند المأمون، فقال ليحيى: العشق ما هو؟ فقال: سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهتم بها. فقال ثمامة: أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، ونحن بهذا أحذق. فقال له المأمون: فهات ما عندك. قال: إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع يستضيء به بواصر العقل وتهز لاشراقه طبائع الحياة، ويتصوّر من ذلك اللمح نور خاص بالنفس متصل بجوهرها يسمّى «عشقاً». فقال له المأمون: هذا وأبيك الجواب[1].

(وفيه): إن الرشيد لمّا غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش وأمره أن يضيق عليه ويدخله بيتاً ويطين عليه ويترك فيه ثقباً، ففعل دون ذلك وكان يدسّ إليه الطعام، فجلس سلام عشية يقرأ في المصحف فقرأ ﴿ويلٌ يومئذٍ

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ١٤٧ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

للمكذّبين﴾[1] بالفتح، فقال له ثمامة انما هو «للمكذّبين» وجعل يشرحه ويقول: المكذَّبون هم الرسل والمكذِّبون الكفار. فقال: قد قيل لي انّك زنديق ولم أقبل. ثم ضيّق عليه أشدّ الضيق، ثم رضي الرشيد عنه وجالسه فقال لمن معه: أخبروني عن أسوأ الناس حالاً، فقال كلّ واحد شيئاً، فقال ثمامة: أسوأ الناس حالاً عاقل يجري عليه حكم جاهل. فتبيّن الغضب في وجهه فقال ثمامة: ما أحسب وقعت بحيث أردت. قال: فاشرح، فحدّثه بحديث سلام، فجعل يضحك حتى استلقى وقال: صدقت والله لقد كنت أسوأ الناس حالاً[2].

«والصديق من صدق غيبه».

خير إخوانك المشارك في المـ ـر واين الشريك في المرّ أينا
الذي ان شهدت سرّك في القو م وإن غبت كان أُذناً وعينا
مثل تبر العقيان ان مسّه النا رُجلاه الجلاء فازداد زينا

في (تاريخ بغداد) قال الواقدي: أضقت مرة وأنا مع يحيى البرمكي وحضر عيد فجاءتني جارية فقالت لي: ليس عندنا شيء، فمضيت إلى صديق لي من التجّار فعرّفته حاجتي إلى القرض، فأخرج إليّ كيساً مختوماً فيه ألف ومائتا درهم، فأخذته وانصرفت إلى منزلي، فما استقررت فيه حتى جاءني صديق لي هاشميٌّ فشكا إليّ تأخّر غلّته وحاجته إلى القرَض، فدخلت إلى زوجتي فقالت: أيّ شيء عزمت؟ قلت: على أن أُقاسمه الكيس. قالت: ما صنعت شيئاً أتيت رجلاً سوقة فأعطاك ألفاً ومأتي درهم وجاءك رجل له من النبي صلى الله عليه وآله رحم ماسة تعطيه نصف ما أعطاك السوقة! أعطه الكيس كلّه، فأخرجت الكيس كله فدفعته إليه، ومضى صديقي التاجر إلى الهاشمي ـ وكان

---

(١) الطور: ١١.

(٢) تاريخ بغداد ٧: ١٤٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

له صديقاً، فسأله القرض فأخرج إليه الهاشمي الكيس، فلمّا رأى خاتمه عرفه وانصرف إليّ فخبرني بالأمر وجاءني رسول يحيى يقول: إنّما تأخّر رسولي عنك لشغلي بحاجات الخليفة، فركبت إليه فأخبرته بخبر الكيس فقال: يا غلام هات تلك الدنانير، فجاءه بعشرة آلاف فقال: خذ ألفي دينار لك وألفين لصديقك وألفين للهاشمي وأربعة آلاف لزوجتك فإنّها أكرمكم[1].

«والهوى شريك العناء» هكذا في (المصرية) والصواب: (العمى) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، بل وفي رواية الكليني - وزاد في روايته: «ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة، ونعم طارد للهموم اليقين، وعاقبة الكذب الندم، وفي الصدق السلامة»[3].

والمراد أنّه كما أن ذا العمى لا يبصر؛ كذلك ذو الهوى في شيء. قال أبو العتاهية:

يا عتب ما أنا من صنيعك بي   أعمى ولكنّ الهوى أعماني

وقال ابن أبي الحديد هذا مثل قولهم: «حبّك الشيء يُعمي ويصمّ»، وقال الشاعر:

وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة

كما أنّ عين السخط تبدي المساويا[4]

«وربَّ قريب أبعد من بعيد، وربّ بعيد أقرب من قريب» هكذا في (المصرية) والصواب: (رب بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد) كما في ابن أبي

---

(١) تاريخ بغداد ٣: ١٩ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٣ .

(٣) كشف المحجة : ١٦٩ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٧ ـ ١١٨ .

الحديد وابن ميثم والخطية[1].

في (تاريخ بغداد) ـ في محمد بن علي الأنباري ـ أن علياً كان يقول: «القريب من قرّبته المودة وإن بعد نسبه، والبعيد من بعّدته العداوة وإن قرب نسبه».

(وفيه) ـ في كلثوم بن عمرو العتابي ـ كتب طوق بن مالك إلى كلثوم يستزيره ويدعوه إلى أن يصل القرابة بينه وبينه، فردّ عليه كلثوم: إنَّ قريبك من قرب إليك خيره، وإنّ عمّك من عمّك نفعه، وإن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإنّ أخصّ الناس إليك أجداهم بالمنفعة عليك، ولذلك أقول:

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ... وخبرت ما فتلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً ... وإذا المودّة أكبر الأسباب[2]

وقال أبو الأسود:

فلا تشعرنّ النفس يأساً فإنّما ... يعيش بجدٍّ حازم وبليد
ولا تطمعنْ في مال جارٍ لقربه ... فكلُّ قريب لا يُنال بعيد

وفي المعمّرين لأبي حاتم قال الأضبط بن قريع:

وصل وصال البعيد ما وصل الحبـ ... ـلَ وأقصِ القريب إن قطعه

وقال ابن أبي الحديد ما قاله عليه السلام معنىً مطروق، قال الأحوص:

إنّي لأمنحك الصدود وإنّني ... قسماً إليك مع الصدود لَأَمْيَلُ

وقال البحتريّ:

ونازحة والدّار منها قريبة ... وما قرب ثاو في التراب مغيّب

وقال الشاعر:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٣، ١١٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

لعمرك ما يضرّ البعد يوماً إذا دنت القلوب من القلوب[١]

قلت: معنى ما نقل غير كلامه عليه السلام، وانما يصحّ جعله قريباً من كلامه.

«والغريب من لم يكن له حبيب» وقالوا أيضاً «الغريب من لم يكن له مال»

وقيل بالفارسية:

منعم بكوه و دشت وبيابان غريب نيست

هر جا كه رفت خيمه زد وبارگاه كرد

«من تعدّى الحق ضاق مذهبه» فإنّ الحق كالجادة ومتعدّيه كالمتعدّي من الجادة، وفي المثل «من سلك الجدد؛ أمن العثار»[٢]، وقال تعالى ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾[٣].

«ومن اقتصر على قدره كان أبقى له» قال ابن أبي الحديد: هذا مثل قوله «رحم الله امرأً عرف قدره، ولم يتعدّ طوره» وقال: «من جهل قدره قتل نفسه»[٤].

قلت: الظاهر أن معنى كلامه عليه السلام: «من اقتصر على قدره كان أبقى له» أنّ من اقتصر على قدر ماله في إنفاقاته ووجوه مصارفه كان أبقى له من أن يتلف كلّ ماله، فالاقتصار على قدره غير عرفان قدره وجهله كما فهم.

وفي (العيون) دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أخذ بمال عليه وقيّد، فقال له: أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود، فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال: لمن هذه؟ فقال: لي، فأمر بها أن تنزل، فأُنزلت وإذا دجاج وأخبصة، فقال

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٨.

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣٠٦، الزمخشري ٢: ٣٥٦.

(٣) الانعام : ١٥٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٨.

له: هذه وضعت القيود في رجلك[١].

«وأوثق سبب أخذت به سبب» الأصل في معنى السبب الحبل والوسيلة.

«بينك وبين الله» هكذا في (المصرية) وفيها سقط فزاد ابن أبي الحديد والخطية «سبحانه» ولكن في نسخة ابن ميثم «تعالى»[٢]. قال ابن أبي الحديد: هو مأخوذ من قوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾[٣][٤].

قلت: وكذا قوله تعالى: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾[٥].

والسبب بين الخلائق والخالق كان أولا النبي صلى الله عليه وآله وكتابه تعالى وبعده كتابه تعالى وعترة نبيّه، فقال النبي صلى الله عليه وآله ـ كما في مسند أحمد بن حنبل ـ إنّي تارك فيكم الخليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[٦].

وبمعنى آخر: الفصل عن غيره تعالى والوصل به عزّوجلّ، ففي (الكافي) أوحى تعالى إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلاّ جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من

---

(١) عيون الاخبار ٣: ٢١٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٣.

(٣) البقرة : ٢٥٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١١٦.

(٥) آل عمران: ١٠١.

(٦) حديث الثقلين أخرجه أحمد في مسنده ٢: (١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩) عن طريق أبي وفيه (٤ ح٣٦٦) عن زيد بن ارقم وفيه (٥ / ١٨١ / ١٨٩) عن زيد بن ثابت.

نيّته إلاّ قطعت أسباب السماوات من بين يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال من أيّ واد هلك.

وفي خبر آخر: ومن اعتصم بالله عصمه الله، ومن عصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض، أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة كان في حرز الله تعالى بالتقوى من كلّ بلية، أليس الله تعالى يقول: ﴿إنّ المتّقين في مقام أمين﴾[1].

وفي آخر: عن الحسين بن علوان: كنّا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض أسفاري، فقال لي بعض أصحابنا: من تؤمّل بما قد نزل بك. فقلت: فلاناً. فقال: إذن والله لا يسعف حاجتك. قلت: وما علمك؟ قال: إنّ أبا عبدالله عليه السلام حدّثني أنّه قرأ في بعض الكتب أن الله تعالى يقول: وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل آمل غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلّة عند الناس، ولأنحّينّه من قربي ولأُبعدنّه من وصلي، أيؤمّل غيري في الشدائد والشدائد بيدي؟ ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني؟ فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها؟ ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحد غيري الا من بعد اذني؟ فما لي أراه لاهياً عنّي! أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته منه فلم يسألني ردّه وسأل غيري، أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسألُ فلا أُجيب سائلي؟ أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟ أوليس

(١) الدخان ٥١، الكافي ٢: ٦٥ روايه ٤.

الكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني؟ أفلم يخش المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعاً ثم أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني[١].

«ومن لم يبالك فهو عدوك» قال أبو العيناء:

لعمرك ما حقّ امرئٍ لا يعدُّ لي ... على نفسه حقّاً عليّ بواجب

وما أنا للنّائي عليَّ بوده ... بودّي وصافي خلّتي بمقارب

ولكنّه إن مال يوماً بجانب ... من الصدّ والهجران ملت بجانبي

هذا، وفي (الأغاني) نهق حمار ذات يوم بقرب بشّار فخطر بباله بيت فقال:

ما قام أير حمار فامتلا شبعاً ... إلّا تحرّك عرق في است تسنيم

ولم يرد تسنيماً بالهجاء ولكنه لمّا بلغ إلى قوله «الا تحرك عرق» قال في است من، ومر به تسنيم وكان صديقه فسلّم عليه فقال: في است تسنيم. فقال: أيش ويحك، فأنشده البيت. فقال له: عليك لعنة الله، فما عندك فرق بين صديقك وعدوك، أي شيء حملك على هذا؟ ألا قلت «في است حمار» الذي فضحك وأعياك وليست قافيتك على الميم فأعذرك. قال: صدقت والله في هذا كلّه ولكن ما زلت أقول «في است من في است من» ولا يخطر ببالي أحد حتى مررت وسلمت فرزقته. فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب التسليم عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلمت عليك. وجعل بشّار

---

(١) الكافي ٢: ٦٢ ـ ٦٦ ح١ و ٤ و ٧.

يضحك ويصفق بيديه وتسنيم يشتمه[1].

«قد يكون اليأس ادراكاً إذا كان الطمع هلاكاً» قال امرؤ القيس:

وقد سافرت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال البحتري:

إذا بدا بُخلاء الناس عارفة يتبعها المن فالمرزوق من حرما

وقال آخر:

اللّيل داج والكباش تنتطح فمن نجا برأسه فقد ربح

«ليس كلّ عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب» ولو كان كل عورة ـ والعورة موضع خلل يتخوف منه ـ تظهر لأمكن لكثير من الناس استيصال أعدائهم، ولو كان كلّ فرصة تصاب لأصلح الناس كثيراً من أمور دينهم ودنياهم.

«وربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمى رشده» وقالوا: لكلّ جواد كبوة، ولكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة. وقال محمد بن بشير:

تخطي النفوس مع العيان وقد تصيب مع المظنّه

كم من مضيق في الفضا ءِ ومخرج بين الأسنّه

ولأبي العتاهية:

وقد يهلك الانسان من باب أمنه وينجو باذن الله من حيث يحذر

ومن أمثالهم: «رب رمية من غير رام». قال الميداني: وأول من قاله الحكم ابن عبد يغوث المنقري ـ وكان أرمى أهل زمانه ـ وآلى يميناً ليدجن على الغبغب مهاة ـ أي يقطع عرق ما تدلّى تحت حنك بقرة وحشية بالرمي ـ فحمل قوسه وكنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئاً، فرجع كئيباً وبات ليلته على ذلك، ثم خرج إلى قومه فقال: ما أنتم صانعون، فإنّي قاتل نفسي أسفاً إن لم

---

(١) الأغاني ٣ : ١٧٣ ـ دار احياء التراث العربي .

أدجها اليوم. فقال له أخوه: دج مكانها عشرة من الإبل ولا تقتل نفسك. قال: واللّات والعزى لا أظلم عاترة وأترك النافرة. فقال له ابنه: احملني معك أرفدك. فقال له أبوه: وما أحمل من رعش وهل، جبان فشل. فضحك الغلام وقال: إن لم تر أوداجها يخالط أمشاجها فاجعلني وداجها. فانطلقا فإذا هما بمهاة فرماها الحكم فأخطأها ثم مرّت به أُخرى فأخطأها ثم مرّت به أُخرى فرماها فأخطأها، فقال له ابنه: أعطني القوس، فأعطاها فرماها ولم يخطئها فقال أبوه «ربّ رمية من غير رام»[1] يضرب لصدور الفعل من غير أهله.

«أخّر الشر فإنّك إذا شئت تعجلته» قريب من كلامه عليه السلام قول هدبة العذري:

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

ويجب العمل بكلامه عليه السلام في المتهم بالقتل وغيره فما لم يتبيّن جرمه لم تجز عقوبته، فلعلّه كان بريئاً فلا ترد العقوبة، فإن تحقق جرمه عاقبه عقيبه.

«وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل» في (عيون ابن بابويه) قال عمير بن يزيد: كنت عند الرضا عليه السلام، فذكر محمد بن جعفر بن محمد، فقال: إنّي جعلت على نفسي ألاّ يظلّني وإيّاه سقف بيت أبداً. فقلت في نفسي: هذا يأمرنا بالبرّ والصلة ويقول هذا لعمه. فنظر إليّ، فقال: هذا من البرّ والصلة، إنّه متى يأتني ويدخل عليّ فيقول فيَّ فيصدقه الناس، وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال[2].

وفي (المروج) قال المتوكل لأبي العيناء: بلغنا عنك بذاء. فقال: قد مدح

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ١: ٢٩٩ بتصرف.

(٢) عيون ٢: ٢٠٤ ح ١.

الله تعالى وذم، فقال تعالى ﴿نعم العبد إنّه أوّاب﴾[١] وقال جل وعلا ﴿همّاز مشّاءٍ بنميم * عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم﴾[٢]، فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبي صلى الله عليه وآله والذِّمّيّ فلا ضير فيه. قال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم أكُ صادقاً ... ولم أشتم النّكس اللّئيم المذمّما

ففيم عرفت الخير والشرّ باسمه ... وشقّ لي الله المسامع والفما[٣]

وقال الآخر:

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتى ... ولَلحلمُ أحياناً من الجهل أقبح

إذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإن الجهل أعفى وأروح

«من أمن الزمان خانه» عن أكثم بن صيفي: الدهر لا يُغترّ به، ومن مأمنه يؤتى الحذر.

«ومن أعظمه أهانه» في الخبر: ما من أحد عظّم الدنيا فقرّت عيناه فيها، ولم يحقّرها إلّا انتفع بها[٤].

«ليس كلّ من رمى أصاب» وقالوا: «ما كل رامي غرض يصيب».

«إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان» وقالوا: «الناس على دين ملوكهم».

وكان الناس في زمان الوليد بن عبد الملك حريصين على العمارات مثله، وفي زمان سليمان أخيه على أكل الطيبات مثله، وفي زمان يزيد أخيه على قضاء الوطر من الشهوات مثله، وفي زمان هشام أخيه على الشحّ وترك الإطعام وسدّ باب المضيفات مثله.

وفي (العقد): اطلع مروان بن الحكم على ضيعته بالغوطة فأنكر منها

---

(١) ص: ٣٠، ٤٤.

(٢) القلم: ١١ و ١٣.

(٣) المروج ٤: ١٤٨.

(٤) الكافي ٢: ٣١٧ رواية ٩.

شيئاً فقال لوكيله: ويحك! إنّي لأظنّك تخونني. قال: أتظن ذلك ولا تستيقنه. قال وتفعل. قال: نعم والله اني لأخونك وإنّك لتخون الخليفة والخليفة ليخون الله فلعن الله شر الثلاثة.

وقالوا: صنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء والفقهاء، وإذا فسدا فسد الناس.

وقال ابن أبي الحديد جمع أنوشروان عمّال السواد وبيده درّة يقلبها، فقال: أيّ شيء أضرّ بارتفاع السواد وأدعى إلى محقه؟ وأيّكم قال ما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه. فقال بعضهم انقطاع الشرب، وقال بعضهم احتباس المطر، وقال بعضهم استيلاء الجنوب وعدم الشمال. فقال لوزيره: قل أنت فإنّي أظن عقلك يعادل عقول الرعية كلّها أو يزيد عليها. فقال: تغيّر رأي السلطان في رعيته، وإضمار الحيف لهم والجور عليهم. فقال: لله أبوك، بهذا العقل أهّلك آبائي لمّا أهّلوك، وجعل الدرّة في فيه[1].

«سل عن الرفيق قبل الطريق» في (الاستيعاب) قال خفّاف: أتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت: أين تأمرني أن أنزل؛ على قرشي أم أنصاري، أم أسلم أم غفار؟ فقال: يا خفاف! ابتغ الرفيق قبل الطريق، فإن عرض لك أمر نصرك، وان احتجت إليه رفدك[2].

«وعن الجار قبل الدار» في (تاريخ بغداد): كان لمحمد بن ميمون أبي حمزة السكري جار أراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم. قال: بألفين عن الدار، وألفين جوار أبي حمزة. فبلغ ذلك أبا حمزة فوجّه إليه بأربعة آلاف فقال: خذ هذه ولا تبع دارك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٢١ .

(٢) الاستيعاب ١: ٤٣٧ .

(وفيه): كان إذا مرض الرجل من جيرانه تصدّق بمثل نفقة المريض لمّا صرف عنه من العلّة.

(وفيه): كان إذا مرض عنده من قد رحل إليه ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفاية فيأمر بالقيام به.

كان لرجل جار حسن فاحتاج إلى بيع داره فلمّا نقده المشتري الثمن قال له: هذا ثمن الدار فأين ثمن جاري، فسمع ذلك جاره فبعث إليه بمال لئلا يبيع داره.

ويضربون المثل بجار أبي دؤاد، يعنون كعب بن مامة، قالوا كان كعب إذا جاوره رجل فمات وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فجاوره أبو دؤاد فكان يفعل به ذلك فقال قيس بن زهير:

أُطوّفُ ما أُطوّفُ ثم آوي إلى جار كجار أبي دؤاد

كما انّهم يضربون المثل بجار لا يحمى جاره بلحم ظبي، قال الشاعر:

فجارك عند بيتك لحم ظبي وجاري عند بيتي لا يرام

هذا، وفي (الأذكياء) في خبر ـ قال رجل للنبي ﷺ إنّ لي جاراً يؤذيني فقال: إنطلق وأخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي فقال لي: إنطلق وأخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون «اللّهم العنه اللّهم أخزه» فبلغه فأتاه فقال: إرجع إلى منزلك فوالله لا نؤذيك[1].

«إيّاك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً وان حكيت ذلك عن غيرك» لأنّ ذلك يحطّ الرجل الجليل عن منزلته، بل من كان له مضحكة تسقط هيبته.

وفي (تاريخ الجزري): كان للسلطان ملكشاه مسخرة يعرف

---

(١) الأذكياء: ٢٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ب:(جعفرك) يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان، فبلغ ذلك جمال الملك بن نظام الملك ـ وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها ـ فسار من وقته يطوي المراحل إلى والده والسلطان وهما باصبهان، فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك، فأغلظ لهما القول في إغضائهما على ما بلغه عن «جعفرك»، فلمّا وصل إلى حضرة السلطان رأى «جعفرك» يسارُّه، فانتهره وقال: مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع، فلمّا خرج من عند السلطان أمر بالقبض على «جعفرك» وأمر بإخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات، ثم أمر السلطان سرّاً بقتل جمال الملك لقتله مضحكته[1].

(وفيه): قتل في سنة (٥٥٦) سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه، كان يجمع المساخر ولا يلتفت إلى الأمراء، فأهمل العسكر أمره وصاروا لا يحضرون بابه ـ وكان قد رد جميع الأمور إلى (كردبازو) من مشائخ خدمهم ـ فكان الأمراء يشكون إليه وهو يسكّنهم، فاتّفق أنّ السلطان شرب يوماً بظاهر همدان في الكشك، فحضر عنده (كردبازو) ولامه، فأمر من عنده من المساخرة فعبثوا بكردبازو حتى أن بعضهم كشف له سوأته ـ إلى أن قال ـ فأحضر كردبازو الأمراء ـ وكانوا كارهين لسليمان ـ فاستحلفهم على طاعته فحلفوا له، فأوّل ما عمل أن قتل المساخرة الذين لسليمان وقال له: إنّما أفعل ذلك لملكك، ثم عمل دعوة عظيمة حضرها السلطان والأمراء، فلمّا صار السلطان في داره قبض عليه ثم أرسل إليه من خنقه...[2].

«واياك ومشاورة النساء» ففي الخبر كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد الحرب دعا

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١٠ : ١٢٣ ـ ١٢٤، سنة ٤٧٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١١ / ٢٦٦، سنة ٥٥٦.

نساءه فاستشارهن ثم خالفهن[١].

وقالوا: لا تستشيروا معلّماً ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء.

وقال ابن أبي الحديد قال الفضل بن الربيع ـ يصف الأمين بالعجز أيام محاربته المأمون ـ إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء، يشاور النساء ويعتزم على الرؤيا[٢].

«فإنّ رأيهن إلى أفن» بفتحتين أي: الضعف.

«وعزمهن إلى وهن» قال كعب ابن زهير:

وما تدوم على العهد الذي زعمت ... كما تلوّن في أثوابها الغول

ولا تمسّك بالوعد الذي زعمت ... إلاّ كما تمسك الماءَ الغرابيل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلاّ الأباطيل

وقال آكل المرار:

إنّ من غره النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان ومر ... كلّ شيء يجن منها الضمير

كلّ انثى وإن بدا لك منها ... آية الحب حبها خيتعور

وقال طفيل الغنوي:

إنّ النساء متى ينهين عن خلق ... فإنّه واجب لابدَّ مفعول

وقال نهشل بن حري:

وعهد الغانيات كعهد قين ... ونت عنه الجعائل مستذاق

كبرق لاح يعجب من بعيد ... ولا يغني الحرائم من لماق

وقال آخر:

---

(١) الكافي ٥: ٥١٨ ح١١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٢٣.

فلا تحسبنّ هنداً لها الغدر وحدها　　　سجية نفس كلّ غانية هند

وفي (الأغاني): بلغ ملك ضيزن الخزاعي صاحب الحضر ـ والحضر قصر بحيال تكريت بين دجلة والفرات ـ الشام وأغار فأصاب أُختاً لسابور ذي الأكتاف، فجمع له سابور وسار إليه، فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئاً. ثم ان النضيرة بنت ضيزن ـ وكانت من أجمل أهل دهرها ـ حاضت فأخرجت إلى الربض ـ وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن ـ وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته وعشقها وعشقته فأرسلت إليه: ما تجعل لي إن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي، قال: أحكمك وأرفعك على نسائي وأخصك بنفسي دونهن. قالت: عليك بحمامة مطوّقة ورقاء فاكتب في رجلها بحيض جارية بكر تكون زرقاء ثم ارسلها فانها تقع على حائط المدينة فتتداعى ـ وكان ذلك طلسمها لا يهدمها إلاّ هو ـ ففعل وتأهب لهم وقالت له: أنا أسقي الحرس الخمر فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة، ففعل، فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة، فقتل الضيزن وأخرب المدينة واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتضوّر من خشونة في فرشها وهي من حرير محشو بالقز، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آس ملتصقة بعكنة من عكنتها قد أثرت فيها، وكان ينظر إلى مخها من لين بشرتها، فقال لها سابور: ويحك! بأيِّ شيء كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأبكار من النحل وصفوة الخمر. فقال: وكيف آمنك وقد فعلت بأبيك الذي غذّاك بما تذكرين ما فعلت؟ فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعاً، فذلك قول الشاعر:

أقفر الحضر من نضيرة فالمـ　　　ـرباع منها فجانب الثرثار

وقال عدي بن زيد في أبيها:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلّله كأساً فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور[١]

وفي (العقد): قال الهيثم بن عدي: غزا الحارث بن عمرو الغسّاني آكل المرار الكندي فلم يصبه في منزله فأخذ ما وجد له واستاق امرأته، فلمّا أصابها أعجبت به فقالت له: انج فوالله لكأني أنظر إليه يتبعك فاغراً فاه كأنّه بعير آكل مرار، فاتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ امرأته فقال لها: هل أصابك؟ قالت: نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط، فأمر بها فأوقفت بين فرسين ثم استحضرهما حتى تقطعت ثم قال:

كل أُنثى وان بدا لك منها آية الود حبها خيتعور[٢]

«واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إيّاهن فإن شدّة الحجاب أبقى عليهن» وفي رواية (الرسائل) «فإنّ شدّة الحجاب خير لك ولهن من الإرتياب»[٣]. قيل لابنة الخس: لِمَ زنيت وأنت سيدة نساء قومك؟ قالت: لقرب الوساد وطول السواد.

وعن الصادق عليه السلام: ما أخذ النبي صلى الله عليه وآله على النساء في بيعتهن ألاّ يختبين ولا يقعدن مع الرجال في الخلاء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: انما هلك نساء بني إسرائيل من قبل القصص ونقش الخضاب[٤].

---

(١) الأغاني ٢: ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) العقد الفريد ٧: ١٣٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) كشف المحجة: ١٧١.

(٤) الكافي ٥: ٥١٩ ح ١ و ٦.

وقال عليه السلام: يا أهل العراق نبئت أنّ نساءكم يدافعن الرجال في الطريق؛ أما تستحون[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة ـ وكانت النساء يتقنّعن خلف آذانهن ـ فنظر إليها وهي مقبلة فلمّا جازت نظر إليها ودخل في زقاق فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقّ وجهه، فلمّا مضت المرأة فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال: والله لآتينّ النبي صلى الله عليه وآله ولأُخبرنّه، فأتاه فهبط جبرئيل بآية ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون﴾[٢][٣].

«**وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن**» وفي الخبر: إنّ أحسن شيء للنساء أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال[٤].

«**وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل**» عن بعضهم لئن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشّف منها وهي لا تراهم أحب إلي من أن ترى رجلاً واحداً غير متكشّف.

هذا، وفي (الأغاني): كان في جوار أبان اللّاحقي رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد تزوج بعمارة الثقفية ـ وكانت موسرة ـ وكان محمد عدواً لأبان، فقال أبان يحذرها منه:

لمّا رأيت البز والشاره ... والفرش قد ضاقت به الحاره

واللوز والسكر يرمى به ... من فوق ذي الدار وذي الداره

---

(١) الكافي ٥: ٥٣٦ ح ٦.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) الكافي ٥: ٥٢١ ح ٥.

(٤) مكارم الأخلاق: ٢٣٣.

وأحضروا اللّاهين لم يتركوا طبلاً ولا صاحب زمّاره
قلت لمّا ذا؟ قيل أعجوبة محمّد زوج عماره
لا عمّر الله بها بيته ولا رأته مدركاً ثاره
ماذا رأت فيه وماذا رجت وهي من النسوان مختاره
اسود كالسُّفّود يُنسى لدى التنوّر بل محراك قَيّاره
يُجري على أولاده خمسة أرغفة كالريش طيّاره
وأهله في الأرض من خوفه إن أفرطوا في الأكل سيّاره
ويحك فِرّي واعصبي ذاك بي فهذه أُختك فرّاره
إذا غفا بالليل فاستيقظي ثم اطفري إنّك طَفّاره

فلمّا بلغت قصيدته عمارة هربت وخرم من جهتها مالاً عظيماً، وقال أبان في فرارها:

فصعدت نائلة سلماً تخاف أن تصعده الفاره[1]

«ولا تُملّكِ المرأة ما جاوز نفسها» في (الأغاني): بلغ دريد بن الصمة أنّ امرأته سبَّت أخاه فطلقها وقال:

معاذ الله أن يشتمن رهطي وأن يملكن إبرامي ونقضي[2]

«فإنّ المرأة ريحانة» وقد عبّر النبي ﷺ عنهن بالقوارير، فقال لانجشه لمّا حدا بأزواجه في حجّة الوداع فأسرعت الإبل: «رفقاً بالقوارير»[3].

هذا، ورأى رجل امرأة فأنشد:

إنّ النساء شياطينٌ خلقن لنا نعوذ بالله من شرّ الشياطين

---

(١) الأغاني ٢٣ : ١٦٣ ـ دار احياء التراث العربي .
(٢) الأغاني ١٠ : ١١ ـ دار احياء التراث العربي .
(٣) الكافي ٤ : ٢٩ / قرّ واسد ١ ح ١٢١ .

فأنشدت المرأة:

إنّ النساء رياحين خلقن لكم   لابدَّ للناس من شمّ الرياحين

وفي (الأغاني) عن علي بن يحيى قال الحسين بن الضحاك: أنشدت ابن مناذر قصيدتي التي أقول فيها «لفقدك ريحانة العسكر» وكانت أول ما قلته من الشعر، فأخذ رداه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردد هذا البيت، فقلنا له: أتراه فعل ذلك استحساناً لمّا قلت؟ إنّما فعله طنزاً بك. فشتمه وشتمنا وكنّا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة، ويجدّد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه[1].

قلت: وجه عيب بيته أنّه لا مناسبة لإضافة الريحانة إلى العسكر.

«وليست بقهرمانة» في النهاية: في الخبر «كتب إلى قهرمانه» هو كالخازن والوكيل الحافظ لمّا تحت يده والقائم بأُمور الرجل بلغة الفرس[2].

في تنبيه المسعودي: كانت في أيام المقتدر أمور لم يكن مثلها في الاسلام، منها غلبة النساء على الملك والتدبير، حتى أن جارية لأُمّه تعرف بثمل القهرمانة كانت تجلس للنظر في مظالم الخاصة والعامة، ويحضرها الوزير والكاتب والقضاة وأهل العلم[3].

وفي (كامل الجزري) في سنة (٣١٠) قبض المقتدر عَلى أُم موسى القهرمانة بسبب أنّها زوجت ابنة اختها من أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل، واكثرت من النثار والدعوات وصرفت أموالاً جليلة، فسعت أعداؤها بها إلى المقتدر وقالوا له قد سعت في الخلافة لأحمد، فقبض عليها وأخذ منها

---

(١) الأغاني ٧ : ٢١٤ ـ دار احياء التراث العربي .

(٢) النهاية ٤ : ١٢٩ قهرم .

(٣) التنبيه والاشراف : ٣٢٨ .

أموالاً عظيمة وجواهر نفيسة[١].

هذا، وفي (عيون القتيبي) قال خالد الحذّاء: خطبت امرأة من بني أسد فجئت لأنظر إليها وبيني وبينها رواق يشف، فدعت بجفنة مملوة ثريداً مكلّلة باللحم فأتت على آخرها، وأُتِيتْ بإناء مملوٍّ لبناً أو نبيذاً فشربته حتى كفأته، ثم قالت: يا جارية! ارفعي السجف فإذا هي جالسة على جلد أسد وإذا شابة جميلة فقالت: يا عبد الله! أنا أسدة من بني أسد على جلد أسد وهذا مطعمي ومشربي، فإن أحببت أن تتقدّم فافعل، فقلت: أنظر. فخرجت ولم أعد[٢].

«ولا تعدُ» بضم الدّال، أي: لا تتجاوز.

«بكرامتها نفسها، ولا تُطمِعْها في أن تشفع لغيرها» و «بغيرها» في (المصرية) غلط. في (الطبري): قيل إن وفاة الهادي كانت من قبل جوارٍ لأُمّه الخيزران كانت أمرتهن بقتله، فذكروا أنَّ الهادي نابذ أُمّه ونافرها لمّا صارت إليه الخلافة، فصارت «خالصته» إليه يوماً فقالت: إن أُمك تستكسيك فأمر لها بخزانة مملوة كسوة ـ ووجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي ثمانية عشر ألف قرقر ـ وكانت الخيزران في أوّل خلافة ابنها تقتات عليه في أموره وتسلك به مسلك أبيه من قبل في الاستبداد بالأمر والنهي، فأرسل إليها ألّا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاءة التبذّل فإنّه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك، وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتّلك ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك، وكانت كثيراً ما تكلّمه في الحوائج فكان يجيبها إلى كلّ ما تسأله حتى مضت أربعة أشهر من خلافته وانثال الناس عليها وطمعوا فيها، فكانت المواكب تغدو إلى بابها، فكلمته يوماً في أمر لم يجد إلى إجابتها فيه سبيلاً،

---

(١) الكامل في التاريخ ٨: ١٣٧ / س ٣١٠.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

فاعتلّ بعلّة فقالت: لابدّ من اجابتي. قال: لا أفعل. قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك، فغضب موسى وقال: ويل عليّ بن الفاعلة قد علمت أنّه صاحبها والله لاقضيتها لك. قالت: إذن والله لا أسألك حاجة أبداً. قال: إذن والله لا أبالي. وحمي وغضب، فقامت مغضبة فقال: مكانك حتّى تستوعبي كلامي، والله لئن بلغني أنّه وقف ببابك أحد من قوّادي أو أحد من خواصّي أو خدمي لأضربنّ عنقه وأقبضنّ ماله، فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك كلّ يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إيّاك ثم إيّاك ما فتحت بابك لمليٍّ ولا ذمّيّ. فانصرفت ما تعقل ما تطأ، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها.

وقال بعض الهاشميين: ان سبب موته أنّه لمّا جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على هارون منه، فدست إليه من جواريها لمّا مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بن خالد أن الرجل قد توفي فاجدد في أمرك ولا تقصر[1].

هذا، وقد أخذ الحجّاج أكثر فقرات كلامه عليه السلام في قصة له مع الوليد ففي (المروج): وفد الحجّاج على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله، فلمّا رآه ترجل له وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية، فقال له الوليد: إركب. فقال: دعني استكثر من الجهاد، فإنّ ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنك، فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره وتفضّل في غلاله ثم أذن للحجّاج فدخل عليه في حاله تلك وأطال الجلوس عنده، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارّت الوليد ومضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت، فقال الوليد للحجّاج: أتدري ما قالت هذه؟ قال: لا. قال: بعثتها إليّ ابنة عمّي أمّ البنين

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٢٠٥ ـ دار سويدان ـ بيروت.

بنت عبد العزيز تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح وأنت في غلالة، فأرسلت إليها: إنّه الحجّاج، فراعها ذلك وقالت: والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق. فقال له الحجّاج: دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنّما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تطلعهن على سرّك ولا مكايدة عدوك، ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، وإيّاك ومشاورتهن في الأمور فإنّ رأيهن إلى أَفَنٍ وعزمهن إلى وَهَنٍ، واكفف عليهنَّ من أبصارهن بحجبك ولا تملّك الواحدة منهن من الأُمور ما تجاوز نفسها، ولا تطمعها في أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك. ثم نهض فخرج ودخل الوليد على أمّ البنين، فقالت: أُحِبُّ أن تأمره غداً بالتسليم عليّ. فقال: أفعل. فلمّا غدا الحجّاج عليه قال له: سر إلى أُمِّ البنين فسلّم عليها فقال: أعفني من ذلك. فقال: لابدّ من ذلك، فمضى إليها فحجبته طويلاً ثم أذنت له فأقرَّته قائماً ولم تأذن له في الجلوس، ثم قالت له: أيه يا حجّاج! أنت الممتن بقتل ابن الزبير وابن الاشعث، أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة. وقالت له فيما قالت: لقد استعلى عليك ابن الأشعث حتى عجعجت ووالى عليك الهرار حتى عويت، فلولا أن الخليفة نادى في أهل اليمن وأنت في أضيق من القرن فأظلّتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسوراً قد أخذ الذي فيه عيناك، وعلى هذا فإن نساء الخليفة قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه، وأما ما أشرت على الخليفة من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه؛ فإن ينفرجن عن مثل الخليفة فغير مجيبك إلى ذلك، وان ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أُمّك البظراء عنك من قبح المنظر يالكع؛ فما أحقه أن يقتدي بقولك، قاتل الله الذي يقول:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلّا برزت إلى غزالة في الوغى　　بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم أمرت جارية لها فأخرجته، فلمّا دخل على الوليد قال له: ما كنت فيه؟ قال: والله ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها. قال: انها بنت عبد العزيز[1].

هذا، ولمّا تخاصم الفرزدق وامرأته إلى ابن الزبير إستشفع خبيب بن عبدالله إبن الزبير للفرزدق عند أبيه، واستشفعت امرأة ابن الزبير لامرأة الفرزدق عنده، فقضى ابن الزبير لامرأة الفرزدق، فقال الفرزدق:

ليس الشفيع الذي يأتيك متّزراً　　مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال آخر:

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة　　إليّ فهلا نفس ليلى شفيعها؟

«وإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب» في (عيون ابن قتيبة) قال الخريمي:

ما أحسن الغيرة في حينها　　وأقبح الغيرة في غير حين

من لم يزل متّهماً عرسه　　مناصباً فيها لرجم الظنون

يوشك أن يغريها بالذي　　يخاف أو ينصبها للعيون[2]

هذا، ونسب (عيون ابن قتيبة) كلامه عليه السلام في هذه الوصية في النساء من أوله إلى هنا إلى ابن المقفع[3]، وهل ذلك إلاّ جهل منه أو عناد، فإنّ كون ذلك كلامه عليه السلام ثبت بالأسانيد المستفيضة كما عرفت، ثم كيف كون الأصل فيه ابن المقفع وقد عرفت أن الحجّاج استعمل أكثره في قصته مع الوليد.

«واجعل لكلّ إنسان من خدمك عملاً تأخذه به فإنّه أحرى ألّا يتواكلوا في

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٥٨ ـ ١٦٠.

(٢ و ٣) عيون الاخبار ٤: ٧٨ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

خدمتك» قال ابن أبي الحديد: قال ابرويز لولده شيرويه: أُنظر إلى كتّابك، فمن كان منهم ذا ضياع قد أحسن عمارتها فولّه الخراج، ومن كان منهم ذا عبيد قد أحسن سياستهم وتثقيفهم فولّه الجند، ومن كان منهم ذا سراري وضرائر قد أحسن القيام عليهنّ فولّه النفقات والقهرمة، وهكذا فاصنع في خدم دارك، ولا تجعل أمرك فوضى بين خدمك، فيفسد عليك ملكك[١].

«وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير ويدك الّتي بها تصول» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن ليس في (ابن ميثم) والخطية فقرة «وأصلك الذي إليه تصير»[٢].

وكيف كان فزاد في رواية الكليني والحلبي بعدها «وبهم تصول وهم العدّة عند الشدة، فأكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشركهم في أمورهم، وتيسّر عند معسورهم»[٣].

قال ابن أبي الحديد روى أبو عبيدة أنَّ الفرزدق كان لا ينشد بين يدي الخلفاء والأُمراء إلاّ قاعداً، فدخل على سليمان يوماً فأنشده شعراً فخر فيه بآبائه وقال من جملته:

تالله ما حملت من ناقة رجلاً ... مثلي إذا الريح لفّتني على الكور

فقال سليمان: هذا المدح لي أو لك؟ قال: لي ولك، فغضب سليمان وقال: قم فأتمم ولا تنشد بعده إلاّ قائماً. فقال: لا والله أو تُسقط على الأرض أكثري شَعراً[٤] فقال سليمان: ويلي على الأحمق ابن الفاعلة، لا يكنّي. وارتفع صوته، فسمع الضوضاء بالباب فقال: ما هذا. قيل: بنو تميم على الباب يقولون:

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٢٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٢٢.

(٣) كشف المحجة : ١٧٣، وتحف العقول : ٨٨. ولفظ الكشف: «بهم تصول وبهم تطول اللذة عند الشدة».

(٤) يقصد به رأسه. أي: يقتله.

لا ينشد الفرزدق قائماً وأيدينا في مقابض سيوفنا. قال: فلينشد قاعداً.

قال: وروى المرزباني قال: كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممّن وفد على النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ثم صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفّين وكان من رجاله المشهورين، ثم وفد على معاوية في الاستقامة وكان معاوية لا ينسبه معرفة بعينه، فدخل عليه في جملة الناس، فلمّا انتهى إليه استنسبه فانتسب له فقال: أنت صاحب ليلة الهرير؟ قال: نعم. قال: والله ما تخلو مسامعي من رجزك تلك الليلة ـ وقد علا صوتك أصوات الناس ـ وأنت تقول:

شدوا فداءً لكم أمي وأب	فإنّما الأمر غداً لمن غلب
هذا ابن عمّ المصطفى والمنتجب	تنميه للعلياء سادات العرب
ليس بموصوم إذا نصّ النّسب	أوّل من صلّى وصام واقترب

قال: نعم أنا قائلها. قال: فلماذا قلتها؟ قال: لأنّا كنّا مع رجل لا يعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلاّ وهي مجموعة له، كان أوّل الناس سلماً وأكثرهم علماً وأرجحهم حلماً، فات الجياد فلا يشق غباره ويستولي على الأمد فلا يخاف عثاره، وأوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره وسلك القصد فلا تُدرس آثاره، فلمّا ابتلانا الله تعالى بافتقاده، وحوّل الأمر إلى من شاء من عباده؛ دخلنا في جملة المسلمين فلم ننزع يداً عن طاعة، ولم نصدع صفاة جماعة؛ على أنّ لك منّا ما ظهر وقلوبنا بيد الله وهو أملك بها منك، فاقبل صفونا وأعرض عن كدرنا ولا تثر كوامن الأحقاد فإنّ النار تقدح بالزناد. فقال له معاوية: وإنّك تهدّدني يا أخا طي بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق! فقال: يا معاوية! هم الذين أشرقوك بالريق وحبسوك في المضيق، وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت، وآمن بمنزلها وكفرت وعرف من تأويلها ما أنكرت.

فغضب معاوية وأدار طرفه في من حوله فإذا جلّهم من مضر ونفر قليل من اليمن فقال: أيّها الشقيُّ الخائن! إنّي لأخال أنّ هذا آخر كلام تفوه به، وكان عُفَير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية حينئذ، فعرف موقف الطائي ومراد معاوية فخافه عليهم فهجم عليه الدار وأقبل على اليمانية فقال: شاهت الوجوه ذُلّاً وقُلّا، كشم الله هذه الأنوف كشماً مرعباً، ثم التفت إلى معاوية فقال: إنّي والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حبّاً لأهل العراق ولا جنوحاً إليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب، ولقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة ـ يعني صعصعة بن صوحان ـ وهو أعظم جرماً عندك من هذا وأذكى لقلبك وأصدع لصفاتك وأجد في عداوتك ثم أثبته وسرحته، وأنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغاراً لجماعتنا وإنّا لا نُمِرُّ ولا نُخِلي، ولعمري لو وكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر وذكرك الداثر وحدك المفلول وعرشك المثلول، فأربع على ظلعك واطونا على بُلالتنا؛ ليسهل لك حزننا ويتطامن لك شاردنا، فانّا لا نرأم بوقع الضيم ولا نتلمظ جُرَعَ الخسف، ولا نغمز بغماز الفتن ولا نذر على الغضب. فقال معاوية: الغضب شيطان فأربع نفسك أيّها الانسان فإنّا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً فدونكه فانّه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره. فأخذ عُفَير بيد الوليد إلى منزله وقال له: والله لتؤوبن بأكثر ممّا آب به معديّ من معاوية وجمع من بدمشق من اليمانيّة وفرض على كلّ رجل دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفاً فتعجّلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد وردّه إلى العراق[1].

قلت: وفي (الطبري) ـ بعد ذكر أن زياداً بعث حجر بن عدي والأرقم الكندي وشريك الحضرمي وصيفي، وقبيصة العبسي وكريم الخثعمي،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٢٩ ـ ١٣١ .

وعاصم البجلي وورقاء البجلي، وكدام العنزي وعبد الرحمن العنزي، ومحرز المنقري وابن حوية السعدي، وعتبة الأخنس وسعد بن نمران إلى معاوية ليقتلهم ـ فقام يزيد ابن أسد البجلي إلى معاوية وقال له: هب لي ابنَيْ عمّي ـ يعني عاصم البجلي وورقاء البجلي ـ وقد كان جرير بن عبدالله كتب فيهما أنّ امرأين من قومي من أهل الجماعة والرأي الحسن سعى بهما ساع ظنين إلى زياد، فبعث بهما في النفر الكوفيين الذين وجّه بهم زياد وهما ممّن لا يحدث حدثاً في الإسلام ولا بغياً على الخليفة فلينفعهما ذلك، فلمّا سأل لهما يزيد؛ ذكر معاوية كتاب جرير، فقال: قد كتب إليّ فيهما ابن عمك جرير محسناً عليهما الثناء وهو أهل أن يصدق قوله ـ وقد سألتني ابني عمك فهما لك ـ وطلب وائل بن حجر في الأرقم فتركه له، وطلب ابن الأعور السلمي في عتبة بن الأخنس فوهبه له، وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعد بن نمران الهمداني فوهبه له، وكلّمه حبيب ابن مسلمة في ابن حوية فخلّى سبيله.

إلى أن قال بعد ذكر قتل حجر ومن أبى من أصحابه التبرّي منه عليه السلام حتى قتلوا ستة: فقال عبد الرحمن العنزي وكريم الخثعمي: إبعثوا بنا إلى معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا بهما إليه فقال معاوية للخثعمي: ما تقول في عليٍّ؟ قال: أقول فيه قولك تبرّأ من دين علي الذي كان يدين الله به، فسكت معاوية وكره أن يجيبه، فقال له شمر بن عبدالله: هب لي ابن عمي. قال: هو لك غير أنّي حابسه شهراً. ثم قال لعبد الرحمن العنزي: يا أخا ربيعة ما قولك في عليّ؟ قال: دعني ولا تسألني فإنّه خير لك. قال: والله لا أدعك حتى تخبرني عنه. قال: أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً ومن الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك.

قال: بل إيّاك قتلت ولا ربيعة بالوادي. قال: هذا حين كلّم شمر الخثعمي في كريم الخثعمي صاحبه فسلم ولم يكن له أحد من قومه يكلّم فيه، فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: إنّ هذا العنزي شر من بعثت فعاقبه واقتله شرّ قتلة، فبعث به زياد إلى قس الناطف فدفن حيّاً(١).

«استودع الله دينك ودنياك» حتى يحفظهما لك.

«وأسأل الله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة» زاد في رواية الكليني والحلبي «واستعن بالله على أُمورك، فإنّه أكفى معين»(٢).

«والسلام» هكذا في (المصرية) والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم):(٣).

هذا وزاد (الرسائل والتحف) في مطاوي الفقرات فقرات أُخرى لم نستقصها وإنّما نقلنا بعضها، فمن أرادها فليراجعها.

٣
الكتاب (٥٣)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لمّا ولاّه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٤ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) كشف المحجة: ١٧٣، وتحف العقول: ٨٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦، وفي تحف العقول: ٨٨ «وأسأله خير القضاء لك في الدنيا والآخرة. والسلام».

وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يُسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مِن جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ....

أقول: رواه ابن شعبة في (تحفه) مرسلاً[1] والشيخ والنجاشي في (فهرستيهما) مسنداً. قال الشيخ ـ في عنوان الأصبغ ـ روى عهد مالك الأشتر، أخبرنا ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن عن الحميري عن هارون بن مسلم والحسن بن طريف جميعاً عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ[2].

وقال النجاشي ـ في الأصبغ ـ روى عهد مالك الأشتر، أخبرنا ابن الجندي، عن علي بن همام، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بالعهد[3].

قول المصنف (ومن كتاب له عليه السلام) هكذا في (المصرية) والصواب: (ومن عهد له) كما في الخطية وابن أبي الحديد وابن ميثم[4].

(كتبه للاشتر النخعي) المذحجي، قال ابن ميثم رُوي أنّ الطّرمّاح لمّا دخل على معاوية قال له: قل لابن أبي طالب إنّي جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها أنا قاصده. فقال له الطّرمّاح: إنّ لعليٍّ ديكاً أشتر يلتقط جميع ذلك، فانكسر معاوية.

(١) تحف العقول: ١٢٦ .

(٢) فهرست الطوسي : ٣٨ .

(٣) النجاشي : ٦ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٠ .

قلت: خبر الطّرمّاح خبر رواه الاختصاص لكنه خبر منكر[١].

(لمّا ولّاه) هكذا في (المصرية) والكلمتان زائدتان فليستا في (الخطية وابن أبي الحديد[٢] وابن ميثم) «على مصر وأعمالها» أي: توابعها (حين اضطرب أمر محمد ابن أبي بكر) هكذا في (المصرى)ه والصواب: (أمر أميرها محمد بن أبي بكر)، وزاد (ابن ميثم) والخطية «رحمه الله».

«وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن» والصواب: «وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

قوله عليه السلام «**بسم الله الرحمن الرحيم**» حيث إن هذا العهد كان ككتاب مستقل افتتحه بالبسلمة وإلاّ فليس في باقي كتبه ووصاياه وعهوده بسملة.

«**هذا ما أمر به عبدالله عليٌّ أمير المؤمنين مالك بن الحرث**» بن عبد يغوث ابن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج كما في (ذيل الطبري)[٤].

«**في عهده إليه**» وايصائه إليه «**حين ولّاه مصر جباية**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد[٥] ولكن في ابن ميثم والخطية (جبوة) وكلاهما صحيح، فالجباية مصدر جبيت الخراج، والجبوة مصدر؛ جبوت الخراج.

«**وجهاد عدوها**» العثمانيّة.

«**واستصلاح أهلها**» بالرفق مع المخالفين.

«**وعمارة بلادها**» بإفشاء الزرع والغرس.

---

(١) اختصاص: ١٣٨ ـ ١٤١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٠.

(٣) نفس المصدر.

(٤) ذيل المذيل: ١٤٨.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٠.

«أمره بتقوى الله» قال تعالى: ﴿واتّقونِ يا أُولي الألباب﴾[١].

هذا، وفي (كامل الجزري): كان عبد الملك أوّل من نهى عن الأمر بالمعروف، فقال بعد قتل ابن الزبير: ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه[٢].

«وايثار» أي: اختيار.

«طاعته» على طاعة الناس لأنّهم عبيده وتحت يده.

«واتّباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه» الفريضة والسنة تأتيان بمعانٍ:

أحدها الفريضة ما علم وجوبه من القرآن، والسنة ما علم وجوبه من النبي ﷺ قال الصدوق في الفقيه: وقد يجزي الغسل من الجنابة عن الوضوء لأنّهما فرضان اجتمعا فأكبرهما يجزي عن أصغرهما، ومن اغتسل لغير الجنابة فليبدأ بالوضوء ثم يغتسل ولا يجزيه الغسل عن الوضوء لأن الغسل سنّة والوضوء فرض ولا تجزي سنّة عن فرض[٣] وهما بهذا المعنى في معنى الكتاب والسنة.

وثانيها الفرض الواجب والسنة المسنونة، وهما بهذا المعنى في معنى الواجب والمستحب.

وثالثها، الفرض: الواجبات العظيمة كتاباً وسنة، والسنن: الواجبات التي ليست بتلك الدرجة كتاباً وسنة، ولعلّهما بهذا المعنى وردا في كلامه عليه السلام.

---

(١) البقرة : ١٩٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٥٢٢ ح٨٦.

(٣) فقيه من لا يحضره الفقيه ١ : ٤٦.

«التي لا يسعد أحد إلاّ باتّباعها» ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً* ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾[١]، ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾[٢].

«ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها» ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[٣]، ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[٤]، ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً﴾[٥].

«وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده» هكذا في (المصرية) والصواب: (بيده وقلبه) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[٦].

«ولسانه» حتى يكون نصره كاملاً بإنكار قلبه للمنكر ومقال لسانه في النهي عن المنكر وجهاد يده لرفعه، قال تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده﴾[٧].

«فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه» ﴿إنّ تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾[٨].

«وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات» هكذا في (المصرية) والصواب: (من

---

(١) النساء: ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) النساء: ١٣.

(٣) الاحزاب: ٣٦.

(٤) النساء: ١٤.

(٥) مريم: ٥٩.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٠.

(٧) الحج: ٧٨.

(٨) محمّد: ٧.

نفسه عند الشهوات) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[1]. عنهم عليهم السلام: أُذكروا انقطاع اللذّات وبقاء التبعات[2].

«ويزعها» أي: يكفّها.

«عند الجمحات» من جمح الفرس براكبه: ذهب يجري حرباً غالباً واعتزّ فارسه وغلبه، يقال: «دابة ما بها رمحة ولا جمحة» قال الشاعر:

خلعت عِذاري جامحاً لا يردّني
عن البيضِ أمثالِ الدُّمى زجر زاجر[3]

قال تعالى ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى* فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[4].

«فإنّ النّفس أمّارة بالسّوء إلاّ ما رحم الله» زاد في رواية (التحف): «إنّ ربّي غفور رحيم» وأن يعتمد كتاب الله عند الشُّبهات فإنّ فيه تبيان كلّ شيء وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون، وأن يتحرّى رضا الله ولا يتعرّض لسخطه ولا يُصِرّ على معصيته فإنّه لا ملجأ من الله إلاّ إليه[5].

«ثمّ اعلم يا مالك أنّي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور» في (المروج): الذي اتفقت عليه التواريخ ـ مع تباين ما فيها ـ أنّ عدّة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا، ومن ملوك بابل ممّن تملّك على مصر خمسة، ومن العماليق الذين ظهروا إليها من بلاد الشام أربعة، ومن الروم سبعة، ومن اليونانيين عشرة، وذلك قبل المسيح عليه السلام،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٠.

(٢) البحار ٧٣: ٣٦٤، رواية ٩٦، باب ١٣٧ .

(٣) أورده أساس: ٦٣ / جمح، ولسان العرب ٢: ٤٢٦، جمح .

(٤) النازعات: ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) تحف العقول: ١٢٦ .

وملكها من الفرس من قبل الأكاسرة، وكانت مدّة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة وثلاثمائة[١].

هذا، وفي (الأنوار) أن الخضر عليه السلام سئل عن أعجب شيء رآه فقال: إنّي مررت على مدينة ـ ولم أرَ على وجه الأرض أحسن منها ـ فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة فقالوا: سبحان الله! ما تذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت، ثم غبت عنها نحواً من خمسمائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك فإذا هي خاوية على عروشها ولم أرَ أحداً أسأله، وإذا رعاة غنم فسألتهم عنها فقالوا: لا نعلم، فغبت نحواً من خمسمائة سنة ثم انتهيت إليها فإذا موضع تلك المدينة بحر وإذا غوّاصون يُخرجون منها اللؤلؤ، فقلت لبعضهم: منذ كم هذا البحر هاهنا؟ فقالوا: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلاّ أنّ هذا البحر هاهنا، ثم غبت عنه نحواً من خمسمائة سنة ثم انتهيت إليه فإذا ذلك البحر قد غاض وإذا مكانه أجمة ملتفة بالقصب والبردي وبالسباع، وإذا صيّادون يصيدون السمك في زوارق صغار، فقلت لبعضهم: أين البحر الذي كان هاهنا. فقالوا: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا أنّه كان بحر هاهنا قطُّ، فغبت عنه نحواً من خمسمائة سنة ثم انتهيت إليه فإذا هو مدينة على حالته الأُولى والحصون والقصور والأسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الأجمة التي كانت، فقال: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلاّ أنّ هذه على حالها، فغبت عنها نحواً من خمسمائة سنة فإذا هي عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد ولم أرَ أحداً إلاّ راعياً، فسألته أين المدينة التي كانت هاهنا ومتى حدث هذا الدخان؟ فقال: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا إلاّ أنّ هذا الموضع كان هكذا[٢].

---

(١) مروج الذهب ١ : ٤٠٦.

(٢) الأنوار النعمانية ٣: ٣٠٨.

«وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك» من حسن وقبيح.

«ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم» من خير وشر.

ولأبي عبيدة كتاب في «من شكر من العمال وحمد»، وفي (ميزان الذهبي) قال أبو حاتم: كان عنبسة بن خالد الايلي على خراج مصر وكان يعلق النساء بثديهن[1].

وفي (السير) انّ الفضل بن مروان وزير المعتصم جلس يوماً لأشغال الناس، فرفعت إليه قصص العامة مكتوباً فيها هذه الأبيات:

تفرعنت يا فضلَ بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادتهم الأقياد والحبس والقتل
وانّك قد أصبحت في الناس ظالماً ستودي كما أودى الثلاثة من قبل

أراد بقوله «فقبلك كان الفضل والفضل والفضل» الفضل بن يحيى البرمكي والفضل بن الربيع والفضل بن سهل، وذكروا أن الفضل بن مروان هذا هو الذي أخذ البيعة للمعتصم والمعتصم بالروم فاستوزره لذلك وغلب عليه، فكان المعتصم يأمر بإعطاء المغنّي والنديم فلا ينفّذ الفضل ذلك، فحقد المعتصم عليه لذلك ونكبه وأهل بيته وجعل مكانه ابن الزيّات، فشمت به الناس لرداءة أفعاله فقالوا:

لتبك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف

وقال المعتصم: عصى الله في طاعتي فسلّطني عليه[2].

وفي (كامل الجزري): وفي سنة (٤١٣) قتل المعز بن باديس صاحب

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٢٩٨ / ٦٤٩٩ ـ دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) وفيات الأعيان ٤: ٤٥ ـ دار صادر ـ بيروت، شذرات الذهب: ٢: ١٢٢ ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

افريقية وزيره وصاحب جيشه أبا عبدالله محمد بن الحسن، ويحكى عن وزيره قال: سهرت ليلة أُفكّر في شيء أحدثه في الناس وأُخرجه عليهم من التي التزمتها، فنمت فرأيت عبدالله بن محمد الكاتب - وكان وزير والد المعز وكان عظيم القدر - وهو يقول لي: اتق الله في الناس كافة وفي نفسك خاصة فقد أسهرت عينيك وأبرمت حافظيك، وقد بدا لي منك ما خفي عليك، وعن قليل ترد ما وردنا وتقدم على ما قدمنا؛ فاكتب عنّي ما أقول - ولا أقول إلاّ حقّاً - فأملى عليّ:

وَلِيتُ وقد رأيتُ مصيرَ قومٍ	هُمُ كانوا السماء وكنت أرضا
سموا درج العلا حتى اطمأنّوا	ومُدَّ بهم فعاد الرفع خفضا
وأعظم أُسوة لك بي لأنّي	ملكت ولم أعش طولاً وعرضا
فلا تغترّ بالدنيا وأقصِرْ	فان أوان أمرك قد تقضّى

فانتبهت مرعوباً ورسخت الأبيات في حفظي - ولم يبق بعد هذا المقام غير شهرين حتى قتل[1].

«وإنّما يُستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده» يقال «ألسنة الخلق أقلام الحق»، وامّا ما يتّفق من ثناء الناس لبعض أُمراء الباطل والعلماء المرائين المتصنّعين فإنّما هو على لسان العوام ومن في قلبه مرض، وأمّا العارفون المستقيمون فحاشا وكلّا.

«فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح» قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا﴾[2].

---

(١) الكامل في التاريخ ٩: ٣٢٧ / ٤١٣.

(٢) الكهف : ٤٦.

«فاملك هواك» قال تعالى: ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[١].

«وشحّ نفسك عمّا لا يحلُّ لك» وفي رواية (التحف) (ولتسخ نفسك عمّا لا يحلّ لك)[٢].

«فإنّ الشحَّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت» هكذا في (المصرية) والصواب: (وكرهت) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[٣].

روى (الخصال) أنّ عمر بن عبد العزيز دخل المدينة فأمر منادياً ينادي من كانت له ظلامة فليأت الباب، فدخل عليه الباقر عليه السلام فقال له: إنّما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرج قوم بما يضرّهم، وكم من قوم قد ضرّهم بمثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لمّا لم يأخذوا لمّا أحبّوا من الآخرة عدّة ولا ممّا كرهوا منه جنة، قسم ما جمعوا من لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم، ونحن والله محقوقون ان ننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نغبطهم بها فنوافقهم فيها وننظر إلى تلك الأعمال التي كنّا نتخوّف عليهم منها فنكفّ عنها، فاتّق الله واجعل في قلبك اثنتين: تنظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدّمه بين يديك، وتنظر الذي تكره أن يكون معك، إذا قدمت على ربّك فابتغ فيه البدل، ولا تذهبنّ إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، واتّق الله وافتح الأبواب وسهّل الحجاب وانصر المظلوم وردّ الظالم. ثم قال: ثلاثٌ من كنَّ فيه استكمل الإيمان بالله، فجثا عمر على ركبتيه ثم قال: إيهٍ يا أهل بيت

---

(١) النازعات: ٤٠ و ٤١.

(٢) تحف العقول: ١٢٦ في طبعتنا «وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك».

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣١.

النبوّة. فقال: نعم من إذا رضي لم يُدخله رضاه في الباطل وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له. فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرَّحيم، هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي فدك...[(١)].

«**وأشعر قلبك الرحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللُّطف بهم**» روى (الفقيه) خبراً عن السجّاد عليه السلام في الحقوق ـ إلى أن قال ـ وأمّا حقُّ رعيّتك فأنّ تعلم أنّهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله عزّوجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم[(٢)].

«**ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً**» معتاداً للصيد.

«**تغتنم أكلهم**» قال (ابن قتيبة في عيونه): دخل مالك بن دينار على بلال بن أبي بردة ـ وهو أمير البصرة ـ فقال له: أيّها الأمير! إنّي قرأت في بعض الكتب من أحمق من السلطان! ومن أجهل ممّن عصاني! ومن أغرّ ممّن أغرّني! أيا راعي السوء! دفعت إليك غنماً سِماناً سِحاحاً فأكلت اللّحم وشربت اللّبن، وائتدمت بالسَّمن ولبست الصوف، وتركتها عظاماً تتقعقع[(٣)].

«**فإنّهم صنفان إمّا أخ لك في الدّين**» إذا كان مؤمناً قال تعالى: ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾[(٤)].

«أو» هكذا في (المصرية) والصواب: «وإمّا» كما في ابن أبي الحديد

(١) الخصال: ١٠٤ ح ٦٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٧٧.

(٣) عيون الاخبار ١ : ١١٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) الحجرات : ١٠.

وابن ميثم والخطية[١].

«نظير لك في الخلق» إن لم يكن بمؤمن، والسباع لا تؤذي نوعها فكيف يسوغ لبني آدم أن يؤذوا نوعهم.

«يفرط» أي: يصدر.

«منهم الزّلل وتعرض لهم العلل» أي: العوارض.

«ويُؤتى على أيديهم في العمد والخطأ» أي: يحصل خبط من أيديهم إمّا عمداً وإمّا خطأ لعدم كمال عقولهم.

وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «يؤتى على أيديهم» مثل قولك «ويؤخذ على أيديهم» أي يهذّبون ويثقّفون، يقال أخذ الحاكم على يده...[٢]. وهو كما ترى ضدّ المراد، فانّه عليه السلام ذكر ذلك علّة لقوله: «وأشعر قلبك الرّحمة للرَّعيّة ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً» وذكره في رديف «يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل» فكيف يكون المعنى ما قال؟!

«فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الّذي تحبُّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولّاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم» في (عيون ابن قتيبة): أسَرَ معاوية في صفّين رجلاً من أصحاب علي عليه السلام فلمّا أُقيم بين يديه قال: الحمد لله الّذي أمكنني منك. قال: لا تقل ذلك فإنّها مصيبة. قال معاوية: وأيّة نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي. إضربا عنقه. فقال الرجل: اللّهم اشهد أنّ معاوية لم يقتلني فيك، ولا لأنّك ترضى قتلي، ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٣.

فقال: قاتلك الله لقد سببت فأوجعت في السبّ، ودعوت فأبلغت في الدعاء. خلّيا سبيله[١].

«ولا» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وفي (ابن ميثم) والخطية (لا)[٢] «تنصبنّ نفسك لحرب الله» بظلم عباده. في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي وأوحى تعالى إليَّ من وراء الحجاب ما أوحى وشافهني -إلى أن قال لي- يا محمّد! من أذلَّ لي وليّاً فقد أرصدني بالمحاربة، ومن حاربني حاربته. قلت: يا ربّ! ومن وليّك هذا؟ قال: من أخذت ميثاقه لك ولوصيك وذرّيّتكما بالولاية[٣].

«فإنّه لايَدَىْ لك» أي: لا طاقة لك، يحذفون النون من اليدين في مثله تخفيفاً، ومن أمثالهم «لا يدي لواحد بعشرة».

«بنقمته» ولا يدي للسماء والأرض بنقمته فكيف لإنسان ضعيف.

«ولا غنىً بك عن عفوه ورحمته» فلابدّ أن يعفو عن عباد الله الذين تحت يده ويرحمهم حتى يعفو الله تعالى عنه ويرحمه.

«ولا تندمنّ على عفو» فالعفو أقرب للتقوى.

«ولا تَبَجَّحَنَّ» بتقديم الجيم أي: تباهِيَنَّ ولا تفاخرنّ.

«بعقوبة» فإنّه كالافتخار بنقص، والافتخار إنّما يكون بالكمال.

«ولا تسرعنَّ إلى بادرة» أي: حدة، والمراد ما توجبه الحدّة من العقوبة «وجدت منها» هكذا في (المصرية) والصواب: (عنها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٤]، ولأن المندوحة انما تستعمل مع عن.

---

(١) عيون الاخبار ١: ١٧٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٢.

(٣) الكافي ٢: ٢٦٣ / ١٠ ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٢.

«مندوحة» يقال: لي عن هذا الأمر مندوحة أي: سعة، وإنّما نهى عليه السلام عن الإسراع إلى بادرة لأنّه يؤدي غالباً إلى كشف الخلاف فيتبعه الندم والانفعال.

«ولا تقولنَّ إنّي مؤمَّر آمر فأُطاع فإنّ ذلك» الخيال.

«ادغال» أي: فساد في القلب **ومنهكة»** من «نهكته الحمى» إذا أضنته ونقصت لحمه.

«للدين وتقرُّبٌ من الغِيَرِ» أي: التغيّرات والحوادث.

في (العقد) قال الاصمعي: لمّا ولي بلال بن أبي برده البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان فقال:

سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعْ

فبلغ ذلك بلالاً فقال: أنت القائل «سحابة صيف عن قليل تقشع»؟ أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد، فضربه مائة سوط ـ وكان خالد يقول: ما في قلب بلال من الإيمان إلاّ ما في بيت أبي الزرد الحنفي من الجوهر ـ وأبو الزرد رجل مفلّس[1].

«وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبَّهة» أي: عظمة.

«أو مَخِيلَة» أي: كِبراً، يقال فلان ذو خال وذو مخيلة، قال العجاج: «والخال ثوب من ثياب الجهّال»[2].

«فانظر إلى عظم ملك الله فوقك».

في (الكافي): دخل جعفر بن أبي طالب في الحبشة على النجاشي وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب، فقال له جعفر: أيّها الملك! إنّي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان، فقال: يا جعفر! إنّا نجد فيما

---

(١) العقد الفريد ٤: ١٢٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) لسان العرب ١١ : ٢٢٨ / خيل، وعجز البيت: والدهر فيه غفلة للغُفّال.

أُنزل اللّه تعالى على عيسى عليه السلام أنّ من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم نعمة، فلمّا أحدث الله لي نعمة...»[١].

وفي (المروج): أخرج المنصور محمد بن مروان من حبسه وسأله عن قصته مع ملك نوبة ـ لمّا كان هرب مع عدّة من بني أُمية إليه ـ فقال: أتاني ملكها فقعد على الأرض وقد أعددت له فراشاً، فقلت له: ما منعك من القعود على فراشنا؟ فقال: لأنّي ملك وحقٌّ لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله تعالى إذا رفعه الله...[٢].

(وفيه): انّه سأله لِمَ تشربون الخمر وتلبسون الحرير وتفسدون في الأرض وكلّ ذلك حرام عليكم في دينكم[٣]؟

«وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك» في سنن أبي داود عن أبي مسعود الأنصاري: كنت أضرب غلاماً لي، فسمعت من خلفي صوتاً مرّتين «الله أقدر عليك منك عليه»، فالتفتّ فإذا هو النبي صلى الله عليه وآله فقلت: هو حرٌّ لوجه الله. فقال: أما لو لم تفعل للفقتك النار.

وفي (كتابة أبي هلال) قال بعض الولاة لأعرابي: قل الحق وإلاّ أوجعتك ضرباً.

فقال الأعرابي: وأنت أيضاً فاعمل بالحق فوالله لمّا أوعدك الله به منه أعظم ممّا أوعدتني به منك.

وفي (عيون القتيبي): كان أردشير الملك دفع إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً وقال له: إذا رأيتني قد اشتدّ غضبي فادفعه إليّ، وفي الكتاب «أمسك فلست بإله إنّما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضه بعضاً ويصير عن

(١) الكافي ٢: ١٢١ / ١ بتلخيص.

(٢ و ٣) مروج الذهب ٣: ٢٨٤.

قريب للدود والتراب».

(وفيه): وكان للسندي والي الجسر غلام صغير قد أمره بأن يقوم إليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له: ويلك يا سندي! أُذكر القصاص[1].

وفي (تاريخ بغداد): كان شريك القاضي لا يجلس للقضاء حتى يخرج رقعة من قمطره فينظر فيها ثم يدعو بالخصوم، وإنّما كان يقدّمهم الأوّل فالأوّل، فقيل لابن شريك: نحبُّ أن نعلم ما في هذه الرقعة، فأخرجها إلينا فإذا فيها «ياشريك ابن! عبدالله أذكر الصّراط وحدّته، يا شريك بن عبدالله! أُذكر الموقف بين يدي الله تعالى»[2].

«فإن ذلك يُطامِنُ إليك» أي: يسكن إليك.

«من طماحك» أي: ارتفاعك وابعادك، من «طمح بصره إلى الشيء».

«ويكفّ عنك من غربك» أي: حدّتك. في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: مكتوب في التوراة فيما ناجى الله تعالى به موسى: يا موسى أمسك غضبك عمّن ملّكتك عليه أكفّ عنك غضبي[3].

وفي (تاريخ بغداد) عن مبارك بن فضالة قال: دخل ابن سوار في وفد من أهل البصرة على المنصور ذات يوم وأنا عنده إذ أُتيَ برجل فأمر بقتله، فقلت في نفسي: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر. فقلت: ألا أُحدّثك بحديث. قال: وما هو؟ قلت: قال الحسن البصري قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الدّاعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد من عند الله فيقول: ليقومنّ من له على الله يد، فلا يقومن إلاّ

---

(١) عيون الاخبار ١: ٣٨٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) تاريخ بغداد ٩ : ٢٩٣ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٣) الكافي ٢: ٣٠٣ / ٧.

من عفا، فأقبل المنصور عليّ فقال: الله سمعته من الحسن؟ قلت: الله سمعته من الحسن. قال: خلّيا عنه[١].

«ويفيء» من فاء أي: يرجع، وقال ابن أبي الحديد: من أفاء[٢]، ولا وجه له بعد تعديته بالباء.

«**بما عزب**» أي: خفي وبعد.

«**عنك من عقلك**» وإلاّ فكيف يحصل له مَخِيلَة، وهو إنسان ضعيف مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل، تقتله الشرقة وتنتنه العرقة وتؤلمه البقة، ولو كان سلطان كلّ وجه الأرض.

«**إياك ومساماة الله**» أي: مقابلته في العلو.

«**في عظمته والتشبّه به في جبروته**» قاهريته التي لا تنال.

«**فإنّ الله يذلّ كلّ جبار**) أي: متطاول.

«**ويهين كلّ مختال**» أي: متكبّر يخال أنّه عظيم.

وفي الخبر: الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه لم يزده الله تعالى إلاّ سَفالا، إنّ النبي صلى الله عليه وآله مرَّ في بعض طريق المدينة وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها تنحّي عن طريق النبي، فقالت: إنّ الطريق لمعرض، فهمّ بعض القوم أن يتناولها فقال صلى الله عليه وآله دعوها فإنّها جبّارة.

وفي خبر آخر: العزُّ رداء الله والكِبر إزاره، فمن تناول شيئاً منهما أكبّه الله في جهنم.

وفي آخر: إنّ المتكبّرين يجعلهم الله في صور الذر يتوطّأهم النّاس حتى يفرغ الله من الحساب.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ : ٢١٢ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٤.

وفي آخر: ما من عبد إلّا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها فإذا تكبّر قيل له اتَّضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وهو أصغر النـاس فـي أعين الناس، فإذا تواضع رفعه الله، ثم قال: إنتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعينهم.

وفي آخر: الكِبر أدنى الإلحاد[1].

«أنصف الله وأنصف الناس من نفسك» في (الأغاني): جـلس ابـن الزيّـات يوماً للمظالم، فلمّا انقضى المجلس رأى جالساً فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم. تدنيني إليك، فأدناه فقال: إنّي مظلوم وقد أعوزني الإنصاف. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي. قال: ومن يحجبك عنّي وقد ترى مجلسي مبذولاً. قال: يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك واطّراد حـجبك. قال: فيم ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثـمن، فـإذا وجب عليها خراج أدّيته باسمي لئلا يثبت لك اسم في مـلكها فـيبطل مـلكي، فوكيلك يأخذ غلّتها وأنا أؤدّي خراجها وهذا ممّا لم يسمع في الظلم مثله. فقال له: هذا قول تحتاج عليه إلى بيّنة وشهود وأشياء. فقال الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أُجيب. قال: نعم. قال: البينة هم الشهود وإذا شـهدوا فـليس يحتاج معهم إلى شيء فما معنى قولك بيّنة وشهود وأشياء، أيش هذه الأشياء إلاّ الغيُّ والتغطرس. فضحك ابن الزيّـات وقـال: صـدقت ـ ثـم وقّـع له بـردّ ضيعته[2].

«من خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك فإنّك إلّا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده» في (المروج): قال أنوشروان لبزرجمهر: من

---

(١) الكافي ٢: ٣٠٩ ـ ٣١٢ ح١ و ٢ و ٣ و ١١ و ١٦.

(٢) الأغاني ٢٣: ٤٧ ـ دار احياء التراث العربي.

يصلح من ولدي للملك فأظهر ترشحه. فقال: لا أعرف ذلك، ولكنّي أصف لك من يصلح للملك، أسماهم للمعالي وأطلبهم للأدب، وأجزعهم من العامة وأرأفهم بالرعية، وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم، فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك[1].

وفي (تاريخ بغداد): وجّهت الخيزران رجلاً نصرانياً على الطراز، فخرج يوماً عليه جبّة خزّ وطيلسان على برذون فاره ومعه جماعة من أصحابه وبين يديه مكتوف وهو يقول: واغوثاه بالله ثم بالقاضي. وإذا آثار سياط في ظهره، فسلّم على شريك وجلس إلى جانبه وقال: أنا رجل أعمل هذا الوشي وكراء مثلي مائة في الشهر أخذني هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسني في طراز يجري علي القوت ولي عيال قد ضاعوا فأفلتُّ منه اليوم فلحقني ففعل بظهري ما ترى. فقال شريك للنصراني: قم يا نصراني فاجلس مع خصمك. فقال: أصلحك الله! هذا من خدم السيدة، مُرْ به إلى الحبس. قال: قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك، فجلس معه فقال: ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل. قال: إنّما ضربته بيدي أسواطاً وهو يستحق أكثر من هذا، مُرْ به إلى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره فأخرج سوطاً ربذياً ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل: رح إلى أهلك، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني، فهمّ أعوانه أن يخلّصوه فقال هاهنا: خذوا هؤلاء إلى الحبس، فهربوا وأفردوه، فضربه أسواطاً فجعل النصرانيّ يبكي ويقول: ستعلم، وقام إلى البرذون يركبه فاستعصى عليه ولم يكن له من يأخذ بركابه، فقال له شريك: إرفق به ويلك! فإنّه أطوع لله منك، فمضى إلى موسى بن عيسى فقال:

---

(١) مروج الذهب ١ : ٢٩٦.

من فعل بك هذا؟ فقال: شريك. قال: لا والله لا أتعرض لشريك[1].

(وفيه) أيضاً: أتت شريك يوماً امرأة من ولد جرير البجلي فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي: امرأة من ولد جرير صاحب النبي ﷺ ورددت الكلام - فقال: ايهاً عنك الآن؛ من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي وقاسمت إخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً وجعلت فيه فارسياً يحفظ النخل ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى ابن عيسى من جميع إخوتي وساومني وأرغبني فلم أبعه، فلمّا كان في هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واختلط بنخل إخوتي. فقال: يا غلام! طيِّنه. فختم، ثم قال لها: امضي إلى بابه حتى يحضر معك، فذهبت إلى بابه فدخل الحاجب على موسى وقال: أُعدى شريك عليك، فدعا بصاحب الشرط وقال: امض إلى شريك وقل له: ما رأيت أعجب من أمرك! امرأة ادّعت دعوى لم تصب أعديتها علي! فقال صاحب الشرط: ان رأى الأمير أن يعفيني. قال: ويلك امض، فخرج، وأمر غلمانه أن يتقدّموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، ثم ذهب إلى شريك فأدّى الرسالة فأمر أن يُحبس، فقال: قد عرفت أنّك تفعل بي هذا فقدّمت ما يصلحني إلى الحبس. وبلغ الخبر موسى بن عيسى فوجّه الحاجب إلى شريك وقال له: قل له هذا من ذاك رسول، أيُّ شيءٍ عليه؟ فلمّا أدّى الرسالة قال: الحقوه بصاحبه، فحبس أيضاً. فبعث موسى إلى جماعة من أصدقاء شريك فقال: أُمضوا إليه وأبلغوه السلام وأعلموه أنّه استخف بي وأنّي لستُ كالعامّة، فلمّا أدّوا الرسالة قال: مالي لا أراكم جئتم في غيره من الناس كلمتموني من هاهنا؟ فيأخذ كلّ واحد بيد رجل فيذهب به إلى الحبس لا ينم

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٨٩ ـ ٢٩١ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

والله إلاّ فيه ـ وكان بعد العصر ـ قالوا أجادٌّ أنت؟ قال: حقاً حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم.

وركب موسى بن عيسى في اللّيل إلى باب الحبس ففتح الباب وأخرجهم جميعاً، فلمّا كان الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجّان فأخبره، فدعا باقمطر فختمها ووجّه بها إلى منزله وقال لغلامه: إلحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد وبلغ الخبر موسى بن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول: تثبّت أُنظر اخوانك تحبسهم؟ دع اعواني. قال: نعم لأنّهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس وإلاّ مضيت إلى الخليفة فاستعفيت منه، فأمر موسى بردّهم جميعاً إلى الحبس وشريك واقف مكانه حتى جاءه السجّان وقال: قد رجعوا إلى الحبس. فقال شريك لأعوانه: خذوا بلجامه وقودوه بين يدي جميعاً إلى مجلس الحكم، فمرّوا به بين يديه حتى أُدخل المسجد وجلس مجلس القضاء قال: أين الجويرية المتظلّمة من هذا، فجاءت فقال: هذا خصمك قد حضر وهو جالس معها بين يديه. فقال موسى: أولئك يخرجون من الحبس قبل كلّ شيء. فقال شريك: أمّا الآن فنعم أخرجوهم، ثم قال: ما تقول فيما تدّعيه هذه؟ قال: صدقت. قال: فردّ جميع ما أخذت منها وابنِ حائطها سريعاً. قال: أفعل. قال: بقي لك شيء؟ قال: تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه. قال: ويردّ ذلك. بقي لك شيء تدعينه؟ قالت المرأة: لا. قال لها شريك: فقومي، ثم وثب شريك من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه مجلسه ثم قال: السلام عليك أيّها الأمير! تأمر بشيء؟ قال:

أيُّ شيء آمر؟ وضحك[1].

(وفيه): تقدّم إلى شريك وكيل لمؤنسة مع خصم له، فجعل يستطيل خصمه إدلالاً بموضعه من مؤنسة، فقال له شريك: كُفَّ لا أباً لك. قال: أتقول هذا وأنا وكيل مؤنسة، فأمر شريك به فصفع عشر صفعات[2].

«ومن خاصمه الله أدحض حجّته» أي: أبطلها «وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب».

في (الكافي): صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنّ الذنوب ثلاثة ـ ثم أمسك ـ فقال له حبة العرني: قلت: الذنوب ثلاثة ثم أمسكت. فقال عليه السلام: ما ذكرتها إلاّ وأنا أريد أن أُفسرها، ولكن عرض لي بَهرٌ حال بيني وبين الكلام، نعم. الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب يرجى لصاحبه ويخاف عليه. قال حبة: فبيّنها لنا. قال: نعم. أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا والله تعالى أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين، وأمّا الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تعالى إذا برز للخليقة أقسم قسماً على نفسه فقال: وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّاً بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجمّاء؛ فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحدٍ على أحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب، وأمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله تعالى على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب[3].

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٨٩ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) تاريخ بغداد ٩: ٢٩٢ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٤٤٣ الباب ١٩٥، ح١.

«وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ الله سميعٌ دعوة المضطَهَدين» هكذا في (المصرية) والصواب: (المظلومين) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1].

في (كامل الجزري) ـ بعد ذكر قتل المقتدر لابن الفرات ـ لم يكن في ابن الفرات عيب إلاّ أنّ أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون ويظلمون فلا يمنعهم، فمن ذلك أنّ بعضهم ظلم امرأة في ملك لها، فكتبت إليه تشكو منه غير مرّة وهو لا يردّ لها جواباً، فلقيته يوماً وقالت له: أسألك بالله أن تسمع منّي كلمة، فوقف لها فقالت: قد كتبت إليك في ظلامتي غير مرّة ولم تجبني فتركتك وكتبتها إلى الله تعالى. فلمّا كان بعد أيام ورأى تغيّر حاله قال لمن معه من أصحابه: ما أظن إلاّ جواب رقعة تلك المرأة المظلومة قد خرج، فكان كما قال[2].

وفي (الطبري): لمّا رأى وجوه الفرس وأشرافهم أن يزدجرد الأثيم أبى إلاّ تتابعاً في الجور؛ اجتمعوا فشكوا ما نزل بهم من ظلمه وتضرَّعوا إلى ربّهم وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه، فزعموا أنّه كان بجرجان فرأى ذات يوم في قصره فرساً عائراً لم يرَ مثله في الخيل في حسن صورة وتمام خلق أقبل حتى وقف على بابه، فتعجّب الناس منه لأنّه كان متجاوز الحال، فأُخبر يزدجرد خبره فأمر به أن يسرج ويلجم ويدخل عليه، فحاول صاحب مراكبه ذلك فلم يمكن أحداً منهم من ذلك، فأُنهي إليه امتناع الفرس عليهم، فخرج بنفسه فألجمه بيده وألقى لبداً على ظهره ووضع فوقه سرجاً وشدّ حزامه ولبد، فلم يتحرّك الفرس بشيء من ذلك حتى إذا رفع ذنبه لينفره، إستدبره

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٨ : ١٥٥ / س ٣١٢.

الفرس فرمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه، ثم لم يعاين ذلك الفرس. ويقال: إنّ الفرس ملأ فروجه جرياً فلم يدرك ولم يوقف على السبب فيه، وخاضت الرعية بينها وقالت: هذا من صنع الله لنا ورأفته بنا(١).

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء في مملكة جبّار من الجبابرة أن ائت هذا الجبّار وقل له: إنّي لم أستعملك على سفك الدماء واتّخاذ الأموال، وإنّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، وإنّي لم ادع ظلامتهم وان كانوا كفاراً(٢).

وفي (تاريخ بغداد) عن بعض ولد يحيى البرمكي قال لأبيه وهم في القيود والحبس: يا أبة! بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس. فقال له أبوه: يا بنيّ! دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

ربَّ قوم قد غدوا في نعمة ... زمناً والدهر ريّان غدق
سكت الدهر زماناً عنهم ... ثم أبكاهم دماً حين نطق(٣)

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: ان أعجل الشر عقوبة البغي(٤).

وعن الصادق عليه السلام: يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان عند الله تعالى الشرك(٥).

«وليكن أحبُّ الأمور إليك أوسطها») أي: أعدلها.

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٤ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) الكافي ٢: ٣٣٣ الباب ١٣٦، ح ١٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٤: ١٣٢ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٤) الكافي ٢: ٢٤٦ / ١ ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران.

(٥) الكافي ٢: ٣٢٧ / ١ و ٢.

«في الحقّ وأعمّها في العدل» ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[1].

«وأجمعها لرضى الرعيّة» فحيث لا يمكن جلب رضا الجميع ينتخب الأوفق برضا أكثرهم.

«فإنّ سخط العامّة» وعدم رضاهم بأمر.

«يجحف» من أجحف به: ذهب «برضى الخاصة» لأقلّيّتهم.

«وإنّ سخط الخاصّة يغتفر» ولا يضرّ.

«مع رضى العامّة» لأنّهم الأكثرون، والأقلّ يترك للأكثر.

«وليس أحدٌ من الرعيّة أثقل على الوالي مؤونة في الرّخاء وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عن ملمات الدهر» أي: نوازله.

«من أهل الخاصة» وكلّ ذلك يوجب عدم الاكتراث بهم.

أمّا ثقل مؤونتهم في الرّخاء فمثله مثل مؤونة أبي دلامة عند السفّاح، ففي (الأغاني) أن السفاح قال له يوماً: سلني حاجتك. قال: كلب أتصيّد به. قال: أعطوه إيّاه. قال: ودابّة أتصيّد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام يصيد بالكلب ويقوده. قال: أعطوه غلاماً. قال: وجارية تصلح لنا الصّيد وتطعمنا منه. قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء عبيدك وإماؤك فلابدّ لهم من دار يسكنونها. قال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم تكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: ما لا نبات فيه. فقال للسفاح: قد أقطعتك أنا خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد. فضحك وقال: إجعلوها كلّها عامرة[2].

---

(١) المائدة : ٨.

(٢) الأغاني ١٠: ٢٣٦ ـ دار احياء التراث العربي.

وأما قلّة معونتهم في البلاء فمثلهم ما فيه أيضاً عن أبي دلامة قال: أُتيَ بي المنصور أو المهدي وأنا سكران، فحلف ليخرجني في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلّبي لقتال الشراة، فلمّا التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثّرت في عدوّك اليوم أثراً ترتضيه، فضحك وقال: والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليَّ ودعا بغيرهما فاستبدل بهما، فلمّا حصل ذلك في يدي وزال عنّي حلاوة الطمع قلت: أيّها الأمير هذا مقام العائذ بك، وقلت:

إنّي استجرتك أن أُقدَّم في الوغى ... لتطاعن وتنازل وضراب

فهب السيوف رأيتها مشهورة ... فتركتها ومضيت في الهرّاب

ماذا تقول لمّا يجيء وما يرى ... من واردات الموت في النشّاب

فقال: دع عنك هذا. وبرز رجل من الخوارج فقال: أُخرج إليه. فقلت: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. قال: والله لتخرجنّ. فقلت: أيّها الأمير فإنّه أوّل يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا وأنا والله جائع ما شبعت منّي جارحة من الجوع. فأْمرْ لي بشيء آكله ثم أخرج، فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف، فلمّا رآني الشاري أقبل نحوي وأسرع، فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت. فوقف فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟ قال: لا. قلت: أتقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا. قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقتله إلى دينك؟ قال: لا فاذهب عني إلى لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمع منّي. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا عداوة قطُّ أو ترة، أو تعرفني بحال تُحفِظُكَ عليَّ أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً. قال: لا والله. قلت: ولا أنا والله لك إلاّ جميل الرأي، وإنّي لأهواك وأنتحل مذهبك وأُدين دينك وأُريد السوء لمن أراده لك. قال: يا هذا جزاك الله

خيراً فانصرف. قلت: إنّ معي زاداً أُحبُّ أن آكله معك وأحب مؤاكلتك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا. قال: فافعل. فتقدّمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكاً، فلمّا استوفينا ودّعني ثم انصرف وانصرفت، فقلت لروح: أما وقد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك...»[1].

(وفيه) انّ عبدالله بن علي عمّ المنصور لمّا أظهر الخلاف عليه بناحية الشام أمر المنصور أبا دلامة أن يخرج إليه في الجند، فقال له: إنّي أُعيذك بالله أن أخرج معهم، فوالله اني المشؤوم. فقال: إمض فإنّ يُمني يغلب شؤمك. فقلت: والله ما أحبّ لك أن تجرب ذلك منّي على مثل هذا العسكر، فإنّي لا أدري أيّهما يغلب أيُمنك أم شؤمي إلّا أنّي بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة. قال: دعني من هذا فمالك في الخروج بدّ. فقلت: الآن أُصدقك، أنا شهدت والله تسعة عشر عسكراً كلّها هزمت وكنت سببها فإن شئت الآن أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستغرق ضحكاً وأعفاه[2].

وأما مثل أكرهيّتهم للإنصاف (ففيه أيضاً) قال المدائني: شهد أبو دلامة بشهادة لجارة له عند ابن أبي ليلى على أتان نازعها فيها رجل، فلمّا فرغ من الشهادة قال: إسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض ما شئت. قال: هات فأنشده:

إنِ الناس غطّوني تغطّيت عنهم ... وان بحثوا عني ففيهم مباحث
وان حفروا بئري حفرت بئارهم ... ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

فقال ابن أبي ليلى للمرأة: اتبيعيني الاتان. قالت: نعم. قال: بكم. قالت بمائة درهم. قال: إدفعوها إليها، ففعلوا وأقبل على الرجل فقال: قد وهبت الأتان

---

(١) الأغاني ١٠ : ٢٤٣ ـ دار احياء التراث العربي .

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٤١ ـ دار احياء التراث العربي .

لك، وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك، وابتعت ممّن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت، أرضيت؟ قال: نعم. وانصرف[١].

ولمّا طولب البحتري بمال التقسيط قال:

وما أنا والتقسيط إذ تكتبونني وتكتب قبلي جلة القوم أو بعدي

سبيلي أن أعطى الذي تطلبونه وشرطي أن يُجدى عليّ ولا أجدي

صحبت أُناساً أطلب المال عندهم فكيف يكون المال مطّلباً عندي

وأما أسأليّتهم بالإلحاف فمثله ما (فيه أيضاً) ان مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي:

تشابه يوماً بأسه ونواله فما أحد يدري لأيِّهم الفضل

فقال له: أيّهما أحبُّ إليك: أثلاثون ألفاً معجّلة أم مائة ألف تدوّن في الدواوين فقال له: أنت تحسن ما هو خير من هذا ولكنك نسيته، أفتأذن لي أن أُذكّرك. قال: نعم. قال: تعجّل لي الثلاثين ألفاً وتدوّن لي المائة ألف في الدواوين. فضحك وقال: بل يعجّلان جميعاً. فحمل المال إليه أجمع.

وأما أقلّيّة شكرهم عن الإعطاء فمثله مثل قلّة شكر الحطيئة عطاء عتيبة بن النّهاس العجلي، ففي (شعراء ابن قتيبة): دخل الحطيئة عِلى عتيبة فسأله فقال: ما أنا في عمل فأعطيك من مدده، وما في مالي فضل عن قومي فأعطيك من فضله، فخرج من عنده فقال له رجل من قومه: أتعرفه؟ قال: لا. قال هذا الحطيئة، فأمر بردّه. فلمّا رجع قال: انّك لم تسلم تسليم السلام، ولا استأنست استيناس الجار، ولا رحّبت ترحيب ابن العم. قال: هو ذلك. قال: إجلس فلك عندنا ما تحبّ، وقال لغلامه: اذهب به إلى السوق فلا يشيرنّ إلى شيء إلاّ اشتريته له، فانطلق به الغلام فجعل يعرض عليه الحبرة واليمنة وبياض

(١) الأغاني ١٠ : ٢٣٨ ـ دار احياء التراث العربي.

مصر وهو يشير إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ، فاشترى له بمائتي درهم وأوقر راحلته بُرّاً وتمراً، فقال له الغلام: هل من حاجة غير هذا. قال: لا حسبي. قال: إنّه قد أمرني ألّا أجعل لك علّة فيما تريد. قال: حسبك. لا حاجة لي أن يكون لهذا يد على قومي أعظم من هذه، ثم ذهب فقال:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً فسيّان لا ذمٌّ عليك ولا حمد

وأنت امرؤٌ لا الجود منك سجيّة فتعطي وقد يعدو على النائل الوجد[1]

وأمّا أضعفيّة صبرهم عند الملمات فمثله فعل حسان بن ثابت في خيبر، ففي (الطبري) كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان ـ وكان حسان فيه مع النساء والصبيان. قالت صفية: فمرَّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين النبي صلى الله عليه وآله ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا والنبي والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت، فقلت: يا حسّان! إنّ هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا مَن وراءَنا من يهود وقد شغل عنّا النبي وأصحابه فانزل إليه فاقتله. فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلمّا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احتجزتُ ثم أخذتُ عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسّان! انزل إليه فاسلبه فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجل. قال: يا بنت

---

(١) الشعر والشعراء: ٢٠٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

عبد المطلب! مالي بسلبه حاجة[١].

«وإنّما عماد» هكذا في (المصرية) والصواب: (عمود) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٢].

«الدّين وجماع المسلمين» أي: مجمعهم.

«والعدّة للأعداء» أي: القوة في قبالهم.

«العامّة من الأمّة، فليكن صغوك» أي: ميلك.

«لهم وميلك معهم».

في (المروج): كان هرمز بن انوشروان متحاملاً على خواص الناس مائلاً إلى عوامهم مقوّياً لهم، وقيل إنّه قتل في مدّة ملكه ـ وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ـ ثلاثة عشر ألف رجل مذكور من خواص الفرس[٣].

«وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها» في (عيون القتيبي) قال بعض ملوك العجم: إنّي إنّما أملك الأجساد لا النيّات، وأحكم بالعدل لا بالرِّضا، وأفحص عن الأعمال لاعن السّرائر[٤].

وعن الصادق عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله ألا أنبّئكم بشراركم؟ قالوا: بلى. قال: المشّاؤون بالنميمة، والمفرّقون بين الأحبّة، والباغون للبرآء العيب[٥].

«فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك» كما في الحدود فإذا ظهرت للوالي بالبينة أو الإقرار فاحشته كان عليه تطهيره بالحدِّ، وما لم

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٧٧ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٣٥.

(٣) مروج الذهب ١: ٢٩٨.

(٤) عيون الاخبار ١: ٦١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) الخصال ١: ١٨٣ ح ٢٤٩، والفقيه ٤: ٣٧١.

يظهر كذلك ليس له سبيل عليه بل جعل الحد على من نسبها إليه، قال تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾[١].

«**فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره**» في الخبر: «من أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم»[٢].

وفي (عيون ابن قتيبة) كانت جامات كسرى التي يأكل فيها من ذهب، فسرق رجل من أصحابه جاماً وكسرى ينظر إليه، فلمّا رفعت الموائد افتقد الطباخ الجام فرجع يطلبها فقال كسرى: لا تتعنّ فقد أخذها من لا يردُّها، ورآه من لا يفشي عليه. ثم دخل عليه الرجل بعدُ وقد حلّى سيفه ومنطقته ذهباً، فقال له كسرى: هذا ـ وأشار إلى سيفه ـ وهذا ـ وأشار إلى منطقته ـ من ذاك؟ قال: نعم[٣].

«**أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر**» زاد (التحف) بعده «واقبل العذر، وادرأ الحدود بالشبهات»[٤].

في (السير) لمّا أعيد المقتدر إلى الخلافة وخلع ابن المعتز، أمر وزيره ابن الفرات بقبض ما في دور الذين بايعوا ابن المعتز وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل فيراها وينفذها إلى خزائن المقتدر، فجاءوه يوماً بصندوقين فقالوا له: هذان وجدناهما في دار ابن المعتز. فقال: أعلمتم ما فيهما. قالوا: نعم جرائد من بايعه الناس بأسمائهم وأنسابهم. فقال: لا تفتح. ثم قال: يا غلمان هاتوا ناراً، فجاء الفرّاشون بفحم وأمرهم فأجّجوا النار، فأقبل على من حضر فقال: والله

---

(١) النور: ٤.

(٢) نهج البلاغة ح ٢٢٢.

(٣) عيون الاخبار ١: ٤٦١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) تحف العقول: ١٢٨.

لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها اسم اني عرفته فتفسد نيات العالم كلهم عليَّ وعلى الخليفة، وما هذا رأي؛ حرّقوهما، فطرحا بأقفالهما في النار، فلمّا احترقا بحضرته أقبل على ابن مقلة ـ وكان كاتبه ـ فقال له: قد آمنت كل من بايع ابن المعتز، أمرني بذلك الخليفة فاكتب للناس الأمان منّي. ثم قال لمن حضر: أشِيعوا هذا الخبر، فأشاعوه فطلب المستترون الامان فكتب في ذلك مائة ألف أو نحوها.

«وتغابَ» أي: تغافل.

«عن كلّ ما لا يصحّ لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ فإنّ الساعي غاشّ وإنْ تشبّه بالنّاصحين» والتحرّز من الغاشّ المتشبّه بالناصح واجب.

في (العقد) كان المأمون إذا ذكر عنده السعاة قال: ما ظنّكم بقوم يلعنهم الله على الصدق؟!

وقال ذو الرياستين: قبول النميمة شر من النميمة لأنَّ النميمة دلالة والقبول إجازة وليس من دلّ على شيء كمن قبله.

وعاتب مصعب بن الزبير يوماً الأحنف بن قيس في شيء فأنكره، فقال: أخبرني الثقة. قال: كلّا إنّ الثقة لا يبلغ، وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال ﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت﴾[1].

وفي (سير العجم): ان رجلا وشى برجل إلى الاسكندر فقال: أتحب أن يقبل منه عليك ومنك عليه. قال: لا. قال: فكفّ الشرَّ عنه يكفّ عنك الشرّ. وقال شاعر:

إذا الواشي بغى يوماً صديقاً — فلا تدع الصديق لقول واش

أيضاً:

---

(١) المائدة: ٤٢.

لا تقبلنَّ نميمة بُلِّغتَها وتحفَّظَنَّ مِنَ الذي أنباكها
لا تنقشن برجل غيرك شوكة فتقي برجلك رجل من قد شاكها
إنّ الذي أنباك عنه نميمة سيذبُّ عنك بمثل ما قد حاكها

هذا، وفي (الطبري): لمّا نقض اصبهبد طبرستان العهد بينه وبين المسلمين وجّه إليه المنصور خازم بن خزيمة وروح بن حاتم وأبا الخصيب مولاه، فأقاموا على حصنه محاصرين له وهو يقاتلهم حتى طال عليهم المُقام، فاحتال أبو الخصيب وقال لأصحابه: اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي، ففعلوا ذلك به فلحق بالاصبهبد وقال له: ركب منّي أمر عظيم ضربت وحلق رأسي ولحيتي وإنّما فعلوا ذلك تهمة منّي لهم أن يكون هواي معك، وأخبره أنه معه وأنه دليل على عورة عسكرهم، فقبل منه ذلك الاصبهبد وجعله في خاصته وألطفه، وكان باب مدينتهم من حجر يلقى القاءً يرفعه الرجال وتضعه عند فتحه واغلاقه وجعل ذلك نوباً بينهم، فقال له أبو الخصيب: ما أراك وثقت بي ولا قبلت نصيحتي قال: وكيف ظننت ذلك؟ قال: لتركك الاستعانة بي فيما يعنيك وتوكيلي فيما لا تثق به إلّا بثقاتك، فجعل يستعين به بعد ذلك فيرى منه ما يحب إلى أن وثق به فجعله فيمن ينوب في فتح باب مدينته وإغلاقه، فتولّى ذلك حتى أنس به ثم كتب إلى روح وخازم وصيّر الكتاب في نشابة ورماها إليهم وأعلمهم أن قد ظفر بالحيلة ووعدهما ليلة سمّاها لهما في فتح الباب، فلمّا كان في تلك الليلة فتح لهم، فقتلوا من فيها من المقاتلة وسبوا الذراري وظفر بالبحترية وهي أمّ المنصور بن المهدي وبشكلة أمّ ابراهيم بن المهدي، فمص الاصبهبد خاتماً له فيه سم فقتل نفسه[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥١٢، دار سويدان، بيروت .

«ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر» كالشيطان. في (الكافي) انّ امير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة أوساق من تمر البغيبغة ـ وكان الرجل ممّن يرجو نوافله عليه السلام ويؤمل نائله ورفده وكان لا يسأل علياً عليه السلام ولا غيره شيئاً ـ فقال رجل له عليه السلام: والله ما سألك فلان، ولقد كان يجزيه من خمسة الأوساق وسق واحد. فقال له: لاكثّر الله في المؤمنين ضربك، أُعطي أنا وتبخل أنت! إذا أنا لم أُعطِ الذي يرجوني إلّا من بعد المسألة ثم أعطيه بعد المسألة فلم أعطه ثمن ما أخذت منه، وذلك لأنـي عرضته أن يبذل لي وجهه الّذي يعفّره في التّراب لربّه عند تعبّده له وطلب حوائجه إليه، فمن فعل هذا بأخيه المسلم وقد عرف أنّه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله تعالى في دعائه له حيث يتمنّى له الجنة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله فيقول في دعائه «اللّهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات» فإذا دعا لهم بالمغفرة فقد طلب لهم الجنة، فما أنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل[١].

وفي (العقد) قال أبو الأسود: لو أطعمنا المساكين لكنا أسوأ منهم. وقال لبنيه: لا تطمعوا المساكين في أموالكم فإنّهم لا يقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم، ولا تجاودوا الله فإنّه لو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل، ولكنه علم أنّ قوماً لا يصلحهم الغنى ولا يصلح لهم إلّا الفقر. وقال: ما بيدك خير من طلب ما بيد غيرك، وأنشد:

يلومونني في البخل جهلا وضلّة ... ولَلبُخلُ خير من سؤال بخيل[٢]

«ولا جباناً يضعفك عن الامور» في (أخبار جبناء عيون ابن قتيبة): شهد

---

(١) الكافي للكليني ٤: ٢٢ ح١ بتصرف.

(٢) العقد الفريد ٧: ٢١٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو دلامة حرباً مع روح بن حاتم المهلبي فقال له: تقدّم فقاتل، فقال:

إنّي أعوذ بروحٍ أن يقدّمني إلى القتال فتَخزى بي بنو أسد
إنَّ المهلّب حبَّ الموت أورثكم ولم أُوَرَّثَ حُبَّ الموت عن أحد[١]

وقال آخر:

أضحت تشجّعني هند وقد علمت أنّ الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الأبصار رؤيته ما يشتهي الموت عندي من له أدب
للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعتهم إلى حوبائها وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهم لا القتل يعجبني منها ولا السلب[٢]

وقيل لأعرابي: ألا تغزو...؟ قال: إنّي لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضاً[٣].

وأرسل ابن زياد رجلا مع ألفين إلى مرداس بن أُدَيَّة ـ وهو في أربعين ـ فهزمه مرداس فعنّفه ابن زياد وأغلظ له فقال: يشتمني الأمير وأنا حيٌّ أَحَبُّ إليَّ من أن يدعو لي وأنا ميّت[٤].

وكان خالد القسري من الجبناء، خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيريّة فقال من الدهش: أطعموني ماءً. فذكّره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظليماً حين جُدَّ به واستطعم الماء لمّا جدَّ في الهرب

وقال ابن زياد: إمّا للكنة فيه أو لجبن أو لدهشة: إفتحوا سيوفكم، فقال فيه أبو مفرّغ:

---

(١) عيون الاخبار ١: ٢٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) عيون الاخبار ١: ٢٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) عيون الاخبار ١: ٢٥٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) عيون الاخبار ١: ٢٥٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكلَّ أمرك للضياع[١]

وقال ابن المقفع: الجبن مقتلة فانظر فيما رأيت وسمعت أَمَنْ قُتِلَ في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبراً[٢]؟

«ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور» قال ابن المقفع: الحرص محرمة أنظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرّم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب إليك بالشره والحرص[٣]؟

وقالوا: لا يكثر الرجل الحوائج على أخيه، فإنّ العجل إذا أفرط في مصّ أمه نطحته ونحّته، وقال:

كم من حريص على شيء ليدركه وعلَّ إدراكه يدني إلى عطبه

«فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز» أي: طبائع.

«شتى» أي: مختلفة.

«يجمعها سوء الظن بالله» أما كون منشأ البخل سوء الظن بالله في عدم إخلافه ما ينفعه فواضح.

وفي (العقد): كتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوّفه بالفقر، فردّ عليه: ﴿الشَّيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾[٤] وإنّي أكره أن أترك أمراً قد وقع لأمر لعله لا يقع[٥].

وفي (الطبري) قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إنّ المنصور يعرف بلباس جبة هروية مرقوعة وإنّه يرقّع قميصه. فقال: الحمد لله الذي لطف له حتى

---

(١) عيون الاخبار ١: ٢٥٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) و (٣) عيون الاخبار ١: ٢٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) البقرة: ٢٦٨.

(٥) العقد الفريد ١: ١٨٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابتلاه بالفقر في ملكه[١].

(وفيه) قرأ الهيثم عند المنصور ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾[٢] فقال: لولا أن الاموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينهما؛ مابِتُّ ليلة وأنا أحرز منه درهماً ولا ديناراً، لمّا أجد من اللّذاذة لبذل المال، ولمّا أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة[٣].

وقال الشاعر:

من ظن بالله خيراً جاء مبتدئاً   والبخل من سوء ظن المرء بالله

وأمّا كون الجبن منشؤه أيضاً سوء الظن بالله، أنه يخال إن لم يحضر الجهاد لا يموت، وقد ردّ تعالى عليهم في قوله: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتّعون إلّا قليلا * قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءً أو أراد بكم رحمة﴾[٤].

وكان كسرى يقول: عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنّهم أهل حسن الظن بالله، ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرٍّ بخلهم ومذمّة الناس لهم وإطباق القلوب على بغضهم إلّا سوء ظنّهم بربّهم في الخلف؛ لكان عظيماً.

وأما كون منشأ الحرص سوء الظن بالله، فلأنه لو تيقّن أنه لا يصل إليه من الرزق إلّا ما قدّر الله تعالى له؛ لم يحرص، بل الحرص كالحسد والكبر أحد أصول الكفر بالله.

وفي (عيون ابن قتيبة): لمّا قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاباً: إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل. وقال عدي بن زيد:

---

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٨١، دار سويدان، بيروت.

(٢) النساء: ٣٧، الحديد: ٢٤.

(٣) تاريخ الطبري ٨ : ٨٨، دار سويدان، بيروت.

(٤) الاحزاب: ١٦ ـ ١٧.

قد يدرك المبطئ من حظّه　　　والرِّزق قد يسبق جهد الحرص[١]

«ان شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الاثام فلا يكوننّ لك بطانة) في (وزراء الجهشياري): سأل عمر بن عبد العزيز عن يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج فقيل له: إنّه غزا الصائفة، فأمر بالكتاب إليه بردّه وقال: لا استنصر بجيش هو فيهم، فردّه من الدرب.

وقال ابن أبي الحديد: أُتي الوليد بن عبدالملك برجل من الخوارج فقال له: ما تقول في الحجّاج؟ قال: وما عسيت أن أقول فيه، هل هو إلّا خطيئة من خطاياك، وشرر من نارك، فلعنك الله ولعن الحجّاج معك. فالتفت الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز فقال: ما تقول في هذا؟ فقال: ما أقول فيه؟ هذا رجل يشتمكم، فإمّا أن تشتموه كما شتمكم، وإمّا أن تعفوا عنه. فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنّك إلّا خارجياً. فقال عمر: وما أظنّك إلّا مجنوناً. وقام وخرج مغضباً، ولحقه خالد ابن الرّيّان صاحب شرطة الوليد، فقال له: ما دعاك إلى ما كلّمت به الخليفة، لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك؟ قال: أو كنت فاعلاً لو أمرك. قال: نعم. فلمّا استخلف عمر جاءه خالد، فوقف على رأسه متقلّداً سيفه، فنظر إليه وقال له: يا خالد، ضع سيفنا، فإنّك مطيعنا في كلّ أمر نأمرك به ـ وكان بين يديه كاتب كان للوليد أيضاً ـ فقال له: وضع أنت أيضاً قلمك، فإنّك كنت تضرُّبه وتنفع وقال: «اللّهم إنّي وضعتهما فلا ترفعهما» وما زالا وضيعين حتى ماتا[٢].

«فإنّهم أعوان الأثمة» وقد قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى

---

(١) عيون الاخبار ٣: ٢١٣، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ١٧ ـ ٤٣ .

ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾[١].

«وإخوان الظَّلمة» في (الطبري): أقطع هشام أرضاً يقال لها «دورين» فأرسل في قبضها فإذا هي خراب، فقال لذويد ـ كاتب كان بالشام ـ ويحك كيف الحيلة؟ قال: ما تجعل لي. قال: اربعمائة دينار، فكتب: «دورين وقراها» ثم أمضاها في الدواوين، فأخذ شيئاً كثيراً، فلمّا ولي هشام دخل عليه ذويد فقال له هشام: «دورين وقراها»؟! لا تلي لي ولاية أبداً، وأخرجه من الشام[٢].

في (الكافي) عن ابن أبي يعفور قال: كنت عند الصادق عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: إنّه ربما أصاب الرجل منّا ضيق فيدعى إلى البناء يبنيه أو النهر يكريه أو المسنّاة يصلحها فما تقول في ذلك؟ فقال عليه السلام: ما أحب أنّي عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وان لي ما بين لابتيها، لا، ولا مدة بقلم، إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله عزّوجلّ بين العباد.

وعن أبي بصير: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أعمالهم فقال: لا، ولا مدة قلم، إنّ أحدكم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينه مثله[٣].

«وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم» في الأمور «وليس عليه مثل آصارهم» أي: ذنوبهم.

«وأوزارهم» أي: أثقالهم وأحمالهم من الآثام، قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾[٤] قال الأخفش: أي: لا تأثم آثمة بإثم أُخرى[٥].

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٢٠٥ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٣) الكافي ٥: ١٠٦ ـ ١٠٧ / ٥ و ٧.

(٤) فاطر: ١٨.

(٥) لسان العرب ٥: ٢٨٣ وزر ـ دار صادر، بيروت.

في (وزراء الجهشياري) لمّا توفّي سليمان بن عبد الملك كتب عمر بن عبد العزيز وهو على قبره بعزل أسامة بن زيد ويزيد بن أبي مسلم، فقال الناس ألا صبر حتى يدفن الرجل. فقال: إنّي خفت الله تعالى واستحييته أن أُقِرَّهما يحكمان في أُمور الناس طرفة عين وقد وليت أمورهم.

«**ممّن لا يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه**» في (العقد) قال أبو عوانة: بعث إليَّ الحجاج فقال: إنّي أُريد أن أستعين بك في عملي. قلت: ان تستعن بي تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء، وإن تَدَعْنِي فهو أحبّ إليّ وإن تُقحِمني أقحم. قال: إن لم أجد غيرك أقحمتك. قلت: وأُخرى إنّي ما علمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك، والله إنّي لأتعارُّ من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتى أصبح ولست لك على عمل. قال: كيف؟ قلت: فأعدت عليه. فقال: إنّي والله لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجرأ على دم منّي، إنصرف. فقمت فعدلت عن الطريق كأنّي لا أُبصر، فقال: أرشدوا الشيخ[1].

وفي (الجهشياري): كان الرشيد بعد صرف الفضل بن يحيى عن خراسان قلد علي بن عيسى بن ماهان ليكثر على الفضل في الأموال، فقتل وجوه أهل خراسان وملوكها وجمع أموالاً جليلة فحمل إلى الرشيد ألف بدرة معمولة من ألوان الحرير وفيها عشرة آلاف ألف درهم. فسرَّ بها وقال ليحيى: أين كان الفضل عن هذا. فقال يحيى: إنّ خراسان سبيلها أن تحمل إليها الأموال ولا تحمل منها والفضل أصلح نيّات رؤوسها واستجلب طاعتهم، وعليّ بن عيسى قتل صناديدهم وطراخنتهم وحمل أموالهم، ولو قصدت لدرب من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه أضعاف هذه وستنفق مكان كلّ درهم منها عشرة. فثقل هذا القول على الرشيد، فلمّا انتقض أمر خراسان

---

(١) العقد الفريد ٢: ٥٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وخرج رافع بن الليث واحتاج الرشيد إلى النهوض إليها بنفسه جعل يتذكّر هذا الحديث ويقول: صدقني والله يحيى، لقد أنفقت مائة ألف ألف وما بلغت شيئاً.

«**أولئك أخف عليك مؤنة وأحسن لك معونة**» في (عيون ابن قتيبة) قال بعض الخلفاء: دُلُّوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمّني. قالوا: كيف تريده؟ قال: إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنّه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنّه رجل منهم. قالوا: لا نعلمه إلّا الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم هو لها[1].

وفي (المقاتل): انّه عليه السلام لمّا ضُرب أتاه صعصعة عائداً وقال للآذن: قل له عليه السلام: يرحمك الله حيّاً وميتاً، فوالله لقد كان الله في صدرك عظيماً ولقد كنت بذات الله عليماً، فأبلغه الآذن مقالة صعصعة فقال عليه السلام: قل لصعصعة وأنت يرحمك الله لقد كنت خفيف المؤونة كثير المعونة[2].

«**وأحنى**» أي: أشفق.

«**عليك عطفاً**» أي: توجّهاً.

«**وأقلّ لغيرك إلفاً**» في (المعجم): كان صاحب خراسان نوح بن منصور الساماني قد أرسل إلى الصاحب بن عباد ـ وزير فخر الدولة بن ركن الدولة ـ يستدعيه إلى حضرته ويرغّبه في خدمته وبذل البذول السنية، فكان من جملة اعتذاره أن قال: كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدري وشاع بين الأنام ذكري؟ ثم كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي وعندي من كتب العلم خاصة ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر.

«**فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك**» أي: اجتماعاتك.

---

(١) عيون الأخبار ١: ٦٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٧ ـ دار المعرفة ـ بيروت.

«**ثم ليكن آثرهم**» أي: أكثرهم مختاراً.

«**عندك أقولهم بمرِّ الحق لك**» في (العقد) قال مالك ابن أنس: بعث المنصور إليّ وإلى ابن طاوس، فأتيناه ودخلنا عليه فإذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه نطاع قد بسطت وجلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأومى إلينا أن اجلسا، فجلسنا فأطرق عنّا قليلاً ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس فقال له: حدثني عن أبيك. قال: نعم، سمعت أبي يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله، فأمسك ساعة، قال مالك: فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه. ثم التفت إليه فقال: عظني. قال: نعم إنّ الله تعالى يقول: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد* إرَمَ ذات العماد* التي لم يخلق مثلها في البلاد* وثمود الذين جابوا الصخر بالواد... ان ربك لبالمرصاد﴾[1]. قال مالك فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه، فأمسك ساعة حتى اسودّ ما بيننا وبينه، ثم قال: يا ابن طاوس! ناولني هذه الدواة، فأمسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة، فأمسك فقال: ما يمنعك أن تناولنيها، قال: أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها. فلمّا سمع ذلك قال: قوما عنّي. فقال ابن طاوس: ذلك ما كنّا نبغي منذ اليوم. قال مالك: فمازلت أعرف لابن طاوس فضله[2].

«**وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع**» وزاد في (رواية التحف): «فإنّهم يقفونك على الحق، ويبصّرونك ما يعود عليك نفعه»[3].

---

(١) الفجر: ٦ ـ ١٤.

(٢) العقد الفريد ١: ٥٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) تحف العقول: ١٣٠.

في (العقد) قال الشعبي: إن زياداً كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري -وكان على الصائفة- ان معاوية كتب إليَّ أن أصفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة، فكتب إليه: وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية، ولو ان السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً فاتّقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً. ثم نادى في الناس فقسّم لهم ما اجتمع من الفيء[١].

(وفيه): أرسل ابن هبيرة إلى الحسن البصري والشعبي، فقال للحسن: ما ترى في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها، فإذا أنفذتها وافقت سخط الله وإن لم أنفذها خشيت على دمي؟ فقال له الحسن: هذا الشعبي فقيه الحجاز عندك. فسأله فرفق له الشعبي وقال له: قارب وسدِّد، فإنّما أنت عبد مأمور. فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ما تقول أنت؟ فقال له: يا بن هبيرة! خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، يا بن هبيرة! إنّ الله مانعك من يزيد وإنّ يزيد لا يمنعك من الله، يا بن هبيرة! لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب إليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه وما خالفه فلا تنفذه، فإنّ الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال: هذا صدقني ورب الكعبة، وأمر له بأربعة آلاف وللشعبي بألفين، فأمّا الحسن فأرسل إلى المساكين فلمّا اجتمعوا فرّقها، وأمّا الشعبي فقبلها وشكر عليها[٢].

(وفيه): شاور معاوية الأحنف بن قيس في استخلاف ابنه يزيد، فسكت عنه فقال: إن صدقناك أسخطناك وإن كذبناك أسخطنا الله وسخطك أهون

---

(١) العقد الفريد ١: ٥٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) العقد الفريد ١: ٥٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

علينا من سخط الله. فقال له معاوية: صدقت[١].

(وفيه): ودخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام. قال: وما هو؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيّته كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات. قال: باطل. أنبي خليفة الله أكرم على الله أم خليفة غير نبي. قال: بل خليفة نبي. قال: فإن الله تعالى يقول لنبيّه داود عليه السلام ﴿يا داود انّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾[٢] فهذا وعيد لنبي خليفة، فما ظنّك بخليفة غير نبي. قال: إنّ الناس ليغروننا عن ديننا[٣].

«والصق بأهل الورع والصدق» زاد في رواية (التحف) «وذوي العقول والأحساب»[٤].

وفي (عيون ابن قتيبة): إستشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العذر. قال: ومن هم؟ قال: هم الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم، وإن قصروا قال الناس قد اجتهد عمر[٥].

«ثمُّ رُضهم» من راض المهر يروضه رياضة ورياضاً.

«على ألا يُطروك» أي: لا يمدحوك.

«ولا يبجّحوك» بتقديم الجيم وتشديدها، أي: لا يفرّحوك.

«بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء» والمدح.

---

(١) العقد الفريد ١: ٥٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) العقد الفريد ١: ٥٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) تحف العقول: ١٣٠.

(٥) عيون الاخبار ١: ٧١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

«تحدث الزهو» أي: الكبر.

«وتدني» أي: تقرّب «من الغرة» أي: الاغترار، وزاد في خبر (التحف) «والإقرار بذلك يوجب المقت من الله»[1] قالوا المدح وافد الكبر.

وفي (عيون ابن قتيبة) قال ابن المقفع: إيّاك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك، فتكون ثلمة من الثلم يقتحمون عليك منها وباباً يفتتحونك منه، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها، واعلم أنّ قابل المدح كمادح نفسه، والمرء جدير أن يكون حبّه المدح هو الذي يحمله على ردّه، فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب[2].

«**ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة**» قال الجوهري: درب بالشيء إذا اعتاده[3].

«**وألزِم كُلّاً منهم ما ألزم نفسه**» من الإحسان والإساءة: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾[4]. وزاد في رواية (التحف) «أدباً منك ينفعك الله به، وتنفع به أعوانك»[5].

في (المعجم) قال المتوكل لأبي العيناء: بلغني عنك بذاء في لسانك. فقال: قد مدح الله تعالى وذم فقال: ﴿نعم العبد إنّه أوّاب﴾[6] وقال: ﴿همّاز

---

(١) تحف: ١٣٠.

(٢) عيون الاخبار ١: ٢٨٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) الصحاح ١: ١٢٤ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٤) فصلت: ٤٦، والجاثية: ١٥.

(٥) تحف العقول: ١٣٠.

(٦) ص: ٤٤.

مشّاء بنميم﴾[١] وقال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم اثن صادقاً ... ولم أشتم النكس اللئيم المذمّما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشقّ لي الله المسامع والفما

وقيل لأبي العيناء: إلى متى تمدح الناس وتهجوهم؟ فقال: ما دام المحسن يحسن والمسيء يسيء، وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب النبيّ والذميّ.

«واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عنهم» في (عيون ابن قتيبة): قام رجل من مجلس خالد القسري، فقال خالد: إنّي لأبغض هذا الرجل وما له إليَّ ذنب. فقال رجل: أوْلِهِ أيّها الأمير معروفاً، ففعل فما لبث أن خفّ على قلبه وصار أحد جلسائه[٢].

وفي (وزراء الجهشياري): قال المنصور لأبي العباس الطوسي وعيسى بن علي والعباس بن محمد وغيرهم من خواصّه: إنّي قد عزمت على تقليد المهدي السواد وكور دجلة، فاستصوب جميعهم رأيه خلا الطوسي فإنّه استخلاه ثم قال له: أرأيت إن سلك المهدي غير سيرتك واستعمل التسهيل أترضى بذلك؟ قال: لا والله. قال: فأنت تريد أن تحبّبه إلى الرعية وتقليدك إيّاه يبغضه إليهم لا سيما ما قرب منك، ولكن تولّي هذه الولاية عيسى بن موسى وتجعل المهدي الناظر في ظلامات الناس وتأمره بأخذه بإنصافهم، فضحك منه حتى فحص برجليه.

وفي (الطبري): كان المنصور لا يولّي أحداً ثم يعزله إلّا ألقاه في دار خالد البطين على شاطئ دجلة ملاصقاً لدار صالح المسكين فيستخرج من

---

(١) القلم: ١١.

(٢) عيون الأخبار ٣: ١٩٨ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

المعزول مالاً فما أخذ من شيء أمر به فعزل وكتب عليه اسم من أخذ منه وعزل في بيت من المال وسماه بيت مال المظالم، فكثر ما في ذلك البيت من المال والمتاع، ثم قال للمهدي: إنّي قد هيّأت لك شيئاً ترضي به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً، فإذا أنا متّ فادعُ هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سمّيتها مظالم فارددْ عليهم كلّ ما أخذ منهم فإنّك تستحمد إليهم وإلى العامة، ففعل ذلك المهدي لمّا ولي[1].

«**وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم**» هكذا في نسختي ابن أبي الحديد وابن ميثم ولا يبعد أن الأصل «به قبلهم»[2] فقال الجوهري: ومالي به قبل أي: طاقة[3].

في (عيون ابن قتيبة) قالت العجم: أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها، ولا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً، ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأي والتدبير[4].

«**فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك فإن حسن الظنّ يقطع عنك نصباً**» أي: شراً وبلاءً.

«**طويلاً**» زاد في رواية (التحف): «فاعرف هذه المنزلة لك وعليك، لتزدك بصيرة في حسن الصنع، واستكثار حسن البلاء عند العامة، مع ما يوجب الله بها لك في المعاد»[5].

في (العيون) كان ابن عباس يقول: مارأيت رجلاً أوليته معروفاً إلّا

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٨١ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٤٦.

(٣) الصحاح ٥: ١٧٩٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٤) عيون الاخبار ١: ٦١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٥) تحف العقول: ١٣٠.

أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلاً أوليته سوءً إلّا أظلم ما بيني وبينه.

«وإنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإنّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده» في (العيون في كتب العجم): قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما أودعتها من شيء فليعلم أنّه فيها[1].

وفي (الطبري) قال المنصور لاسماعيل بن عبدالله: أيُّ الولاة أفضل؟ قال: الباذل للعطاء والمعرض عن السيئة. قال: فأيّهم أخرق؟ قال: أنهكهم للرعية وأتبعهم لها بالخرق والعقوبة. قال: فالطاعة على الخوف أبلغ في حاجة الملك أم الطاعة على المحبة؟ قال: الطاعة عند الخوف تُسِرُّ الغدر وتبالغ عند المعاينة، والطاعة على المحبة تضمر الإجتهاد وتبالغ عند الغفلة. قال: فأيُّ الناس أولى بالطاعة؟ قال: أولاهم بالمضرَّة والمنفعة. قال: ما علامة ذلك؟ قال: سرعة الإجابة وبذل النفس[2].

وفي (وزراء الجهشياري): لمّا غضب المنصور على أبي أيوب المورياني قال صالح بن سليمان: انّه سيقتل أبا أيوب وجميع أسبابه لأنّه سمعه يتحدّث أن ملكاً من الملوك كان يساير وزيراً له فضربت دابة الوزير رجل الملك فغضب وأمر بقطع رجل الوزير فقطعت ثم ندم فأمر بمعالجته حتى برأ ثم قال الملك في نفسه: هذا لا يحبني أبداً وقد قطعت رجله فقتله، ثم قال: وأهل هذا الوزير لا يحبّونني وقد قتلته فقتلهم جميعاً. قال صالح: فعلمت أنّه سيفعل ذلك في المورياني ففعله، وما عدا ظني فقتله وأخاه بالضعطة والعذاب وقتل بني أخيه صبراً.

«ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة واجتمعت بها الألفة

---

(١) عيون الأخبار ١: ٦٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٧١ ـ دار سويدان ـ بيروت.

وصلحت عليها الرعية» فإنّ سنن النبي صلى الله عليه وآله كفرائض الله تعالى العمل بها واجب.

«ولا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها» وقد أحدث الثلاثة سنناً كذلك مذكورة في محلها وأما من جاء بعدهم من أتباعهم فأحداثهم أكثر من أن تحصى، ولولا أن أصل الإسلام كان معلوماً لجعلته أرذل الملل كما أنّهم أنفسهم صاروا بها أخسّ الأمم من حيث العمل.

قال الطبري في (تاريخه): ولمّا خرجت الخوارج من الكوفة أتى علياً عليه السلام أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنّة النبي صلى الله عليه وآله فجاءه ربيعة بن أبي شدّاد الخثعمي -وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم- فقال له: بايع على كتاب الله وسنّة رسوله فقال ربيعة: على سنّة أبي بكر وعمر. قال له علي: ويلك! لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شيء من الحق. فبايعه فنظر إليه علي عليه السلام وقال: أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقُتلت، وكأنّي بك وقد وطئتك الخيول بحوافرها، فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة...[1].

وفي الخبر: من سن سنّة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها، ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها[2].

وفي الخبر: أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنّه

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ١١٦ (دار الكتب العلمية).

(٢) البحار ٧٤: ٢٠٤ رواية ٤١ باب ١٤.

قد أُشرب قلبه حبّها[١]، ومن مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام[٢].

«وأكثر مدارسة العلماء» في الطبري قال المنصور للمهدي: لا تجلس مجلساً إلّا ومعك من أهل العلم من يحدّثك، فإن محمد بن شهاب الزهري قال «الحديث ذكر ولا يحبه إلّا ذكور الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثوهم» وصدق أخو زهرة[٣].

«ومناقشة الحكماء» أي: الإستقصاء في استخراج ما عندهم من الحكمة.

«في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك» ـ زاد في رواية (التحف): «فان ذلك يحقّ الحقّ، ويدفع الباطل، ويُكتفى به دليلاً ومثالاً، لأنّ السنن الصالحة هي السبيل إلى طاعة الله»[٤]، فأقام ارسطاطاليس الحكيم لاسكندر خارج ملكه وداخله.

ففي (أخبار طوال الدينوري) قال الإسكندر لمؤدبه ارسطاطاليس: إنّي قد وترت أهل الأرض جميعاً لقتلي ملوكهم واحتوائي على بلادهم وأخذي أموالهم، وقد خفت أن يتظافروا على أهل أرضي من بعدي فيقتلونهم ويبيدونهم لحنقهم عليّ، وقد رأيت أن أرسل إلى كلّ نبيه وشريف ومن كان من أهل الرياسة في كلّ أرض وإلى أبناء الملوك فاقتلهم. فقال له مؤدبه: ليس ذلك رأي أهل الورع والدين، مع أنّك إن قتلت أبناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك وعلى أهل أرضك أشدّ حنقاً من بعدك، ولكن لو بعثت إلى أبناء الملوك وأهل النباهة فتجمعهم إليك فتتوّجهم بالتّيجان وتملّك

(١) الكافي ١: ٥٤ ح ٤.

(٢) الكافي ١: ٥٤ ح ٢.

(٣) تاريخ الطبري ٨: ٧٢ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٤) تحف العقول: ١٣١.

كلّ رجل منهم كورة واحدة وبلداً واحداً فإنّك تشغلهم بذلك بتنافسهم في المُلك وحرص كلّ واحد منهم على أخذ ما في يدي صاحبه عن أملاك بلادك، فتلقي بأسهم بينهم وتجعل شغلهم بأنفسهم، فقبل الإسكندر ذلك منه وفعله وهم الذين يقال لهم ملوك الطوائف(١).

وفي (وزراء الجهشياري): كان أرسطاطاليس أدّب الإسكندر، فلمّا نشأ الإسكندر وعلا وعرف من ارسطاطاليس ما عرفه من الحكمة كان شبه الوزير له وكان يعتمد عليه في الرأي والمشورة، فكتب إليه يخبره أنّه قد كثر في خواصّه وعسكره قوم ليس يأمنهم على نفسه لمّا يرى من بعد هممهم وشجاعتهم وشذوذ آلتهم وليس يرى لهم عقولاً تفي بهذه الفضائل التي فيها بقدر هممهم، فكتب إليه ارسطاطاليس: فهمت ما ذكرت عن القوم الذين ذكرت، فأمّا هممهم فمن الوفاء بُعدُ الهمّة، وأمّا ما ذكرت من شجاعتهم مع نقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفِّهْهُ في العيش واخصصه بحسان النساء، فإن رفاهية العيش توهي العزم وإن حبّ النساء يحبب السلامة ويباعد من ركوب المخاطرة، وليكن خلقك حسناً تستدعي به صفو النيات واخلاص المقالات، ولا تتناول من لذيذ العيش مالا يمكن أوساط أصحابك مثله، فليس مع الإستيثار محبة ولا مع المواساة بغضة.

وفي (عيون ابن قتيبة): قرأتُ كتاباً من ارسطاطاليس إلى الإسكندر: إملك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها، فإنّ طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدوم بقاءً منه باعتسافك، واعلم أنك إنّما تملك الأبدان، فَتَخَطَّهَا إلى القلوب بالمعروف واعلم أنّ الرعيّة إذا قدرت على أن تقول؛ قدرت على أن تفعل، فاجهد أن لا تقول؛ تسلم من أن تفعل.

(١) الأخبار الطوال: ٣٨.

(وفيه): كان أنوشروان إذا ولّى رجلاً أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقّع فيه بخطه، فإذا أتي بالعهد وقع فيه «سُسْ خيار الناس بالمحبة وأخرج للعامة الرغبة بالرهبة، وسس سفلة الناس بالإخافة»(١).

وفي (المروج): كتب ملك الروم إلى سابور الجنود بن اردشير: بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسألك فيه طريقتك واركب مناهجك. فكتب إليه سابور: نلت ذلك بثمان خصال: لم أهزل في أمر ولا نهي قطُّ، ولم أُخلف وعداً ولا وعيداً قطُّ، وحاربت للغِنى لا للهَوى، واجتلبت قلوب الناس مقةً بلا كره وخوفاً بلا مقت، وعاقبت للذنب لا للغضب، وعممت بالقوت، وحسمت الفضول.

(وفيه): أحضر يزدجرد بن بهرامجور رجلاً من حكماء عصره في أقاصي مملكته وقال له: أيّها الحكيم الفاضل! ما صلاح الملك؟ فقال: ألرِّفق بالرعيّة، وأخذ الحق منهم من غير مشقة، والتودُّد إليهم بالعدل، وأمن السبل، وإنصاف المظلوم من الظالم. فقال له: فما صلاح أمر الملك؟ فقال: وزراؤه وأعوانه، فإنّهم إن صلحوا صلح، وان فسدوا فسد. فقال له: فما الذي يُشِبُّ الفتن وينشئها وما الذي يسكّنها ويدفنها؟ قال: يشبها ضغائن وجرأة العامة والإستخفاف بالخاصة، وانبساط الألسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وأمل معسر، وغفلة ملتذّ ويقظة محروم، والذي يسكّنها أخذ العدّة لمّا يخاف قبل حلوله وإيثار الجد حين يلتذ الهزل، والعمل بالحزم في الغضب والرضا(٢).

«واعلم أنَّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض، ولا غنى ببعضها عن

---

(١) عيون الأخبار ١: ٦١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) مروج الذهب ١: ٢٧٣ و ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

بعض» كأعضاء الإنسان، فالرأس لا يصلح إلّا بالبدن مثلاً، والعينان لا تغنيان عن الأُذنين، ولا يغني الأنف عن الفم واليدان عن الرجلين.

في (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي) قال عليه السلام: العالم حديقة سياجها الشريعة، والشريعة سلطان تجب له الطاعة، والطاعة سياسة يقوم بها الملك، والملك راع يعضدها الجيش، والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق يجمعه الرعية، والرعية سواد يستعبدهم العدل، والعدل أساس به قوام العالم.

«فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة».

في (وزراء الجهشياري): كان أول من صنّف طبقات الناس وصنّف طبقات الكتّاب وبنى منازلهم جمشيد، وكان لهراسب اوّل من دوّن الدواوين وحصّن الأعمال والحسبانات، وانتخب الجنود وجدّ في عمارة الأرضين وجباية الخراج لأرزاق الجيش وبنى مدينة بلخ.

«وكُلّاً قد سمّى الله سهمه ووضع على حدّه فريضة» هكذا في (المصرية) والصواب: «وفريضته» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[1].

«في كتابه أو سنّة نبيه» وضع على حد الطبقة السابعة ـ وهي الأخيرة ـ فريضة في كتابه فقال عزّوجلّ ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل...﴾[2] وعلى حدّ الطبقات الست الأولى فريضة في سنّة نبيّه.

«عهداً منه عندنا محفوظاً» لمّا لم يوضع في السنّة على حدّ كثير من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٤٨.

(٢) التوبة: ٦٠.

الطبقات الست الأولى شيء يعرفه الناس قال عليه السلام: إنّه صلى الله عليه وآله خصّ بعلم ذلك عترته عليهم السلام.

وفي (بصائر درجات محمد بن الحسن الصفار) مسنداً أن النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه: أدعُوا لي خليلي، فأرسلتا إلى أبويهما، فلمّا رآهما أعرض عنهما بوجهه، ثم قال صلى الله عليه وآله أُدعُوا لي خليلي، فأرسلوا إلى عليٍّ، فلمّا جاء أكبّ عليه فلم يزل يحدّثه ويحدّثه، فلمّا خرج من عنده قالتا له عليه السلام: ما حدّثك؟ قال: حدّثني بباب يفتح ألف باب كلّ باب يفتح ألف باب[1].

«فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعزّ الدين وليس تقوم الرعية إلّا بهم» في (عيون ابن قتيبة): كان يقال: لا سلطان إلّا برجال، ولا رجال إلّا بمال ولا مال إلّا بعمارة، ولا عمارة إلّا بعدل وحسن سياسة[2].

وفي (المروج): كانت سياسة يعقوب بن الليث الصفار لجيوشه سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك، لمّا كان قد شملهم من إحسانه وغمرهم من برّه وملأ قلوبهم من هيبته، كان بأرض فارس وأباح للناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد الرحيل فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع، فرئي في أصحابه رجل أخرج الحشيش من فم الدابّة مخافة أن تلوكه بعد سماع النداء، وخاطب الدابّة قائلاً بالفارسية: «أمير دواب را از تر بريده» أي: أمر بقطع الدواب عن الرطبة. ورئي أيضاً في عسكره رجل من قوّاده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته، فقيل له في ذلك فقال: نادى منادي الأمير: البسوا السّلاح وكنت أغتسل من الجنابة فلم يسعني التشاغل

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٢٣ ح٣ بتصرف في اللفظ و ٣٢٤ ح٨.

(٢) عيون الأخبار ١: ٦٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

بلبس الثياب عن السلاح[1].

«ثم لاقوام للجنود إلّا بما يخرج الله لهم من الخراج الذين يقوون به في جهاد عدوّهم ويعتمدون عليه في ما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم» في (العيون) كان جعفر بن يحيى يقول الخراج عماد الملك، وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم[2].

وفي (وزراء الجهشياري) ـ في عهد سابور بن اردشير إلى ابنه ـ واعلم أنّ قوام أمرك بدرور الخراج، ودرور الخراج بعمارة البلاد، وبلوغ الغاية في العمارة يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم والمعاونة لهم، فإنّ بعض الأمور لبعض سبب، وعوام الناس لخواصهم عدة، ولكل صنف منهم إلى الآخر حاجة، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك ومن يكونون من أهل البصر والعفاف والكفاية، وأسند إلى كلّ امرئٍ منهم شقصاً يضطلع به ويمكنه الفراغ منه، فان اطّلعت على أنّ أحداً منهم خان أو تعدّى فنكّل به وبالغ في عقوبته.

«ثم لا قوام لهذين الصنفين إلّا بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب» في (الطبري) قال المنصور: ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفّ منهم. قيل له: من هم؟ قال: هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلّا بهم كما أنّ السرير لا يصلح إلّا بأربع قوائم إنْ نقصت واحدة وهي، أمّا أحدهم: فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر: صاحب شرطة يُنْصِف الضعيف، والثالث: صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعيّة[3].

---

(١) مروج الذهب ٤: ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) عيون الأخبار ١: ٦٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) تاريخ الطبري ٨: ٦٧ ـ دار سويدان ـ بيروت.

«لمّا يحكمون من المعاقد» وفي رواية (التحف): «لمّا يحكمون من الأُمور، ويظهرون من الإنصاف»[١]، وكيف كان فالأحكام للقضاة.

«ويجمعون من المنافع» جمع المنافع عمل العمّال.

«ويؤتمنون عليه من خواص الأُمور وعوامها» الايتمان: على ما قال للكتّاب، ثم عدم قوام الجند والخراج إلّا بالعمال والكتّاب واضح، وأما بالقضاة فللفصل بينهم مع حصول الإختلاف.

«ولا قوام لهم جميعاً إلّا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم» وفي رواية (التحف) «فيما يجمعون من مرافقهم»[٢].

«ويقيمون من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم» وفي رواية (التحف) «ممّا لا يبلغه رفق غيرهم»[٣].

عن النبي صلى الله عليه وآله: لا يلتقي أحدكم تجارة خارجاً من المصر ولا يبيع حاضر لباد، والمسلمون يرزق الله بعضهم من بعض[٤].

وعن الصادق عليه السلام: الكيمياء الأكبر الزراعة[٥]، والزارعون يدعون المباركين[٦]. وقال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ: لا يظلم الفلّاحون بحضرتك[٧].

وعنه عليه السلام: أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب. إن النبي صلى الله عليه وآله كان يعطينا معهم العطايا بالسوية وزوّج سلمان وبلالاً وصهيباً وأبوا علينا هؤلاء وقالوا لا نفعل، فكلّمهم فيهم فصاح الأعاريب أبينا

(١ و ٢) تحف العقول : ١٣١ .

(٣) تحف العقول : ١٣٢ .

(٤) الكافي للكليني ٥: ٨ ح ١٦١ .

(٥) الكافي للكليني ٥: ٢٦١ ح٦ .

(٦) الكافي للكليني ٥: ٢٦١ ح٧ .

(٧) الكافي ٥: ٢٨٤، رواية ٢، ج ٧: ١٥٤، رواية ٢٩ .

ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك، فخرج وهو مغضب يجر رداءه وهو يقول: يا معشر الموالي! إنّ هؤلاء قد صيّروكم بمنزلة اليهود والنصارى يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتّجروا بارك الله لكم فإنّي سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحد في غيرها[١].

«**ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم**» أي: إعطاؤهم (ومعونتهم) وهو حكم عقلي ولذا قال به جميع الأُمم ويقتضيه كرم الأخلاق، ولذا كان كلّ كريم ملتزماً به حتى في الجاهلية.

فقالوا: مرّ حاتم في سفر له على عنزة وفيهم أسير فاستغاث به فلم يحضره فكاكه، فساومهم وأقام مكانه في القيد حتى أدّى فداءه.

«**وفي الله لكلّ سعة**» في نقل المصنف سقط والأصل «وفي فيء الله لكلٍّ سعة» كما في (التحف)[٢]، ويدل عليه سياق الكلام.

روى (الكافي) عن أبي جعفر الأحول قال: سألني رجل من الزنادقة فقال: كيف صارت الزكاة كلّ ألف درهم خمسة وعشرين. فقلت له: إنّما ذلك مثل الصلاة ثلاث وثنتان وأربع فقبل ذلك مني، ثم لقيت بعد ذلك أبا عبدالله عليه السلام فسألته عن ذلك فقال: ان الله تعالى حسب الأموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كلّ ألف خمسة وعشرين ولو لم يكفهم لزادهم، فرجعت إليه فأخبرته فقال: جاءت هذه المسألة على الإبل من الحجاز، لو أني أعطيت أحداً طاعة لأعطيت صاحب هذا الكلام[٣].

---

(١) الكافي ٥: ٣١٨ح ٥٩.

(٢) تحف العقول: ١٣٢.

(٣) الكافي ٣: ٥٠٩ ح ٤.

«ولكلٍّ على الوالي حق بقدر ما يصلحه» قال الشاعر:

فلو كنت تطلب شأو الكرام ... فعلت كفعل أبي البختري

تتبّع إخوانه في البلاد ... فأغنى المقلَّ عن المُكثر

وروى (الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لعمرو بن عبيد لمّا كان يدعو إلى امامة محمد بن عبدالله الحسني: ما تقول في آية ﴿الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ كيف تقسم الصدقة؟ قال: أقسمها على ثمانية أجزاء فأُعطي كلّ جزء من الثمانية جزءاً. قال: وإن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف منهم رجلاً واحداً أو رجلين أو ثلاثة جعلت لهذا الواحد ما جعلت للعشرة آلاف؟ قال: نعم. قال: وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم. قال: فقد خالفت النبي صلى الله عليه وآله في كلّ ما قلت في سيرته، كان النبي يقسّم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر، ولا يقسّمها بينهم بالسوية وإنّما يقسّمها على قدر ما يحضرها منهم وما يرى وليس في ذلك شيء موقت موظّف[1].

«وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلّا بالاهتمام والإستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل» هكذا في (المصرية) إلّا أن الكلام بجملته ليس في (النهج) لخلو ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية عنه[2]، وإنّما هو في رواية (تحف العقول)[3]، فالظاهر أن بعضهم ألحقه بالنهج حاشية والمصرية أو النسخة التي نقلت المصرية عنها

---

(١) الكافي ٥: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٤٩.

(٣) تحف العقول : ١٣٣.

خلطت الحاشية بالمتن، وبالجملة الكلام كلامه إلّا أنّه ليس من النهج.

وكيف كان ففي (الخصال) عن الصادق عليه السلام: ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين، فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال الحق في ما له وعليه[1].

وعنه عليه السلام: أشدّ الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى لها منهم بشيء إلّا رضيت لهم منها بمثله، ومواساتك الأخ في المال، وذكر الله على كلّ حال، ليس «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر» فقط، ولكن إذا ورد عليك شيء من أمر الله أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى الله تعالى عنه تركته[2].

وروى (عقاب الأعمال) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: من ولي عشرة، فلم يعدل فيهم، جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فأس.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أيّما وال احتجب عن حوائج الناس؛ إحتجب الله عزّوجلّ عنه يوم القيامة وعن حوائجه، وإن أخذ هديّة كان غلولاً، وإن أخذ رشوة فهو مشرك[3].

«فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك» كان المتقدمون عليه عليه السلام إنّما يولّون من كان ناصحاً لهم دون الله ورسوله، فكان أبو بكر يولّي مثل خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة مؤمناً متعمّداً غادراً به وزنى بامرأته حتى أنكر ذلك عمر عليه، وكان عمر يولّي مثل المغيرة بن

(١) الخصال ١: ٨١ / ٥ ـ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم.

(٢) الخصال ١: ١٣٢ / ١٣٩ ـ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم.

(٣) بحار الأنوار ٧٥: ٣٤٥ / ٤٢ ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت. وثواب الأعمال: ٣١٠ / ١ ـ الكتبي النجفي ـ قم.

شعبة الذي كان منافقاً باعتراف عثمان لمّا اعترض عليه بتولية المنافقين، وباعتراف عبد الرحمن بن عوف لمّا هنأ المغيرة عثمان بعد اختياره له وقد زنا المغيرة محصناً بالبصرة وقام عليه الشهود ومنع عمر الشاهد الرابع من أداء شهادته ثم ولّاه الكوفة، وعثمان كان يولّي مثل الوليد بن عقبة الذي كان يصلّي بهم الصبح أربعاً سكران ويتغنّى في صلاته ويقول لهم في صلاته لو شئتم أزيد صلاة صبحكم على الأربع، وكان يولّي مثل ابن عامر الذي نزل القرآن بكفره كالوليد بفسقه، وكان النبي صلى الله عليه وآله أهدر دمه ولو كان لاصقاً بثوب الكعبة، مع أنّ مقتضى الديانة ألّا يولّى إلّا من كان متديّناً ناصحاً لله والرسول.

«**وأنقاهم جيباً**» أي: أكثرهم أمانة.

«**وأفضلهم حلماً ممّن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر**» هكذا نقل المصنف، والصواب: (ويسرع إلى العذر) كما في (التحف)[1] ويشهد له السياق.

في الخبر قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله أوصني. قال: لا تغضب، ثم أعاد فقال: لاتغضب، ثم أعاد فقال: لا تغضب[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد من يملك نفسه عند الغضب[3].

وقالوا: سمّى الله يحيى سيّداً بالحلم.

وشتم رجل الأحنف وألحّ عليه، فلمّا فرغ قال له: يا ابن أخي هل لك في

---

(١) تحف العقول: ١٣٢.

(٢) الكافي ٢: ٣٠٣ ح٥.

(٣) صحيح مسلم، أحمد (الجامع الصغير ٢: ١٣٥).

الغذاء فإنّك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال.

واستطال رجل على أحدهم فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سُلِّطتَ به عليَّ.

وفي (العيون) نزل رجل بتغلبي فأتاه بقرى فما انفلت منه أن قال:

والتغلبيّ إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثّل الامثالا

فانقبض فقال: كلْ أيُّها الرجل فإنّما قلت كلمة مقولة[١].

وقال رجل لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً. فقال الآخر: لكنك ان قلت عشراً لم تسمع واحدة.

وكان يقال: إيّاك وعزة الغضب فإنّها مصيِّرتك إلى ذلّ الإعتذار.

هذا، وكان المنصور ولّى سلم بن قتيبة البصرة وولّى مولى له كور البصرة، فورد كتاب مولاه أنّ سلماً ضربه بالسياط، فاستشاط المنصور وقال: علي تجرّأ سلم لأجعلنّه نكالاً. فقال له ابن عيّاش -وكان عليه جريئاً- إنّ سلماً لم يضرب مولاك بقوته ولا قوّة أبيه ولكنّك قلّدته سيفك وأصعدته منبرك وأراد مولاك أن يطأطئ منه ما رفعت ويفسد ما صنعت فلم يحتمل ذلك، إنّ غضب العربي في رأسه فاذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان أو يد، وإنّ غضب النبطيّ في أُسته فإذا غضب خرئ وذهب غضبه. فضحك المنصور وقال: فعل الله بك يا منتوف وفعل. وكفّ عن سلم.

«ويرأف بالضعفاء وينبو» من نبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة، ومن نبا عليه صاحبه: إذا لم ينفذ له، قال:

أنا السيف إلّا أنّ للسيف نبوة ومثلي لا تنبو عليك مضاربه[٢]

---

(١) عيون الأخبار ١: ٣٩٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) أساس البلاغة: ٤٤٥، مادة: (نبو) .

«على الأقوياء» والأصل في قوله عليه السلام «ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء» قوله تعالى في أهل الايمان ﴿أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾[١] وكان هذا وصفه عليه السلام يعرفه منه كلّ وليّ وعدوّ.

«وممّن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف» قالوا: قال عمر: إنّ هذا الأمر لا يصلح له إلّا اللَّيِّنُ في غير ضعف، والقويُّ في غير عنف.

قلت: إلّا أنّ عمر نفسه كان في غاية العنف حتى كلّم الناس ـ كما في (عيون ابن قتيبة) ـ عبد الرحمن بن عوف أن يكلّمه في أن يلين لهم فإنّه قد أخافهم حتى أنّه قد أخاف الأبكار في خدورهنّ. فقال: إنّي لا أجد لهم إلّا ذلك، إنّهم لو يعلمون ما لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي[٢]. وقالوا: كان سوط عمر أهيب من سيف الحجاج.

«ثم ألصق بذي المروءات الاحساب» هكذا في (المصرية) أخذ كلمة «المروءات» من (ابن أبي الحديد) حيث جعلتها بين قوسين كما هو دأبها، لكن ليست الكلمة في (ابن ميثم) ولا في رواية (التحف)[٣]، فالظاهر زيادتها وان كانت في (ابن أبي الحديد) مع انّه قال «والأحساب» فكان على (المصرية) أن تأخذ منه الواو أيضاً.

«وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة» في (العيون): قال عدي بن أرطأة لإياس بن معاوية: دلّني على قوم من القُرّاء أُوَلِّهم. فقال له: القُرّاء ضربان: ضرب يعملون للآخرة فهم لا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا فما ظنّك بهم إذا أنت ولّيتهم فمكّنتهم منها. قال: فما أصنع؟ قال: عليك بأهل

---

(١) الفتح : ٢٩.

(٢) عيون الأخبار ١: ٦٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٥١ .

البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم[١].

«ثم أهل النجدة» أي: النصرة. قال الشاعر:

إذا استنجدتهم ودعوت بكراً لنصرتنا كسرت بهم همومي

«والشجاعة والسخاء والسماحة» قال الجوهري: السماحة؛ الجود، إلّا أنّ الظاهر أنّ الأصل فيها المسامحة، قال المتلمّس:

صبا من بعد سلوته فؤادي وسمح للقرينة بانقياد[٢]

في (عيون ابن قتيبة) كتب أنوشروان إلى مرازبته: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنّهم أهل حسن الظن بالله[٣].

وكان الأحنف على جيش خراسان، فبيّتهم العدو وفرّقوا جيوشهم أربع فرق وأقبلوا معهم الطبل، ففزع الناس فكان أوّل من ركب؛ الأحنف، فأخذ سيفه ومضى نحو الصوت وهو يقول:

إنّ على كلِّ رئيسٍ حقّاً أن يخضب الصعدة أو تندقّا

ثم حمل علي صاحب الطبل فقتله، فلمّا فقد أصحاب الصوت الطبل انهزموا ففتح مرو الروذ[٤].

«فانهم جماعٌ من الكرم وشعب من العرف» زاد في رواية (التحف) «يهدون إلى حسن الظنّ بالله، والإيمان بقدره»[٥].

«ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد» هكذا في (المصرية) والصواب: (يتفقده)

---

(١) عيون الأخبار ١: ٧١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) الصحاح ١: ٣٧٦.

(٣) عيون الأخبار ١: ٢٦٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٤) عيون الأخبار ١: ٢٦٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٥) تحف العقول : ١٣٢ .

كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[١].

«الولدان من ولدهما» في (العقد) كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: الإمام العدل كالأُمّ الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها، حملته كرهاً ووضعته كرهاً وربّته طفلاً، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أُخرى، وتفرح بعافيته وتغتمّ بشكاته.

وفي (كامل المبرد): انّ المهلب لمّا قتل عبد ربه الخارجي واستولى على عسكره بعث رسولاً بالفتح إلى الحجّاج، فسأله الحجّاج فيما سأله: كيف كان لكم المهلّب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شفقة الوالد وله منّا برّ الولد.

«ولا يتفاقمن» أي: لا يعظمن «في نفسك شيءٌ قوّيتهم به، ولا تحقرنّ لطفاً تعاهدتهم به» أي: جدّدت عهدهم به، وقال الجوهري: التعهد التحفّظ بالشيء وتجديد العهد به، وتعهّد فلاناً وتعهّدت ضيعتي، وهو أفصح من قولك «تعاهدته» لأنّ التعاهد إنّما يكون بين اثنين[٢].

قلت: إن سلّم كون «تعهدت ضيعتي» أفصح من «تعاهدتها» فلا نسلّم أفصحية «تعهدت فلاناً» من «تعاهدته»، بدليل كلامه عليه السلام، وليس التفاعل مطلقاً بين اثنين كقوله تعالى: ﴿تساقط عليك رطباً جنياً﴾[٣] وكقولهم: تجاهل زيد وتمارض عمرو.

«وإنّ قلّ فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظنّ بك» في (عيون ابن قتيبة) سئل بعض الحكماء عن أشدّ الأُمور تدريباً للجنود وشحذاً لها فقال: استعادة القتال وكثرة الظفر، وأن تكون لها مواد من ورائها وغنيمة فيما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٥١ .

(٢) الصحاح ٢: ٥١٦ .

(٣) مريم: ٢٥ .

أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المناصبة والتشريف للشجاع على رؤوس الناس[١].

وفي (الطبري): أراد معن بن زائدة أن يوفد إلى المنصور قوماً يسلّون سخيمته ويستعطفون قلبه عليه وقال: قد أفنيت عمري في طاعته وأفنيت رجالي في حرب اليمن ثم يسخط عليّ أن أنفقت المال في طاعته! فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة، فكان فيمن اختار مجاعة بن الأزهر -إلى أن قال- فقال مجاعة للمنصور: مِعن عبدك وسيفك وسهمك، رميت به عدوّك فضرب وطعن ورمى حتى سهل ما حزن وذلّ ما صعب واستوى ما كان معوجاً من اليمن، فأصبحوا من خولك؛ فان كان في نفسك هنة من ساع أو واش أو حاسد فأنت أولى بالتفضل على عبده ومن أفنى عمره في طاعته. فقبل العذر من معن، فلمّا صار إلى معن وقرأ الكتاب بالرضى قبّل بين عينيه فقال مجاعة:

آليت في مجلس من وائل قسماً ألّا أبيعك يا معنٌ بأطماع

يا معن إنّك قد أوليتني نعماً عمّت لجيماً وخصت آل مجّاع

فلا أزال إليك الدهر منقطعاً حتى يشيد بهلكي هتفه الناعي

وكانت نعم معن على مجاعة أنّه سأله ثلاث حوائج: منها أنّه كان يتعشّق امرأة من أهل بيته سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد -وكانت إذا ذكر لها قالت بأي شيء يتزوجني؟ أبجبته الصوف أم بكسائه؟- فلمّا رجع إلى معن كان أوّل شيء سأله أن يزوّجه بها، وكان أبوها في جيش معن فقال: أريد زهراء وأبوها في عسكرك. فزوّجه إيّاها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده، ومنها أنّه قال له: الحائط الذي فيه منزلي صاحبه في عسكرك؛

---

(١) عيون الأخبار ١: ١٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.

فاشتراه منه وصيّره له، ومنها أنّه أمر له بثلاثين ألف درهم وصرفه[١].

وفي (كامل المبرد) قال الحجاج للمهلب بعد ظفره بالخوارج: أُذكر لي القوم الذين أبلوا وَصِفْ لي بلاءهم، فوصف جمعاً ذكر في جملتهم الرقّاد، فقال الحجّاج: فأين الرقّاد، فدخل رجل طويل فقال المهلّب: هذا فارس العرب. فقال الرقّاد للحجّاج: إنّي كنت أقاتل مع غير المهلّب، فكنت كبعض الناس، فلمّا صرت مع من يلزمني الصبر ويجعلني أسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء صرت فارساً[٢].

«**ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتّكالاً على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به**» في (العيون) لم يكن لخالد بن برمك أخ إلّا بنى له داراً على قدر كفايته، ووقف على أولاد الإخوان ما يعيشهم أبداً، ولم يكن لإخوانه ولد إلّا من جارية وهبها هو لهم[٣].

«**وليكن آثر رؤوس جندك عندك**» أي: أكثرهم مختاراً عندك.

«**من واساهم**» قال في الجمهرة يقال: آسيت الرجل وواسيته مواساة[٤].

«**في معونته وأفضل**» أي: تفضل.

«**عليهم من جدته**» في (سر عربية الثعالبي): «وجد» كلمة مبهمة ليس للعرب كلمة مثلها فيختلف معانيها باختلاف مصدرها، ففي ضد العدم يقال «وجوداً» وفي الغضب «موجدة» وفي الضالّة «وجداناً» وفي الحزن «وجداً» وفي المال «وُجداً» و «جدة».

«**بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف**» بالفتح.

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٦٥ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) الكامل ٣: ٤٠٩ ـ دار النهضة ـ القاهرة.

(٣) عيون الأخبار ١: ٤٦٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) جمهرة اللغة ١: ٢٣٨ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

«أهليهم» قال ابن دريد حي خلوف: إذا غزا الرجال وبقي النساء[١].

«حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ» قال المنصور لبعض قوّاده: صدق الذي قال: «أجع كلبك يتبعك وسمّنه يأكلك» فقال له أبو العباس الطوسي: إن أجعته يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك.

«فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك» زاد قبله في رواية (التحف) «ثمّ واتر أعلامهم ذات نفسك في إيثارهم، والتكرمة لهم، والإرصاد بالتوسعة، وحقّق ذلك بحسن الفعال، والأثر والعطف»[٢].

في (العقد) قالت الحكماء: أسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة[٣].

«وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية، وإنّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم» هذا الكلام بجملته من «وإن» إلى «صدورهم» نظير ما مرّ من قوله: «وليس يخرج الوالي -إلى- في ما خفّ عليه أو ثقل» في كونه من كلامه عليه السلام لكن ليس من النهج بشهادة (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية به لخلوها عنه وهي النسخ الصحيحة من النهج، وإنّما أخذه بعضهم من رواية (التحف) فألحقه حاشية بالنهج فخلطت (المصرية) أو من قبلها الحاشية بالمتن مع تحريف «الإستفاضة» بالاستقامة[٤].

وكيف كان ففي (تاريخ اليعقوبي) قال الزهري: دخلت يوماً على عمر بن عبد العزيز فبينا أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل أنّ مدينته قد احتاجت إلى مرّمة، فقلت له: ان بعض عمّال علي بن أبي طالب عليه السلام كتب إليه بمثل هذا،

---

(١) جمهرة اللغة ١: ٦١٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

(٢) تحف العقول: ١٣٣.

(٣) العقد الفريد ١: ٢٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) تحف العقول: ١٣٣، حد ١٧: ٥١.

فكتب عليه السلام إليه: «أمّا بعد فحصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الجور» فكتب بذلك إلى عامله[١].

«ولا تصحُّ نصيحتهم إلّا بحيطتهم على ولاة الأُمور» هكذا في (المصرية) والصواب: (أمورهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٢].

في (العقد) قال أردشير لابنه: إنّ الملك والعدل لا غنىً بأحدهما عن صاحبه فالملك أُسٌّ والعدل حارس، وما لم يكن له أسٌّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع. يا بنيّ اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيّتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرّك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول.

وقالت الحكماء: ممّا يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان ومدار السياسة كلّها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلّا بهما، ولا يدور إلّا عليهما مع ترتيب الأُمور مراتبها وإنزالها منازلها[٣].

وخطب سعيد بن سويد بحمص فقال: أيُّها الناس! إنّ الإسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الإسلام الحقُّ وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتدّ السلطان، وليس اشتداد السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذاً بالعدل[٤].

«وقلّة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم» في (العقد) كتب أبرويز لابنه شيرويه يوصيه: ليكن من تختاره لولايتك امرأً كان في ضعة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٥١ .

(٣) العقد الفريد ١: ٢٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٤) العقد الفريد ١: ٢٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

فرفعته أو ذا شرف كان مهملاً فاصطنعته، ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحداً ممّن يقع بقلبه أنّ إزالة سلطانك أحبّ إليه من ثبوته[1].

وفي (الأغاني): لمّا ظفر ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمّال بني أُمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشام، وكان ممّن يدخل على عبد الملك ويسمر عنده فقال له ليلة:

يا ليت شعري -وليت ربما نفعت- هل أُبصرن بني العوّام قد شُملوا
بالذل والأسر والتشريد انهم على البريّة حتف حيثما نزلوا
أم هل أراك بأكتاف العراق وقد ذلّت لعزّك أقوام وقد نكلوا

فقال عبد الملك:

إن يمكن الله من قيس ومن جرش ومن جذام ويقتل صاحب الحرم
نضرب جماجم أقوام على حنق ضرباً ينكّل عنّا ساير الأُمم[2]

«فأفسح» أي: أوسع **«في آمالهم وواصل في حسن الثّناء عليهم»** أي: أدم حسن الثناء عليهم وصل ثاني الثناء بالأوّل وهكذا **«وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم»** أي: تفصّل بالعد أفعالهم الحسنة.

في (كامل المبرد): قدم المهلب بعد ظفره بالخوارج على الحجّاج فأجلسه إلى جانبه وأظهر إكرامه وبرّه وقال: يا أهل العراق! أنتم عبيد المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لقيط الأيادي:

وقلّدوا أمركم لله درّكم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعم النّوم إلّا ريث يبعثه همّ يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عضّ مكروه به خشعا

---

(١) العقد الفريد ١: ٢٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) الأغاني ٢: ٤٢٠ ـ دار احياء التراث العربي.

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأي لا قحماً ولا ضرعا

فقام إليه رجل فقال للحجّاج: والله لكأنّي أسمع الساعة قطرياً وهو يقول في المهلب كما قال لقيط الأيادي، ثم أنشد هذه الأشعار فسرّ الحجّاج به، حتى امتلأ سروراً[1].

«فإنّ كثرة الذّكر لحسن أفعالهم» هكذا في (المصرية) والصواب: (فعالهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[2].

«تهزّ» أي: تحرّك.

«الشجاع» في مقاتل الطالبيين في حرب إبراهيم بن عبدالله الحسني، قال المفضل الضبّي: لمّا التحمت الحرب واشتدّت بينه وبين عسكر المنصور قال لي: حرّكني بشيء، فذكرت أبياتاً لعويف القوافي:

ألا يا أيّها النّاهي فزارة بعدما أجدّت بسيرٍ إنّما أنت حالم

ترى كلّ حرٍّ أن يبيت بوتره ويمنع منه النوم إذ أنت نائم

أقول لفتيان كرام تروّحوا على الجرد في أفواههنّ الشكائم

قفوا وقفةً من يَحْيَ لا يُخْزَ بعدها ومن يخترم لا تتّبعه اللّوائم

وهل أنت إن باعدت نفسك منهم لتسلم في ما بعد ذلك سالم

فقال: أعد، وتبيّنت في وجهه انّه سيقتل، فتنبّهت وقلت: أو غير ذلك؟ قال: لا بل أعد الأبيات، فأعدتها، فتمطّى في ركابيه، فقطعهما وحمل، فغاب عني، وأتاه سهم غائر، فقتله، وكان آخر عهدي به[3].

---

(١) الكامل ٣: ٤٠٥ ـ دار النهضة ـ القاهرة .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٥٢ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ٢٤٩ .

«وتحرّض» أي: ترغّب.

«الناكل» أي: الجبان الضعيف.

«إن شاء الله» زاد بعده في رواية (التحف): «ثم لا تدع أن يكون لك عليهم عيون من أهل الأمانة، والقول بالحقّ عند الناس، فيثبتون بلاء كلّ ذي بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم»[١].

«ثم أعرف لكل امرئٍ منهم ما أبلى» في (كامل المبرد): لمّا ظفر المهلّب بالخوارج وجّه كعب بن معدان الأشقري إلى الحجّاج فقال له الحجّاج: أخبرني عن بني المهلّب. قال: المغيرة فارسهم وسيّدهم وكفى بيزيد فارساً وشجاعاً وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفر من «مدرك»، وعبد الملك سم ناقع، وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب، وكفاك بالمفضّل نجدة قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حماة السرح نهاراً فإذا أليلوا ففرسان البيات قال: فأيّهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفها[٢].

«ولا تضيفن» هكذا في (المصرية) والصواب: (ولا تضمّنّ) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية بل وفي رواية (التحف)[٣].

«بلاء امرئٍ إلى غيره» فتكون ظلمت ذا البلاء.

«ولا تقصرن به دون غاية بلائه» زاد في رواية (التحف) «وكاف كلّاً منهم بما كان منه، واخصصه منك بهزّه»[٤].

في (كامل المبرد): ان الحجاج قال للمهلب ـ بعد ظفره بالخوارج وقدومه

(١) تحف العقول: ١٣٣ و ١٣٤.

(٢) الكامل للمبرد ٣: ٤٠٣ ـ دار النهضة ـ القاهرة.

(٣ و ٤) تحف العقول: ١٣٤.

عليه ـ أُذكر لي القوم الذين أبلوا، وصف لي بلاءهم. فذكرهم على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء، وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركاً وحبيباً وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمداً وقال: انّه والله لو تقدَّمهم أحد في البلاء لقدّمته عليهم ولولا أن أظلمهم لأخّرتهم. قال الحجاج: صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان حضرت وغبت، إنّهم لسيوف من سيوف الله[١].

«ولا يدعونّك شرف امرئٍ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئٍ إلى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيماً» هذا الكلام في غاية النفاسة، فإن أكثر الناس ينظرون إلى مراتب الرجال لا إلى مقادير الأعمال، وهو من سخافة عقولهم.

هذا وزاد في رواية (التحف) «ولا يفسدنّ امرأً عندك علّة إن عرضت له، ولا نبوة حديث له، قد كان له فيها حسن بلاء، فإنّ العزة لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين، وإن استشهد أحد من جنودك، وأهل النكاية في عدوك، فاخلفه في عياله بما يخلف به الوصي الشفيق الموثق به، حتّى لا يُرى عليهم أثر فقده، فإنّ ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك، ويستشعرون به طاعتك، ويسلسون لركوب معاريض التلف الشديد في ولايتك»[٢].

«وأردد إلى الله ورسوله ما يضلعك» أي: يثقلك ثقلاً يميلك. قال الأعشى:

عنده البر والتّقى وأسى الصَّدع   وحمل لمضلع الأثقال

«من الخطوب» أي: الأمور العظيمة، قال ابن دريد: الخطب؛ الأمر العظيم[٣]

«ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى) هكذا في (المصرية) والصواب:

(١) الكامل للمبرد ٣: ٤٠٩ ـ دار النهضة مصر ـ القاهرة .

(٢) تحف العقول : ١٣٤ .

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٩١ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

(سبحانه) كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية[١].

«لقوم أحب ارشادهم: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾»[٢]، وبعده ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[٣].

وزاد في رواية (التحف): «وقال تعالى: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتَّبعتم الشيطان إلّا قليلا﴾»[٤].

«فالردُّ إلى الله الأخذَ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسولِ الأَخذ بسنته الجامعة غير المفرقة» وزاد في رواية (التحف): «ونحن أهل رسول الله صلى الله عليه وآله الذين نستنبط المحكم من كتابه، ونميّز المتشابه منه، ونعرف الناسخ ممّا نسخ الله، ووضع إصره، فسر في عدوّك بمثل ما شاهدت منّا في مثلهم من الأعداء»[٥].

ويظهر من كلامه عليه السلام أنّ الحجّة تنحصر في محكم الكتاب والسنة المجمع عليها، وأنّ إجماع الناس على شيء من غير إحراز كونه سنّة؛ لا عبرة به.

«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك» في (تاج الجاحظ): يقال إن سابور ذا الإكتاف لمّا مات موبدان موبد وُصف له رجل من كورة إصطخر أنّه يصلح لقضاء القضاة في العلم والتألّه والأمانة، فوجّه إليه فلمّا قدم دخل عليه ودعا بالطعام ودعاه إليه فدنا فأكل معه، فأخذ سابور دجاجة فنصّفها

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٥٢ .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تحف العقول : ١٣٤، والآية ٨٣ من سورة النساء .

(٥) تحف العقول : ١٣٥ .

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه، وأومى إليه أن كل من الدجاجة ولا تخلط بها طعاماً فإنّه أمرأ لطعامك وأخفُّ على معدتك، وأقبل سابور على النصف فأكل كنحو ما كان يأكل، ففرغ الرجل من النصف قبل سابور ثم مدّ يده إلى طعام آخر وسابور يلحظه، فلمّا رُفعت المائدة قال له: ودِّع وانصرف إلى بلدك؛ فإن سلفنا من الملوك كانوا يقولون: مَن شَرِهَ بين يدي الملوك إلى الطعام كان إلى أموال الرعيّة والسُّوقة والوضعاء أشدّ شرهاً.

«**ممّن لا تضيق به الأمور ولا تمحّكه الخصوم**» أي: يحملونه على اللجاج.

في العقد: تنازع إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد، فزرى عليه إبراهيم وأغلظ له، فأحفظ ذلك القاضي فقال: يا إبراهيم! إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا تعلينّ ما رفعت عليه صوتاً ولا تشر إليه بيد، وليكن قصدك أَمَماً وطريقك نهجاً وريحك ساكنة، ووفّ مجالس الحكومة حقوقها[1].

وفي (العيون): قال علقمة بن مرثد لمحارب بن دثار ـ وكان على القضاء ـ إلى كم تردد الخصوم؟ فقال: إنّي والخصوم كما قال الأعشى:

أرقت وما هـذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي معشق

ولكن أراني لا أزال بحادث ... أُغادي بما لم يمس عندي وأطرق

وسأل رجل إياس بن معاوية عن مسألة فطوّل فيها فقال له أياس: إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلمي ومعلّم أبي، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى ـ وكان على قضاء البصرة يومئذ ـ وإن كنت تريد الصلح فعليك بحميد الطويل ـ وتدري ما يقول لك يقول لك: حطّ شيئاً ويقول لصاحبك: زده شيئاً حتى نصلح بينكما، وان كنت تريد الشغب فعليك بصلح

(١) العقد الفريد ١: ٧٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

السدوسي وتدري ما يقول، يقول لك: اجحد ما عليك، ويقول لصاحبك ادَّع ما ليس لك وادع بيّنة غيباً[١].

وقال ابن أبي الحديد: إرتفعت جميلة بنت عيسى -وكانت جميلة كاسمها- مع خصم لها إلى الشّعبي -وهو قاضي عبد الملك- فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي:

فُتِنَ الشِّعبيُّ لمّا رفع الطّرف إليها
فتنته بثنايا ها وقوسَيْ حاجبيها
ومشت مشياً رويداً ثم هزّت منكبيها
فقضى جوراً على الخصـ ـم ولم يقض عليها

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطاً، ثم انصرف يوماً من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات وتناشدها الناس وجمع معه، فمرّ بخادم تغسل الثياب وتقول «فتن الشعبي لمّا» ولا تحفظ تتمة البيت، فوقف عليها ولقّنها «رفع الطرف إليها»، ثم ضحك وقال: أبعده الله، والله ما قضينا لها إلّا بالحق[٢].

قلت: وفي (العقد) ان المرأة لمّا أدلت بحجتها قال الشعبي للزوج: هل عندك من مدفع، فأنشأ «فتن الشعبي» الأبيات - ثم دخل الشعبي على عبد الملك فلمّا نظر إليه تبسّم وقال: «فتن الشعبي لمّا رفع الطرف إليها» ثم قال له: ما فعلت بقائل هذه الأبيات؟ فقال: أوجعته ضرباً بما انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افترى به عليّ. قال: أحسنت.

«ولا يتمادى في الزّلّة» في (مختلف أخبار ابن قتيبة) قال حمّاد بن يزيد:

---

(١) عيون الأخبار ١: ١٢٨ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٦٦ - ٦٧.

شهدت أبا حنيفة وقد سئل عن محرم لم يجد إزاراً، فلبس سراويل، فقال: عليه الفدية. فقلت: سبحان الله، حدّثنا عمرو بن دينار عن جابر بن يزيد عن ابن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول في المحرم: إذا لم يجد إزاراً لبس سراويل، وإذا لم يجد نعلين لبس خفين. فقال: دعنا من هذا، حدّثنا حمّاد عن إبراهيم أنّه قال: عليه الكفارة[١].

«ولا يحصر» أي: لا يضيق صدراً (من الفيء) أي الرجوع.

«إلى الحق إذا عرفه» روى ابن قتيبة أيضاً عن أبي عوانة قال: كنت عند أبي حنيفة، فسئل عن رجل سرق ودياً. فقال: عليه القطع. فقلت له: حدّثنا يحيى بن سعيد عن ابن حبّان عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا قطع في ثمر ولا كثر. فقال: ما بلغني هذا. فقلت: فالرجل الذي أفتيته ردّه. قال: دعه، فقد جرت به البغال الشهب[٢].

«ولا تشرف نفسه على طمع» قال أبو عبدالله عليه السلام: الرشاء في الحكم هو الكفر بالله[٣].

«ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه» في الموضوعات والأحكام، قال بعضهم: إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعاً.

«وأوقفهم في الشبهات وآخذهم في الحجج» عن الشعبي قال: كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاءً شديداً. فقلت: ما أراها إلّا مظلومة. قال: وما علمك؟ قلت: لبكائها. قال: لا تفعل فإن إخوة

(١ و ٢) تأويل مختلف الحديث : ٥٢ .

(٣) الكافي ٥: ١٢٧ ح ٣ .

يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون وهم له ظالمون[١].

«وأقلّهم تبرّماً» أي: ضجراً وملالاً.

«بمراجعة الخصم» في (العيون) قدم أياس الشام وكان غلاماً فقدّم خصماً له شيخاً كبيراً إلى قاضٍ لعبد الملك، فقال له القاضي: أتقدّم شيخاً كبيراً إليّ؟ فقال أياس: الحق أكبر منه. قال: أُسكت. قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: ما أظنّك تقول حقّاً حتى تقوم. قال: أشهد ألّا إلّه إلّا الله. فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال: إقض حاجته وأخرجه من الشام لا يفسد عليّ الناس[٢].

«وأصبرهم على تكشّف الأمور» في (أذكياء ابن الجوزي) قال أبو السائب: كان ببلدنا همدان رجل مستور فأحبّ القاضي قبول قوله، فسأل عنه فزُكّي له سرّاً وجهراً، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله وأمر بأخذ خطّه في كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيها، وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود، فلمّا أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسئل عن سبب ذلك فقال: إنكشف لي أنّه مُراءٍ فلم يسعني قبول قوله، فقيل له: وكيف؟ قال: كان يدخل إليّ في كلّ يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي، فلمّا دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثاً فعلمت أنّه متصنّع فلم أقبله[٣].

«وأصرمهم» أي: أقطعهم.

«عند اتّضاح الحكم» في (الأذكياء) أيضاً: باع رجل من أهل خراسان

---

(١) ربيع الأبرار ١: ٦٩٦ ـ انتشارات الشريف الرضي ـ قم.

(٢) عيون الأخبار ١: ١٣٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) الأذكياء: ٨٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

جمالاً بثلاثين ألف درهم من وكيل زبيدة فمطله بثمنها، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له: اذهب إليه فقل له: أعطني ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقي وأخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فأْتني حتى أشاور عليك. ففعل فأعطاه ألف درهم فرجع فأخبره، فقال: عد إليه فقل له: إذا ركبت غداً فطريقك على القاضي فأحضر وأوكل رجلاً بقبض المال وأخرج فإذا جلس إلى القاضي فادَّعِ عليه بما بقي لك. ففعل، فحبسه القاضي فقالت زبيدة لهارون: قاضيك حبس وكيلي فمره لا ينظر في الحكم، فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصاً الخبر فقال للرجل: أحضر لي شهوداً حتى أُسجّل لك على الوكيل قبل ورود كتاب الخليفة، فحضر فقال للرجل: مكانك فلمّا فرغ من السجل أخذ الكتاب فقرأه فقال للخادم: قل للخليفة إنّ كتابه ورد وقد أنفذت الحكم[1].

«ممّن لا يزدهيه» أي: لا يستخّفه، قال عمر بن أبي ربيعة:

فلمّا توافقنا وسلّمت أقبلت وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا[2]

«اطراء» أي: مدح، في (الجهشياري): كان يحيى بن خالد يقول: لست ترى أحداً تكبّر في إمارة إلّا وقد دلّ على أن الذي نال فوق قدره، ولست ترى أحداً تواضع في إمارة إلّا وهو في نفسه أكثر ممّا نال في سلطانه.

«ولا يستميله إغراء» أي: تحضيض وتحريص، في (العيون) كان المغيرة بن عبيدالله الثقفي قاضياً على الكوفة فأهدى إليه رجل سراجاً من شبه وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة، فلمّا اجتمعا عنده جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول: إن أمري أضوء من السراج، فلمّا أكثر

---

(١) الأذكياء: ٧٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) لسان العرب ١٤: ٣٦١، مادة: (زها).

عليه قال: ويحك إنّ البغلة رمحت السراج فكسرته[١].

«**وأولئك قليل**» وفي رواية (التحف): «فولّ قضاءك من كان كذلك وهم قليل»[٢].

وكلامه عليه السلام مأخوذ من قوله تعالى ﴿وإنّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[٣].

«**ثم أكثر تعاهد**» وفي رواية (التحف) «تعهّد»[٤].

«**قضائه وافسح**» أي: أوسع «**له في البذل ما يزيل**» وفي رواية (التحف) «يزيح».

«**علته**» زاد في (التحف) «ويستعين به»[٥].

«**وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال**» أي: شرّهم.

«**له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا**».

قال ابن أبي الحديد: هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكّامه وأنّهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا، وأمّا أصحابنا فيقولون: إنّ عثمان كان ضعيفاً واستولى عليه أهله، وقطعوا الأمور دونه، فإثمهم عليهم وعثمان بريء منهم[٦].

قلت: لم يعلم إرادته عليه السلام لخصوص زمان عثمان، ومن أين إنّه لم يرد

---

(١) عيون الأخبار ١: ١١٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) تحف العقول: ١٣٥ و ١٣٦.

(٣) ص: ٢٤.

(٤ و ٥) تحف العقول: ١٣٦.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٦٠.

زمان جميع المتقدّمين عليه، وتشهد له كلماته عليه السلام فيهم في غير مقام، ومنها في الشقشقية، كما أن المسلم من ضعف عثمان عدم قدرته الدفع عن نفسه لمّا أجمع المهاجرون والأنصار على قتله واستحلوا دمه وخذله معاوية لحبه صيرورة دمه وسيلة لنيل الأمر إليه، وأمّا استيلاء أهله عليه فلا فمن ولّاهم وكان راضياً بأفعالهم حتى بفعل أخيه لأُمه الوليد بن عقبة الذي شرب وصلّى بالناس الصبح أربعاً في سكره وغنى في صلاته وتكلّم فيها فقال للناس: ان شئتم أزيدكم الصبح على الأربع، فلم يرد إقامة الحد عليه بعد إقامة أهل الكوفة الشهود على شربه حتى اقامه أمير المؤمنين عليه السلام عليه رغماً لأنفه.

وقال ابن عبد البر في (استيعابه) قال الحسن البصري: إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أُمية، فإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار...[1]. وقد قبل منه عثمان ذلك فعالا وان رووا أنّه أنكر قوله في الظاهر مقالاً.

وقال ابن أبي الحديد نفسه في موضع آخر: مرّ أبو سفيان أيّام عثمان بقبر حمزة، فضربه برجله وقال: يا أبا عمارة! إنّ الأمر الّذي اجتلدنا عليه بالسيف، أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به[2].

وأما ما نقله عن أصحابه من كون إثمهم عليهم وعثمان لا إثم عليه، فقد قال محمد بن أبي بكر لمعاوية بن حديج لمّا أراد قتله وقال له: أقتلك بعثمان: ما أنت وعثمان؟! إنّ عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال تعالى

---

(١) الإستيعاب ٤ : ٨٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٣٦.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[١] فنقمنا ذلك عليه فقتلناه وحسّنت أنت له ذلك ونظراؤك فقد برّأنا الله تعالى -إن شاء الله- من ذنبه وأنت شريكه في عظم ذنبه وجاعلك على مثاله.

«ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً» في (العيون) عن معمّر: قال والي اليمن لابن شبرمة: قد دعيت لأمر عظيم للقضاء. قال: ما أيسر القضاء. فقال له ابن شبرمة: فنسألك عن شيء يسير منه. قال: سل. قال: ما تقول في ضرب بطن شاة حامل فألقت ما في بطنها. فسكت الرجل فقال له: انّا بلوناك فما وجدنا عندك شيئاً. قال: فما القضاء فيها. فقال: تقوّم حاملاً وحائلاً ويغرم قدر ما بينهما[٢].

هذا، و(فيه أيضاً) كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل: ما تقول في رجلين زوج كلّ واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد امرأته ولد ما قرابة بين الولدين، فلم يعرفها فقال له يحيى: كلّ واحد من الولدين عم الآخر لأمه[٣].

«ولا تولّهم محاباة» قال (الجوهري): الحباء العطاء، قال الفرزدق: «وإليه كان حبا جفنة ينقل» وحابيته في البيع محاباة[٤].

«وأثرة» بفتحتين، أي: استبداداً.

في (العيون): السلطان الحازم ربما أحبّ الرجل فأقصاه واطّرحه مخافة ضرّه فعل الذي يلسع الحية إصبعه فيقطعها لئلّا ينتشر سمّها في جسده، وربّما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده

---

(١) المائدة: ٤٧.

(٢ و ٣) عيون الأخبار ١: ١٣١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) الصحاح ٦: ٢٣٠٨.

عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه.

وفي (العقد) ـ في مجاوبة ابن عباس ومعاوية ـ قال معاوية لابن عباس: استعملك عليٌّ على البصرة وقد استعمل أخاك عبيد الله على اليمن واستعمل أخاك قثماً على المدينة، فلمّا كان من الأمر هنأتكم ما في أيديكم ولم أكشفكم عمّا وعت غرائزكم ـ إلى أن قال ـ فقال له ابن عباس: وأمّا استعمال عليٍّ عليه السلام إيّانا فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لنفسك منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وبسر بن أرطأة على اليمن فخان، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا[1].

«فانهم» هكذا في (المصرية) وهو غلط والصواب: (فانهما) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[2]، والضمير راجع إلى المحاباة والأثرة، وبه صرّح في رواية (التحف ففيه): «فإنّ المحاباة والأثرة»[3].

«جِماعٌ من شعب الجور والخيانة» وفي رواية (التحف) «جماع الجور والخيانة، وإدخال الضرورة على الناس، وليست تصلح الأمور بالإدغال»[4].

في (العيون): قدم بعض عمّال السلطان من عمل فدعا قوماً فأطعمهم وجعل يحدثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال عزّوجلّ: ﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت﴾[5].

وفيه: ولي حارثة بن بدر «سرّق» فكتب إليه أبو الأسود الدّؤَلي:

أحار بن بدر قد وليت ولاية	فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
وبارز تميماً بالغنى إنّ للغنى	لساناً به المرء الهيوبة ينطق

(١) العقد الفريد ٤ : ٩٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٦٨ .

(٣ و ٤) تحف العقول : ١٣٧ .

(٥) عيون الأخبار ١: ١٢٢ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، والآية من سورة المائدة : ٤٢ .

فان جميع الناس اما مكذب ... يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها ... وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
ولا تحقرن يا حار شيئاً أصبته ... فحظك من ملك العراقين سرّق

فقال حارثة: لا يعمى عليك الرشد[١].

وكان عبيد الله بن أبي بكرة قاضياً وكان يميل في الحكم إلى اخوانه، فقيل له في ذلك فقال: وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه[٢]!؟

وفي (كامل الجزري): ان أهل أفريقية كانوا أطوع أهل البلدان إلى زمن هشام وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما يجني العمّال، فقال لهم أهل العراق الذين دبّوا فيهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا: حتى نختبرهم، فخرج ميسرة في بضع وعشرين رجلاً فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم، فدخلوا على الأبرش فقالوا: أبلغ الخليفة أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا غنمنا نفلهم وحرمنا ويقول: هذا أخلص لجهادكم، وإذا حاصرنا مدينة قَدَّمنا وأخَّرهم ويقول: هذا ازدياد في الأجر، ثم إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء الأبيض للخليفة فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك، ثم إنّهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي الخليفة هذا؟ فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم فرجعوا وخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على أفريقية[٣].

وفي (المروج): ركب أحمد بن الخصيب وزير المنتصر ذات يوم فتظلّم

---

(١) عيون الأخبار ١: ١٢٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، معجم البلدان للحموي ٣: ٢١٤ بتفصيل أكثر وتغيير في ترتيب الأبيات، إضافة إلى أبيات جوابية لحارثة. فراجعها إن شئت.

(٢) عيون الأخبار ١: ١٣٨ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ٣: ٩٢ ـ ٩٣، (عام ٢٧).

إليه متظلم بقصة، فأخرج رجله من الركاب فزجّ بها في صدر المتظلم فقتله[١]، فتحدّث الناس بذلك فقال بعض الشعراء:

قل للخليفة يا ابن عمّ محمّد أشكل وزيرك إنّه ركّال

(وفيه): كان المنصور جالساً في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته مدينة المنصور مشرفاً على دجلة ـ وكان بنى على كلّ باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه المعقود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد أوّلها باب الدولة باب خراسان ثم باب الشام ثم باب الكوفة ثم باب البصرة كل تلقاء بلده ـ يوماً إذ جاءه سهم عائر حتى سقط بين يديه، فذعر فأخذه فإذا عليه مكتوب «همذان منها رجل مظلوم في حبسك» فبعث من فوره ففتشوا الحبوس فوجدوا شيخاً في بنية من الحبس فيه سراج يسرج وعلى بابه بارية مسبلة، وإذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾[٢] فسألوه عن بلده فقال «همذان» فحمل ووضع بين يدي المنصور فسأله فقال: أنا رجل من أرباب نعم همذان، ولي ضيعة في بلدي تساوي ألف ألف درهم أراد وإليك أخذها منّي فامتنعت فكبّلني في الحديد وحملني وكتب إليك إنّه عاص فطرحت في هذا المكان. فقال: منذ كم؟ قال: مذ أربعة أعوام، فأمر بفكّ الحديد عنه وقال له: رددت عليك ضيعتك بخراجها ما عشتّ وعشتُ[٣].

«وتوخَّ» أي: تحرَّ.

«منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام

---

(١) مروج الذهب ٤ : ٤٨ .

(٢) الشعراء: ٢٢٧ .

(٣) مروج الذهب ٣ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

المتقدمة) صفة القدم بفتحتين فإنّها مؤنّث، قال ذو الرّمّة:

لكــم قــدم لا يــنكر النــاس أنّــها مع الحسب العادي تطمُّ على البحر

في (ابن خلكان): لمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس: إن أردت أن يكون عملك خيراً كلّه فاستعمل أهل الخير. فقال عمر: كفى بي موعظة[1].

«فإنّهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً وأقلُّ في المطامع اشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً» زاد في رواية (التحف) **«من غيرهم فليكونوا أعوانك على ما تقلّدت»**[2].

في (العيون): أحضر الرشيد رجلاً ليولّيه القضاء فقال له: إنّي لا أُحسن القضاء ولا أنا فقيه. فقال له: فيك ثلاث خصال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة، ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قلّ خطأه، وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به؛ فولي فما وجدوا فيه مطعناً[3].

وفي (الجهشياري): كان يحيى بن خالد يقول لولده: لابدّ لكم من كتّاب وعمّال وأعوان فاستعينوا بالأشراف، وإيّاكم وسفلة الناس فإنَّ النعمة على الأشراف أبقى وهي بهم أحسن والمعروف عندهم أشهر والشكر منهم أكثر.

وفي (الطبري): قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: قال لي المعتصم: في قلبي أمر أنا مفكّر فيه منذ مدّة طويلة. فقلت: يا سيدي! فإنّي إنّما عبدك وابن عبدك. قال: نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا، واصطنعت أنا

---

(١) وفيات الأعيان ٢: ٥٠٩ ـ دار صادر ـ بيروت.

(٢) تحف العقول: ١٣٧.

(٣) عيون الأخبار ١: ٧١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

أربعة لم يفلح أحد منهم. قلت: ومن الذين اصطنعهم أخوك. قال: طاهر بن الحسين؛ فقد رأيت وسمعت، وعبدالله بن طاهر فهو الرجل الذي لم يُرَ مثله، وأنت فأنت والله لا يعتاض السلطان منك أبداً، وأخوك محمد وأين مثل محمد، وأنا اصطنعت الافشين فقد رأيت إلى ما صار أمره، واشناس ففشل آيه، وإيتاخ فلا شيء، ووصيف فلا مغنى فيه. فقلت: أجيب على أمان من غضبك؟ قال: قل. قلت: نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها، واستعملت فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها. قال: يا إسحاق! لمقاساة ما مرّ بي من طول هذه المدة أسهل عليّ من هذا الجواب[1].

«ثم أسبغ» أي: أكمل.

«عليهم الأرزاق فإن ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا» أي: أوقعوا خللاً.

«أمانتك» في (العيون) كان بعض ملوك العجم إذا شاور مرازبته فقصّر في الرأي دعا الموكّلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطئ مرازبتك وتعاقبنا؟! فيقول: نعم. إنّهم لم يخطؤوا إلّا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطؤوا، وكان يقول: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنّت[2].

«ثم تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإنَّ تعاهدك في السرِّ لأمورهم حدوة» أي: سوق لهم.

«على استعمال الأمانة والرفق بالرعية» في (تاريخ اليعقوبي): كتب أمير المؤمنين إلى كعب بن مالك: أمّا بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمرّ بأرض كورة السواد فتسأل عن عمّالي وتنظر

---

(١) تاريخ الطبري ٩ : ١٢٢ ـ دار سويدان ـ بيروت .

(٢) عيون الأخبار ١: ٨٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب، ثم ارجع إلى البهقباذات فتولّ معونتها واعمل بطاعة الله في ما ولّاك منها، واعلم أنّ كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزيٌّ به، فاصنع خيراً ـ صنع الله بنا وبك خيراً ـ وأعلمني الصدق فيما صنعت[1].

«وتحفّظ» بلفظ الأمر من التحفظ.

«من الأعوان فإنْ أحدٌ منهم بسط يده خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله» شرط عليه‌السلام اجتماع أخبار العيون ليأمن بذلك من التصنّع.

وفي (وزراء الجهشياري): صرف المنصور خالد بن برمك عن الديوان وقلّده أبا أيوب وقلّد خالداً فارس، فأقام بها خالد سنين وأبو أيوب يسعى عليه ويحضُّ المنصور على مكروهه ويسعى به ليسقطه من عينه لأنّه كان يعرف فيه من الفضل ما يتخوفه على محله وأن يرده المنصور إلى الديوان الذي كان يتقلده، فلمّا كثر ذلك على المنصور صرف خالداً عن فارس ونكبه وألزمه ثلاثة ألف ألف درهم فلم يكن عنده إلّا سبعمائة ألف درهم، فصدقه عن ذلك فلم يصدقه وأمر بمطالبته بالمال فأسعفه صالح صاحب المصلّى بخمسين ألف دينار وأسعفه مبارك التركي بألف ألف درهم ووجهت الخيزران بجوهر قيمته ألف ألف ومائتا ألف درهم رعاية للرضاع بين الفضل ابن ابنه وبين هارون ابنها، واتصل ذلك بالمنصور فتحقق عنده قوله أنّه لا يملك إلّا ما حكى، فصفح له عن المال فشق ذلك على أبي أيوب وأحضر بعض الجهابذة ودفع إليه مالاً وأمره أن يعترف أنّه لخالد، ودسّ إلى المنصور من سعى بالمال، فأُحضر الجهبذ فسئل عن المال فاعترف به فأحضر خالداً فسأله عن ذلك فحلف أنّه لم

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٤.

يجمع مالاً قط ولا ادّخره وانّه لا يعرف هذا الجهبذ ودعا إلى كشف الحال. فتركه المنصور بحضرته وأحضر النصراني فقال له: أتعرف خالداً إن رأيته؟ قال: نعم. فالتفت المنصور إلى خالد وقال: قد أظهر الله براءتك وهذا مال أصبناه بسببك. ثم قال للنصراني: هذا الجالس خالد فكيف لم تعرفه. فقال؛ الأمان وأخبره الخبر، فكان بعد ذلك لا يقبل من أبي أيوب شيئاً في خالد....

وأما مع الإجتماع فلا تحصل التوطئة.

في (الجهشياري): كان موسى بن عيسى الهاشمي يتقلّد للرشيد وكثر التظلم منه واتصلت السعايات به، وقيل انّه قد استكثر من العبيد والعدة، فقال الرشيد ليحيى: أُطلب لي كاتباً عفيفاً يكمل لمصر ويستر خبره فلا يعلم موسى حتى يفجأه قال: قد وجدته. قال: من هو؟ قال: عمر بن مهران ـ وكان يكتب للخيزران ولم يكتب لغيرها قط وكان من عينيه أحول مشوه الخلق خسيس اللباس ـ فأمر بإحضاره فعرّفه يحيى ما جرى وراح به الرشيد. قال: فاستدناني ونحّى الغلمان وأمرني أن استر خبري حتى أُفاجئ موسى فأتسلّم العمل منه. فأعلمته انّه لا يقرأ لي ذكراً في كتب أصحاب الأخبار حتى أُداني مصر. ثم كتب لي كتاباً بخطه إلى موسى بالتسيلم، فعدت إلى منزلي فخرجت منه من غد بكرة على بغلة لي ومعي غلام أسود على بغلٍ استأجرته معه خُرجٌ فيه قميص ومبطنة وطيلسان وشاشية وخف ومفرش صغيرة، واكتريت لثلاثة من أصحابي أثق بهم ثلاثة أبغل مياومة وليس يعرف أحد خبري من أهل البلدان التي أمرّ بها في نزولي ونفوذي، حتى وافيت الفسطاط فنزلت جناباً وخرجت منه وحدي في زي متظلّم تاجر، فدخلت دار الإمارة وديوان البلد وبيت المال وسألت وبحثت عن الأخبار وجلست مع المتظلّمين وغيرهم، فمكثت ثلاثة أيام أفعل ذلك حتى عرفت جميع ما احتجت إليه، فلمّا

نام الناس في ليلة اليوم الرابع دعوت أصحابي فقلت للّذي أردت استكتابه على الديوان: قد رأيت مصر وقد استكتبتك على الديوان فبكّر إليه فاجلس فيه، فإذا سمعت الحركة فاقبض على الكاتب ووكّل به وبالكتّاب والأعمال ولا يخرج أحد من الديوان حتى أوافيك، ودعوت بآخر فقلّدته بيت المال وأمرته بمثل ذلك، وقلّدت الآخر عملاً بالحضرة، وبكّرت فلبست ثيابي ووضعت الشاشية على رأسي ومضيت إلى دار الإمارة، فأذن موسى للناس إذناً عاماً فدخلت فيمن دخل، فاذا موسى على فرش والقوّاد وقوف عن يمينه وشماله والناس يدخلون فيسلّمون ويخرجون وأنا جالس بحيث يراني ويقيمني حاجبه ساعة بساعة ويقول لي تكلّم بحاجتك، فأعتلّ عليه حتى خفّ الناس، فدنوت منه وأخرجت إليه كتاب الرشيد فقبّله ووضعه على عينه ثم قرأه فامتقع لونه وقال: السّمع والطاعة تقرئ أبا حفص السلام وتقول له ينبغي أن تقيم بمنزلك حتى نعدّ لك منزلاً يشبهك ويخرج غداً أصحابنا يستقبلونك فتدخل مدخل مثلك فقلت له: أنا عمر بن مهران وقد أمرني الخليفة بإقامتك للناس وانصاف المظلوم منك وأنا فاعل ذلك، فمن أوضح ظلامته ووجب له عليك حق غرمته عنك من مالك، ومن وجدته كاذباً عاملته بحسب ما يستحقه. فقال: أنت عمر بن مهران. قلت: نعم. فقال: لعن الله فرعون حيث يقول: «أليس لي ملك مصر» واضطرب الصوت في الدار فقبض كاتبي على الديوان وصاحبي الآخر على بيت المال وختما عليهما ووردت عليه رقاع أصحاب أخباره بذلك، فنزل عن فرشه وقال: لا إلّه إلّا الله هكذا تقوم الساعة، ما ظننت أن أحداً بلغ من الحزم والحيلة ما بلغت، قد تسلّمت الأعمال وأنت في مجلسي. ثم نهضتُ إلى الديوان فقطعت أمور المتظلمين منه وأزلتُ ظلاماتهم.

«ثم نصبته» أي: أقمته.

«بمقام الذلّة ووسمته» من وسم دابته بالميسم، قال الفرزدق:

لقد قلّدت جلف بني كليب ... مواسم في السوالف ثابتات

أيضاً:

إنّي امرؤٌ أَسِمُ القصائد للعدا ... إنّ القصائد شرّها أغفالها[1]

«بالخيانة وقلّدته» أي: جعلته كقلادة في عنقه.

«عار التّهمة» في (العيون): قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه: إجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فإذا لم يطمع منك في الصغير لم يجترئ عليك في الكبير[2].

وقرأت أنّ ابرويز قال لصاحب بيت المال: إنّي لا أحتملك على خيانة درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم لأنّك إنّما تحقن بذلك دمك وتعمر به أمانتك فإنّك إن خنت قليلاً خنت كثيراً.

وفي (وزراء الجهشياري): حكي أنّ الجور كثر في أيام أنوشروان، فقال له موبدان: أيّها الملك! إنّي سمعت فقهاءنا يقولون: إنّه متى لم يغمر العدل الجور في بلدة ابتلي أهلها بعدوٍّ يغزوهم، وخيف تتابع الآفات، وقد خفنا ذلك بشيء فشا من الجور، فنظر أنوشروان في ذلك فاستقرّ عنده أنّ ظلماً وجوراً قد جرى، فصلب ثمانين رجلاً؛ من الكتّاب خمسين، ومن العمّال ثلاثين.

هذا، وصدِّيقهم كان بالضدِّ من ذلك، فإن سيفه خالد بن الوليد قتل مسلماً ظلماً وزنى بامرأته فابلغ صديقهم بعض من مع خالد هذه الخيانة العظمى التي لا خيانة أعظم منها، فغضب على المبلِّغ وردَّه إلى الخائن. وحتى أن عمر مع كونه كنفس واحدة مع أبي بكر أنكر ذلك عليه وألحَّ عليه في

---

(١) أساس البلاغة: ٤٩٩، مادة: (و هم).

(٢) عيون الأخبار ١: ١٢٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

مؤاخذة خالد فلم يفعل أبو بكر وقال: لا أشيم هذا السيف.

ففي (الطبري): ان خالداً لمّا قتل مالك بن نويرة وقال له أبو قتادة هذا عملك زبره خالد فغضب أبو قتادة وأتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر حتى كلّمه عمر فيه فلم يرض إلّا أن يرجع إلى خالد، فرجع إلى خالد حتى قدم المدينة مع خالد -إلى أن قال- وأقبل خالد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثم قال له: قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنّك بأحجارك، وخالد لا يكلّمه ولا يظنّ إلّا أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فلمّا أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عمّا كان في حربه تلك، فخرج خالد حين رضي أبو بكر عنه وعمر جالس في المسجد فقال لعمر: هلمّ إليّ يا ابن أُمّ شلمة، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه ودخل بيته[١].

«وتفقّدْ أمر الخراج بما يُصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلّا بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله».

في (العيون) قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرَوَيه: انتخب لخراجك أحد ثلاثة: إمّا رجلاً يظهر زهداً في المال ويدّعي ورعاً في الدين فإنّ من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفّر الخراج واجتهد في العمارة، فإن هو لم يرع ولم يعفّ إبقاءً على دينه ونظراً لأمانته كان حريّاً أن يخون قليلاً ويوفر كثيراً استسراراً بالرِّياء واكتتاماً بالخيانة، فإن ظهرتَ على ذلك منه عاقبته على ما خان ولم تحمده على ما وفّر، وإن هو جلح في الخيانة

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٧٨ ـ دار سويدان ـ بيروت.

وبارز بالرّياء نكّلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس، وإمّا رجلاً عالماً بالخراج غنيّاً في المال مأموناً في العقل؛ فيدعوه علمه بالخراج إلى الإقتصاد في الجلب والعمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه إلى العفة، ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة ممّا يضرّه، وإمّا رجلاً عالماً بالخراج مأموناً بالأمانة مقتراً من المال فتوسّع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق، ويستكثر لفاقته اليسير، ويزجي بعلمه الخراج، ويعفّ بأمانته عن الخيانة[1].

هذا، وفي كتاب (فضل هاشم على عبد شمس) للجاحظ قال هاشم: لو لم يكن من بركة دعوتنا إلّا أنّ تعذيب الامراء لعمال الخراج بالتعليق والرهق والتجريد والتسهير والمسال والنورة والجورتين والعذراء والجامعة والتشطيب قد ارتفع لكان ذلك خيراً كثيراً.

«وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلّا قليلاً» في (الجهشياري): في عهد سابور بن أردشيرابنه: واعلم أنّ قوام الملك بدرور الخراج ودروره بعمارة البلاد، وبلوغ الغاية فيذلك يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم والمعاونة لهم، فإنّ بعض الأمور لبعضٍ سبب، وعوام الناس لخواصهم عدة، وبكلّ صنف منهم إلى الآخر حاجة، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتّابك وما يكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية، وأسند إلى كلّ امرئٍ شقصاً يضطلع به....

وفي (المروج): أقبل بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكّر في مهلكه ولا ينظر في

(١) عيون الأخبار ١: ٧٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

أمور رعيته، وأقطع الضّياع لخواصه ومن لاذ به من خدمه وحاشيته، فخربت الضّياع وخلت من عمّارها، فقلّت العمارة إلّا ما أقطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بممايلة الوزراء وخواص الملك، وكان تدبير الملك مفوّضاً إلى وزرائه، فخربت البلاد وقلّ ما في بيوت الأموال فضعف القويُّ من الجنود وهلك الضعيف منهم، فلمّا كان في بعض الأيام ركب الملك إلى بعض متنزهاته وصيده فجنّه الليل وهو يسير نحو المدائن -وكانت ليلة قمراء- فدعا بالموبذان لأمر خطر بباله فلحق به وسايره وأقبل على محادثته مستخبراً له عن سير أسلافه، فتوسطوا في مسيرهم خرابات كانت من أُمَّهات الضّياع قد خربت في مملكته ولا أنيس بها إلّا البوم، وإذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات، فقال الملك للموبدان: أترى أحداً من الناس أُعطي فهم منطق هذا الطير المصوّت في هذا الليل الهادئ. فقال له الموبدان: أنا ممّن خصه اللّه بفهم ذلك، فقال له: فما يقول هذا الطائر؟ وما الذي يقول الآخر؟ قال الموبدان: هذا بوم ذكرٌ يخاطب بومة ويقول لها: أمتعيني من نفسك حتى يخرج منّا أولاد يسبّحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحُّم علينا، فأجابته البومة: إن الذي دعوتني إليه هو الحظّ الأكبر إلّا أنّي اشترط عليك خصالاً. قال: وما تلك؟ قالت: أُولاها أن تعطيني من خرابات أُمَّهات الضياع عشرين قرية ممّا قد خرب في أيام هذا الملك السعيد. فقال له الملك: فما الذي قال لها الذكر؟ قال: قال: إن دامت أيام هذا الملك السعيد أعطيتك ممّا يخرّب من الضياع ألف قرية فما تصنعين بها؟ قالت: نقطع كلّ واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات. قال لها: هذا أسهل أمر فهاتي ما بعد ذلك. فلمّا سمع الملك هذا الكلام من الموبذان استيقظ من نومه وفكّر فيما خوطب به، فنزل من ساعته وخلا بالموبذان فقال له: أيُّها القيّم بالدّين

والناصح للملك، اكشف لي عن هذا الغرض الذي رميت. قال: أيّـها المـلك! إن المُلكَ لايتمّ عزّه إلّا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلّا بالملك، ولا عزّ للملك إلّا بالرجال، ولا قوام للـرجـال إلّا بالمال، ولا سبيل للمال إلّا بالعمارة، ولا سبيل للـعمارة إلّا بـالعدل، والعـدل الميزان المنصوب بين الخلق نصبه الرب. قال الملك: أمّا ما وصفت فحقٌّ فأَبِنْ لي عمّا تقصد، وأوضح لي في البيان. قال نعم أيها الملك. عمدتَ إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمّارها وهم أرباب الخراج ومن يؤخذ منهم الأموال فأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطانة، فعمدوا إلى ما تـعجّل مـن غـلاتها وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع، وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمّار الضياع فانجلوا عن ضياعهم ورحلوا عن ديارهم واووا إلى مـا تـعزّز مـن الضـياع بأربابه فسكنوه، فقلّت العمارة وخربت الضياع وقلّت الأموال فهلكت الجنود والرعية وطمع في ملكنا من طاف بها من الأُمم لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك. فلمّا سمع الملك ذلك أقام في مـوضعه ثـلاثاً وأحـضر الوزراء والكتّاب وأرباب الدواوين، وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع مـن أيدي الخاصة والحاشية، ورُدّت على أربابها على رسومهم السالفة، وأخذوا في العمارة فأخصب البلاد وكثرت الأموال عند جباية الخراج، وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء وشحنت الثغور، وأقبل الملك يباشر الأُمور بنفسه في كلّ وقت، فحسنت أيامه حتى كانت تدعى عيداً لمّا عمّ النـاس مـن الخـصب وشملهم من العدل[1].

وقال ابن أبي الحديد: رفع إلى أنو شروان أنّ عامل الأهواز قد حمل من

---

(١) مروج الذهب ١: ٢٧٥ ـ ٢٧٨.

مال الخراج ما يزيد على العادة ـ وربّما يكون ذلك قد أجحف بالرعية ـ فوقّع بردّ هذا المال على من استوفي منه، فإنّ تكثير الملك ماله بأموال رعيّته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه[1].

«فإنْ شَكَوْا ثقلاً في الخراج، أو علّة أو انقطاع شرب أو بالّة» أي: قلّة شرب، يقال ما في سقائه بلال، وهو ما يبلّ به، ويقال: «لا يبلّك عندي بالّة» أي: لا يصيبك مني شيء حتى قليل، وفسّره (ابن أبي الحديد) بالمطر[2] فلابدّ أنّه قرأها مجرورة عطفاً على «شرب» ولم نقف على من فسر البالة بالمطر.

وكيف كان فرواية (التحف) خالية من الكلمة كما أنها بدلت بـ«أو انقطاع شرب» بقوله «من انقطاع شرب» وهو الأصح حتى يكون انقطاع الشرب كالذي بعده «إحالة الأرض» بياناً للعلة، ففي الرواية «فإن كانوا شكوا ثقلاً أو علّة من انقطاع شربٍ أو إحالة أرض»[3].

«أو إحالة أرض» أي: تغيّرها عن سابقها.

«اغتمرها غرق أو أجحف» أي: أضرّ وذهب.

«بها عطش خففت» جواب «فإنْ شَكَوا».

«عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم» وزاد في رواية (التحف). «وإن سألوا معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مؤونته، فإنّ في عاقبة كفايتك إيّاهم صلاحاً»[4].

وفي (تاريخ اليعقوبي): إنّه عليه السلام كتب إلى قرظة بن كعب الأنصاري: أمّا بعد فإنّ رجالاً من أهل الذمّة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفى وادّفن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٧١ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٧٢ .

(٣) تحف العقول : ١٣٨ .

(٤) تحف العقول : ١٣٨ .

وفيه لهم عمارة على المسلمين فانظر أنت وهم واعمر وأصلح النهر، فلعمري لئن يعمروا أحبّ إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا أو يقصّروا في واجب من صلاح البلاد[١].

في (وزراء الجهشياري): زاد الماء في أيام الرشيد ـ وكان غائباً في بعض متصيّداته ـ ويحيى البرمكي ببغداد، فركب يحيى ومعه القوّاد ليفرّقهم على المواضع المخوفة من الماء يحفظونها، ففرّق القوّاد وأمر بإحكام المسنّيات وصار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوّة الماء وكثرته، فقال قوم: ما رأينا مثل هذا المدّ. فقال يحيى: قد رأيت مثله في سنة كان أبو العباس أبي قد وجّهني عمارة بن حمزة في أمر رجل كان يُعنى به من أهل خراسان وكانت له ضياع بالريّ، فورد عليه كتابه يعلمه أن ضياعه تحيّفت فخربت، وإنّ نعمته قد نقصت وإنّ صلاح أمره في تأخيره بخراجه لسنته ـ وكان مبلغه مائتي ألف درهم ـ ليتقوّى بها على عمارة ضيعته ويؤديه في السنة المستقبلة، فلمّا قرأ الكتاب غمّه وبلغ منه وكان بعقب ما ألزمه المنصور من المال الذي خرج عليه فخرج به عن كلّ ما يملكه واستعان بجميع إخوانه فيه، فقال لي: يا بني! مَنْ هاهنا يُفزع إليه في أمر هذا الرجل فقلت: لا أدري. فقال: بلى. عمارة بن حمزة، فصر إليه وعرّفه حال الرجل، فصرت إليه وقد مدت دجلة وكان ينزل الجانب الغربي، فدخلت عليه وهو مضطجع على فراشه، فأعلمته ذلك فقال: قف لي غداً بباب الجسر. ولم يزد على ذلك فنهضت ثقيل الرجلين وعدت إلى أبي بالخبر. فقال: يا بني تلك سجيّته، فإذا أصبحت فاغد لموعده، فغدوت فوقفت بباب الجسر وقد جاءت دجلة تلك الليلة بمدٍّ عجيب قطع الجسور وانتظم الناس من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادة الماء، فبينا أنا واقف أقبل زورق والموج

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٣.

يخفيه مرة ويظهره أُخرى والناس يقولون: غرق غرق نجا نجا، حتى دنا من الشاطئ فإذا عمارة وملّاح معه وقد خلّف غلمانه ودوابّه في الموضع الذي ركب منه، فلمّا رأيته نبل في عيني وملأ صدري، فنزلت فعدوت إليه وقلت: جعلت فداك في هذا اليوم! وأخذت بيده. فقال: أكنت أعدك وأُخلف يا بن أخي، أُطلبْ لي برذوناً أتكاراه. فقلت له: فاركب برذوني. قال: فأيّ شيء تركب. قلت: برذون الغلام. فقال: هات فركب وتوجّه يريد أبا عبيدالله وهو إذ ذاك على الخراج، والمهدي ببغداد خليفة للمنصور والمنصور في بعض أسفاره، فلمّا طلع عمارة على حاجب أبي عبيد الله دخل بين يديه إلى نصف الدار، فلمّا رآه أبو عبيدالله قام من مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأعلمه عمارة حال الرجل وسأله إسقاط خراجه وهو مائتا ألف درهم، وإسلامه من بيت المال مائتي ألف درهم يردّها في العام المقبل. فقال؛ هذا لا يمكنني، ولكنّي أؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال: لست أقبل غير ما سألت. فقال له: فاقنع بدونه لتوجد لي السبيل إلى قضاء الحاجة، فأبى عمارة وتلوّم أبو عبيدالله قليلاً، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيدالله بكمّه وقال: إنّي أتحمل ذلك من مالي، فعاد لمجلسه وكتب أبو عبيدالله إلى عامل الخراج بإسقاط خراج الرجل لسنته والإحتساب به على أبي عبيدالله وإسلافه مائتي ألف درهم ترتجع منه العام المقبل، فأخذت الكتاب وخرجنا، فقلت: لو أقمت عند أخيك ولم تعبر في هذا المد. فقال: لست أجد بدّاً من العبور، فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر.

«ولا يثقلنّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجّحك» بتقديم الجيم أي: تفاخرك، يقال «النساء يتباجحن فيما بينهن» إذا

تفاخرن بينهن بعد حظوتهن.

«باستفاضة» أي: شيوع العدل.

«فيهم».

في (الجهشياري): قال الجاحظ قال ثمامة: كان أصحابنا يقولون: لم يكن يرى لجليس خالد البرمكي دار إلّا وخالد بناها له، ولا ضيعة إلّا وخالد ابتاعها له، ولا ولد إلّا وخالد ابتاع أُمّه إن كانت أمة أو أدّى مهرها إن كانت حرّة، ولا دابة إلا وخالد حمله عليها اما من نتاجه أو من غير نتاجه، وكان أوّل من سمّى المستميحين الزوّار، وكانوا من قبل يسمّون السؤّال، فقال: أستقبح لهم هذا الإسم وفيهم الأحرار والأشراف، فقال بعضهم:

حذا خالد في جوده حذو برمك ... فجود له مستطرف وأثيل
وكان بنو الأعلام يدعون قبله ... باسم على الاعدام فيه دليل
فسمّاهم الزوّار ستراً عليهم ... فأستاره في المجتدين سدول

«معتمداً فضل قوتهم» الظاهر كون «معتمداً» حالا من «خففت».

«بما ذخرت عندهم من إجمامك» أي: إراحتك، من أجمّ الفرس إذا ترك أن يركب، أو من «استجمَّ البئرَ» إذا تركها حتى يجتمع ماؤها.

«والثّقة منهم» الظاهر كونه عطفاً على «فضل قوتهم».

«بما عوّدتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم».

في (وزراء الجهشياري): كان أهل الخراج قبل خلافة المهدي يعذّبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنانير، فلمّا تقلّد الخلافة شاور محمد بن مسلم ـ وكان خاصّاً به ـ فيهم فقال له: هذا موقف له ما بعده وهم غرماء المسلمين فالواجب أن يطالبوا مطالبة الغرماء، فتقدم المهدي إلى وزيره أبي عبيدالله بالكتاب إلى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج.

«فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعدُ احتملوه طيّبة أنفسهم به» لتخفيفك المؤونة عنهم وإفاضة العدل فيهم وتسبيبك عمران بلادهم **«فإن العمران محتمل ما حمّلته»** من الأثقال.

وفي (المروج) في مكاتبات أردشير التي حفظت هذه: من أردشير بن بهمن ملك الملوك إلى الكتّاب الذين بهم تدبير المملكة، والفقهاء الذين هم عماد الدين، والأساورة الذين هم حماة الحرب، والحرّاث الذين هم عمرة البلاد. سلام عليكم. قد رفعنا أتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا، ونحن كاتبون إليكم بوصية فاحفظوها، ولا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو، ولا تحبوا الإحتكار فيشملكم القحط، وكونوا لأبناء السبيل مأوىً ترووا غداً في المعاد، وتزوجوا في الأقارب فإنّه أمس للرحم وأقرب للنسب، ولا تركنوا للدنيا فإنّها لا تدوم لأحد، ولا تهتمّوا لها فلم يكن إلا ما شاء الله، ولا ترفضوها مع ذلك فإنّ الآخرة لا تنال إلّا بها[1].

«وإنّما يُؤتى خراب الأرض من إعواز» أي: افتقار.

«أهلها، وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنّهم بالبقاء» على العمل.

«وقلّة انتفاعهم بالعبر» من الدنيا.

وزاد في رواية (التحف) «فاعمل فيما ولّيت عمل من يحبّ أن يدّخر حسن الثناء من الرعية، والمثوبة من الله تعالى، والرضا من الإمام، ولا قوة إلّا بالله»[2].

في (الطبري): كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد أنّ أهل الكوفة قد

---

(١) مروج الذهب ١ : ٢٧٢.

(٢) تحف العقول : ١٣٨.

أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله وسنّة خبيثة استنّها عليهم عمّال السوء، وأنّ قوام الدين؛ العدل والإحسان، فلا يكوننّ شيء أهمّ إليك من نفسك فإنّه لا قَلِيلَ من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب، اُنظر الخراج فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذ من العامر وظيفة الخراج إلّا في رفق، ولا تأخذنّ في الخراج إلّا وزن سبعة ليس لها آيين، ولا أجور الضرّابين ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج ولا أجور البيوت، ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم[1].

وفي (الجهشياري): كان الحجّاج حمل إلى عبد الملك هدية ومالاً عظيماً، فلمّا نظر إلى المال والهدية قال: هذا والله الأمانة والحزم والنصيحة، إنّي استعملت هذا ـ وأشار إلى خالد بن عبدالله بن أسيد ـ على البصرة فاستعمل كلّ فاسق فجبى عشرة واختان تسعة ورفع إلى هذا درهماً ودفع هذا من الدرهم إليَّ سدساً، واستعملت هذا ـ وأشار إلى أخيه أُمية ـ على خراسان وسجستان فبعث اليّ بمفتاح من ذهب زعم انّه مفتاح مدينة، وبفيل وبرذونين حطيمين، واستعملت الحجاج ففعل كذا فإن استعملتكم ضيّعتم وإذا عزلتكم قلتم قطع أرحامنا، فقال خالد: استعملتني على البصرة وأهلها رجلان: مطيع ناصح ومخالف مشايح، فأمّا المطيع فإنّي جزيته بطاعته فازداد رغبة، وأمّا المخالف فإنّي داويت عداوته واستللت ضغينته وحشوت صدره ودّاً، وعلمت أنّي متى أُصلح الرجال أَجْبِ الأموال، واستعملتَ الحجّاج فجبى لك الأموال وكنز العداوة في قلوب الرجال فكأنّك بالعداوة الّتي كنزها قد ثارت وأنفقت الأموال ولا مال ولا رجال. فسكت عبد الملك، فلمّا كان هيج الجماجم جلس عبد الملك على باب ذي الأكارع ومعه خالد يندب الناس إلى الفريضة ويتأمّل

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٦٩ ـ دار سويدان ـ بيروت.

خالداً ويذكر قوله ويضحك.

«**ثم انظر في حال كتّابك**» زاد في رواية (التحف): «فاعرف حال كلّ امرئٍ منهم فيما يحتاج إليه منهم، فاجعل لهم منازل ورتباً»[1].

«**فولّ على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم**» أي: أكثرهم جمعاً متعلّق بقوله «واخصص».

«**لوجود صالح الأخلاق**» وفي رواية (التحف): «صالح الأدب» وزاد بعده «ممّن يصلح للمناظرة في جلائل الأُمور من ذوي الرأي والنصيحة والذهن، أطواهم عندك لمكنون الأسرار كشحاً»[2].

«**ممّن لا تبطره**» أي: لا تحمله على شدّة المرح.

«**الكرامة**» منك له، وزاد في رواية (التحف) «ولا تمحق به الدالّة»[3].

«**فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء**» في رواية (التحف) «فيجترئ بها عليك في خلاء، أو يلتمس إظهارها في ملاء» وروايته أنسب من رواية النهج، والظاهر أن «في خلاف» في النهج محرّف «في خلاء» وان «لك بحضرة» مصحف «أو يلتمس اظهارها في» كما لا يخفى.

في (الطبري): ظفر المنصور برجل من كبار بني أُمية فقال له: من أين أتى بنو أُمية حتى انتشر أمرهم. قال: من تضييع الأخبار.

وقالوا: الملوك تحتمل كلّ شيء إلّا التعرّض للحرمة والقدح في الملك وإفشاء السر.

في (وزراء الجهشياري): كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وآله ثم ارتدّ ولحق بالمشركين وقال: إنّ محمّداً ليكتب بما شئت، فسمع

---

(١) تحف العقول: ١٣٨.

(٢ و ٣) تحف العقول: ١٣٩.

بذلك رجل من الأنصار فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربة بالسيف، فلمّا كان يوم فتح مكة جاء به عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله ـ وكان بينهما رضاع ـ وقال: أقبل تائباً والأنصاري يطيف به ومعه سيفه، فأعاد عليه عثمان القول فمد النبي يده فبايعه وقال للأنصاري: لقد تلومتك أن توفي بنذرك. فقال: هلّا أومضت إليّ. فقال صلى الله عليه وآله: لا ينبغي لي أن أومض.

وفي (الإستيعاب) أنّه لمّا ارتدّ قال لقريش بمكة: إنّي كنت أصرف محمداً حيث أُريد، كان يملي علي «عزيز حكيم» فأقول أو «عليم حكيم» فيقول: نعم كلٌّ صواب[1].

«ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمّالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب: عنك فيما يأخذ لك» من الناس.

«ويعطي منك» لهم.

«ولا يضعف عقداً اعتقده» أي: عقده.

«لك ولا يعجز عن اطلاق» أي: حل.

«ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأُمور فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل».

في (وزراء الجهشياري): كانت ملوك فارس تسمي كتّاب الرسائل تراجمة الملوك، وكانوا يقولون لهم: لا تحملكم الرغبة وتخفيف الكلام على حذف معانيه وترك ترتيبه والإبلاغ فيه وتوهين حججه، وكان الرسم جارياً في أيّام الفرس أن تجتمع أحداث الكتّاب من نشأتهم بباب الملوك متعرّضين للأعمال، فيأمر الملك رؤساء كتّابه بامتحانهم والتفتيش عن عقولهم، فمن ارتضى منهم عرض عليه اسمه وأمر بملازمة الباب ليستعان به، ثم يأمر

---

(١) الإستيعاب ٢: ٣٧٥.

الملك بضمّهم العمال وتصريفهم في الأعمال وتنقّلهم على قدر آثارهم وكفاياتهم من حال إلى حال حتى ينتهي بكلّ واحد منهم إلى ما يستحقه من المنزلة، ولم يكن يتهيّأ لأحدٍ ممّن عرفه الملك وعرض عليه اسمه أن يتصرف مع أحد من الناس إلاّ عن أمر الملك وإذنه، وكانت الملوك تقدّم الكتّاب وتعرف فضل صنعة الكتابة وتحظي أهلها لمّا يجمعونه من فضل الرأي إلى الصناعة وتقول هم نظام الأُمور وكمال الملك وبهاء السلطان، وهم الألسنة الناطقة عن الملوك وخزّان أموالهم وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم، وكان ملوك فارس إذا أنفذوا جيشاً أنفذوا معه وجهاً من وجوه كتّابهم وأمروا صاحب الجيش ألّا يحل ويرتحل إلّا برأيه يبتغون بذلك فضل رأي الكاتب وحزمه، ثم يقول الملك للكاتب المندوب للنفوذ معه: قد علمت أن الأساورة سباع الإنس وإنّه لا عقوبة عليهم إلّا في خلع يد عن طاعة أو فشل عن لقاء أو هرب من عدو وما سوى ذلك فلا لوم عليهم فيه، وعليك أعتمد في تدبير هذا الجيش. فينفذ الكاتب مدبّراً له فإذا احتاج إلى مكاتبة بإعذار أو إنذار أو إخبار أو استخبار كتب فيه عن صاحب الجيش.

«ثم لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك» بكسر الفاء الإسم من قولك «تفرّست فيه خيراً» **«واستنامتك»** أي: سكونك سكون النائم.

«وحسن الظن منك، فإنّ الرجال يتعرّفون لفراسات الولاة بتصنُّعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء».

في (الطبري): لمّا هزم أبو مسلم عبدالله بن علي وجمع ما كان في عسكره من الأموال صيّره في حظيرة ـ وكان أصاب عيناً ومتاعاً وجوهراً كثيراً ـ فكان منثوراً في تلك الحظيرة ووكل بحفظها قائداً من قوّاده، قال أبو حفص الأزدي: فكنت في أصحابه فجعلها نوائب بيننا، فكان إذا خرج رجل من

الحظيرة فتشه، فخرج أصحابي يوماً من الحظيرة وتخلّفت، فقال لهم الأمير: ما فعل أبو حفص؟ فقالوا: هو في الحظيرة، فجاء فاطّلع من الباب وفطنت له فنزعت خفي وهو ينظر فنفضتها وهو ينظر ونفضت سراويلي وكمي ثم لبست خفي وهو ينظر، ثم قام وقعد في مجلسه وخرجت فقال: ما حبسك ؟ قلت: خير، فخلا بي فقال: قد رأيت ما صنعت فلِمَ صنعت هذا. قلت: إنّ في الحظيرة لؤلؤاً منثوراً ودراهم منثورة ونحن نتقلب عليها، فخفت أن يكون قد دخل في خفي منها شيء، فنزعت جوربي وخفي فأعجبه ذلك وقال: إنطلق، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فآخذ من الدراهم فأجعل بعضها في خفي ويخرج أصحابي فيفتشون ولا أُفتش حتى جمعت مالاً[1].

وفي (وزراء الجهشياري): كان سليمان بن عبد الملك ولّى الخراج بمصر رجلاً من موالي معاوية يقال له أُسامة بن زيد من أهل دمشق ـ وكان كاتباً بليغاً ـ فبلغه أن عمر بن عبد العزيز يغمض عليه في سيرته، فقدم على سليمان بمال اجتمع عنده وتوخّى وقتاً يكون فيه عمر عند سليمان، فقال لسليمان: إنّي ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت، فإن رأيت أن ترفق بها وترفّه عليها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها وصلاح معايشها فافعل فإنّه يستدرك ذلك في العام المقبل. فقال له سليمان: هبلتك أُمُّك إحلب الدرّ فإذا انقطع فاحلب الدم. فخرج أُسامة فوقف لعمر حتى خرج فقال له: بلغني أنّك تذمّني، سمعت مقالتي لابن عمك ومارد علي. فقال: سمعت كلام رجل لا يغني عنك من الله شيئاً، فلمّا توفي سليمان كتب عمر وهو على القبر بعزله.

«ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد» أي: أُقصد.

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤٨١ ـ دار سويدان ـ بيروت .

«لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك» أي: عمدك لمن وصف.

«دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره».

قال ابن أبي الحديد: قالوا: ليس الحرب الغشوم بأسرع في اجتياح الملك من تضييع مراتب الكتّاب حتّى يصيبها أهل النذالة، ويزهد فيها أولو الفضل[1].

«واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها» في (الوزراء) كان لملوك فارس ديوانان: أحدهما ديوان الخراج والآخر ديوان النفقات. ومن عهد سابور بن اردشير إلى ابنه «وأسند إلى كلّ امرئٍ من كتّابك شقصاً يضطلع به ويمكنه الفراغ منه».

«ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت» أي: تغافلت.

«عنه ألزمته» يعني يصير ذلك العيب لازماً لك دون كاتبك.

في (الجهشياري) -في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه- ليس شيء أفسد لسائر العمّال والكتّاب إلى خراب أماناتهم وهلاك ما تحت أيديهم من جهالة الملك وقلّة معرفته بحالهم، وتركه مكافأة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فأكثر الفحص.

(وفيه): كان الفضل والحسن ابنا سهل -والمأمون ولي عهد- عند بعض الخدم المتقلدين للأعمال من قبل الرشيد، فدخل على الخادم فتى كان يلي له شيئاً، فلمّا رآه ضحك ثم قال له: هذه مِشية تعلمتها بعدك فانظر أهي أحسن أم ما كنت أمشي حتى أنتقل عنها، ثم غيّر مشيته وجاء فجلس فأتى برعونات كثيرة، فلم يزل الخادم يحتال له حتى خرج ثم قال لهما: ان بعض

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٨٠.

الناس يحب أن يظهر خاصية ليست له، فلمّا خرجا من عنده قال الحسن للفضل: تعذب نفسك ثلاثين سنة من ذي قبل بالصيانة والمروة وطلب الأدب ومثل هذا يلي الأعمال. فقال له الفضل: لو حمل هذا على الصلاح ـ وضرب أُسته بالدرة ـ خرج منه عون صدق، ان الناس جميعاً لو حملوا على صلاح صلحوا ولكنّهم يؤتون من قلّة التفقّد والترك بغير أدب.

وحكي أنّ الفضل ولّى إنساناً شيئاً فأساء فيه فأمر بحمله فضرب أُسته بالدرّة ثم قال له: أدّبتك بهذا فإن صلحت وإلّا اطّرحناك.

هذا، (وفيه): أمر الرشيد لحمدونة باقطاع غلة مائة ألف درهم وألف ألف درهم صلة، فصار كاتبها بالتوقيع إلى ديوان الضياع ففارقهم على برٍّ دافعهم عنه ولم يف لهم بحمله، فزاد بعضهم في التوقيع عند موضع الواو من «وألف ألف درهم» ألفا فصارت «أو ألف ألف درهم» فذكر الكاتب ذلك لحمدونة فشكته إلى الرشيد فقال لها: أحسب ان كاتب هذا لجاهل لم يبر الكتاب وأعاد التوقيع وأمرها أن ترضيهم.

(وفيه) دخل الرشيد على أُمّ جعفر فقال لها: قد تهتّك كاتب سعدان فاعزليه. قالت: وبأيّ شيء تهتّك. قال: بالمرافق والرشا حتى قال فيه الشاعر:

صب في قنديل سعد مع التسليم زيتا
وقنديل بنيه قبل أن تحفى الكميتا

قالت: وقال الشاعر في كاتبك أبي صالح أشنع. قال: وما قال؟ قالت: قال:

قنديل سعد على ضوئه ... خرج لقنديل أبي صالح
تراه في مجلسه أخوصاً ... من لمحه للدرهم اللائح

فقال لها: كذب عليّ كاتبي وكاتبك.

وقيل: انها قالت هذا الشعر في تلك الساعة.

«ثمّ استوص بالتجّار وذوي الصناعات» كالحدّادين والصفّارين والصائغين والنسّاجين والخيّاطين والندّافين وغيرهم.

«وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله» وأصل المضطرب المضترب فقلب التاء طاء كما هو القاعدة في الإفتعال من مثله، والمراد منه الضرب في الأرض بماله، ولذا جعل مقابل المقيم، ومنه مال المضاربة.

«والمترفّق ببدنه» كعملة البناء الذين يحصلون ببدنهم مرافق الإنسان في سكناه، وقال تعالى في الجنّة والنار ﴿وحسنت مرتفقاً﴾[١] ﴿وساءت مرتفقاً﴾[٢].

«فانهم» أي: التجّار وذوي الصناعات والمترفّقين بأبدانهم.

«مواد المنافع وأسباب المرافق» وقال تعالى حاكياً عن أهل الكهف ﴿فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربّكم من رحمته ويهيّئ لكم من أمركم مرفقاً﴾[٣].

في (الكافي) عنه عليه السلام: إن الله تعالى يحبّ المحترف الأمين.

وإنّ سدير الصيرفي قال للباقر عليه السلام: بلغني أنّ الحسن البصري كان يقول: لو غلى دماغه من حرّ الشمس ما استظلّ بحائط صيرفي، ولو تفرّث كبده عطشاً لم يستسق ماءً من دار صيرفي ـ وإنّي الصرف عملي وتجارتي وفيه نبت لحمي ودمي ومنه حجّي وعمرتي. فقال عليه السلام: كذب الحسن. خذ سواءً وأعط سواءً، فإذا حضرت الصلاة فدع ما بيدك وانهض إلى الصلاة، أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا صيارفة[٤].

---

(١) الكهف: ٣١.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الكهف: ١٦.

(٤) الكافي ٥: ١١٣ / ١ و ٢.

وعن الصادق عليه السلام: التجارة تزيد في العقل، وتسعة أعشار الرزق في التجارة[١].

«وجُلّابها» أي: جلاب المرافق.

«من المباعد» جمع المبعد المكان البعيد **«والمطارح»** جمع المطرح، والأصل فيه المكان الخفض، وهو كناية عن المكان الصعب ويعبّر عنه في الفارسية بقولهم «پرتگاه» وقال ذو الرمة:

ألمّا بميٍّ قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيلها[٢]

«في برك وبحرك» في الخبر: إن معلّى بن خنيس سأل الصادق عليه السلام عن سفر البحر فقال: كان أبي يقول: إنّه يضرّ بدينك هو ذا الناس يصيبون أرزاقهم ومعيشتهم[٣].

«وسهلك وجبلك» وفي الخبر: إنّ رجلاً قال للباقر عليه السلام: إنّا نتّجر إلى هذه الجبال فنأتي منها على أمكنة لا نقدر أن نصلّي إلّا على الثلج. فقال: ألا تكون مثل فلان يرضى بالدون ولا يطلب تجارة لا يستطيع أن يصلّي إلّا على الثلج[٤]؟

«وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها» زاد في رواية (التحف) «من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرفق منها على أيديهم، فاحفظ حرمتهم، وآمن سبلهم، وخذ لهم بحقوقهم»[٥].

قال ابن بطوطة في (رحلته) ـ والعهدة عليه ـ وبين بلغار وأرض الظُّلْمة

---

(١) الكافي ٥: ١٤٨ / ٢ و ٣.

(٢) أساس البلاغة: ٢٧٧ طرح.

(٣) الكافي ٥: ٢٥٧ ح ٥.

(٤) الكافي ٥: ٢٥٧ ح ٦.

(٥) تحف العقول: ١٤٠.

أربعون يوماً والسفر إليها لا يكون إلّا في عجلات صغار تجرّها كلاب كبار، فإنّ تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدمي ولا حافر الدابة فيها، والكلاب لها الأظفار فتثبت أقدامها في الجليد، ولا يدخلها إلّا الأقوياء من التجّار الذين يكون لأحدهم مائة عجلة أو نحوها موفرة بطعامه وشرابه وحطبه فإنها لا شجر فيها ولا حجر ولا مدر، والدليل بتلك الأرض هو الكلب الذي قد سار فيها مراراً كثيرة، وتنتهي قيمته إلى ألف دينار ونحوها، وتربط العربة إلى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون هو المقدّم وتتبعه سائر الكلاب بالعربات، فإذا وقف وقفت، وهذا الكلب لا يضربه صاحبه ولا ينهره وإذا حضر الطعام أطعم الكلاب أولاً قبل بني آدم وإلّا غضب الكلب وفرّ وترك صاحبه للتلف.

فإذا كملت للمسافرين بهذه الفلاة أربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة وترك كلّ واحد منهم ماجاء به من المتاع هنالك وعادوا إلى منزلهم المعتاد، فإذا كان من الغد عادوا لتفقد متاعهم، فيجدون بأزائه من السمّور والسنجاب والقاقم، فإن رضي صاحب المتاع ما وجده أزاء متاعه أخذه وإن لم يرضه تركه فيزيدونه وربّما رفعوا ـ أي أهل الظلمة ـ متاعهم وتركوا متاع التجار وهكذا بيعهم وشراؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون إلى هنالك من يبايعهم ويشاريهم أمن الجن هو أم من الانس، ولا يرون أحداً. والقاقم هو أحسن أنواع الفراء وتساوي الفروة منهم ببلاد الهند ألف دينار، وصرفها من ذهبنا مائتان وخمسون، وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله. والسمّور دون ذلك تساوي الفروة منه أربعمائة دينار فما فوقها، ومن خاصّيّة هذه الجلود أنّها لا يدخلها القمل، وأمراء الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلاً بفرواتهم

عند العنق وكذلك تجّار فارس والعراقين.

«فإنّهم سلم لا تخاف بائقته» أي: شرّه.

«وصلح لا تخشى غائلته» أي: داهيته ومنكريّته بخلاف سلم الدول وصلحهم فقد يتفق فيهما بائقة وغائلة.

«فتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي» أي: جوانب.

«بلادك، واعلم مع ذلك» أي: مع ما يترتب على وجودهم من الفوائد.

«أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحّاً» أي: بخلاً.

«قبيحاً، واحتكاراً» أي: حبساً.

«للمنافع وتحكّماً في البياعات» من دون رعاية ميزان للربح.

«وذلك باب مضرّة للعامّة» أي: العموم.

«وعيب على الولاة».

روى (الكافي) أن أبا عبدالله عليه السلام أعطى مولى له يقال له مصادف ألف دينار وقال له تجهّز حتى تخرج إلى مصر فإن عيالي قد كثروا، فتجهّز بمتاع وخرج مع التجار إلى مصر، فلمّا دنوا منها استقبلتهم قافلة خارجة منها، فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة ـ وكان متاع العامة ـ فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلمّا انصرفوا دخل مصادف عليه عليه السلام ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار، فقال له عليه السلام: هذا رأس المال وهذا الآخر ربح. فقال: ان هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم في المتاع، فحدّثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا، فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألّا تبيعوهم إلّا بربح الدينار ديناراً. ثم أخذ أحد الكيسين وقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لي في هذا الربح،

ثم قال: يا مصادف! مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال[١].

«**فامنع من الاحتكار فإنّ رسول الله** صلى الله عليه وآله **منع منه**» روى (الكافي) أن حكيم بن حزام كان إذا دخل الطعام المدينة اشتراه كلّه، فمرّ عليه النبي صلى الله عليه وآله فقال له: إيّاك أن تحتكر. وقال صلى الله عليه وآله الجالب مرزوق والمحتكر ملعون.

وروى عن الصادق عليه السلام: الحكرة في الخصب أربعون يوماً وفي الشدّة ثلاثة أيّام، فما زاد على الأربعين في الخصب وعلى الثلاثة في العسرة فصاحبه ملعون. وقال عليه السلام: ليس الحكرة إلّا في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن[٢].

في (وزراء الجهشياري): كان ابن مهران كاتب الخيزران يأمر الوكلاء والعمّال الذين يعملون معه أن يكتبوا على الرشوم التي يرشمون بها الطعام «اللّهم احفظ من يحفظه».

«**وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين العدل وأسعار لا تجحف**» بتقديم الجيم أي: لا تضر.

«**بالفريقين من البائع والمبتاع**» كلامه عليه السلام أعمّ من التقويم، روى (توحيد ابن بابويه) ان النبي صلى الله عليه وآله مرّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج بطون الأسواق وحيث تنظر الأبصار إليها، فقيل له صلى الله عليه وآله: لو قوّمت عليهم فغضب حتى عرف في وجهه وقال: أُنا أقوّم عليهم إنّما السعر إلى الله عزوجل يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء.

وقيل له صلى الله عليه وآله: لو أسعرت لنا سعراً فإن الأسعار تزيد وتنقص. فقال: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث لي فيها شيئاً، فدعوا عباد الله

---

(١) الكافي ٥: ١٦١ ح ١.

(٢) الكافي ٥: ١٦٤ ـ ١٦٥ / ١ و ٤ و ٦ و ٧.

يأكل بعضهم من بعض[١].

وروى (كافي الكليني) أنّ الطعام نفد على عهد النبي صلى الله عليه وآله إلّا عند رجل، فقال المسلمون له: مره ببيعه. فقال له: يا فلان! إنَّ المسلمين ذكروا أنّ الطعام قد نفد إلّا شيئاً عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تحبسه[٢].

وروي أنّ يوسف لمّا صارت الأشياء له جعل الطعام في بيوت وأمر بعض وكلائه فكان يقول بع بكذا والسعر قائم. فلمّا علم أنّه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلاء على لسانه، فذهب الوكيل فجاء أوّل من اكتال فلمّا كان دون ما كان بالأمس بمكيال قال: حسبك إنّما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال، ثم جاء آخر فقال له «كل لي» فكال فلمّا كان دون الذي كال للأول بمكيال قال له المشتري حسبك إنّما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل انّه قد غلا بمكيال حتى صار إلى واحد بواحد[٣].

هذا، وفصل الصدوق تفصيلاً فقال: الغلاء هو الزيادة في أسعار الأشياء حتى يباع الشيء بأكثر ممّا كان يباع في ذلك الموضع، والرُّخص هو النقصان في ذلك، فما كان من الرخص والغلاء عن سعة الأشياء وقلّتها فإن ذلك من الله تعالى يجب الرضا به والتسليم له، وما كان من الغلاء والرخص ممّا يؤخذ به الناس لغير قلّة الأشياء وكثرتها من غير رضىً منهم به أو كان من جهة شراء واحد من الناس جميع طعام بلد فذلك من المسعّر والمتعدّي بشراء طعام المصر كما فعله حكيم بن حزام...[٤].

«**فمن قارف**» أي: ارتكب.

---

(١) التوحيد: ٣٨٨ ح ٣٣.

(٢) الكافي ٥: ١٦٤ / ٢.

(٣) الكافي ٥: ١٦٣ / ٥.

(٤) توحيد : ٣٨٩.

«الحكرة بعد نهيك إيّاه فنكّل به وعاقب في غير إسراف» زاد في رواية (التحف): «فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فعل ذلك»[١].

هذا، وفي (الطبري) كان في عهد المنصور ولاة البريد في الآفاق كلّها يكتبون إليه كلّ يوم بسعر القمح والحبوب والأدم وبسعر كلّ مأكول، وبكلّ ما يقضي به القاضي في نواحيهم وبما يعمل به الوالي، وبما يرد بيت المال من المال وكلّ حدث كانوا إذا صلّوا المغرب يكتبون إليه بما كان في اليوم، وإذا صلّوا الغداة يكتبون بما كان في كلّ ليلة، فإذا وردت كتبهم فإن رأى الأسعار على حالها أمسك، وإن تغيّر شيء منها عن حاله كتب إلى الوالي والعامل هناك وسأل عن العلّة التي نقلت ذاك عن سعره، فإذا ورد الجواب بالعلّة تلطّف لذلك برفقه حتى يعود سعره إلى حاله، وإن شك في شيء ممّا قضى به القاضي كتب إليه وسأل من بحضرته فإن أنكر شيئاً كتب إليه يوبّخه.

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين» فقد قال تعالى في وصف أهل الجحيم: ﴿ولا يحضّ على طعام المسكين﴾[٢] وقال في المكذبين بالدّين ﴿فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾[٣] وحكى عن أهل سقر في علل انسلاكهم فيها: ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾[٤].

«وأهل البؤسى» وفي رواية (التحف) «وذوي البؤس»[٥].

---

(١) تحف العقول : ١٤١ .

(٢) الماعون : ٣ .

(٣) الماعون : ٢ ـ ٣ .

(٤) المدثر : ٤٤ .

(٥) تحف العقول : ١٤١ .

وعن الصادق عليه السلام: الفقير الذي لا يسأل، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم[١].

«والزمنى» جمع الزمن، وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾[٢] البائس الفقير الزمن الذي لا يستطيع أن يخرج من زمانته[٣].

«فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً» وقد قال تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صوافّ فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾[٤] والقانع الذي يقنع بما رزق ولا يعتري لك، قال:

وقالوا: قد زهيت، فقلت: كلّا ... ولكـنّي أعـزّني القـنوع[٥]

والمعترّ الذي يعترض لك لتعطيه ولا يسأل.

«واحفظ الله ما استحفظك» أي: طلب منك الحفظ.

«من حقوقهم» أي: المساكين ومن ذكر بعدهم، وفي رواية (التحف) «من حقه فيها»[٦] فيكون المعنى من حق الله تعالى في القانع والمعتر، ومرَّ قوله تعالى: ﴿وأطعموا القانع والمعترّ﴾.

«واجعل لهم قسماً من بيت مالك» يا مالك يمكن أن يراد به من بيت المال الذي بيدك وقد فرض الله تعالى لهم سهماً في بيت المال، فقال تعالى: ﴿انـما

---

(١) الكافي ٣: ٥٠١، رواية ١٦.

(٢) الحج: ٢٨.

(٣) الكافي ٤: ٤٦ رواية ٤.

(٤) الحج: ٣٦.

(٥) لسان العرب ٨: ٢٩٨، مادة: (قنع).

(٦) تحف العقول: ١٤١.

الصدقات للفقراء والمساكين...﴾[1]. ويمكن أن يراد به من مال شخصك.

وفي (وزراء الجهشياري): أنفذ ملك الروم رسولاً إلى المنصور فورد عليه عند فراغه من الجانبين من مدينة السلام، وأمر المنصور عمارة بن حمزة أن يركب معه إلى المهدي وهو نازل بالرصافة، فلمّا صار إلى الجسر رأى رسولُ الروم من عليه من الزمنى والسؤال، فقال لترجمانه: قل لهذا ـ يعني عمارة ـ إنّي أرى عندكم قوماً يسألون وقد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلاء ويكفيهم مؤونتهم وعيالاتهم. فقال له عمارة: إنّ الأموال لا تسعهم، ومضى إلى المهدي وعاد فخبّر المنصور بذلك فقال له: كذبت. الأموال واسعة فأحضرنيه، فأحضر فقال له: بلغني ما قلت لصاحبنا وما قال لك وكذب لأن الأموال واسعة ولكني أكره أن أستأثر على أحد من رعيتي وأهل سلطاني بشيء من حظ أو فضل في دنيا أو آخرة، وأحبّ أن يشركوني في ثوابي السؤّال والزمنى وأن يسألوهم من ذوات أيديهم ليكون ذلك نجاة لهم في آخرتهم.

قلت: ولكن كما كذب عمارة كذب المنصور، وإن عذره في عدم كفايته لأولئك المساكين بخله الشديد، ومن بخله أنّه ولّى رجلاً ـ كما في (الطبري) ـ باروسماً فلمّا انصرف أراد أن يتعلل عليه لئلا يعطيه شيئاً، فقال له: أشركتك في أمانتي ووليتك فيئاً من فيء المسلمين فخنته. فقال: أعيذك بالله ما صحبني من ذلك شيء إلّا درهم منه مثقال صررته في كمي إذا خرجت من عندك أكريت به بغلاً إلى عيالي فأدخل بيتي ليس معي شيء لا من مال الله ولا من مالك. فقال له: ما أظنّك إلّا صادقاً هلم درهمنا، فأخذه منه فوضعه تحت لبده فقال: ما مثلي ومثلك إلّا مجير أم عامر ـ وذكر قصة الضبع

---

(١) التوبة : ٦٠.

ومجيرها لئلا يعطيه شيئاً.

«وقسماً من غلّات صوافي الإسلام في كلّ بلد» الظاهر أنّ المراد بها غلّات الأراضي المفتوحة عنوة.

وفي رواية حماد: «والأرض التي أُخذت عنوة بخيل ورجال فهي موقوفة متروكة في يد من يعمّرها ويحييها ويقوم عليها على صلح ما يصالحهم الوالي ـ إلى أن قال بعد ذكر عشر الصدقات ـ ويؤخذ بعدما بقي من العشر، فيقسم بين الوالي وبين شركائه الّذين هم عمّال الأرض وأكرتها، فيدفع إليهم أنصباؤهم على قدر ما صالحهم عليه، ويؤخذ الباقي، فيكون ذلك أرزاق أعوانه على دين الله، وفي مصلحة ما ينوبه من تقوية الإسلام وتقوية الدين في وجوه الجهاد، وغير ذلك ممّا فيه مصلحة العامة ليس لنفسه من ذلك قليل ولا كثير...»[1].

وضبط ابن أبي الحديد فقال: صوافي الإسلام؛ الأرضون الّتي لم توجف عليها بخيل ولا ركاب كانت صافية للنبي صلى الله عليه وآله، فلمّا قبض صارت لفقراء المسلمين، ولمّا يراه الإمام من مصالح الإسلام[2]، كما أنّه خبط فقال: وإنّهم من الأصناف المذكورين في قوله تعالى ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾[3] إلّا انّه استند في مقاله إلى فعال أئمته في تصرّفهم في فدك والخمس باسم مصالح الإسلام ومصرف المساكين.

«فإنّ للأقصى منهم» عن بلد الغلة.

---

(١) تهذيب ٤: ١٣٠ ـ الكافي ١: ٥٤١، رواية ٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٨٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٨٦، والآية من سورة الانفال: ٤١.

«مثل الذي للأدنى، وكلٌّ» ومن الأدنى والأقصى.

«قد استرعيت حقّه فلا يشغلنّك عنهم بطر» أي: شدّة المرح، وفي رواية (التحف) «نظر»[1] وهو الأنسب.

«فإنّك لا تعذر بتضييعك التافه» أي: الحقير اليسير.

«لإحكامك» بكسر الهمزة أي: جعله محكماً.

«الكثير المهمّ فلا تُشخِص» أي: لا تذهب.

«همّك عنهم» فمن أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم.

«ولا تصعّر» أي: لا تمل من الكبر.

«خدّك لهم» وزاد في رواية (التحف): «وتواضع لله يرفعك الله، واخفض جناحك للضعفاء»[2].

«وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه» أي: تنظره نظر الهوان.

«العيون وتحقره الرجال» ويمكن أن يكون عند الله جليلاً.

«ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع» حتى يهتمّ في البحث عنهم.

«فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار» أي: تعمل معهم عملاً يكون عذرك بعده مقبولاً.

«إلى الله» هكذا في (المصرية) وفيها سقط فزاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية بعد لفظ الجلالة «سبحانه»[3].

«يوم تلقاه» يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم.

«فإنَّ هؤلاء من بين الرعية» لضعفهم وعدم اكتراث الناس بهم.

«أحوج إلى الإنصاف من غيرهم» من الأقوياء.

(١ و ٢) تحف العقول : ١٤١ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٨٥ .

«وكلّ» من الضعيف والقوي.

«فاعذِر إلى الله في تأدية حقّه إليه» لوجوب أن يؤتى كل ذي حقّ حقّه.

قال ابن أبي الحديد: كان بعض الأكاسرة يجلس للمظالم بنفسه، ولا يثق إلى غيره، ويقعد بحيث يسمع الصوت، فإذا سمعه أدخل المتظلّم فأُصيب بصمّم في سمعه، فنادى مناديه إنّ الملك يقول: أيّها الرعية إنْ أصبت بصمّم في سمعي فلم أصب في بصري، كلّ ذي ظلامة فليلبس ثوباً أحمر، ثم جلس لهم في بيت مستشرف له. وكان لأمير المؤمنين عليه السلام بيت سمّاه بيت القصص، يلقي الناس فيه رقاعهم، وكذلك كان فعل المهدي محمد بن هارون الواثق[1].

«وتعهّد أهل اليتم وذوي الرقة» أي: الضعف، قال الشاعر:

لم تلق في عظمها وهناً ولا رققا[2]

«ممّن لا حيلة له ولا ينصب نفسه للمسألة» لأنّه ذل في الدنيا وحساب طويل في العقبى، قال تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾[3].

«وذلك على الولاة ثقيل» لتوليد الولاية فيهم كبراً.

«والحق كلّه ثقيل» كما أن الباطل كلّه خفيف.

«وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية» ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٨٧.

(٢) لسان العرب ١٠ : ١٢٢، مادة: (رقق).

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) القصص : ٨٣.

«فصبّروا» أي: حملوا على الصبر (أنفسهم) وفي رواية (التحف) «نفوسهم»[١] وهو أقرب.

«ووثقوا بصدق موعود الله لهم» وفي رواية (التحف) «لمن صبر واحتسب» وهو أنسب، وزادت تلك الرواية: «فكن منهم واستعن بالله».

«واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم شخصك» زاد في رواية (التحف): «وذهنك من كل شغل، ثمّ تأذن لهم عليك»[٢].

في (وزراء الجهشياري): قال علي بن الجنيد كانت بيني وبين يحيى البرمكي مودّة وأنس، فكنت أعرض عليه الرقاع في الحوائج، فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله، فقصدته يوماً وقلت له: يا سيدي! قد كثرت الرقاع وامتلأ خفّي وكمي فإمّا تطوّلت بالنظر وإمّا رددتها، فقال لي: أقم عندي حتى أفعل ما سألت فأقمت عنده وجمعت الرقاع في خفّي وأكلنا وغسلنا أيدينا وقمناالنوم واستحييت من إذكاره إيّاها لأنني قد علمت أنا نقوم فنتشاغل بالشرب فنمت ودعا هو بالرّقاع من خفّي فوقّع في جميعها وردّها إليه ونام وانتبه ودخلت إليه وهو في مجلس الشرب وقد أُعِدَّت آلته فيه، فلم أستجز ذكر الرقاع له وشربت وانصرفت بالعشيّ، فبكّر إليّ أصحاب الرقاع لمّا وقفوا على إقامتي عنده فاعتذرت إليهم وضاق صدري بهم، فدعوت بالرقاع لاميزها وأخفف منها ما ليس بمهم فوجدت التوقيع في جميعها فلم يكن لي همّ إلّا تفريقها والركوب إليه لشكره، فلمّا رأيته قلت: قد تفضلت فلِمَ لم تعرّفني حتى يتكامل سروري؟ فقال: سبحان الله! أردت مني أن أمنّ عليك بأن أخبرك بما لم يكن يجوز أن يخفى عنك.

---

(١) تحف العقول : ١٦٢ .

(٢) تحف العقول : ١٦٢ .

«وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك» وفي رواية (التحف) «رفعك»[١] وهو الأنسب بقوله «فتتواضع».

وفي (العقد): ذكر عن النجاشي أمير الحبشة أنّه أصبح يوماً جالساً على الأرض والتاج على رأسه، فأعظم ذلك أساقفته فقال: إنّي وجدت فيما أنزل تعالى على عيسى «إذا أنعمت على عبدي نعمة فتواضع لي أُتمِّمها عليه» وإنّي وُلِدَ لي الليلة غلام فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى[٢].

«وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرَطِكَ» بالضمّ فالفتح جمع شرطة، قال الجوهري: قال الأصمعي: سمّي الجند شرطاً لأنّهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها[٣].

في (عيون ابن قتيبة): بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: «اللّهم إنّي أشكو إليك ظهور البغي والفساد وما يحول بين الحق وأهله من العدل» فخرج المنصور وجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه، فأقبل فقال له: ما الذي سمعتك تذكر؟ قال: إن آمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها فقال له: أنت آمن. فقال: إنّ الّذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من الفساد لأنت. قال: ويحك وكيف؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك، إنّ الله تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وأهممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحجبة معهم السلاح، ثم سترت نفسك فيها عنهم وبعثت عمّالك في جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع

---

(١) تحف العقول: ١٤٢.

(٢) العقد الفريد ١: ٣٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) الصحاح ٣: ١١٣٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

وأمرت ألا يدخل عليك إلّا فلان وفلان ـ نفر سمّيتهم ـ ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير ولا أحد إلّا وله في هذا المال حق، فلمّا رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك تجبي الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا: هذا خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه، فائتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلّا شيء أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلّا قصّوه عندك حتى يصغر قدره، فلمّا انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أوّل من صانعهم عمّالك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك وأنت غافل، فإنْ جاء متظلّم حيل بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصة عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك خبره سألوا صاحب المظالم ألّا يرفع مظلمته إليك لأن المتظلّم منه له بهم حرمة فأجابهم خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو إليه ويعتلّ عليه، فإذا أجهد وظهرتَ؛ صرخ بين يديك فضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر، فما بقاء الإسلام على هذا، وقد كنت أُسافر إلى الصين فقدمتها مرّةً وقد أُصيب ملكها بسمعه فبكى بكاءً شديداً فحثّه جلساؤه على الصبر فقال: أما إنّي لستُ أبكي للبليّة النازلة بي، ولكنّي أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته. ثم قال: أما إن ذهب سمعي فإنّ بصري لم يذهب نادوا في النّاس ألّا يلبس ثوباً أحمر إلّا متظلّم. ثم كان يركب الفيل طرفي النهار ينظر هل يرى مظلوماً.

إلى أن قال: قال المنصور فكيف أحتال لنفسي؟ قال: إن للناس أعلاماً

يفزعون إليه في دينهم ويرضون به فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم في أمرك يسدّدوك. قال: قد بعثت إليهم فهربوا منّي. قال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك وسهّل حجابك، وانصر المظلوم واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات ممّا حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة. وعاد المنصور وطلب الرجل فلم يوجد(١).

(وفيه): كلّم الأوزاعي أيضاً المنصور فقال له: انّك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به والله سائلك عن صغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها، ولقد حدّثني عروة بن رويم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ما من راعٍ يبيت غاشّاً لرعيّته إلّا حرّم الله عليه رائحة الجنّة، فحقيق على الوالي أن يكون لرعيّته ناظراً، ولمّا استطاع من عوراتهم ساتراً، وبالقسط فيما بينهم قائماً، لا يتخوف محسنهم منه رهقاً، ولا مسيئهم عدواناً، وقد كانت بيد النبي صلى الله عليه وآله جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين، فأتاه جبرئيل وقال: يا محمّد ما هذه الجريدة بيدك؟! اقذفها لا تملأ قلوبهم رعباً. فكيف من سفك دماءهم وشقق أبشارهم وأنهب أموالهم، إنّ المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعهّده؛ فهبط جبرئيل وقال: يا محمّد! انّ الله لم يبعثك جبّاراً تكسر قرون أُمّتك(٢).

«حتى يكلّمك متكلّمهم غير متعتع» أي: متردد «فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: لن تقدّس أُمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع». روى (المناقب) عن الباقر عليه السلام قال: رجع أمير المؤمنين عليه السلام داره في

---

(١) عيون الأخبار ٢: ٣٦٠ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) عيون أخبار ٢: ٣٦٦ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

وقت القيظ فاذا امرأة قائمة تقول: ان زوجي ظلمني وأخافني وتعدّى عليّ وحلف ليضربني. فقال: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك. فقالت يشتدّ غضبه عليّ، فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: أويؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم، فخرج شاب فقال عليه‌السلام له: يا عبدالله اتّق الله! فإنّك أخفتها وأخرجتها. فقال الفتى: وما أنت وذاك، والله لأحرقنّها لكلامك. فقال عليه‌السلام مسلتاً سيفه: آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف. وأقبل الناس من الطرق يقولون «السلام عليك يا أمير المؤمنين» فسقط الرجل في يده وقال: أقلني عثرتي يا أمير المؤمنين! فوالله لأكوننّ لها أرضاً تطأني، فأغمد عليه‌السلام سيفه وقال: يا أمة الله! أُدخلي إلى منزلك ولا تلجئي زوجكِ إلى مثل هذا[1].

وفي (العقد): جلس المأمون للمظالم فكان آخر من تقدّم إليه -وقد همّ بالقيام- امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فقالت:

تشكو إليك عميد القوم أرملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتزّ منّي ضياعي بعد منعتها ظلماً وفرّق منّي الأهل والولد

فقال لها المأمون: فأين الخصم؟ قالت: الواقف على رأسك -وأومأت ابنه العباس- فقال: يا أحمد بن أبي خالد! خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد: إنّك بين يدي الخليفة وإنّك تكلّمين الأمير فاخفضي من صوتك. فقال له المأمون: دعها فإن الحقّ أنطقها وأخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها[2].

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ١٠٦.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ١: ٢٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وفي (الحلية) عن الزهري، قال سليمان بن عبد الملك لطاوس اليماني: لو ما حدثتنا. فقال طاوس: حدّثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ـ قال الزهري ظننت أنّه أراد علياً ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: ان لكم على قريش حقّاً ولهم على الناس حق ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا وائتمنوا فأدّوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. فتغيّر وجه سليمان.

«ثم احتمل الخُرْق» بالضم فالسكون ضدّ الرفق، وبفتحتين الدهش من الخوف أو الحياء.

«منهم والعيّ» أي: العجز عن البيان، وفي المثل «أعيى من باقل»[١] قالوا اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً فقالوا له: بكم اشتريته، فـفتح كـفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه فأفلت العنز منه وهرب.

في (العقد): دخل الحارث بن مسكين على المأمون فقال له: أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون. فقال: لقد تيّست فيها وتيّس مالك. فقال الحارث: فالسامع من التيسين. فتغيّر وجه المأمون وأيقن بالشر ولبس ثياب أكفانه ثم دخل عليه فقرّبه فقال له: يا هذا ان الله قد أمر من هو خير منك بالإنة القول لمن هو شرّ منّي في إرسال موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما: ﴿فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾[٢] قال: أبوء بالذنب. قال: عفا الله عنك، إنصرف إذا شئت[٣].

هذا، وقالوا تقدّمت امرأة إلى عمر فقالت: «يا أبا عمر حفص» أرادت أن

---

(١) الميداني ٢: ٤٣، الزمخشري ١: ٢٥٦.

(٢) طه: ٤٤.

(٣) العقد الفريد ١: ٥٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

تقول: «يا أبا حفص عمر». فقال لها: أدهشت. فقالت: صلعت فرقتك أرادت أن تقول: «فرقت صلعتك».

وفي (أخبار نحاة السيرافي) قال الكسائي: فزع أعرابي من الأسد فجعل يلوذ والأسد من وراء عوسجه، فجعل يقول: «يعسجني بالخوتلة يبصرني لأحبسه» أراد يختلني بالعوسجة يحسبني لا أبصره[١].

«ونح» أي: بعِّد.

«عنهم» هكذا في (المصرية) والصواب: (عنك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٢].

«الضيق» أي: ضيق الصدر.

«والأَنَفِ» أي: الاستنكاف.

«يبسط الله عليك بذلك أكتاف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته» قال أبو العتاهية:

يا من تشرّف بالدنيا وبالدِّين ليس التشرُّف رفع الطّين بالطّين
إذا أردت شريف الناس كلّهم فانظر إلى ملك في زيٍّ مسكين

وفي (الجهشياري): كان في صحابة المهدي رجل يعرف بالثقفي البصري وكان أبو عبيد الله وزيره له متثقلاً وكان محباً لأن يضع منه، فتكلّم الثقفي يوماً فلحن، فقال له أبو عبيدالله: أتجالس الخليفة بالملحون من الكلام، أما كان يجب عليك أن تقوّم من لسانك. فقال له الثقفي: إنّما يحتاج إلى استعمال الإعراب في جميع الكلام المعلّمون لينفقوا عند من التمسهم لتعليم ولده -يعرّض بأبي عبيدالله لأنّه كان معلّماً من أوّل أمره-

(١) أخبار النحويين البصريين : ٥١ ـ معهد المباحث الشرقية ـ الجزائر .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٨٨ .

فضحك المهدي حتّى غطّى وجهه.

«واعط ما أعطيت هنيئاً» أي: ليكن عطاؤك هنيئاً لمن أعطيته بعدم المنّ عليه والأذى له، وعدم كشفه للناس وعدم مطله.

قال أبو عبدالله عليه السلام: رأيت المعروف لا يصلح إلّا بثلاث خصال: تصغيره وتستيره وتعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجّلته هنّأته، وإذا كان غير ذلك سخّفته ونكّدته[١].

«وامنع في إجمال وإعذار» عن أبي جعفر عليه السلام: كان فيما ناجى الله تعالى موسى: أكرم السائل ببذل يسير أو بردٍّ جميل، لأنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانٍّ ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خوّلتك ويسألونك عمّا نولتك، فانظر كيف أنت صانع يا بن عمران[٢].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: ما منع النبي صلى الله عليه وآله سائلاً قطّ، إن كان عنده أعطاه وإلّا قال: يأتي الله به[٣].

«ثم أمور من أمورك لابدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمّالك بما يعيى» أي: يعجز.

«عنه كتابك» في (الجهشياري): ورد على المنصور كتاب من محمد بن عبدالله بن الحسن أغلظ له فيه، فقال له أبو أيّوب: دعني أُجيبه. فقال له: ليس ذلك إليك إذا نحن تقارعنا عن الأحساب فدعني وإيّاه.

وذكر (الطبري) جواب المنصور لكتابه وفيه: وزعمت انّك لم تعرّق فيك أُمهات الأولاد وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلّا بنو أمّهات

---

(١) الكافي ٤: ٣٠ ح ١.

(٢) الكافي ٤: ١٥ ح ٣.

(٣) الكافي ٤: ١٥ ح ٥.

أولاد، وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من علي بن الحسين وهو لأمّ ولد، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدّته أُمُّ ولد، ولا مثل ابنه جعفر وجدّته أُمُّ ولد -إلى أن قال- ولقد طلب الإمامة أبوك -أي علي- بكل وجه فأخرجها -أي: فاطمة بنت النبي ﷺ نهاراً ومرّضها سرّاً ودفنها ليلاً فأبى الناس إلّا الشيخين...[١].

«ومنها إصدار الناس يوم» هكذا في (المصرية) والصواب: (عند) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٢].

«ورودها عليك بما تحرج» أي: تضيق.

«به صدور أعوانك، وأمض لكلّ يوم ما فيه» في (العقد) ذكروا أنّ ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً بحسن السياسة، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجّه إليه من يبحث عن أخباره فيكشف عن ثلاث خصال من حاله، يقول لعيونه: أُنظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدع عنها؟ وإلى الغنى في أيّ صنف من رعيته أفي من اشتدّ أَنَفُهُ وقلّ شَرهُهُ أم في من قلّ أنفه واشتد شرهه؟ وانظروا في القُوّام بأمره أمن نظر ليومه وغده؟ أم من شغله يومه عن غده. فإن قيل له: لا يخدع عن أخباره، والغنى في من قلّ شرهه واشتدّ أنفه، وقُوّام أمره من نظر ليومه وغده؛ قال: إشتغلوا عنه بغيره، وإن قيل له ضدّ ذلك قال: نارٌ كامنة تنتظر موقِداً، وأضغان مزمّلة تنتظر مخرجاً، أُقصُدوا له فلاحين أحين من سلامة مع تضييع، ولا عدوّ أعدى من أمن أدّى إلى اعترار[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٦٩ ـ دار سويدان ـ بيروت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٨٨.

(٣) العقد الفريد ١: ١١٣ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

«واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل» أي: أكثر «تلك الأقسام، وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية».

في (الخصال) عن الصادق عليه السلام: مكتوب في حكمة آل داود: «لا يظعن الرجل إلا في ثلاث: زاد لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو لذة في غير محرم»[1].

«وليكن في خاصة ما تخلص به لله» هكذا في (المصرية) ووقع فيها تقديم وتأخير فالصواب (لله به) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[2].

«دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة» فقالوا عليهم السلام: أعبد الناس من أقام الفرائض[3].

«فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك» زاد في رواية (التحف) «ما يجب»[4].

«ووفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم» من ثلم يثلم بالكسر، والثلمة الخلل.

«ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ» وفي الخبر: أسرق السرّاق من سرق من صلاته[5].

«وإذا قمت في صلاتك للناس» وفي رواية (التحف) (بالناس)[6] وهو أصح.

«فلا تكوننّ منفّراً ولا مضيّعاً» في الخبر: ينبغي للإمام أن تكون صلاته على صلاة أضعف من خلفه[7]. وكان معاذ يؤمُّ في مسجدٍ على عهد النبي صلى الله عليه وآله ويطيل القراءة، ومرّ به رجل فافتتح سورة طويلة، فقرأ الرجل

---

(١) الخصال: ١٢٠ ح ١١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٨٩.

(٣) بحار الأنوار٧: ٣٠٥ رواية ٢٥، نقلاً عن الخصال ١: ١١.

(٤) تحف العقول : ١٤٣.

(٥) بحار الأنوار ٨٤: ٢٦٤، الرواية ٦٦.

(٦) تحف العقول : ١٤٤.

(٧) من لا يحضره الفقيه ١ : ٢٥٥ ح ٦٢، ٦٣، ٦٤ بتصرف يسير.

لنفسه وصلّى ثمّ ركب راحلته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فبعث إلى معاذ، فقال له: إيّاك أن تكون فتّاناً، عليك بالشمس وضحاها وذواتها[١].

وكان النبي صلى الله عليه وآله أمّ أصحابه يوماً، فسمع بكاء صبي، فخفّف الصلاة[٢].

«وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني إلى اليمن كيف أُصلّي بهم فقال صلّ بهم كصلاة أضعفهم» في خبر السكوني عنه عليه السلام قال: آخر ما فارقت عليه حبيبي أن قال: يا علي! إذا صلّيت فصلّ صلاة أضعف من خلفك[٣].

«وكن بالمؤمنين رحيماً» وفي رواية التحف ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾[٤] وهو لفظ القرآن في وصف النبي صلى الله عليه وآله[٥].

«وأمّا بعد» هكذا في (المصرية) والصواب: من النهج (وأما بعد هذا) كما يشهد به (ابن أبي الحديد وابن ميثم) والخطية[٦]، ثم الصواب: من كلامه عليه السلام ما في رواية (التحف) (وبعد هذا) بدون (أمّا)[٧] لعدم المحل لها هنا.

«فلا تطوّلنّ احتجابك عن رعيتك فإنّ احتجاب الولاة شعبة من الضيق» وهو مذموم. وفي (العقد) قال بعضهم:

ما بال بابك محروساً ببوّاب ... يحميه من طارق يأتي ومنتاب

لا تحتجب وجهك الممقوت من أحد ... فالمقت يحجبه من غير حجّاب

فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه ... فإنّ وجهك طلسام على الباب

وفي (العيون) قال بعضهم:

(١ و ٢) من لا يحضره الفقيه ١ : ٢٥٥ ح ٦٢، ٦٣، ٦٤ بتصرف يسير.

(٣) التهذيب ٢: ٢٨٣ ح ٣١.

(٤) الاحزاب : ٤٣ .

(٥) تحف العقول : ١٤٤ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد: ١٧ ـ ٩٠.

(٧) تحف: ١٤٤ .

مـــالي أرى أبـــوابـــهم مـــهجورة وكأنّ بـــــابك مـــجمع الأســـواق
أَرَجَوْكَ أم خافوك أم شاموا الحيا لحـــراك فـــانتجعوا مـــن الآفـــاق

وفي (المروج) قال عبيد بن أبـي المـخارق: إسـتعملني الحـجّاج عـلى الفلّوجة فقلت: أههنا دهقان يستعان برأيه؟ فقالوا: جميل بن صهيب، فأرسلت إليه فجاءني شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال: ما حـاجتك؟ قـلت: إستعملني الحجّاج على الفلّوجة ولا يؤمن شره فأشر عليَّ. فقال له: أيّما أحبّ إليك رضى الحجّاج أو رضى بيت المال أو رضى نفسك؟ قلت: أن أُرضي كلّ هؤلاء وأخاف الحجّاج فإنّه جبّار عنيد. قال: فاحفظ عنّي أربع خلال: إفتح بابك ولا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل وهو على ثقة من لقائك وهو أجدر أن يخاف عمّالك، وأطل الجلوس لأهل عملك فإنّه قلّ ما أطال عامل الجـلوس إلّا هِـيبَ مكانه، ولا يختلف حكمك بين الناس وليكن حكمك على الشريف والوضـيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك، ولا تقبل من أهل عـملك هـديّة فـإن مُهديها لا يرضى من ثوابها إلّا بأضعافها مع ما في ذلك من المقالة القبيحة، ثم اسلخ ما بين أقفيتهم إلى عجوب أذنابهم فيرضوا عنك ولا يكون للحجاج عليك سبيل[١].

«وقلّة علم بالأُمور، والاحتجاب منهم» وفي نسخة (ابن ميثم) عنهم.

«يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح».

في (الجهشياري): لمّا انصرف الفضل البرمكي من خراسـان ـ وكـان أزال الجور وبنى الحياض والمساجد والربـاط، وأحـرق دفـاتر البـقايا وزاد الجند والقواد، ووصل الزوّار والكتّاب بعشرة ألف ألف درهـم، وأمـر بـهدم

(١) مروج الذهب ٣: ١٤٦.

البيت المعروف بالنوبهار -وكان وثيقاً- فهدم منه قطعة وبنى فيها مسجداً، تلقّاه الرشيد ببستان أبي جعفر وجمع له الناس وأكرم غاية الإكرام وأمر الشعراء بمدحه والخطباء بذكر فضله، فكثر المادحون له، فأمر الفضل أحمد بن سيّار الجرجاني أن يميّز أشعار الشعراء ويعطيهم على قدر استحقاقهم، فمشى داود ابن رزين ومسلم بن الوليد وأبان اللاحقي وأشجع السلمي وجماعة من الشعراء إليه فسألوه أن يضع من شعر أبي نؤاس ولا يلحقه بنظرائه منهم، وتحمّلوا عليه بغالب بن السعدي وكان يتعشقه، فلمّا عرض أبو نواس شعره على الجرجاني رمى به وقال: هذا لا يستحق قائله درهمين، فهجاه أبو نؤاس وقال:

بما أهجوك لا أدري ... لساني فيك لا يجري

إذا فكّرت في قدرك ... أشفقت على شعري

واتصل الخبر بالفضل فوصل أبا نؤاس وأرضاه وصرف الجرجاني عن تمييز الشعر.

(وفيه): لمّا انقضى أمر البرامكة وحصل التدبير في يد الفضل بن الربيع؛ قصد لخدمة الرشيد بحضرته وأضاع ما وراء بابه وصارت أمور البريد والأخبار مختلة، كان مسرور الخادم يتقلّد البريد والخرائط ويخلفه عليه ثابت الخادم وتوفي الرشيد وعندهم أربعة آلاف خريطة لم تفضّ.

«ويشاب» أي: يمزج.

«الحق بالباطل، وإنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس من الأمور، وليست على الحق» وفي رواية (التحف)[1] «على القول».

«سمات» أي علامات.

---

(١) تحف العقول: ١٤٤.

«تعرف بها ضروب» أي: أقسام.

«الصدق من الكذب» وفي رواية (التحف)[1] «يعرف بها الصدق من الكذب».

«وإنّما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤٌ سخت» أي: جادت.

«نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم» وفي رواية (التحف)[2] «أو خلق كريم».

«تسديه» أي: توضحه، قال عمر بن أبي ربيعة[3]:

لمن الدّيار كأنّهن سطور ... تسدي معالمها الصبا وتُنير[4]

في (العيون): قال خالد بن عبدالله لحاجبه: لا تحجبنّ عنّي أحداً إذا أخذت مجلسي، فإنّ الوالي لا يحجب إلّا عن ثلاث: عيٍّ يكره أن يُطّلع عليه، أو ريبة أو بخل. فأخذ ذلك منه الورّاق فقال:

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه ... وردّ ذوي الحاجات دون حجابه

ظننت به إحدى ثلاث وربّما ... نزعت بظنٍّ واقع بصوابه

فقلت به مسٌّ من العِيِّ ظاهرٌ ... ففي إذنه للناس إظهارُ ما به

فإن لم يكن عِيُّ اللسان فغالبٌ ... من البخل يحمي مالَه عن طِلابه

فان لم يكن هذا ولا ذا فريبةٌ ... يُصرّ عليها عند إغلاق بابه[5]

هذا، وفي (تاريخ بغداد): وقف شاعر بباب معن بن زائدة حولاً لا يصل إليه ـ وكان معن شديد الحجاب ـ فلمّا طال مقامه سأل الحاجب أن يوصل له رقعة فأوصلها فإذا فيها:

(١ و ٢) تحف العقول: ١٤٤.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٨٤.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٨٤.

(٥) أورد هذه الأبيات باختلاف في بعض الكلمات في شرحه ١٧: ٩٣ من غير ذكر لمصدرها.

إذا كـان الجـواد له حـجاب فما فضل الجواد على البـخيل

فألقى معن الرقعة إلى كتّابه وقال: أجيبوه عن بيته، فخلطوا وأكثروا ولم يأتوا بمعنى، فأخذ الرقعة وكتب فيها:

إذا كان الجواد قليل مـال ولم يُعذر تعلّل بالحجاب

فقال: أيؤيسني من معروفه، ثم أرتحل فأتبعه معن بعشرة آلاف وقال: هي لك عندنا في كل زورة[1].

«أو مبتلى» وفي رواية (التحف)[2] «وإمّا مبتلىً».

«بالمنع، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا بذلك» قال بعضهم:

إذا تـغدى فـرّ بـوابـه وارتـد مـن غـير يـد بـابه

ومات من شهوة ما يحتسي عـياله طـراً وأصـحابه

«مع أن أكثر حاجات الناس مما» هكذا في (المصرية) والصواب:: (ما) كما في (ابن أبي الحديد)[3] و (ابن ميثم)[4] و(الخطية).

«لا مؤونة فيه عليك من شكاة» وفي رواية (التحف)[5] «من شكاية».

«مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة» وفي روايـة (التـحف)[6] بـدل «فـي معاملة» «فانتفع بما وصفت لك».

وفي (الطبري)[7]: قال مسوّر بن مساور: ظلمني وكيل للمهدي وغصبني ضيعة، فأتيت سلاماً صاحب المظالم فتظلّمت منه وأعطيته رقعة

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) تحف العقول: ١٤٤ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٩١. وكذلك في تحف العقول : ١٤٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٣.

(٥ و ٦) تحف العقول: ١٤٤ .

(٧) تاريخ الطبري ٨: ١٧٣ .

مكتوبة، فأوصل الرقعة إلى المهدي وعنده عمّه العباس بن محمد وابن علاثة وعافية القاضي، فقال له المهدي: أدنه فدنوت فقال: ما تقول؟ قلت: ظلمتني. قال: فترضى بأحد هذين. قلت: نعم. قال: فدنوت منه حتى التزقت بالفراش قال: تكلم. قلت: أصلح الله القاضي انّه ظلمني في ضيعتي. فقال القاضي للمهدي: ما تقول؟ قال ضيعتي وفي يدي. قلت: أصلح الله القاضي سله صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها. فسأله فقال: صارت إلي بعد الخلافة. قال: فأطلقها له. قال: قد فعلت: فقال العباس عمّه: والله لَهذا المجلس أحبُّ إليَّ من عشرين ألف ألف درهم.

«**ثم إنّ للوالي خاصّة وبطانة فيهم استئثار**» أي: استبداد.

«**وتطاول**» أي: تكبّر.

«**وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم**» أي: اقطع.

«**مادة**» هكذا في (المصرية) والصواب: (مؤونة) كما في (ابن أبي الحديد)[1] و(ابن ميثم)[2] و(الخطية).

«**أُولئك بقطع أسباب تلك الأحوال**» وفي رواية (التحف)[3] «تلك الأشياء».

وفي (العيون)[4]: قال الحجاج: دلّوني على رجل للشَّرط. فقيل: أيُّ الرجال تريد؟ فقال: أريده دائم العبوس طويل الجلوس، سمين الأمانة أعجف الخيانة، لا يحنق في الحق على جره ويهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة. فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي، فأرسل إليه يستعمله فقال له: لست أقبلها إلّا أن تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك. قال: يا غلام ناد في الناس

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٩٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٣ .

(٣) تحف العقول : ١٤٤ .

(٤) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ١٦ .

من طلب إليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة. قال الشعبي: فوالله ما رأيت مثله صاحب شرطة قط، كان لا يحبس إلّا في دين، وكان إذا أُتي برجل قد نقب على قوم؛ وضع منقبة في بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أتى بنبّاش؛ حفر له قبراً فدفنه فيه، وإذا أُتي برجل لقد أحرق على قوم منزلهم؛ أحرقه، وإذا أُتي برجل قاتل بحديدة أو شهر سلاحاً؛ قطع يده، فكان ربّما أقام أربعين ليلة لا يؤتى إليه أحد، فضم الحجاج إليه شرطة البصرة مع الكوفة.

«ولا تقطعنّ لأحدٍ من حاشيتك» أي: من في أطرافك.

«وحامتك» أي: أودّاءك.

«قطيعة» أرض يقطعها له تكون غلتها له.

«ولا يطمعنّ منك في اعتقاد» أي: عقد.

«عقدة» أي: معاملة.

«تضر بمن يليها من الناس في شرب» أي: سقي أرضهم.

«أو عمل مشترك» كتنقية نهر يكون مصرفها على جميع من يشرب أرضه من ذاك النهر.

«يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنا ذلك» عيشاً رغداً يحصل من محصوله.

«لهم دونك وعيبه عليك في الدّنيا والآخرة» لأنّهم فعلوا ذلك بسلطانك.

«والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخواصّك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك فإنّ مغبة» أي: عاقبة.

«ذلك محمودة».

قال ابن أبي الحديد[1]: روى جويرية بن أسماء عن اسماعيل بن أبي حكيم قال: قال عمر بن عبد العزيز على المنبر: إنّ هؤلاء ـ يعني خلفاء بني أُمية قبله ـ قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها منهم وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها، وإنّي قد رأيت الآن أنّه ليس عليّ في ذلك دون الله حسيب، وقد بدأت بنفسي والأقربين من أهل بيتي، اقرأ يا مزاحم، فجعل يقرأ كتاباً فيه الاقطاعات بالضياع والنواحي ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم، لم يزل كذلك حتى نودي بالظهر.

وقال : وروى سهل بن يحيى المروزي عن أبيه قال: لما دفن سليمان أمر عمر بن عبدالعزيز بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت إلى بيت المال، ثم خرج ونادى مناديه: من كانت له مظلمة على قريب أو بعيد من عمر بن عبدالعزيز فليحضر. فقام رجل ذمّيٌّ من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال: اسألك كتاب الله! قال: ما شأنك. قال: العباس بن الوليد اغتصبني ضيعتي ـ والعباس جالس ـ فقال له: ما تقول يا عباس؟ قال: أقطعنيها الوليد وكتب لي بها سجلاً. فقال عمر: ما تقول أنت أيّها الذّمّيُّ. قال: أسألك كتاب الله! فقال عمر بن عبد العزيز: لعمري إن كتاب الله لأحقُّ أن يُتَّبع من كتاب الوليد أُردد عليه يا عباس ضيعته، وجعل لا يدع شيئاً مما كان في أيدي أهل بيته من المظالم إلّا ردّها[2].

قال: وكتب عمر بن الوليد إلى عمر بن عبد العزيز لما أخذ بني مروان برد المظالم كتاباً أغلظ له فيه ـ إلى أن قال ـ فكتب في جوابه: ... أما أول أمرك يابن الوليد فإنّ أُمك بنانة أمة السَّكون كانت تطوف في أسواق حمص وتدخل

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٩٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٩٩ ـ ١٠٠ بتصرّف يسير.

حوانيتها ثم الله أعلم بها، فاشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين فأهداها إلى أبيك فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول، ثم نشأت فكنت جبّاراً عنيداً وتزعم أني من الظالمين لأنّي حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذي حق القرابة والمساكين والأرامل، وإنَّ أظلمَ منّي وأترَكَ لعهد الله من استعملك صبيّاً سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له نية في ذلك إلّا حبَّ الوالد ولده، فويل لك وويل لأبيك! ما أكثر خصماؤكما يوم القيامة، وإنَّ أظلَمَ منّي وأترَكَ لعهد الله من استعمل الحجّاج بن يوسف على خمسي العرب يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام، وإنّ أظلم منّي وأترَكَ لعهد الله من استعمل قرّة ابن شريك أعرابياً جافياً على مصر، وأذن في المعازف والخمر والشرب واللهو، وإنّ أظلم منّي وأترَكَ لعهد الله من استعمل عثمان بن حيّان على الحجاز، فينشد الأشعار على منبر النبي صلى الله عليه وآله ومن جعل للعالية البربرية سهماً في الخمس، فرويداً يا ابن نباتة، ولو التقت حلقتا البطان وردّ الفيء إلى أهله لتفرّغت لك ولأهل بيتك فوضعتكم على المحجّة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم في بُنيّات الطريق، ومن وراء هذا من الفضل ممّا أرجو أن أعمله؛ بيع رقبتك وقسم ثمنك بين الأرامل واليتامى والمساكين، فإنّ لكلٍّ فيك حقاً، والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين[1].

قال: وروى الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز لما قطع عن أهل بيته ما كان من قبل يجرونه عليهم من أرزاق الخاصة؛ تكلّم في ذلك عنبسة بن سعيد وقال: إنّ لنا قرابة. فقال له: إن يتّسع مالي لكم، وأمّا هذا المال فحقّكم فيه كحق رجل بأقصى برك العماد ولا يمنعه من أخذه إلّا بعد مكانه، والله إنّي لأرى أموراً لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٠١ ـ ١٠٢ بتصرّف.

لنزلت بهم بائقة من عذاب الله.

قال: وروى أيضاً أن عمر بن عبد العزيز قال يوماً ـ وقد بلغه عن بني أُمية كلاماً أغضبه ـ إنّ لله في بني أُمية يوماً ـ أو قال ذبحاً ـ والله لئن كان ذلك على يدي لأعذرن الله فيهم. فلما بلغهم ذلك كفوا وكانوا يعلمون صرامته وأنّه إذا وقع في أمر مضى فيه[1].

قال: وروى نوفل بن الفرات أن بني مروان شكوا إلى عاتكة بنت مروان ـ وكانت عظيمة عندهم ـ فقالوا: إنّه يعيب أسلافنا ويأخذ أموالنا، فذكرت له ذلك فقال: يا عمة! إنّ النبيّ ﷺ قبض وترك الناس على نهر مورود، فولي ذلك النهر بعده رجلان لم يستخصّا أنفسهما وأهلهما منه بشيء، ثم وليه ثالث فكرى منه ساقية ثم لم تزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه، وأيم الله لئن أبقاني الله لأسكُرنَّ تلك السواقي حتى أُعيد النهر إلى مجراه الأول.

قلت[2]: وكما ردّ عمر بن عبد العزيز مظالم خلفاء بني أُمية كذلك ردّ مظلمة أبي بكر وعمر في فدك، روى الطبري ـ كما في (خصال ابن بابويه) ـ عن أبي صالح الكناني عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن شريك عن هشام بن معاذ قال: كنت جليساً لعمر بن عبد العزيز حين دخل المدينة، فأمر مناديه من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب، فأتى محمد بن علي فدخل إليه مولاه مزاحم فقال له: إنّ محمد بن علي بالباب. فقال: أدخله، فدخل وعمر يمسح دموعه، فقال له: ما أبكاك؟ فقال: أبكاه كذا وكذا يا ابن رسول الله. فقال له محمد بن علي: إنّما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرج

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٠٣ ـ ١٠٤.

قوم بما يضرّهم -إلى أن قال -فاتّق الله وافتح الأبواب وسهّل الحجاب، وانصر المظلوم وردّ المظالم -إلى أن قال -فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ردّ عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي فدك»[١].

وفي (أوائل أبي هلال العسكري) كما في (الطرائف) -أن أوّل من رد فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز، وكان معاوية أقطعها لمروان وعمرو بن عثمان ويزيد بن معاوية وجعلها بينهم أثلاثاً ثم قبضت فردّها عليهم السفاح...[٢].

ثم إنّه كما كان المناسب هنا في شرح كلامه عليه السلام نقل ما فعل عمر بن عبد العزيز من ردّ مظالم بني أُمية كذلك كان المناسب نقل إتيان عثمان بتلك المظالم، وقد صرّح عمر بن عبد العزيز بكون عثمان الأصل في خلفاء بني أُمية -في قوله في الخبر المتقدم -: «ثم وليه ثالث فكرى منه ساقيه ثم لم يزل الناس منه يكرون حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه»، ومنها -كما في (خلفاء ابن قتيبة)[٣] -هبته خمس أفريقية لمروان ابن عمه، وبنى سبع دور متطاولة لامرأته نائلة وبنته عائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنى لمروان القصور بذي الخشب، وحمى حول المدينة لنفسه، وأعطى -كما في (معارف ابن قتيبة) -عمه الحكم بن أبي العاص الذي سيّره النبي صلى الله عليه وآله إلى الطائف مئة ألف درهم، وأقطع مهزوراً -موضع سوق المدينة الذي تصدّق به النبي على المسلمين -عمّه الحارث بن الحكم، وأعطى عبدالله بن خالد بن أسيد من بني عمه أربعمئة ألف درهم.

---

(١) الخصال لابن بابويه: ١٠٤ ح ٦٤.

(٢) الطرائف ١: ٢٥٢.

(٣) خلفاء ابن قتيبة ١: ٣٢.

«وإن ظنّت الرعيّة بك حيفاً» أي: جوراً.

«فأصحر» أي: أظهر.

«لهم بعذرك واعدل» أي: إدفع.

«عنك ظنونهم بإصحارك» الباء للسببية، فمن جعل أمره مكشوفاً كالشيء الملقى بالصحراء لا يبقى مجال لأن يُظنّ به أمرٌ آخر.

«فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيّتك وإعذاراً» هكذا في (المصرية)، مع ان النهج إنّما فيه «فإنّ في ذلك إعذاراً» لخلوّ (ابن أبي الحديد)[1] و (ابن ميثم)[2] و(الخطية) وهي النسخ الصحيحة من النهج عمّا بينهما من «رياضة» إلى «و» ولكنه كلامه عليه السلام كما رواه (التحف)[3]، ولابد انه كتب في أول نسخة الزيادة حاشية أخذاً من التحف ثم خلطت بالمتن.

«تبلغ به» هكذا في (المصرية) والصواب: «فيه» كما في (ابن أبي الحديد)[4] و(ابن ميثم)[5].

«حاجتك من» بيانية.

«تقويمهم» أي: جعلهم مستقيماً على الحق، وزاد في (التحف)[6] «في خفض وإجمال» وهو من تمام الكلام وقد خفي على النهج في روايته.

في (الطبري): هلك يزدجرد الأثيم وابنه (بهرامجور) غائب عند المنذر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٩٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٤.

(٣) تحف العقول: ١٤٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ٩٧.

(٥) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٤.

(٦) تحف العقول: ١٤٥.

ملك الحيرة، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات أن لا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد لسوء سيرته وقالوا ان يزدجرد لم يخلف ولداً يحتمل الملك غير بهرام ولم يل بهرام ولاية قط يعرف بها حاله ولم يتأدب بأدب العجم وانما أدبه أدب العرب وخلقه كخلقهم لنشوئه بين أظهرهم، واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهرام إلى رجل من عترة أردشير بابك يقال له كسرى ولم يقيموا أن ملكوه، فانتهى هلاك يزدجرد والذي كان من تمليكهم كسرى إلى بهرام وهو ببادية العرب، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه وناس من علّية العرب وقال لهم: اني لا أحسبكم تجحدون خصيصي والدي كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وانعامه كان عليكم مع فظاظته وشدته كانت على الفرس، وأخبرهم بالذي أتاه من نعي أبيه وتمليك الفرس من ملكوا عن تشاور منهم في ذلك، فقال له المنذر: لا يهولنك ذلك حتى ألطف للحيلة فيه، وان المنذر جهز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب وجههم مع ابنه النعمان إلى «طيسبون» و «به اردشير» مدينتي الملك وأمره أن يعسكر قريباً منهما ويدمن ارسال طلائعه إليهما، فأوفد من بالباب من العظماء وأهل البيوتات «جواني» - صاحب رسائل يزدجرد - إلى المنذر في ابنه النعمان، فلما ورد جواني على المنذر قال له: الق الملك بهرام، فدخل عليه فراعه ما رأى من وسامته وبهائه وأغفل السجود له دهشاً، فكلّمه بهرام ووعده من نفسه أحسن الوعد ورده إلى المنذر، فقال له المنذر: انما وجه النعمان إلى ناحيتكم ملك بهرام حيث ملكه الله بعد أبيه، فلما سمع «جواني» مقالة المنذر وتذكر ما عاين رواء بهرام وهيبته وان جميع من شاور في صرف الملك عن بهرام مخصوص محجوج قال للمنذر: اني لست مخبراً جواباً ولكن سر ان رأيت إلى محلة الملوك فيجتمع اليك من بها من العظماء وتشاوروا في ذلك فانهم لن

يخالفوك في شيء مما تشير به.

وسار «جواني» واستعد المنذر بعده بيوم وسار ببهرام في ثلاثين ألف رجل من العرب وذوي النجدة منهم إلى مدينتي الملك حتى إذا وردهما أمر فجمع الناس وجلس بهرام على منبر من ذهب مكلل بجوهر وجلس المنذر عن يمينه وتكلّم عظماء الفرس وأهل البيوتات وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته وانه أخرب بسوء رأيه الأرض وأكثر القتل ظلماً حتى قد قتل الناس في البلاد التي يملكها وأموراً غير ذلك فظيعة وانهم انما تعاقدوا على صرف الملك عن ولد يزدجرد لذلك، وسألوا المنذر الا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه.

فوعى المنذر ما بثوا من ذلك وقال لبهرام: أنت أولى بإجابة القوم مني. فقال لهم بهرام: اني لستُ أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسبتم إلى يزدجرد لما استقر عندي من ذلك، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديه، ولم أزل أسأل الله أن يمنّ علي بالملك فأصلح كلّ ما أفسد وأرأب ما صدع، فان أتت لملكي سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عددت لكم تبرأت من الملك طائعاً وقد أشهدت بذلك عليّ الله وملائكته وموبذان موبذ وليكن هو فيها حكماً بيني وبينكم، وأنا مع الذي بينت لكم على ما أعلمكم من رضاي بتمليككم من تناول التاج والزينة من بين أسدين ضاريين مشبلين فهو الملك.

فلما سمع القوم مقالة بهرام هذه وما وعد من نفسه استبشروا بذلك وانبسطت آمالهم وقالوا فيما بينهم إنّا لسنا نقدر على رد قول بهرام مع انّا ان تممنا على صرف الملك عن بهرام نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمد واستجاش من العرب، ولكنّا نمتحنه بما عرض علينا مما لم يدعه إليه الا ثقة بقوته وبطشه وجرأته، فان يكن على ما وصف به نفسه فليس لنا رأي

إلّا تسليم الملك إليه والسمع والطاعة له وان يهلك تعجزه فنحن من هلكته برآء ولشره وغائلته آمنون. وتفرّقوا على هذا الرأي، فعاد بهرام وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالأمس وحضره من كان يحاده فقال لهم: اما أن تجيبوني فيما تكلمت أمس واما أن تسكتوا باخعين لي بالطاعة. فقال القوم: أما نحن فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ولم نر منه إلّا ما نحب، ولكنّا قد رضينا مع ذلك أن يوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين وتتنازعانهما أنت وكسرى فأيكما تناولهما من بينهما سلمنا له الملك، فرضي بهرام بمقالتهم وأتى بالتاج موبذان مؤبذ الموكل بعقد التاج على رأس كلّ ملك يملك فوضعهما في ناحية وجاء بسطام أصبهبد بأسدين ضاريين مجوعين مشبلين، فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذي وضع فيه التاج والآخر بحذائه وأرخى وثاقهما، ثم قال بهرام لكسرى: دونك التاج والزينة. فقال كسرى: أنت أولى بالبدء وبتناولهما مني لأنك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب، فلم يكره بهرام قوله لثقته ببطشه وقوته وحمل جرزاً وتوجه نحو التاج والزينة، فقال له موبذان موبذ: استماتتك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه انما هو تطوّع منك لا عن رأي أحد من الفرس ونحن برآء إلى الله من اتلافك نفسك. فقال له بهرام: أنتم من ذلك برآء ولا وزر عليكم فيه.

ثم أسرع نحو الأسدين، فلما رأى موبذان موبذ جده في لقائهما هتف به بح بذنوبك وتب إلى الله منها ثم أقدم ان كنت لا محالة مقدماً، فباح بهرام بما سلف من ذنوبه ثم مشى نحو الأسدين فبدر إليه أحدهما فلما دنا من بهرام وثب وثبة فعلا ظهره وعصر جنبي الأسد بفخذيه عصراً أثخنه، وجعل يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل، ثم شد الأسد الآخر عليه فقبض على أُذنيه وعركهما بكلتي يديه فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذي كان

راكبه حتى دمغهما ثم قتلهما كليهما، وكان ذلك من صنيعه بمرأى من كسرى ومن حضر ذلك المحفل فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة، فكان كسرى أول من هتف به وقال: عمرك الله بهرام ثم الذين حوله قائلون نحن سامعون مطيعون ورزقت ملك أقاليم السبعة، ثم هتف به جميع من حضر قد أذعنا للملك بهرام ورضينا به ملكاً، وأكثروا الدعاء له. ثم ان العظماء والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم وسألوه أن يكلّم بهرام في التغمد لاساءتهم في أمره والتجاوز عنهم، فكلمه المنذر في ذلك فأسعفه فيما سأل وبسط آمالهم ملك وهو ابن عشرين سنة[1].

«**ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله**» هكذا في (المصرية) والصواب: «لله» كما في (ابن أبي الحديد)[2] و (ابن ميثم)[3].

«فيه رضى» انما شرط عليه السلام ذلك لأن كلّ صلح لم يكن لله فيه رضىً.

ففي (صفين نصر): خرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفين: يا أبا الحسن ابرز لي، فخرج عليه السلام إليه حتى إذا اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفين فقال: يا علي ان لك قدماً في الاسلام وهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك. فقال: وما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلي بينك وبين العراق ونرجع إلى الشام فتخلّي بيننا وبين شامنا فقال عليه السلام له: لقد عرفت انك انما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله، ان الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٧١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٠٦ .

(٣) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٤ .

في الأرض وهم ساكتون مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم. فرجع الشامي مسترجعاً[1].

وكذلك الصلح في المعاملات، فقالوا: الصلح جائز بين المسلمين إلّا ما أحل حراماً أو حرّم حلالاً.

«فان في الصلح دعة» أي: استراحة.

«لجنودك وراحة لهمومك وأمناً لبلادك» في (ديوان النعماني): من أبلغ ما حذّر به من الحرب قول بعض العجم: «دافع بالحرب ما أمكن، فإنّ النفقة في كلّ شيء من الأموال إلّا الحرب، فإنّ النفقة فيها من الأرواح». وقال النابغة الجعدي:

وتسلب المال الذي كان ربها ضنيناً بها والحرب فيها الحرائب

وقال جدل الطعان:

دعاني أشبّ الحرب بيني وبينه فقلت له: لا بل هلمَّ إلى السلم
وإيّاك والحرب التي لا أديمها صحيح وما تنفك تأتي على الرغم
فإن يظفر الحزب الذي أنت منهم وينقلبوا ملأى الأكفّ من الغنم
فلابدّ من قتلى لعلّك فيهم وإلّا فجرح لا يكون على العظم
فلما أبىٰ خلّيت فضل ردائه عليه فلم يرجع بحزم ولا عزم
وكان صريع الخيل أول وهلة فبعداً له مختار جهل على علم

في (الطبري): سأل عمرو بن الليث الصفّار السلطان أن يولّيه ما وراء النهر فولّاه ووجه إليه ـ وهو مقيم بنيسابور ـ بالخلع واللواء على ما وراء النهر، فخرج لمحاربة إسماعيل الساماني، فكتب إليه إسماعيل: إنّك وُلّيت دنياً

(١) صفين لنصر: ٤٧٤.

عريضة وإنّما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر، فاقنع بما في يدك واتركني مقيماً في هذا الثغر، فأبى إجابته فذكر له شدّة عبور نهر بلخ فقال: لو أشاء أن أسكره ببُدَرِ الأموال وأعبره لفعلت. فلما أيس إسماعيل عبر النهر إلى الجانب الغربي وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر وندم على ما فعل وطلب المحاجزة فأبى عليه إسماعيل، ولم يكن بينهما كثير قتال حتى هزم ومر بأجمة في طريقه قيل له انها أقرب فقال لعامة من معه: أمضوا في الطريق الواضح، ومضى في نفر يسير فدخل الاجمة فوحلت دابته ومضى من معه، وجاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً، فلما ورد الخبر على المعتضد مدح إسماعيل وذم عمرا.

(ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب) العدو (ليتغفل) ويغدر بك (فخذ بالحزم) والاحتياط في أمرك (واتهم في ذلك حسن الظن) لأنّه يمكن أن يؤدي إلى هلاكك. قال البحتري:

أوجلتني بعد أمن غرتي ... واغترار الأمن يستدعي الوجل

في الطبري ـ في قصة محاربة نصر بن سيار والكرماني في خراسان أيام خروج ابي مسلم: بعث أبو مسلم إلى الكرماني ـ حين عظم الأمر بينه وبين نصر ـ اني معك، فقبل الكرماني ذلك وانضم إليه أبو مسلم فاشتد ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرماني ويلك لا تغتر فوالله اني لخائف عليك وعلى أصحابك منه ولكن هلم إلى الموادعة فندخل مرو ونكتب كتاباً بصلح ـ وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبي مسلم، فدخل الكرماني منزله وأقام أبو مسلم في المعسكر وخرج الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارس وعليه قرطق خشكشونة، ثم أرسل إلى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصر

منه غرة فوجّه إليه ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلاثمائة فارس فالتقوا في الرحبة فطعن في خاصرة الكرماني فخر عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به فقتل نصر الكرماني وصلبه[١].

وفي السير: حاصر قتيبة بن مسلم سمرقند أشهراً بعد فتح بخارى فلم يقدر على فتحها، فهيأ صناديق وجعل لها أبواباً من أسافلها تغلق من داخل وتفتح، وجعل في كلّ صندوق رجلاً مستلئماً معه سيفه وأقفل أبوابها العليا ثم أرسل إلى دهقانها اني راحل عنك إلى الصغانيان وناحيتها ومعي فضول أموال وسلاح فوادعني واحرز هذه الصناديق عندك إلى عودي ان سلمت، فأجابه وتقدم قتيبة إلى الرجال أن يفتحوا في جوف الليل أبواب الصناديق فيخرجوا ثم يصيروا إلى باب المدينة فيفتحوه، وأمر الدهقان بالصناديق فأدخلت المدينة، فلما جن الليل وهدء الناس خرج الرجال بأيديهم السيوف لا يستقبلهم أحد إلّا قتلوه حتى أتوا باب المدينة فقتلوا الحرس وفتحوا الباب ودخل قتيبة فصارت في يده[٢].

وفي العيون: أوصى بعض الحكماء ملكاً فقال له: لا يكن العدو الذي قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظنين الذي يستتر لك بمخاتلته، فانه ربما تخوف الرجل السم الذي هو أقتل الأشياء ثم يقتله الماء الذي يحيي الأشياء وربما تخوف أن يقتله الملوك التي تملكه ثم تقتله العبيد التي يملكها، فلا تكن للعدو الذي تناصب أحذر منك للطعام الذي تأكل، وانا لكلّ أمر أخذت منه نذيرك وان عظم آمن مني من كلّ أمر عريته من نذيرك وان صغر[٣].

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) سير العجم

(٣) عيون القتيبي ١ : ١١٧.

وفيه في سير العجم: ان فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو أخشنوار ملك الهياطلة ببلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخشنواز. فناظر أصحابه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقاً وعهداً تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتحسن إليهم وتخلفني فيهم، ثم اقطع يدي ورجلي والقني على طريق فيروز حتى يمرّ بي هو وأصحابه فأكفيك مؤونتهم وأورِّطَهم مورطاً تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنواز: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت هلكت ولم تشركنا في ذلك؟! قال: إنّي قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لابدّ منه فأحبّ أن أختم عمري بأفضل ما تختم به الأعمار من النصيحة لإخواني والنكاية في عدوي فيشرف بذلك عقبي وأُصيب سعادة وحظوة فيما أمامي. ففعل به ذلك وأمر به فأُلقي حيث وصف له، فلمّا مرّ به فيروز سأله عن أمره، فأخبره ان اخشنواز فعل ذلك وقال له: إنّي احتلت حتى حملت إلى هذا الموضع لأدلك على عورته وغرّته، إنّي أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى فلا يشعر اخشنواز حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم فليس فيهذا الطريق إلّا تفويز يومين ثم تفضون إلى كلّ ما تحبّون. فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤه بالاتهام له والحذر منه، فخالفهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صدر عنه، ثم بيّن لهم أمره فتفرقوا في المفازة يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلّا عدّة يسيرة فإنّهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم، فواقعهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضرّ والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم[1].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١١٧.

«وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة» أي: عهداً.

«فحط» من حاط يحوط أي: رعى.

«عهدك بالوفاء» ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنّ الله يعلم ما تفعلون* ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أُمَّةٌ هي أربى من أُمة إنّما يبلوكم الله به﴾[1].

«وارع ذمّتك بالأمانة» وفي قصة فيروز وأخشنوار المتقدّمة ـ بعدما مر ـ ثم رغب فيروز إلى أخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألّا يغزوه أبداً فيما يستقبل من عمره، وعلى أنّه يحدُّ فيما بينه وبين مملكته حدّاً لا تجاوزه جنوده، فرضي أخشنوار بذلك وخلّى سبيله وانصرف إلى مملكته، فمكث فيروز برهة من دهره كئيباً ثم حمله الأنَفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردوه عنه وقالوا له: انّك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة. فقال لهم: إنّي إنّما شرطت ألا أجوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر ليحمل على عجلة أمامنا. فقالوا له: أيها الملك ان العهود والمواثيق التي يتعطاها الناس بينهم لا تحمل على ما يسر المعطي لها ولكن على ما يعلن المعطي، وانك انما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عرفه لا على أمر لم يخطر بباله، فأبى فيروز ومضىٰ في غزاته حتى انتهى إلى الهياطلة وتصافَّ الفريقان للقتال، فأرسل أخشنواز إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفّيهم ليكلّمه فخرج إليه فقال له أخشنواز: أظن انّه لم يدعك إلى غزونا إلّا الأنَفُ ممّا أصابك، ولعمري لئن كنّا احتلنا لك بما رأيت لقد

---

(١) النحل: ٩١ ـ ٩٢.

كنت التمست منّا أعظم منه وما ابتدأناك ببغي ولا ظلم، ولا أردنا إلّا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا، ولقد كنت جديراً أن تكون من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكدت على نفسك أعظم أنفاً مما نالك منّا فانا أطلقناكم وأنتم أُسراء وحقنا دماءكم وبنا قدرة على سفكها، وإنّا لم نجبرك على ما شرطت مع انّي قد ظننت انّه يزيدك نجاحاً ما تثق به من كثرة جنودك، وما أشك ان أكثرهم كارهون لشخوصك لعرفانهم أنّك دعوتهم إلى ما يسخط الله فانظر ما قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوّه إذا كان عارفاً بأنّه ان ظفر فمع عار وان قتل فإلى النار ـ إلى أن قال ـ فلما كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها لهم فيروز فرفعها على رمح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره، فانتقض عسكر فيروز وما لبثوا إلّا يسيراً حتى انهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الذي قال «لا راد لما قدر ولا أشدّ احالة لمنافع الرأي من الهوى واللجاج ولا أضيع من نصيحة تمنح من لا يوطّن نفسه على قبولها ولا أسرع عقوبة وأسوأ عاقبة من البغي والغدر ولا أجلب لعظيم العار والفضوح من افراط الفخر والأنفة»[١].

«**واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت**» في الطبري ـ بعد ذكر أن محمد بن الأشعث أعطى مسلم بن عقيل الامان وأتى به ابن زياد وأراد قتله ـ فقال مسلم: يا ابن الأشعث أما والله لو انّك آمنتني ما استسلمت قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك.

ورضي السموأل بقتل ابنه دون أن يؤدي الامانة إلى غير أهلها.

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١١٨ ـ ١٢١ .

«فإنّه ليس من فرائض الله شيء» وفي رواية (التحف)[١] «شيء من فرائض الله».

«الناس أشدّ عليه اجتماعاً ـ مع تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم ـ من تعظيم الوفاء بالعهود» لأنّه من الواجبات التي يعتقد بها كلّ ملّة ونحلة الموحد والملحد والمسلم والكافر، وقد أكد فرضه الشريعة، قال النبيّ ﷺ بُعثتُ إلى الوفاء بالعهد للبر والفاجر[٢].

«وقد لزم ذلك المشركون في ما بينهم دون المسلمين» أي: لا اختصاص بذلك بالمسلمين.

«لما استوبلوا» أي: عدوه وخيماً.

«من عواقب الغدر».

في (العقد): قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت إلى ان تصير مع عدوّي وتُظهر الغدر بي فإنّ إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابك تدعوهم إلى حسن الظّن بك، فإن استطعتَ أن تنفعني في حياتي وإلّا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد مماتي. فقال عبد الحميد: إنّ الذي أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي، وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو أُقتل معك[٣].

وقال المدائني: قتل عبد الملك عمرو بن سعيد بعد ما صالحه وكتب له كتاباً وأشهد شهوداً ثم قال لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر: ما رأيك في الذي كان منّي؟ قال: أمر قد فات دركه. قال: لتقولنّ. قال:

---

(١) تحف العقول: ١٤٥.

(٢) تحف العقول: ١٤٦.

(٣) العقد الفريد ١: ٧٣.

حزم لو قتلته وحييت. قال: أولست بحيٍّ؟ فقال: من أوقف نفسه موقفاً لا يوثق له بعهد ولا بعقد فليس بحي. قال: كلام لو سبق سمعه فعلي لأمسكت[١].

وقال عمرو بن العلاء: كانت بنو سعيد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان، فقال فيهم الشاعر:

إذا كنت في سعد وخالك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعد
إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد[٢]

وكان المنصور غدر بابن هبيرة وعمّه عبدالله بن علي وأبي مسلم فأعطاهم الأمان ثم قتلهم، فلما كتب إلى محمد بن عبدالله بن الحسن كتاباً ذكر فيه اعطاءه الأمان أجابه محمد أي الأمانات تعطيني أمان ابن هبيرة أم عمّك أم أبي مسلم.

«**فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن**» أي: لا تنكثن.

«**بعهدك ولا تختلن**» أي: لا تخدعن.

«**عدوّك فانّه لا يجترئ على الله**» بنقض حرمة العهد.

«**إلّا جاهل شقي**» في الخبر[٣]: من أمن رجلاً على دمه، فقتله، فإنّه يحمل لواء غدر يوم القيامة.

«**وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه**» أي: جعله فضاءً واسعاً.

«**بين العباد برحمته وحريماً**» أي: شيئاً محترماً.

«**يسكنون إلى منعته**» بفتح النون.

---

(١) العقد الفريد ١: ٧٣.

(٢) العقد الفريد ١: ٧٤.

(٣) اخرجه ابن ماجه ٢: ٨١٦ ح ٣٦٨٨.

«ويستفيضون» أي: ينتشرون.

«إلى جواره» بالكسر مصدر جاور.

في (المعجم): عن سيف في فتح نيشابور: افتتحها المسلمون سنة (١٩) سنة فتح نهاوند حاصروها مدة فلم يفجأهم إلّا وأبوابها تفتح وخرج السرح وفتحت الأسواق وانبث أهلها، فأرسل المسلمون ان ما خبركم؟ قالوا: انكم رميتم الينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا. فقالوا: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا عبد يدعى مكتفاً كان أصله منها هو الذي كتب لهم الأمان، فقال المسلمون: ان الذي كتب اليكم عبد. قالوا: لا نعرف عبدكم من حرّكم فقد جاء الأمان ونحن عليه قد قبلناه فان شئتم فاغدروا. فأمسكوا عنهم.

هذا، وفي (العقد): كان الاسكندر لا يدخل مدينة إلّا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها فخرج إليه فأطلقه الأسكندر وأعظمه، فقال له المؤدب: ان أحق من زين لك أمرك وأعانك على كلّ ما هويت لأنا وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك فأحب أن لا تسعفني فيهم وان تخالفني في كلّ ما سألتك لهم، فأعطاه من العهود على ذلك ما لايقدر على الرجوع عنه، فلما توثق منه قال: فان حاجتي اليك أن تهدمها وتقتل أهلها. قال: ليس إلى ذلك سبيل ولابد من مخالفتك[1].

«فلا ادغال» قال الجوهري: قد أدغل في الأمر ادخل فيه ما يخالفه ويفسده.

«ولا مدالسة» الدلس الظلمة، والمدالسة أن يأتيك بالشيء في الظلام

(١) العقد الفريد ١: ١١١.

ليخفى عليك العيب.

«ولا خداع فيه» الخداع مصدر خادعه إذا أراد به المكروه من حيث لا يعلم[١].

في (العقد): صالح سعيد بن العاص حصناً من حصون فارس على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً فقتلهم كلّهم إلّا رجلاً واحداً[٢].

وفي (الطبري): بعث النبي صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه قبائل من العرب سليم ومدلج وقبائل من غيرهم، فلما نزلوا على الغميصاء ـ ماء من مياه بني جذيمة ـ وكانوا قد أصابوا في الجاهلية عوفاً أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكهة بن المغيرة عمّ خالد ـ وكانا قد أقبلا تاجرين من اليمن فلما نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما ـ فلما رأى القوم خالداً أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا ـ إلى أن قال ـ فوضعوا القوم السلاح لقول خالد، فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله رفع يديه إلى السماء ثم قال «اللّهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد»، ثم دعا علياً عليه السلام فقال له: أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج ومعه مال فودى لهم الدماء حتى انّه ليدي ميلغة الكلب ـ الخ[٣].

وفي (الطبري) أيضاً: ان أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه ان إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم إذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم

---

(١) جوهري ١٤: ١٦٩٧.

(٢) العقد الفريد ١: ١١٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٦٦ و ٦٧.

ما الذي نقموا وان لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة واقتلوا واحرقوا، وكان ممّن شهد لمالك ابن نويرة بالإسلام أبو قتادة السلمي، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بعدها حرباً أبداً، وكان يحدث أنّهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال أبو قتادة. فقلنا انّا المسلمون. فقالوا ونحن المسلمون. قلنا لهم: فما بال السلاح معكم. قالوا لنا: فما بال السلاح معكم. قلنا: فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، فوضعوه ثم صلّينا وصلّوا. وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال وهو يراجعه ما أخال صاحبكم إلاّ وقد كان يقول كذا كذا قال أوما تعده لك صاحباً؟ ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلهم عمر تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر فقال: عدوّ الله عدا على امرئٍ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته ـ إلى أن قال ـ فقال أبو بكر: خالد سيف سلّه الله لا أشيمه[1].

وفي (الطبري) أيضاً: قتل الحجّاج يوم الزاوية من وقائعه مع ابن الأشعث لمّا انهزموا أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان؛ أمر منادياً فنادى لا أمان لفلان بن فلان وفلان بن فلان ـ فسمّى رجالاً ـ فقال العامة: قد آمن الناس فحضروا عنده فأمر بهم فقتلوا[2].

«ولا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإنّ صبرك على ضيق أمر» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[3] وليس «أمر» في (ابن ميثم)[4] و(الخطية) والظاهر كونه حاشية خلطت بالمتن فرواية

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٣٨١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٠٧.

(٤) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٥.

التحف[١] أيضاً منه خالية.

«ترجو انفراجه» قال الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

«وفضل عاقبته» بحصول ثواب كثيرله، قال تعالى: ﴿إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب﴾[٢].

«خيرٌ من غدرٍ تخاف تبعته» من خصمك.

«وأن تحيط بك من الله فيه» هكذا في (المصرية) والصواب: (فيه من الله) كما في (ابن أبي الحديد)[٣] و (ابن ميثم)[٤] و(الخطية).

«طلبه فلا تستقبل» جعله (ابن ميثم)[٥] بالموحدة، قال: وروي «تستقيل» بالمثنّاة.

«فيها دنياك ولا آخرتك».

في (الطبري) في صلح الحديبية ـ بعثت قريش سهيل بن عمرو ـ أخا بني عامر بن لؤي ـ إلى النبي ﷺ وقالوا له: إئت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلّا أن يرجع عنّا عامه هذا ـ إلى أن قال ـ فلمّا التأم الأمر ولم يبق إلّا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال: أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلى م نعطي الدنية في ديننا ـ إلى أن قال ـ ثم أتى عمر النبي فقال له: ألست برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين. قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلى مَ نعطي الدنيّة في ديننا. فقال النبي: أنا عبدالله ورسوله لن أخالف

---

(١) تحف العقول: ١٤٦.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٠٧.

(٤ و ٥) شرح ابن ميثم ٥: ١٧٥.

أمر الله ولن يضيّعني -إلى أن قال ـ فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمر واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنّه من أتى النبي من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً ممّن مع النبي لم تردّه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وانّه لا اسلال ولا إغلال، وأن من أحبَّ أن يدخل في عقد النبي وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه» فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد النبي وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم -إلى أن قال ـ قال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس كلّهم وآمن بعضهم بعضاً التقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد بالاسلام يعقل شيئاً إلّا دخل فيه، فقد دخل في الاسلام في تينك السنين مثل ما كان دخل في الاسلام قبل ذلك وأكثر.

إلى أن قال: فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءه أبو بصير ـ رجل من قريش وكان ممّن حبس بمكة ـ فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على النبي بكتاب الأزهر والأخنس، فقال النبي ﷺ: يا أبا بصير قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ قال: نعم. قال: أنظر إليه. قال: ان شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به فقتله. وخرج المولى سريعاً حتى أتى النبي ﷺ وهو في المسجد، فلما رآه

طالعاً قال: ان هذا رجل قد رأى فزعاً، فلما انتهى إليه قال له: ويلك مالك. قال: قتل صاحبكم صاحبي، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً السيف حتى وقف على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله وفت ذمتك رددتني اليهم ثم أنجاني الله. فقال النبي: ويل أُمه مسعر حرب لو كان معه رجال، فلما سمع أبو بصير ذلك علم أنّه سيرده اليهم، فخرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل بحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول النبي صلى الله عليه وآله لأبي بصير «محش حرب لو كان معه رجال»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ولحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو فاجتمع إليه قريباً من سبعين رجلاً منهم، فكانوا قد ضيقوا على قريش فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلّا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله يناشدونه بالله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن، فآواه النبي فقدموا عليه المدينة[1].

«اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء أدنىٰ» هكذا في المصرية والصواب: «أدعى» كما في ابن أبي الحديد[2] و ابن ميثم[3] والخطية (لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها) قال تعالىٰ ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾[4].

وفي غريب ابن قتيبة قال علي عليه السلام «لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٣٣ و ٦٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٠.

(٣) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٥.

(٤) النساء: ٩٣.

الخلق ونقص الأشياء» ومعنى الحديث ان الله تعالى نقص الخلق من عظم الابدان وطولها من القوة والبطش وطول العمر ونحو ذلك.

وعن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى قل للملأ من بني اسرائيل إيّاكم وقتل النفس الحرام بغير حق فان من قتل منكم نفساً في الدنيا قتله في النار مائة ألف قتلة مثل قتل صاحبه[1].

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ ﴿ومن أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انّه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾[2] انه يوضع في موضع من جهنم إليه ينتهي شدّة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً كان انما يدخل ذلك المكان[3].

وعن أحدهما عليهما السلام قيل للنبي صلى الله عليه وآله قتيل في مسجد جهينة، فقام يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم وتسامع الناس فأتوه، فقال: من قتل ذا؟ فقالوا لا ندري. فقال: والذي بعثني بالحقّ لو أن أهل السماوات والأرض شركوا في دم مسلم أو رضوا به لأكبهم الله على مناخرهم أو قال على وجوههم[4].

وعن الصادق عليه السلام: في من قتل مؤمناً يقال له مت أي ميتة شئت يهودياً وان شئت نصرانياً وان شئت مجوسياً[5].

«والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة».

---

(١) عقاب الاعمال: ٣٢٧ ح ٨.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) اخرجه الكليني في الكافي ٧: ٢٧١ ح ١، و؟؟ في عتاب: ٣٢ ح ٢.

(٤) اخرجه الكليني في الكافي ٧: ٢٧٢ ح ٨.

(٥) اخرجه الكليني في الكافي ٧: ٢٧٣ ح ٩٨، وعتاب: ٣٢٧ ح ٤.

عن الصادق عليه السلام: أول ما يحكم الله تعالى في القيامة الدماء فيقوم ابنا آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك، فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول: هذا قتلني. فيقول: أنت قتلته، فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً[١].

(فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله).

في المروج كان معاوية بعث في سنة أربعين بسر بن ارطأة في ثلاثة آلاف رجل حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري، فتنحى وجاء بسر فصعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فأجابوه إلى بيعة معاوية، ثم سار إلى اليمن وكان عبيدالله بن العباس بها فخرج عنها وخلّف ابنيه عند أُمهما، فقتلهما بسر وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف وقتل بالمدينة وبين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان. وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء ولم يبلغه عن أحد أنّه يمالئ علياً أو يهواه إلّا قتله[٢].

«ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأنّ فيه قود» بفتحتين أي: القصاص.

«البدن» قال تعالىٰ: ﴿النفس بالنفس﴾[٣] وقال ﴿ولكم في القصاص حياة﴾[٤].

«وإن اُبتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك» هكذا في (المصرية)

---

(١) اخرجه الكافي ٧: ٢٧١ ح ٢، وعقاب الأعمال: ٣٢٦ ح ٣.

(٢) مروج الذهب ٢: ٢١ و ٢٢.

(٣) المائدة : ٤٥.

(٤) البقرة : ١٧٩.

والكلمة «أو سيفك» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد)[١] و (ابن ميثم)[٢] و(الخطية)، والظاهر أن الكلمة كانت حاشية زادها بعض المحشين اجتهاداً فخلطت بالمتن، إلّا أنّ اجتهاده كان خطأ فالسيف لا يستعمل إلّا في العمد دون الخطأ، وليست الكلمة في رواية (التحف)[٣] أيضاً.

«أو يدك بعقوبة فإنّ في الوكزة» قال ابن دريد: الوكز: الضرب باليد وهي مجموعة[٤].

«فما فوقها مقتلة» أي: سبباً للقتل كما اتّفق لموسى عليه السلام مع القبطيّ قال تعالىٰ ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾[٥].

«فلا تطمحنّ» أي: لا ترفع.

«بك نخوة» أي: عظمة.

«سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم» من الدية لأنّ في مثله من قتل يحصل بسبب إفراط سوط أو يد في العقوبة ـ وهو الخطأ شبيه العمد ـ الدية على القاتل وإنّما الدية على العاقلة في الخطأ المحض.

روى الكافي أنّه عليه السلام أمر قنبراً أن يضرب رجلاً حدّاً فغلط قنبر فزاده ثلاثة أسواط فأقاده عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط.

وروى: أنّ امرأة كانت تؤتى فبلغ ذلك عمر فبعث إليها فروّعها وأمر أن يجاء بها إليه، ففزعت المرأة فأخذها الطلق وذهبت إلى بعض الدور فولدت غلاماً فاستهلّ الغلام ثم مات، فدخل عليه من روعة المرأة ومن موت الغلام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١١ .

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ١٧٥ .

(٣) تحف العقول : ١٤٧ .

(٤) جمهرة اللغة ٢: ٨٢٥ .

(٥) القصص : ١٥.

ما شاء الله، فقال له بعض جلسائه: ما عليك من هذا شيء، وقال بعضهم وما هذا؟! فقال عمر: سلوا أبا الحسن. فقال عليه السلام: إن كنتم اجتهدتم ما أصبتم، وإن كنتم برأيكم قلتم لقد اخطأتم، ثم قال لعمر عليك ديّة الصبي[١].

قال ابن أبي الحديد: كلامه عليه السلام لمالك يدلّ على أنّ المؤدب من الولاة إذا تلف تحت يده إنسان في التأديب فعليه الدية، وقال لي قوم من فقهاء الامامية: إنّ مذهبنا أن لا دية عليه، وهو خلاف مقتضى كلامه عليه السلام هنا[٢].

قلت: فصّل الشيخان في (المقنعة) و(الاستبصار) بين حقوق الله وحقوق الناس استناداً إلى خبر الكافي عن ابن حي عن الصادق عليه السلام كان علي يقول: من ضربناه حداً من حدود الله فمات فلا دية له علينا، ومن ضربناه في حقوق الناس فمات فان ديته علينا[٣].

وكلامه عليه السلام هنا لمالك لا ينافي ذلك لأن مورده التعدّي لقوله عليه السلام «وأفرط عليك سوطك أو يدك بعقوبة» ويمكن حمل خبر (الكافي) في ضمان حقوق الناس أيضاً على التعدّي لعدم تعيين الضّرب فيه وإلّا فمن حقوق الناس القصاص في غير النفس.

وفي خبر زيد الشحام عن الصادق عليه السلام في رجل قتله القصاص، هل له دية؟ قال: لو كان ذلك لم يقتصّ من أحد[٤].

وفي خبر الحلبي عنه عليه السلام أيضاً أنّ من قتله الحدّ والقصاص

---

(١) الكافي ٧: ٢٦٠ ح ١، و ٧: ٣٧٤ ح ١١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٢.

(٣) الاستبصار ٤: ٣/٢٧٩، المقنعة: ١١٦، من لايحضره الفقيه ٤: ٥١ ح٥، الكافي ٧: ٢٩٢ ح ١٠، التهذيب ١٠: ٢٠٨ ح٢٧.

(٤) الاستبصار ٤: ٢٧٦ ح ٢؛ الكافي ٧: ٢٩١ ح ٣، التهذيب ١٠: ٢٠٧ ح ٢٠؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٩ ح ٢.

فلا دية له[١].

«وإيّاك والإعجاب بنفسك والثّقة بما يعجبك منها» في (المروج): قيل لقتيبة ابن مسلم ـ وهو والٍ للحجاج على خراسان محارباً للترك: لو وجّهت فلاناً ـ لرجل من أصحابه ـ أميراً على الجيش إلى الحرب، فقال: إنّه رجل عظيم الكبر، ومن عظم كبره اشتدّ عجبه، ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيّاً ولم يؤامر نصيحاً، ومن تبجّح بالإعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصُّنع بعيداً ومن الخذلان قريباً، ومن تكبّر على عدوّه حقره، ومن حقره تهاون بأمره، ومن تهاون بأمر عدوه وثق بقوّته وسكن إلى عدّته فقلَّ احتراسه وكثر عثاره، وما رأيت عظيماً تكبّر على صاحب حرب قطُّ إلّا كان مخذولاً، لا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب، وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق، وأشدّ اقداماً من أسد وأوثب من فهد، وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب، وأسخىٰ من ديك وأشح من ظبي وأحرس من كركي، وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل، وان النفس إنما تسمح بالعناية على قدر الحاجة ويتحفظ على قدر الخوف ويطمع على قدر السبب، وقد قيل: ليس لمعجب رأي ولا لمتكبّر صديق، ومن أحبّ أن يحبّ تحبّب[٢].

وفي (الطبري): كان يزدجرد الاثيم بن سابور ذي الأكتاف ذا عيوب كثيرة، وكان من أشدّ عيوبه وأعظمها ذكاء ذهن وحسن أدب وصنوفاً من العلم قد مهرها وعلمها، وشدّة عجبه بما عنده من ذلك واستخفافه بكلّ ما كان في أيدي الناس من علم وأدب، واحتقاره له وقلّة اعتداده به واستطالته على

---

(١) الاستبصار ٤: ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ح ١؛ الكافي ٧: ٢٩٠ ـ ٢٩١ ح ١، التهذيب ١٠: ٢٠٦ / ١٨، من لايحضره الفقيه ٤: ٢٧٨.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٢٣٧.

الناس بما عنده منه(١).

«وحبّ الإطراء» أي: مدح الناس له. في (العقد): قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق فنظر إلى شاب منهم يتحوّش للكلام، فقال: أكبروا أكبروا. فقال الشاب: ليس بالسن ولو كان الأمر كلّه بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك. فقال عمر: صدقت تكلّم. فقال: إنّا لم نأتك رغبة ولا رهبة، أمّا الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا وقدمت علينا بلادنا، وأما الرهبة فقد آمننا الله بعدلك من جورك. قال: فما أنتم. قال: وفد الشكر. فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلّل، فقال له: لا يغلبنّ جهل القوم بك معرفتك بنفسك فإنّ أُناساً خدعهم الثناء وغرّهم شكر الناس فهلكوا وأنا أُعيذك بالله أن تكون منهم. فألقى عمر رأسه على صدره.

وقد يطري أهل الدنيا مَن فوقَهم بما يكون كفراً، فقالوا كتب الحجّاج إلى عبد الملك: كما أن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله كذلك الخلفاء أعلى منزلة من المرسلين(٢).

«فان ذلك من أوثق» أي: أحكم.

«فرص الشيطان في نفسه» قال أبو عبدالله عليه السلام قال إبليس لجنوده: إذا استمكنتُ من ابن آدم في ثلاث لم أُبالِ ما عمل، فإنّه غير مقبول منه: إذا استكثر عمله ونسي ذنبه ودخله العجب(٣).

جعل عليه السلام الإعجاب وحبّ الاطراء من أوثق فرصه، لأن فرصه كثيرة في إضلال ابن آدم. وفي الخبر: قال إبليس لنوح ـ بعد أن دعا على قومه ـ

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٢) العقد الفريد ٢: ١٧.

(٣) الخصال: ١١٢ ح ٨٦.

أرحتني وأنا أريد أن اكافئك على ذلك، أُذكرني في ثلاثة مواطن: إذا غضبت وإذا حكمت بين اثنين، وإذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد[١].

أيضاً قال إبليس: ما أعياني في ابن آدم فلن يعييني منه واحدة من ثلاث: أخذ مال من غير حلّه، أو منعه من حقّه، أو وضعه في غير وجهه[٢].

«ليمحق» أي: يبطل.

«ما يكون من احسان المحسنين» هكذا في (المصرية) والصواب: (المحسن) كما في (ابن أبي الحديد)[٣] و (ابن ميثم)[٤] و(الخطية).

وفي الخبر: سيّئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك.

وفي (تفسير القمي): لما كلّم الله تعالى موسى وأنزل عليه الألواح رجع إلى بني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أنَّ الله كلّمه وأنزل عليه التوراة، ثم قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً هو أعلم منّي. فأوحىٰ تعالى إلى جبرئيل ان أدرِكْ موسى فقد هلك وأعلِمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة الكبيرة رجلاً أعلم منك فصر إليه وتعلّم منه، فنزل جبرئيل على موسى فأخبره بذلك...[٥].

وفي (عقاب الأعمال) عن أبي جعفر عليه السلام: إن الله عزوجل فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة، فخلق سبع سماوات، وسبع أرضين، وأشياءهما، فلما رأى ان الأشياء قد انقادت له قال: من مثلي! فأرسل الله عزوجل نويرة ـ نار مثل

(١) الخصال: ١٣٢ ح ١٤٠.

(٢) الخصال: ١٣٢ ح ١٤١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٥.

(٥) تفسير القمي ٢: ٣٦.

أنملة ـ فاستقبلها بجميع ما خلق حتى وصلت إليه لما دخله العجب[١].

«وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك أو التزيّد» في (الصحاح) التزيد في الحديث: الكذب[٢]، وكان سعيد بن عثمان يلقب بالزوائدي لأنّه كان له ثلاث بيضات.

«فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإنّ المنّ يبطل الإحسان» كما يبطل الصدقات. قال الشاعر:

أفسدت بالمنّ ما أسديت من حسن ... ليس الكريم إذا أسدى بمنّان

في (العيون): قال رجل لبنيه: إذا اتّخذتم عند رجل يداً فانسوها.

وقال رجل لابن شبرمة: فعلت بفلان كذا وكذا وكذا. فقال له: لا خير في المعروف إذا أُحصي.

وقد وصف النابغة الاحسان مع المن بنعمة ذات عقارب، فقال في عمرو بن الحدث الغساني:

عليَّ لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب

«والتزيّد يذهب بنور الحق» فكل باطل خلط مع الحق يذهب بالحق.

وكان الصادق عليه السلام يقول لطلاب العلم: لا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقكم[٣].

«والخلف» للوعد.

«يوجب المقت» أي: المبغوضية.

«عند الله والناس. قال الله تعالى» هكذا في (المصرية) والصواب:

---

(١) عقاب الأعمال: ٢٩٩ ح ١.

(٢) الصحاح ٢: ٤٨٢.

(٣) أخرجه ابن بابويه في أماليه: ٣٩٤ ح ٩ المجلس ٥٧.

(سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد)[١] و (ابن ميثم)[٢] و(الخطية) ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾ وقبله ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لاتفعلون﴾[٣]، وقد أكثروا في ذمّ الخلف فمنها:

يا أكثر الناس وعداً حشوه خلف وأكثر الناس قولاً حشوه كذب

أيضاً:

ياجواد اللّسان من غير فعل ليت جود اللسان في راحتيكا

أيضاً:

قد بلوناك بحمد الله ان أغنى البلاء فإذا جل مواعيدك والجحد سواء

أيضاً:

لله درّك من فتىً لو كنت تفعل ما تقول

أيضاً:

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً وكفّك بالمعروف أضيق من فعل

«وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها» قال تعالىٰ: ﴿خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾[٤] وقال: ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا﴾[٥].

«أو التسقط» هكذا في (المصرية) والصواب: (أو التساقط) كما في (ابن أبي الحديد)[٦] و (ابن ميثم)[٧] و(الخطية).

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٣ .

(٢) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٦ .

(٣) الصف : ٢ ـ ٣.

(٤) الأنبياء : ٣٧.

(٥) الاسراء : ١١ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٣ .

(٧) شرح ابن ميثم ٥: ١٧٦ .

«فيها عند امكانها».

قال ابن أبي الحديد: هو عبارة عن النهي عن الحرص والجشع، قال الشنفرى:

وإن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل[١]

قلت: أين ما قال من مراده عليه السلام، فان مراده النهي عن الاسترخاء والبطء في الأُمور عند إمكان أدركها في مقابل العجلة بها قبل وقتها، قال الشاعر:

فإذا أمكنت فبادر إليها حذراً من تعذّر الإمكان

«أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت» قال الشاعر:

ورب مُلحٍّ على بغية وفيها منيّته لو شعر

قال آخر:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

«أو الوهن عنها إذا استوضحت» وفي رواية (التحف) (أوضحت)،[٢] والفرق بين هاتين الفقرتين واللتين قبلهما أن هاتين من حيث عرفان الأُمور ونكرها ووضوحها ولبسها والأوليان من حيث بلوغ وقتها وعدمه.

«فضع كلّ أمر موضعه وأوقع كلّ أمر» هكذا في (المصرية) والصواب: (عمل) كما في (ابن أبي الحديد)[٣] و (ابن ميثم)[٤] و(الخطية).

«موقعه».

رأى دريد بن الصِّمَّة الخنساء بنت عمرو بن شريد تهنا الابل كما ينبغي فقال فيها:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٦ .

(٢) تحف العقول: ١٤٧ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٣ .

(٤) شرح ابن ميثم ٥ : ١٧٦ .

ما ان رأيت ولا سمعت بـه كاليوم هاني أيـنق جـرب

مـتبذّلاً تـبدو مـحاسنه يضع الهناء مواضع النقب

وقالوا: الحكمة وضع كلّ شيء موضعه، والعقل هو الذي يضع الأشياء مواضعها.

«**وإيّاك والاستئثار**» أي: الاستبداد.

«**بما النّاس فيه أسوة**» أي: سواء، أي: جعله الله لعامة عباده كالكلأ، وقد حمى عثمان الكلأ الذي حول المدينة لنفسه وهو أحد مطاعنه.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): إجتمع ناس من الصحابة فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف عثمان من السنة - إلى أن قال فيها - وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة. وقال: قال له رجل من المهاجرين يا عثمان أرأيت ما حميت من الحمى ﴿ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ [1].

هذا، واستشهد ابن أبي الحديد لكلامه: «وإيّاك والإستئثار بما الناس فيه أسوة» بأنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا غنائم من خيبر غنائم، ركب راحلته وسار، فتبعه الناس يطلبون قسمتها، فمرّ بشجرة فخطفت رداءه، فالتفت اليهم وقال: ردّوا عليّ ردائي، فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدونني بخيلاً ولا جباناً، ونزل وقسّم ذلك المال عن آخره عليهم كلّه، لم يأخذ لنفسه وبرة[2].

وهو كما ترى لا ربط له، فإن الغنائم ليس الناس فيها أسوة بل خمس منها للنبي صلى الله عليه وآله وأقربائه وأربعة أخماس منها للمجاهدين، والنبي ما استأثر على الناس بسهامهم بل آثرهم بسهم نفسه.

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة ١: ٣٢ و ٣٣. والآية ٥٩ من سورة يونس.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٦.

«والتغابي» أي: التغافل وهو عطف على «الاستئثار»، أي: وإيّاك والتغافل «عما يعنى» بلفظ المجهول «به» أي: يهتم به.

«ممّا قد وضح للعيون فإنّه مأخوذ منك لغيرك» كما كان عثمان يعمل أقاربه أعمالاً شنيعة بمرأىً ومسمع من الناس ويتغابى عنها.

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ في كتاب جمع الصحابة فيه بدع عثمان ـ إلى أن قال ـ وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح وهو أمير عليهم سكران أربع ركعات ثم قال إن شئتم أزيدكم ركعة زدتكم، وتعطيله إقامة الحدّ عليه ـ إلى أن قال ـ ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا عثمان! ما بال هؤلاء النفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون في سبيل الله، وإنّما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه؟ ـ إلى أن قال ـ فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم الحدّ عليه؟ يعني الوليد بن عقبة[1].

«وعمّا قليل تنكشف» وفي رواية (التحف) (تكشف)[2] وهو أصح.

«عنك أغطية الأمور» ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾[3]، ﴿يوم تبلى السّرائر﴾[4].

«وينتصف منك للمظلوم» وفي رواية (التحف)[5] «فينتصف المظلومون

---

(١) الخلفاء لابن قتيبة ١: ٣٢ و ٣٤.

(٢) تحف العقول : ١٤٨ .

(٣) يونس: ٣٠.

(٤) الطارق : ٩.

(٥) تحف العقول : ١٤٨ .

من الظالمين» وروايته أصحّ، فقال عليه السلام ذلك عامّاً كما في قوله تعالىٰ: ﴿فاذا جاءت الطامّة الكبرى * يوم يتذكّر الإنسان ما سعى * وبُرِّزت الجحيم لمن يرىٰ * فأمّا من طغى وآثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوىٰ * وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[1].

وكيف كان ففي (الطبري): لما دخل المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة نظر في صدر البيت الذي نزل فيه فاذا فيه مكتوب:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لابدَّ واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من حرِّ المنيّة مانع

فدعا بالمتولي لإصلاح المنازل فقال: ألم آمرك ألا يدخل المنزل أحد من الدعار؟ قال: والله ما دخلها أحد منذ فرغ منها. فقال: إقرأ ما في صدر البيت. قال ما أرى شيئاً. فدعا برئيس الحجبة فقال: إقرأ ما على صدر البيت. فقال: ما أرى على صدر البيت شيئاً. فأملى البيتين فكتبا عنه، فالتفت إلى حاجبه فقال له: اقرأ آية من كتاب الله جل وعزّ تشوّقني إلى الله عزوجل فتلا ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[2] فأمر بفكّيه فوجئا وقال له ما وجدت شيئاً تقرأ غير هذه الآية. فقال: مُحِيَ القرآن من قلبي غير هذه الآية. فأمر بالرحيل من ذلك المنزل تطيّراً ممّا كان وركب فرساً، فلما كان في الوادي الذي يقال له «سقر» ـ وكان آخر منزل بطريق مكة ـ كبا به الفرس فدقّ ظهره ومات فدفن ببئر ميمون، وحفر له مئة قبر وما دفن في كلّها لئلّا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس ودفن في غيرها للخوف عليها، وكذلك قبور خلفاء ولد

---

(١) النازعات: ٣٤ ـ ٣٩.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

العباس لا يعرف لأحد منهم قبر[١].

«أملك» في رواية (التحف) «ثم أملك»[٢].

«حمية أنفك» وفي الخبر: المؤمن كالجمل الأنِفِ. أي: الموجع أنفه بالخزامة.

«وسورة» أي: سطوة.

«حدك» أي: بأسك، وفي رواية (التحف) «حدّتك»[٣].

«وسطوة يدك» قال هود لقومه: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبّارين﴾[٤].

«وغرب» أي: حدة.

«لسانك واحترس» أي: احتفظ.

«من كل ذلك» الأربعة المذكورة.

«بكفّ البادرة» ما تبدر من الإنسان عند حدته.

«وتأخير السطوة» أي: العقوبة.

«حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار» عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الغضب جمرة توقّدت في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «ليس الشّديد بالصرعة إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٦].

هذا، وفي رواية (التحف): «وارفع بصرك إلى السماء عندما يحضرك

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ١٠٧.

(٢ و ٣) تحف العقول: ١٤٨.

(٤) الشعراء: ١٣٠.

(٥) الكافي ٢: ٣٠٤ ح١٢.

(٦) أخرجه الطبري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده، عنهم الجامع الصغير ٢: ١٢٥.

منه حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار»[1].

وقال ابن أبي الحديد: كان لكسرى أنوشروان من يقف على رأسه يوم جلوسه، فإذا غضب على إنسان قرع سلسلة تاجه بقضيب في يده وقال له: إنّما أنت بشر، فارحم من في الأرض يرحمك من في السماء[2].

«ولن تحكم» من الإحكام.

«ذلك من نفسك حتى تكثر همومك» أي: خيالاتك.

«بذكر المعاد» أي: العود.

«إلى ربك».

وفي (الطبري): سار الهادي بين أبيات جرجان وبساتينها، فسمع صوتاً من بعض تلك البساتين من رجل يتغنّى، فقال لصاحب شرطته: عليّ بالرجل الساعة. فقال له سعيد بن مسلم: ما أشبه قصة هذا الحائن بقصة سليمان بن عبد عبد الملك. قال: وكيف ؟ قال: كان سليمان في متنزّهٍ له ومعه حرمه فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنّى فدعا صاحب شرطته فقال علي بصاحب الصوت، فأُتي به فلما مثل بين يديه قال له: ما حملك على الغناء وأنت إلى جنبي ومعي حرمي، أما علمت أنّ الرّماك إذا سمعت صوت الفحل حنّت إليه، يا غلام جُبَّهُ فجَبَّ الرجل، فلما كان في العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المنتزه فجلس مجلسه الذي فيه فذكر الرجل وما صنع به فقال لصاحب شرطته: عليّ بالرجل الذي كنّا جببناه، فأحضره فلمّا مثل بين يديه قال له: إمّا بعت فوفيناك وإمّا وهبت فكافأناك، فوالله ما دعاه بالخلافة ولكنّه قال له: يا سليمان! الله الله؛ قطعت نسلي فذهبت بماء وجهي وحرمتني لذتي ثم

---

(١) تحف العقول: ١٤٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١١٧.

تقول: «إمّا وهبت فكافأناك وإمّا بعتَ فوفيناك» لا والله! حتى نقف بين يدي الله. فقال الهادي: يا غلام! ردَّ صاحب الشرطة. فقال له: لا تتعرّض للرجل[١].

«والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك» وفي رواية (التحف)[٢]: «أن تتذكّر ما كان من كلّ ما شاهدت منّا».

«من حكومة عادلة أو سنّة فاضلة أو أثر عن نبيّنا» وفي رواية (التحف)[٣]: «عن نبيّك».

ومنه في (الأنساب) قوله صلى الله عليه وآله: الولد للفراش وللعاهر الحجر[٤].

وفي (الطبري): كتب المهدي إلى عمّاله: رُدُّوا نسب بني زياد إلى عبيد، لقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجّاج السلمي ومن كان معه من موالي بني مخزوم ـ وقد أعدّ لهم معاوية حجراً تحت بعض فرشه فألقاه إليهم فقالوا له يسوغ لك ما فعلت في زياد ولا تسوغ لنا ما فعلنا في صاحبنا فقال: قضاء النبي خير لكم من قضاء معاوية[٥].

«أو فريضة في كتاب الله» فلا يجوز صرف الصدقات إلى غير الأصناف الثمانية، قال تعالى بعد عدّها ﴿فريضة من الله﴾[٦].

«فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها» هذا يدل على أن عمل المتقدّمين عليه لم يكن على مقتضى الشريعة، وأمّا عمله عليه السلام فكان على جاقّ الحقّ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله في المتواتر عنه «عليٌّ على الحق يدور مداره»[٧] وقد أقرّ بذلك

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢ و ٣) تحف العقول: ١٤٨.

(٤) الجامع الصغير ٢: ١٩٨.

(٥) تاريخ الطبري ٨: ١٣١.

(٦) التوبة: ٦٠.

(٧) أخرجه الحاكم ٣: ١٢٤، والخطيب ١٤: ٣٢١، والترمذي ٥: ٦٣٢ ح ٣٧١٤.

الثاني فقال في شوراه بأنّه لو ولي الناس ليحملنّهم على المحجّة البيضاء فيحتج عليهم بالبرهان الذي ذكره القرآن ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يتّبع أمّن لا يهِدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[١].

«**وتجتهد لنفسك في اَتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علّة عند تسرُّع نفسك إلى هواها**» هو كقوله تعالى: ﴿رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[٢]، ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[٣].

وزاد في رواية (التحف) «فليس يعصم من السوء، ولا يوفّق للخير إلّا الله جلّ ثناؤه، وقد كان ممّا عهد إليّ رسول الله في وصايته تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم، فبذلك أختم لك ما عهدت، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»[٤].

«**وأنا اسأل الله**» هكذا في (المصرية) وفيها سقط والأصل «ومن هذا العهد ـ وهو آخره ـ وأنا أسأل الله» كما في (ابن أبي الحديد)[٥] و (ابن ميثم)[٦] وزاد الثاني «سبحانه».

«**بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة**» دون خلقه.

«**أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه**» باتّقائه

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) القصص: ٤٧.

(٤) تحف العقول: ١٤٨.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١١٧.

(٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٨٦.

حسب الوسع كما قال عزوجل ﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾[1] وإلى خلقه بإصلاح أُمورهم بقدر الجهد كما حكى تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿إن أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب﴾[2].

«مع حسن الثّناء في العباد وجميل الأثر في البلاد» فكل منهما نعمة عظيمة والثاني عبادة معنوية أيضاً.

وفي الجهشياري كان جبرئيل بن بختيشوع صنيعة البرامكة، وكان يقول للمأمون كثيراً هذه النعمة لم أفدها منك ولا من أبيك هذه أفدتها من يحيى بن خالد وولده.

وفيه سارت الركبان في الافاق بغدر الأمين وبحسن سيرة المأمون، فاستوحش الناس من الأمين وانحرفوا عنه وسكنوا إلى المأمون ومالوا إليه.

«وتمام النعمة وتضعيف الكرامة» قال حد «وتمام» معطوف على «ما» في قوله عليه السلام «لما فيه رضاه»[3].

قلت: بل معطوف على «حسن الثناء» كما هو واضح، ولا يصح ما قال لأنّه يصير المعنى على ما قال «اسأل الله أن يوفقني لتمام النعمة وتضعيف الكرامة» ولا معنى له، وتوجيهه بأن المراد للأعمال الصالحة التي يستوجهما بها تعسف.

«وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة» استجيب دعاؤه عليه السلام للاشتر فقضى نحبه مسموماً في طاعته عليه السلام وكفاه شرفاً وفضلاً.

---

(١) التغابن: ١٦.

(٢) هود: ٨٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١١٨.

وفي (الطبري): لما انقضى أمر الحكومة كتب علي عليه السلام إلى الأشتر ـ وهو يومئذ بنصيبين ـ: «أما بعد فانك ممن استظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأشد به الثغر المخوف، وكنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا بمجرب للأشياء، فاقدم عليّ لننظر في ذلك فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك». فأقبل الأشتر حتى دخل عليه عليه السلام فحدّثه حديث أهل مصر وقال له: ليس لها غيرك. أُخرج رحمك الله فإنّي إن لم أوصك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمّك، فاختلط الشدّة باللين وارفق ما كان الرّفق أبلغ، واعتزم بالشدّة حين لا يغني عنك إلّا الشدة. فخرج الأشتر من عنده فأتى رحله فتهيّأ للخروج إلى مصر، وأتت معاوية عيونه فخبّروه بولاية الأشتر، فعظم ذلك عليه ـ وقد كان طمع في مصر ـ فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشدّ عليه من محمد بن أبي بكر، فبعث إلى «الجايستار» ـ رجل من أهل الخراج ـ فقال له: إن الأشتر قد وُلّيَ مصر فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتى أتى قلزم وأقام به، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الاشتر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سمّاً فسقاه إيّاه، فلمّا شربها مات، وأقبل الذي سقاه إلى معاويه فأخبره، فقام معاوية خطيباً فقال: كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما ـ يعني عمّاراً ـ يوم صفين وقطعت الأُخرىٰ ـ يعني الأشتر ـ اليوم[1].

«انا لله وانّا إليه راجعون» هكذا في (المصرية) والصواب: (راغبون) كما

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٩٤ ـ ٩٥، بتصرّف.

في (ابن أبي الحديد)[١] و ابن ميثم[٢] والخطية بل في رواية (التحف)[٣] أيضاً.

«والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً، والسلام» هكذا في (المصرية) لكن «وسلم» الاولى و «السلام» في الآخر زائدتان قطعاً لعدم وجودهما في (ابن أبي الحديد)[٤] و (ابن ميثم)[٥] و(الخطية)، مع أنّ «وسلّم» لا يصلح فصلها بين الموصوف والصفة، وأما باقيها فاختلف ابن أبي الحديد وابن ميثم على ما في النسخة فيهما، ففي (ابن أبي الحديد)[٦] هكذا «والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين» وفي (ابن ميثم)[٧] «والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً» ومثله (الخطية)، وهو الصحيح من النهج لكون نسخة ابن ميثم بخط مصنفه، وفي رواية (التحف)[٨]: «والسلام على رسول الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين».

هذا، ونقل ابن أبي الحديد بعد عهده عليه السلام هذا إلى الأشتر وصايا جمع من كبراء العرب كأوس بن حارثة والحارث بن كعب وأكثم بن صيفي وقيس بن عاصم وعمرو بن كلثوم ويزيد بن المهلب[٩].

ونقل أيضاً وصية أردشير إلى من بعده من الملوك، فقال: قال في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٧ . وفيه: «إنّا إلى الله راغبون»، وفي صبحي الصالح: «إنّا إليه راجعون».

(٢) شرح ابن ميثم ٥ : ١٨٦ .

(٣) تحف العقول : ١٤٩ . وفيه: «وإنّا إليه راجعون».

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٧ .

(٥) شرح ابن ميثم ٥ : ١٨٦ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٧ .

(٧) شرح ابن ميثم ٥ : ١٨٦ .

(٨) تحف العقول : ١٤٩ .

(٩) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١١٨ ـ ١٢٤.

وصيته: رشاد الوالي خير للرعية من خصب الزمان، الملك والدين توأمان لا قوام لأحدهما إلّا بصاحبه، فالدّين أُسُّ الملك وعماده، ثم صار المَلك حارس الدّين ولابدّ للملك من أُسّه ولابدّ للدِّين من حارسه، فأمّا ما لا حارس له فضائع وما لا أُسَّ له فمهدوم. إنّ رأس ما أخاف عليكم مبادرة السفلة إيّاكم إلى دراسة الدين وتأويله والتفقّه فيه، فتحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم، فتحدث في الدّين رياسات منتشرات سراً فيمن قد وترتم وجفوتم، وحرمتم، وأخفتم، وصغّرتم من سفلة الناس والرعية وحشو العامة، ثم لا تنشب تلك الرياسات أن تحدث خرقاً في الملك ووهناً في الدولة.

واعلموا أنّ سلطانكم على أجساد الرعية لا على قلوبها، وإن غلبتم الناس على ما في أيديهم فلا تغلبوهم على ما في قلوبهم وآرائهم ومكايدهم.

واعلموا أنّ العاقل المحروم سالٌّ عليكم لسانه وهو أقطع سيفيه، وإنّ أشدّ ما يضرّ بكم من لسانه على ما صرف الحيلة فيه إلى الدّين، فكان للدنيا يحتج وللدين فيما يظهر يتعصب، فيكون للدين بكاؤه وإليه دعاؤه، ثم هو أوحد للتابعين والمصدّقين والمناصحين والمؤازرين، لأنّ تعصّب الناس موكّل بالملوك، ورحمتهم ومحبّتهم موكّلة بالضعفاء المغلوبين، فاحذروا هذا المعنى كلّ الحذر.

واعلموا انّه ليس ينبغي لِلمَلِكِ أن يعرّف للعُبّاد والنُّسّاك بأن يكونوا أولى بالدين منه ولا أحدب عليه ولا أغضب له، ولا ينبغي أن يخلي النسّاك والعبّاد من الأمر والنهي في نسكهم ودينهم، فإنّ خروج النسّاك وغيرهم من الأمر والنهي عيب على الملوك وعلى المملكة وثُلمةٌ بيّنة الضرر على الملك وعلى من بعده.

واعلموا أنّه قد مضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك يتعهد الحماية

بالتفتيش والجماعة بالتفضيل والفراغ بالاشتغال كتعهّده جسده بقصّ فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغمص ومداواة ما ظهر من الأدواء وما بطن، وقد كان من أولئك الملوك مَن صحة ملكه أحبُّ إليه من صحّة جسده، فتتابعت تلك الأملاك بذلك كأنهم ملك واحد، وكأن أرواحهم روح واحدة يمكّن أوّلهم لآخرهم ويصدّق آخرهم أوّلهم، يجتمع أنباء أسلافهم ومواريث آرائهم وثمرات عقولهم عند الباقي منهم بعدهم، وكأنهم جلوسٌ معه يحدّثونه ويشاورونه، حتى كان على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبة الاسكندر الرومي عليه وكان إفساده أمرنا وتفرقته جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا أبلغَ له فيما أراد من سفك دمائنا، فلمّا أذن الله تعالى في إعادة أمرنا كان من بعثه إيانا ما كان، وبالاعتبار يُتَّقى العثار، والتجارب الماضية دستور يرجع إليه في الحوادث الآتية.

واعلموا أنّ طباع الملوك على غير طباع الرعية والسوقة، فإن الملك يطيف به العزّ والأمن والسرور والقدرة على ما يريد، والأنفة والجرأة والعبث والبطر، وكلّما ازداد في العمر تنفساً وفي الملك سلامة ازداد من هذه الطبائع حتى يسلمه ذلك إلى سكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب، فينسى النكبات والعثرات والغِيَرَ والدوائر وفحش تسلّط الأيام ولؤم غلبة الدهر، فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول، وعند حسن الظن بالأيّام تحدث الغِيَرُ وتزول النعم، وقد كان من أسلافنا وقدماء ملوكنا من يذكّره عزّهُ الذل وأمنُهُ الخوفَ وسرورُهُ الكآبةَ وقدرتُهُ المعجزَةَ، وذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجة الملوك وفكرة السوقة ولا كمال إلّا في جمعهما.

واعلموا أنّ كثيراً من وزراء الملوك مَن يحاول استبقاء دولته وأيامه بإيقاع الاضطراب والخبط في أطراف مملكته ليحتاج الملك إلى رأيه وتدبيره،

فإذا عرفتم هذا من وزيرٍ من وزرائكم فاعزلوه فإنّه يُدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه ولا تقوم نفسه بهذه النفوس كلّها.

واعلموا أنَّ بدء ذهاب الدولة ينشأ من قبل إهمال الرعيّة بغير أشغال معروفة ولا أعمال معلومة، فإذا نشأ الفراغ تولّد منه النظر في الأُمور والفكر في الفروع والأُصول، فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطباع مختلفة فتختلف بهم المذاهب ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم، وهم مع اختلافهم هذا متفقون ومجتمعون على بغض الملوك، فكل صنف منهم إنّما يجري إلى فجيعة الملك بملكه، ولكنّهم لا يجدون سلّماً إلى ذلك أوثق من الدّين والناموس، ثم يتولّد من تعاديهم أنّ الملك لا يستطيع أن يجمعهم على هوىً واحد، فان انفرد باختصاص بعضهم صار عدوَّ بقيتهم، وفي طباع العامة استثقال الولاة وملالهم والنفاسة عليهم والحسد لهم، وفي الرعية المحروم والمضروب والمقام عليه الحدود، ويتولّد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم، فإنّ في إقدام الملك على الرعية كلّها كافة تغريراً بملكه، ويتولّد من جبن الملوك عن الرعية استعجالهم وهم أقوى عدو له وأخلقه بالنظر لأنّه حاضر مع الملك في دار ملكه، فمن أفضى إليه المُلك بعدي فلا يكوننّ بإصلاح جسده أشدّ اهتماماً منه بهذه الحال، ولا يكوننّ لشيء من الأشياء أكره وأمكر لرأس صار ذَنَباً وذنبٍ صار رأساً، ويد مشغولة صارت فارغة أو غنيّ صار فقيراً، أو عامل مصروف أو أمير معزول.

واعلموا أنّ سياسة الملك وحراسته ألّا يكون ابن الكاتب إلّا كاتباً وابن الجنديّ إلّا جنديّاً وابن التاجر إلّا تاجراً وهكذا في جميع الطبقات، فإنّه يتولّد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كلّ امرئٍ منهم فوق مرتبته، فإذا انتقل أوشك أن يرى شخصاً أرفع ممّا انتقل إليه فيحسده أو ينافسه وفي ذلك من

الضرر المتولّد ما لا خفاء به، فان عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوصيناه فلا يكون للقميص القَمِلِ أسرع خلعاً منه لما لبس من قميص ذلك الملك.

واعلموا أنّه ليس للملك أن يحلّف لأنّه لا يقدر أحد على استكراهه، وليس له أن يغضب لأنّه قادر، والغضب لقاح الشر والندامة، وليس له أن يعبث ويلعب لأنّ اللّعب والعبث من عمل الفُرّاغ، وليس له أن يفرغ لأنّ الفراغ من أمر السُّوقة، وليس له أن يحسد أحداً إلّا على حسن التدبير، وليس له أن يخاف لأنّه لا يد فوق يده.

واعلموا أنكم لن تقدروا أن تختموا أفواه الناس من الطّعن والإزراء عليكم ولا قدرة لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسناً، فاجتهدوا في أن تَحسُن أفعالكم كلّها وألّا تجعلوا للعامّة إلى الطعن عليكم سبيلاً.

واعلموا أنَّ لباس المَلِكِ ومطعمه مقارب للباس السُّوقة ومطعمهم، وليس فضل الملك على السُّوقة إلّا بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم، فان الملك إذا شاء أحسَنَ، وليس كذلك السُّوقة.

واعلموا أن لكلّ ملك بطانة ولكلّ رجل من بطانته بطانة، ثم لكلّ امرئٍ من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع من ذلك أهل المملكة، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كلّ امرئٍ منهم بطانته على مثل ذلك حتى تجتمع على الصلاح عامّة الرعيّة.

واعلموا أنّ في الرعية صنفاً أَتَوا الملوك من قِبَلِ النّصائح له، والتمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس، فأولئك أعداء الناس وأعداء الملوك، ومن عادى الملوك والناس كلّهم فقد عادى نفسه.

واعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات؛ فمنها حال السَّخاء حتى يدنو

أحدكم من السرف، ومنها حال التقدير حتى يدنو من البخل، ومنها حال الأناة حتى يدنو من البلاء، ومنها حال انتهاز الفرصة حتى يدنو من الخِفّة، ومنها حال الطلاقة في اللّسان حتى يدنو من الهذر، ومنها حال الأخذ بحَكَمة الصّمت حتى يدنو من العيّ، فالملك منكم جدير أن يبلغ من كلّ طبقة في محاسنها حدّها، فإذا وقف عليه الجم نفسه عما وراءها.

واعلموا أن ابن الملك وأخاه وابن عمه يقول «كدت أن أكون ملكاً وبالحري الا أموت حتى أكون ملكاً» فاذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك وان كتمه فالداء في كلّ مكتوم وإذا تمنى ذلك جعل الفساد سلماً إلى صلاح ولم يكن الفساد سلماً إلى صلاح قط، وقد رسمت لكم مثالاً اجعلوا الملك لا ينبغي الا لأبناء الملوك من بنات عمومتهم ولا يصلح من أولاد بنات العم إلّا كامل غير سخيف العقل ولا عازب الرأي ولا ناقص الجوارح ولا مطعون عليه في الدين، فانكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلّاب الملك وإذا قلّ طلابه استراح كلّ امرئٍ إلى ما يليه ونزع إلى حد يليه وعرف حاله ورضي معيشته وطاب زمانه[1].

قلت: والأنسب بعهده عليه السلام إلى الأشتر عهد ذي اليمينين إلى ابنه وان كان عهد أردشير أجمع عهد في سياسة الدولة. ففي (الطبري): لما ولّى المأمون عبدالله بن طاهر بن الحسين ديار ربيعة كتب له أبوه ذو اليمينين كتاباً نسخته: عليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وأنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كلّه بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه، فان الله قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل عليهم والقيام بحقه وحدوده

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٢٤ ـ ١٣٠، باختزال لبعض فقرات الوصية.

فيهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم في معايشهم، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولا يذهلك عنه ذاهل ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله لرشدك.

وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب إليه فعالك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها وترتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيّتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله ﷺ والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، وإذا ورد عليك أمر فاستعن بالله باستخارة الله وتقواه ولزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وايتمام ما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد، وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به، فان أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب فيه منه إلى الله، فانه الدليل على الخير كلّه والقائد له والامر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عزوجل واجلالاً له ودركاً للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك.

وعليك بالاقتصاد في الامور كلّها، فليس شيء أبين نفعاً ولا أحضر أمناً ولا أجمع فضلاً من القصد. والقصد داعية إلى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق منقاد إلى السعادة، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته.

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب، وانك لن تحوط نفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فآته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك.

وأحسن الظن بالله عزوجل يستقم لك رعيتك، والتمس الوسيلة إليه في الامور كلّها تستدم به النعمة عليك، ولا تنهض أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة، فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم وارفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدون لعدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً، فانه انما يكتفي بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغصك لذاذة عيشك.

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكفى به ما أحببت كفاية من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الامور كلها لك، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمد المسألة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الأولياء والحياطة للرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندي مما سوى ذلك فانّه أقوم للدين وأحيى للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم انّه مسؤول

عمّا صنع ومجزي بما أحسن ومأخوذ بما أساء، فان الله جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من اتبعه وعززه، فأسألك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى.

وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب الشبهة والبدعات يسلم لك دينك ويقم لك مروتك.

وإذا عاهدت عهداً فف به وإذا وعدت الخير فأنجزه، واقبل الحسنة وادفع بها، واغمض عن عيب كلّ ذي عيب من رعيتك، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهله، واقص أهل النميمة فان أوّل فساد أمرك في عاجل الأُمور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب، لأن الكذب رأس المأثم والزور والنميمة خاتمتها، لأن النميمة لا يسلم صاحبها وقابلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر، وأحب أهل الصدق والصلاح وأعن الاشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره والتمس فيه ثوابه والدار الاخرة، واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر برائتك من ذلك لرعيتك، وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم. واياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله، واياك أن تقول اني مسلّط أفعل ما أشاء، فان ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي وقلّة اليقين بالله وحده لا شريك له وأخلص لله النية فيه واليقين به.

واعلم ان الملك لله يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان

والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا بنعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله، ودع عنك شره نفسك، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم.

واعلم ان الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن وتزينت بها الولاة وطال به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الاسلام وأهله، ووفر منه على أولياء الخليفة قبلك حقوقهم واوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم، وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك وأطيب أنفساً لكل ما أردت، فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ولتعظم حسبتك فيه، فانما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه.

وإيّاك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار، وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى أرج الثواب، فان الله قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا وأظهر لديك فضله، فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً، فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين واقض الحق فيما حمل من النعم والبس من العافية والكرامة ولا تحقرن ذنباً ولا تمايلن حاسداً ولا ترحمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنن عدواً ولا تصدقن نماماً ولا تأمنن غداراً ولا تولين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تجيبن باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ولا ترهبن فجراً ولا تعملن غضباً ولا تأتين بذخاً ولا تمشين مرحاً ولا تركبن سفهاً ولا تفرطن في طلب الآخرة

ولا تدفع الأيام عياناً ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا.

واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فان ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح.

واعلم انك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلّا قليلاً، فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم، ويدوم صفاء أوليائك لك بالأفضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشح.

واعلم أنّه أوّل ما عصى به الإنسان ربه وان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عزوجل ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1] فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلّهم من بيتك حظاً ونصيباً، وأيقن ان الجود من أفضل أعمال العباد، فاعدده لنفسك خلقاً وارض به عملاً ومذهباً.

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم، واردد عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معايشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك أمرهم ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدل له وحيطته وانصافه وعنايته وتوسعته، فزايل مكروه احدى البليتين باستشعار تكملة الباب الاخر ولزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً.

واعلم ان القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الامور، لأنّه

---

(١) الحشر : ٩.

ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية وتأمن السبل وتنتصف للمظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء، واشتد في أمر الله وتورع عن النطف وامض لإقامة الحدود وأقلل العجلة وأبعد من الضجر والقلق واقنع بالقسم ولتسكن ريحك ويقرّ جدك واقنع بتجربتك وانتبه في صمتك وسدد في منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحجة، ولا يأخذك في أحد من رعاياك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتدبّر وتفكّر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية وسلّط الحق على نفسك، ولا تسرعن إلى سفك دم فان الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقّها.

وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولأهله سعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلاً وصغاراً، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه وعن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا أحد من خاصتك، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلفن أمراً فيه شطط، واحمل الناس كلّهم على مر الحق فان ذلك أجمع لالفتهم وألزم لرضى العامة.

واعلم انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً، وانما سمي أهل عملك رعيتك لأنّك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم، فاستعمل عليهم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير بوالتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة

والعفاف، ووسّع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك، ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف، فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة في أعمالك واحتزت النصيحة من رعيتك وأعنت على الصلاح، فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك فكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بإقامة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضي العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلّها ذا عدل وقوة وآلة وعدة، فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئاً تجد مغبة أمرك إن شاء الله.

واجعل في كلّ كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك من كلّ عامل في عمله معاين لأمره كلّه، وان أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فامضه وإلّا فتوقف عنه وراجع أهل البصر والعلم ثم خذ فيه عدته، فانه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه على ما يهوى فقواه ذلك وأعجبه وان لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره، فاستعمل الحزم في كلّ ما أردت وباشر بعد عون الله بالقوة، وأكثر استخارة ربك في أمور أو حوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت.

واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه وإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه، فاذا أمضيت لكلّ يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت أمور سلطانك.

وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم ثم استبق صفاء طويتهم

وتــهذيب مــودتهم لك ومــظاهرتهم بــالنصح والمــخالصة عـلى أمـرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البـيوتات مـمن قـد دخـلت عـليهم الحاجة فاحتمل مؤونتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسّاً.

وانفرد نفسك للنظر في أُمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه، فـاسأل عـنه أحـفى مسألة ووكّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم، وتعاهد ذوي البأسـاء ويـتاماهم وأرامـلهم واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بالخليفة أعزه الله في العـطف عـليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة، وأجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجـرايـة عـلى غيرهم، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم وقوّاماً يـرفقونها وأطـباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بـيت المال.

واعلم ان الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطلب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم طمعاً في نيل الزيادة وفـضل الرفق منهم، وربما برم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يـرد عـليه ويشـغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤونة ومشقة، وليس من يرغب في العدل ويرفع محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله ويلتمس رحمته به.

وأكثر الاذن للناس عليك وابرز لهم وجهك وسكن لهم أحرامك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم في المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنيعة

والأجر غير مكدر ولا منان، فان العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله.

واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة، ثم اعتصم في أحوالك كلّها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه. واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال وينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق إسرافاً.

وأكثر مجالسة العلماء ومشاهدتهم ومخالطتهم، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سر واعلامك ما فيك من النقص، فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك. وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتّابك فوقت لكلّ رجل منهم في كلّ يوم وقتاً يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك، وكرر النظر إليه والتدبير له، فما كان موافقاً للحزم والحق فامضه واستخر الله فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه.

ولا تمتن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم، ولا تقبل من أحد منهم إلّا الوفاء والاستقامة والعون في أمور الخليفة وتفهم كتابي اليك، وأكثر النظر فيه والعمل به، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله مع الصلاح وأهله.

وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضى ولدينه نظاماً ولأهله عزاً وتمكيناً وللذمة والملة عدلاً وصلاحاً، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك، وان ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله

عليك وكرامته لك حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً وأوفرهم حظّاً وأسناهم ذكراً وأمراً، وان يهلك عدوك ومن ناواك وبغي عليك، ويرزقك من رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك ووساسه حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق، انّه قريب مجيب.

قال الطبري: وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبدالله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به حتى قرئ عليه فقال: ما أبقى أبو الطيب شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلّا وقد أحكمه وأوصى به، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال.

قلت: وهو كما ترى جله بل كلّه مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده هذا إلى الأشتر بألفاظ أُخر.

هذا، ونقل ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام «وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة» الخطبة (٦٥) عن غارات الثقفي انه عليه السلام لما ولّى محمد بن أبي بكر مصر كتب له: أمره بتقوى الله في السر والعلانية وخوف الله تعالى في المغيب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبانصاف المظلوم والشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ويعذب المجرمين، وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة، فإنّ لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لايُقدَر قدره ولا يُعرف كنهه، وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل ولا ينتقص منه ولا يبتدع، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه

من قبل، وأن يلين لهم جناحه وأن يواسي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف في الله لومة لائم، فإنّ الله جل ثناؤه مع من اتّقى وآثر طاعته وأمره على من سواه....

ثم نقل عنه أنه روى أن محمداً كان ينظر في هذا الكتاب ويتأدّب به، فلمّا ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجّب منه، فقال الوليد بن عقبة له: مر بهذه الأحاديث أن تحرق. فقال له: مه؛ لا رأي لك. فقال له الوليد: أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلّم منها؟ قال معاوية: ويحك! أتأمرني أن أُحرق علماً مثل هذا! فقال الوليد: إن كنت تعجبت من علمه وقضائه فعلى م تقاتله؟! فقال: لولا أنّه قتل عثمان وأفنانا لأخذنا عنه. ثم قال: لا نقول هذه من كتب علي بل من كتب أبي بكر كانت عند ابنه، فلم تزل تلك في خزائن بني أُمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنّها من أحاديث علي عليه السلام.

ثم قال ابن أبي الحديد: الأليق أن الكتاب الذي ينظر فيه معاوية ويعجب منه ويفتي بأحكامه هو عهده عليه السلام إلى الأشتر، فإنّه نسيج وحده ومنه تعلم النّاس الآداب والقضاء والسياسة، وهذا العهد صار إلى معاوية لما سمّ الأشتر، وحقيق لمثله أن يُقتنىٰ في خزائن الملوك[1].

قلت: مضافاً إلى أنّه اجتهاد في مقابل النص فإنّ هذا الخبر وخبراً آخر رواه الثقفي أيضاً مسنداً عن عبدالله بن سلمة قال: صلّى بنا عليٌّ عليه السلام فلمّا انصرف قال:

لقد عثرت عثرةً لا أعتذر ... سوف أكِيسُ بعدها وأستمر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٦٥ ـ ٧٣، باختزال وتصرّف يسير.

وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال:

إنّي استعملت محمد بن أبي بكر على مصر فكتب إليّ أنّه لا علم لي بالسنّة، فكتبت إليه كتاباً فيه أدب وسنّة فقُتِل وأُخذ الكتاب[1]. لا يصح في نفسه، لأن الأشتر سُمَّ في القلزم في طريق مصر خفية وكان مصر والقلزم في تصرفه عليه السلام فمن قدر أن يأخذ عهد الأشتر وكان سلطانه باقياً، وإنّما محمد صار أسيراً في أيديهم فأخذوا كتبه، وذاك الكتاب إلى محمد بن أبي بكر وإن كان أيضاً يكفي نفاسة إلّا أن الظاهر كون ما أخذه معاوية غير ذاك، ففي الخبر الأول أخذ كتبه أجمع، وفي الخبر الثاني كان كتاباً فيه أدب وسنّة وتأسّف عليه السلام على صيرورته إلى معاوية، ويأتي كتابه عليه السلام إلى محمد بطرقه في الآتي.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٧٣.

فهرس المطالب

دليل القارئ

* ضمّ «بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلاً وزِّعت على ١٤ مجلّداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها، وأُدرِجَت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلِّف نفسه.

* اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النّهج المُراد شرحها، كُتبت بالغامق، وانتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين مُنحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثِّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يُشير إلى موقعها في النّهج.

* قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصٍّ يُراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، ويُميِّز كلّ نصٍّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.

* يُبتدأ الشّرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ ـ غالباً ـ وتُحصر بين قوسين وتُميِّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.

* غالباً ما يكون الشّرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ يُنطلق منه إلى وقائع تأريخيّة وقصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشّواهد شعراً ونثراً.

* لم تُحصر النصوص المنقولة ـ من غير نهج البلاغة ـ بين قوسين لكثرتها، واكتفي لتمييز أوّلها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه ـ ويقع أوّل السّطر في أحيان كثيرة ـ بين قوسين، ونهايتها بهامش يُشير إلى استخراجها ويبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.

* عندما يتمّ شرح كلّ نص من العنوان يُنتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتُشرح نصوصه ويُنتقل إلى عنوان بعده، وهكذا تُشرح الفصول متتابعة.

* إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة.

* أُضيف في نهاية كلّ مجلّد فهرستٌ للخطب والكُتُب والحِكَم الواردة في ذلك المجلّد.

* وختاماً نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو والخطأ إن وجد.

نتمنى للجميع التسديد والصواب، ومن الله الأجر والثواب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناشر